

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مَقَامَاتُ الْحَرِيرِيِّ

الْمُسَمَّى

بِالْمَقَامَاتِ الْأَدَبِيَّةِ

تَأَلَّفَ

أَبِي مُحَمَّدٍ الْقَاسِمِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِيِّ الْبَصْرِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٥١٩ هـ

دارُ الغدِّ الجديدِ

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

مَقَامَاتُ الْحَرِيرِيِّ

المُسمَّى بِالمَقَامَاتِ الأدبية

تأليف
أبي محمد القاسمي بن علي بن محمد الحريري البصري
المتوفى سنة ٥١٩ هـ

علق عليه وضبطه
ووضع هوامشه

عزّت زينهم

دار الغد الجديد



جميع الحقوق محفوظة
جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة!

دار الغد الجديد
للطباعة والنشر والتوزيع

EXCLUSIVE RIGHTS FOR
DAR AL-GHAD AL-GADEED
For Publishing & Distribution

الطبعة الأولى

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م
دار الغد الجديد
للطباعة والنشر والتوزيع

القاهرة: ٧ ش رزب الأراك خلف الجامع الأزهر
المنصورة: ش عبد السلام عارف أمام جامعة الأزهر

ت فاكس: ٠٢٠٢/٢٥١٤٨٢١٦

ت فاكس: ٠٢٠٥٠/٢٢١٦٨٩٨

صندوق بري: ٣٥١١١

E.Mail: dar.alghad@yahoo.com

رقم الإيداع: ١٩٧١٢ / ٢٠١٥

I.S.B.N: 978-977-372-482-7

مقدمة التحقيق

الحمد لله خالق الألسن واللغات، واضع الألفاظ للمعاني بحسب ما اقتضته حكمه البالغات، الذي علم آدم الأسماء كلها، وأظهر بذلك شرف اللغة وفضلها. والصلاة والسلام على سيدنا محمد، أفصح الخلق لسانا، وأعربهم بيانا، وعلى آله وصحبه، أكرم بهم أنصارا وأعوانا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران].
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء].
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب].

يقول الثعالبي في مقدمة كتابه «فقه اللغة»: من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً ﷺ، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وأتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمداً ﷺ خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهماها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة وسائر أنواع المناقب كالينبوع للماء والزند للنار، ولو لم يكن في الإحاطة بخصائصها والوقوف على مجاريها ومصارفها والتبحر في جلائها ودقائقها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن، وزيادة البصيرة في إثبات النبوة التي هي عمدة الإيمان لكفى بهما فضلا يحسن فيهما أثره، ويطيب في الدارين ثمره.

وإسهاما منا في خدمة لغتنا العربية لغة القرآن الكريم نقدم لك أخي القارئ الكريم كتاب مقامات الحريري المسمى بـ «المقامات الأدبية» لمؤلفه أبي محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري البصري المتوفى سنة (٥١٦هـ)، وهو ثاني كتب المقامات شهرة وأجلها أثراً، لم يلق واحد منها ما لقيه من عناية العلماء به، وتنافس الأمراء

باقثناء نسخه .

قال حاجي خليفة: كتاب لا يحتاج إلى تعريف لشهرته .

وقد قال الزمخشري في مدحه وهو من معاصري الحريري: أقسم بالله وآياته، ومشعر الحج وميقاته، أن الحريري حريٌّ بأن نكتبَ بالتبر مقاماته، وهو الكتاب الرابع من كتب المقامات حسب التسلسل التاريخي .

وأولها: مقامات بديع الزمان .

وثانيها: مقامات أبي النصر عبد العزيز بن عمر السعدي المتوفى سنة ٤٠٥هـ .

وثالثها: مقامات ابن تاقيا عبد الله بن محمد المتوفى سنة ٤٨٥هـ .

ورابعها: مقامات الحريري، ويضم خمسين مقامة، على غرار مقامات بديع الزمان، جعل الحريري بطلها الحارث بن همام البصري، وهو اسم بلا مسمى، وراويها أبا زيد السروجي وهو شخصية حقيقية، ورد البصرة، وكان شيخاً بليغاً، وسحر الناس بفصاحته في مسجد بني حرام وهو يسألهم أن يعينوه في فك ولده من أسر الروم .

قال الحريري: فاجتمع عندي فضلاء، وأخبروني بما سمعوه وتعجبوا منه، فأنشأت المقامة الحرامية، ثم بنيت عليها سائر المقامات .

قال ابن الجوزي: وعرض المقامة الحرامية على الوزير أنوشروان فاستحسنها وأمر أن يضيف إليها ما شاكلها فأتمها خمسين مقامة .

وعثر ابن خلكان سنة ٦٧٦هـ على نسخة منها بخط الحريري، وقرأ فيها أنه ألفها للوزير جلال الدين ابن صدقة، وذلك مخالف لما أثبتته في ترجمته للحريري من أنه ألفها للوزير أنوشروان بن خالد القاشاني: وزير المسترشد العباسي .

ولها شروح كثيرة جداً، عدّ منها حاجي خليفة أربعين شرحاً، ونص على أن أجودها شروح أبي العباس الشريشي المتوفى سنة ٦١٩هـ، وأضخمها شرح ابن الساعي البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤هـ، وهو في خمسة وعشرين مجلداً، وأقدمها: شرح أبي سعيد الحلبي تلميذ الحريري، وقد قرأ شرحه عليه .

طبع الكتاب لأول مرة في كلكتة من سنة ١٨٠٩ إلى ١٨١٢م، ثم في باريس سنة ١٨٢٢هـ بعناية (دي ساسي) مع شروح منتخبة، وفي (لايسك) سنة ١٨٣٦ وفي بولاق ١٢٨٨هـ .

وقد وصلتنا نسخ منه مزينة بالمنمنمات التي أبدعتها ريشة الفنان يحيى بن محمود الواسطي، فرغ منها في رمضان ٦٣٤هـ. وانظر كتاب (الأثر العربي في الفكر اليهودي) إبراهيم موسى هنداي، وفيه فصل المقامات ص ١٢٩ (وأهم إنتاج أدبي من هذا النوع ما لقيه الشاعر يهوذا الحريزي في القرن ١٢م) ويعتبر إنتاجه أشهر ما أنتج في الأدب العبري، وقد ترجم (مقامات الحريري) إلى العبرية تلبية لرغبة أصدقائه الذين شغفوا بالأدب العربي في طليطلة، وسمى ترجمته (حكايات إيتيثيل) نسبة إلى البطل الذي اختاره لمقاماته بدلاً من الاسم العربي، وقد استعاره من (سفر الأمثال: إصحاح ٣٠) أما كتاب (مقاماته) هو فأهمها المقامة (٤٧) ص ٢٥٠ في وصف من لقيهم في أسفاره من يهود المشرق، وفي مقامة أخرى يذكر أسماء شعراء اليهود، وشهرة كل واحد منهم.

أما عن تاريخ دخول (مقامات الحريري) إلى المغرب، فقد ذكر أبو عبد الله ابن القاضي عياض في كتابه (التعريف بالقاضي عياض) (ص ١٠٩) أن بعض أصحابه سمعه يقول: (لما وصل إلى بلدنا كتاب المقامات للحريري، وكنت لم أرها قبل، لم أنم ليلة طالعته حتى أكملت جميعها بالمطالعة) قال محقق الكتاب د. محمد بن شريفة: أما في الأندلس فقد أدخلها من أخذها مباشرة عن الحريري كما ذكر د. إحسان عباس في كتابه (تاريخ الأدب الأندلسي) (ص ٣٠٣)، وننوه هنا إلى ما ذهب إليه رفاعه الطهطاوي من أن فينيلون الفرنسي استفاد كثيراً من مقامات الحريري في كتابه (مواقع الأفلاك في وقائع تيلماك) الذي قام الطهطاوي بترجمته إلى العربية سنة ١٨٤٩م. انظر مجلة العرب (س ٣ ص ٧٧٧). وفيها إشارة إلى مقامات علي مبارك، التي سماها باسم بطلها (علم الدين).

عملنا في الكتاب:

وقد قمت في هذا الكتاب بعمل الآتي:

- ١- ضبط متن الكتاب من حيث التصحيف والتحريف.
- ٢- ضبط كلمات الكتاب ضبطاً تاماً؛ لتوضيح المعنى، ولإزالة اللبس.
- ٣- تخريج آيات الكتاب بعزوها إلى سورها، وذكر رقم الآية.
- ٤- تعريف الكثير من الكلمات الغريبة.
- ٥- عمل الفهارس العلمية الشاملة، وتشمل:
- أ- فهرس الآيات القرآنية.
- ب- فهرس الأحاديث النبوية.
- ج- فهرس الأماكن الواردة في الكتاب.

د - فهرس الأمثال الواردة في الكتاب.

هـ - فهرس الأشعار الواردة في الكتاب.

و - فهرس القبائل والفرق والمذاهب والشعوب.

ز - فهرس موضوعات للكتاب.

والله أسأل أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفعني الله به
وجميع المسلمين، آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

عزت زينهم

ترجمة الحريري

(٤٤٦-٥١٦هـ)

هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، الأديب أبو محمد البصريُّ الحرامِيُّ الحريريُّ، مصنّف «المقامات».

كان يسكن ببني حرام إحدى محال البصرة مما يلي الشَّط، كان مولده ومرباه بقرية المشان من نواحي البصرة، وكان أحد أئمة عصره في الأدب والنَّظْم والسنن والبلاغة والفصاحة، رُزِقَ الخطوة التَّامة في مقاماته.

ذكر الموقاني وغيره أنَّ الحريري قرأ الأدب بالبصرة على القصباني، فحكى أنَّ القصباني قال: إذا قلت: ما أسود زيداً! وما أسمر عمراً! وما أصفر هذا الطَّير! وما أبيض هذه الحمامة! وما أحمر هذا الفرس! لا تصح إن أردت الألوان، وتصح إن أردت التَّعجب من سُودد زيد، وسمر عمرو، وصغير الطَّير، وكثرة بياض الحمامة، وحمرة الفرس وهو أن ينتن فوه، وحكى الحريري، قال: كان أبو زيد السروجي شيخاً شحاذاً بليغاً، ومكدياً فصيحاً، ورد علينا البصرة فوقف في مسجد بني حرام، فسلم ثم سأل، وكان بعض الولاة حاضراً والمسجد غاص بالفضلاء، فأعجبته فصاحته وحسن صياغة كلامه، وذكر أسر الروم ولده كما ذكرناه في المقامة الحرامية، فاجتمع عندي عشية جماعة، فحكيت ما شاهدت من ذلك السَّائل، وما سمعت من لطافة عبارته وظرافة إشارته في تحصيل مراده، فحكى لي كلُّ واحد من جلسائي أنَّه شاهد من هذا السَّائل في مسجده مثل ما شاهدت، وأنه سمع منه في معنى آخر فصلاً أحسن مما سمعت، وكان يُغيِّر في كلِّ مسجد شكله وزيه، فتعجبوا من جريانه في ميدانه وتصرفه في تلونه وإحسانه، فأنشأتُ المقامة الحرامية ثم بنيتُ عليها سائر المقامات.

وذكر ولد الحريري، أبو القاسم عبد الله، قال: كان السَّبب في وضع هذه «المقامات» أنَّ أبي كان جالساً في مسجده ببني حرام فدخل شيخ ذو طمرين، عليه أهبة السَّفر فصيح الكلام، حسن العبارة فسأله الجماعة: من أين الشَّيخ؟ فقال: من سروج، فاستخبروه عن كنيته فقال: أبو زيد، فعمل أبي المقامة المعروفة «بالحرامية» وهي الثَّامنة والأربعون، وعزاها إلى أبي زيد المذكور واشتهرت، فبلغ خبرها الوزير

شرف الدين أنوشروان بن خالد القاشاني، وزير المسترشد، فأعجبته وأشار على أبي أن يضم إليها غيرها فأتىها خمسين مقامة، وإلى الوزير أشار الحريري بقوله في الخطبة: فأشار من إشارته حُكْم، وطاعته غُنى. وأما تسمية الراوي بالحارث بن همّام فلأنما عني به نفسه، أخذه من قوله عليه السلام: «كلُّكم حارث وكلُّكم همّام»، فالحارث الكاسب والهمّام الكثير الاهتمام؛ لأن كلَّ أحد كاسب ومهتمُّ بأموره.

وقد سمع من أبي تمام محمد بن الحسن بن موسى المقرئ، وأبي القاسم بن الفضل القصباني الأديب، وأملى بالبصرة مجالس، وصنّف أيضاً «درة الغواص في أوهم الخواص» و«الملحة» في النحو وصنّف لها شرحاً، وله ديوان ترسل وشعر كثير. روى عنه ابنه أبو القاسم، وأبو العباس المندائي الواسطي، وأبو الكرم الكرابيسي، والوزير علي بن طراد، وأبو علي ابن المتوكل، وقوام الدين علي ابن صدقة الوزير، وابن ناصر الحافظ، وعلي بن مظفر الظهيري، ومنوجهر ابن تركانشاه، وأحمد بن علي ابن الناعم، وأبو بكر ابن النقور، ومحمد بن أسعد العراقي، وأبو المعمر المبارك بن أحمد الأزجي، وآخر من روى عنه بالإجازة أبو طاهر بركات بن إبراهيم الخشوعي.

ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة، وقرأ الأدب بالبصرة على القصباني ثم استعان بذكائه وفطنته على اللغات والآداب.

قال قاضي القضاة ابن خلكان: وجدت في عدة تواريخ أن الحريري صنّف "المقامات" بإشارة أنوشروان إلى أن رأيت بالقاهرة سنة ست وسبعين نسخة مقامات كلها بخط مصنّفها، وقد كتب بخطه أيضاً أنه صنّفها للوزير جلال الدين عميد الدولة أبي علي الحسن بن علي بن صدقة وزير المسترشد، ولا شك في أن هذا أصح لأنه بخط المصنّف، وتوفي الوزير المذكور في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة.

وذكر الوزير جمال الدين علي بن يوسف الشيباني القفطي في "تاريخ النحاة": أن أبا زيد السروجي اسمه المطهر بن سلاّر، وكان بصرياً لغوياً صحب الحريري، وتخرّج به، وقد روى أبو الفتح محمد بن أحمد المندائي «ملحة الإعراب» عنه عن الحريري، حدّثهم بها بواسط في سنة ثمان وثلاثين، وتوفي بعد الأربعين وخمسمائة، وقد شرح «المقامات» جماعة من الفضلاء.

قال القاضي: ورأيت في بعض المجاميع أن الحريري عمل «المقامات» أربعين

مقامة، وحملها إلى بغداد فاتهمه جماعة من أدباء بغداد، وقالوا: هي لرجل مغربي مات بالبصرة ووقعت أوراقه إلى الحريري، فظفر بها، فادعاه، فسأله الوزير عن صناعته، فقال: أنا رجل مُنْشئ، فاقترح عليه إنشاء رسالة في واقعة عينها، فانفرد في ناحية من الدار وأخذ الدواة والورقة ومكث زماناً، فلم يُفْتَحْ عليه بشيء يكتبه، فقام خجلاً، وكان ممن أنكر دعواه علي بن أفلح الشاعر، فعمل في ذلك:

شيخ لنا من ربيعة الفرس يتنف عثنونه من الهوس
أنطقه الله بالمشان كما رماه وسط الديوان بالخرس

وكان الحريري يذكر أنه من ربيعة الفرس، وكان يولع بتنف لحيته عند الفكرة، وكان يسكن في مشان البصرة، فلما رجع إلى بلده أكملها خمسين مقامة، وسير العشرة، واعتذر عن عيه بالهية.

وقيل: بل كره المقام ببغداد فتجاهل.

ويُحْكِي أنه كان دميماً قبيح المنظر، فأتاه غريب يزوره ويأخذ عنه، فلما رآه استزرى شكله، ففهم الحريري ذلك منه، فلما التمس أن يملئ عليه، قال اكتب:

ما أنت أول سار غرة قمر ورائد أعجبته خضرة الدمن
فاختر لنفسك غيري إنني رجل مثل المعيدي فاسمع بي ولا ترني

وكان الحريري من الأغنياء بالبصرة، يقال: كان له ثمانية عشر ألف نخلة، وقيل: كان قدراً في نفسه وشكله ولُبْسِه، قصيراً دميماً، بخيلاً، مولعاً بتنف لحيته، فنهاه الأمير وتوعده على ذلك، وكان كثير المجالسة له، فبقي كالمُقَيَّد لا يتجاسر أن يعبت بلحيته، فتكلم في بعض الأيام بكلام أعجب الأمير، فقال له: سلني ما شئت حتى أعطيك، فقال: أقطعني لحيتي، قال: قد فعلت!

وقال القاضي جابر بن هبة الله: قرأتُ «المقامات» على الحريري في سنة أربع عشرة، وكنت أظن أن قوله:

يا هل ذا المعنى وقُتِمَ شراً ولا لقيتُم ما بقيتُم ضرّاً
قد دفع الليل الذي اكفهر إلى ذراكم شعثاً مُعَبِّراً

فقرأتُ «سغباً معترّاً» ففكر، ثم قال: والله لقد أجدت في التصحيف وإنه لأجود فربَّ شعث مُعَبِّر غير محتاج، و«السغب المعتر» موضع الحاجة، ولولا أنني قد كتبت خطي إلى هذا اليوم على سبعمائة نسخة قرئتُ عليّ لغيرته كما قلت.

ومن لُغَزَ الحريري وأجاد:

ميم موسى من نون نصر ففتش أيهاذا الأديب ماذا عنيتُ
ميم: أي أصابه الموم، وهو البرسام، ويقال: هو أثر الجدري. والنون:
السَّمكة، يعني: أكل سمكة نصر فأصابه الموم.
وله:

باء بكر بلام ليلى فما ينفـ ك منها إلا بعين وهاء
البكر: الجمل، وباء: أقر، واللام: الزرع، فلازمته ليلى فما ينفك منها مما
تلطمه في وجهه إلا بعين واهية من اللطم.
وله:

لا تخطونَ إلى خطأ ولا خطاء من بعد ما الشَّيب في فوديك قد وخطأ
وأي عذر لمن شابت ذوائبه إذا سعى في ميادين الصبا وخطأ
حدث جابر بن زهير، قال: حضرنا مع ابن الحريري دعوة لرئيس البصرة ظهير
الدين ابن الوجيه في ختان ابنه أبي الغنائم، وحضر محمد البصري المغني فغنى:

بالذي ألهم تعذيبـ بي ثناياك العذابا
ما الذي قالته عينا ك لقلبي فأجابا

فطرب الحاضرون وسألوا ابن الحريري أن يزيد لها مطلعاً فقال:
قل لمن عذَّب قلبي وهو محبوب محابي
والذي إن سمته الوصـ ل تغالى وتغابى

فألزم الحاضرون لمحمد ألا يغنيهم غيرها، فمضى يومهم أجمع بها.
قال الموقاني: مات الحريري في سادس رجب سنة ست عشرة بالبصرة.
وقال غيره: خلف ولدين: نجم الدين عبد الله، وقاضي البصرة ضياء الإسلام
عبيد الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الكتاب

اللَّهُمَّ إِنَّا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا عَلَّمْتَ مِنَ الْبَيَانِ، وَالْهَمَّتْ مِنَ التَّبْيَانِ، كَمَا نَحْمَدُكَ عَلَى مَا أَسْبَغْتَ مِنَ الْعَطَاءِ، وَأَسْبَلْتُ^(١) مِنَ الْغَطَاءِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ^(٢) اللَّسَنِ، وَفُضُولِ الْهَذَرِ، كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ مَعَرَّةِ اللَّكَنِ^(٣)، وَفُضُوحِ الْحَصْرِ^(٤)، وَنَسْتَكْفِي بِكَ الْإِفْتِنَانَ بِأَطْرَاءِ الْمَادِحِ، وَإِعْضَاءِ الْمُسَامِحِ، كَمَا نَسْتَكْفِي بِكَ الْإِنْتِصَابَ لِإِزْرَاءِ الْقَادِحِ^(٥)، وَهَتِكَ الْفَاضِحِ. وَنَسْتَغْفِرُكَ مِنْ سَوْقِ الشَّهَوَاتِ إِلَى سَوْقِ الشُّبُهَاتِ، كَمَا نَسْتَغْفِرُكَ مِنْ نَقْلِ الْخَطَوَاتِ إِلَى خَطَطِ الْخَطِيئَاتِ، وَنَسْتَوْهِبُ مِنْكَ تَوْفِيقًا قَائِدًا إِلَى الرُّشْدِ، وَقَلْبًا مَتَقَلِّبًا مَعَ الْحَقِّ، وَلِسَانًا مَتَحَلِّيًا بِالصِّدْقِ، وَنُطْقًا مُؤَيِّدًا بِالْحُجَّةِ، وَإِصَابَةً ذَائِدَةً^(٦) عَنِ الزَّيْغِ، وَعَزِيمَةً قَاهِرَةً هَوَى النَّفْسِ، وَبَصِيرَةً نُدْرِكُ بِهَا عِرْفَانَ الْقَدْرِ، وَأَنْ تُسْعِدَنَا بِالْهِدَايَةِ، إِلَى الدَّرَايَةِ، وَتَعْضُدَنَا^(٧) بِالْإِعَانَةِ عَلَى الْإِبَانَةِ، وَتَعْصِمَنَا مِنَ الْغَوَايَةِ فِي الرِّوَايَةِ، وَتَصْرِفَنَا عَنِ السَّفَاهَةِ، فِي الْفُكَاهَةِ، حَتَّى نَأْمَنَ حَصَائِدَ الْأَلْسِنَةِ، وَنُكْفَى غَوَائِلَ^(٨) الزَّخْرَفَةِ، فَلَا نَرِدَّ مُورِدَ مَائِمَةٍ، وَلَا نَقِفَ مَوْقِفَ مُنْذِمَةٍ، وَلَا نُرْهَقَ بِتَبِيعَةٍ^(٩) وَلَا مَعْتَبَةٍ، وَلَا نُلْجَأَ إِلَى مَعْدِرَةٍ عَنْ

(١) أَسْبَلْتُ: أَرْخَى وَغَطَّى وَسَتَرَ.

(٢) شَرِّ: فَحْشٍ.

(٣) عَجْمَةٌ فِي اللِّسَانِ وَعَدَمُ تَبْيِينِ الْكَلَامِ.

(٤) فَضُوحُ الْحَصْرِ: اِشْتِهَارُ الْعِيِّ وَعَدَمُ الْقُدْرَةِ عَلَى الْكَلَامِ.

(٥) إِزْرَاءُ الْقَادِحِ: الطَّعْنُ عَلَى النَّاقدِ الصَّادِقِ.

(٦) ذَائِدَةٌ: بَعِيدَةٌ.

(٧) عَضَدَ: أَعَانَ وَسَاعَدَ.

(٨) غَوَائِلُ: تَبِيعَةٌ. مَا أَتْبَعَ بِظَلْمٍ أَوْ مَظْلَمَةٍ.

(٩) غَوَائِلُ الزَّخْرَفَةِ: مَصَانِدُ التَّزْيِينِ وَأَخْطَارُهُ.

بَادِرَةً، اللَّهُمَّ فَحَقِّقْ لَنَا هَذِهِ الْمُتْنِيَّةَ، وَأَنْلِنَا هَذِهِ الْبُغْيَةَ، وَلَا تُضْحِنَا (١) عَنْ ظِلِّكَ السَّابِغِ، وَلَا تَجْعَلْنَا مَضْغَةً لِلْمَاضِغِ، فَقَدْ مَدَدْنَا إِلَيْكَ يَدَ الْمَسْأَلَةِ، وَبَخَعْنَا (٢) بِالْأَسْتِكَانَةِ لَكَ وَالْمَسْكَنَةِ، وَاسْتَنْزَلْنَا كَرَمَكَ الْجَمِّ، وَفَضْلَكَ الَّذِي عَمَّ، بِضِرَاعَةِ الطَّلَبِ، وَبِضَاعَةِ الْأَمَلِ، بِالتَّوَسُّلِ بِمُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْبَشَرِ، وَالشَّفِيعِ الْمُشَفِّعِ فِي الْمَحْشَرِ، الَّذِي خَتَمْتَ بِهِ النَّبِيِّينَ، وَأَعْلَيْتَ دَرَجَتَهُ فِي عِلِّيِّينَ، وَوَصَفْتَهُ فِي كِتَابِكَ الْمُبِينِ، فَقُلْتَ وَأَنْتَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الْهَادِينَ، وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ شَادُوا الدِّينَ، وَاجْعَلْنَا لَهُدْيِهِ وَهَدْيِهِمْ مَتَّبِعِينَ، وَانْفَعْنَا بِمُحَبَّتِهِ وَمُحَبَّتِهِمْ أَجْمَعِينَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِالْإِجَابَةِ جَدِيرٌ، وَبَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ جَرَى بَعْضُ أُنْدِيَةِ الْأَدَبِ الَّذِي رَكَدَتْ (٣) فِي هَذَا الْعَصْرِ رِيحُهُ، وَخَبَتْ (٤) مَصَابِيحُهُ، ذَكَرُ الْمَقَامَاتِ الَّتِي ابْتَدَعَهَا بَدِيعُ الزَّمَانِ، وَعَلَامَةُ هَمْدَانٍ، رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَعَزَا إِلَى أَبِي الْفَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِيِّ نَشَاتَهَا، وَإِلَى عَيْسَى بْنِ هِشَامٍ رَوَايَتَهَا، وَكِلَاهُمَا مَجْهُولٌ لَا يُعْرَفُ، وَنَكِرَةٌ لَا تَعْرَفُ! فَأَشَارَ مَنْ إشارَتَهُ حُكْمٌ (٥)، وَطَاعَتُهُ غُنْمٌ، إِلَى أَنْ أُنْشِيَ مَقَامَاتٌ أَتْلُو فِيهَا تَلَوَ (٦) الْبَدِيعُ، وَإِنْ لَمْ يُدْرِكِ الظَّالِعُ (٧) شَأَوَ الضَّلِيلِ، فَذَاكَرْتُهُ بِمَا قِيلَ فِيمَنْ أَلْفَ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ، وَنَظَّمَ بَيْتًا أَوْ بَيْتَيْنِ، وَاسْتَقَلْتُ (٨) مِنْ هَذَا الْمَقَامِ الَّذِي فِيهِ يَحَارُ الْفَهْمُ، وَيُفْرَطُ الْوَهْمُ، وَيُسْبَرُ غَوْرُ الْعَقْلِ، وَتَتَبَيَّنُ قِيَمَةُ الْمَرْءِ فِي الْفَضْلِ، وَيُضْطَرُّ

(١) تُضْحِنَا: تطردنا من ظلك إلى حرِّ المعصية والنار.

(٢) بَخَعْنَا: أقرنَّا وأنبنا.

(٣) رَكَدَتْ: كسدت.

(٤) خَبَتْ: طفئت.

(٥) المقصود: وزير الخليفة، أو الخليفة نفسه.

(٦) أَتْلُو فِيهَا تَلَوُ: أخذوا حذوه، وأسبر على طريقته.

(٧) الظالِع: من يميل في مشيه ولا يعتدل من مرض. (٨) استقلت: استعفيت وطلب الإقالة.

صاحبه إلى أن يكون كحاطب ليل^(١)، أو جالب رجل^(٢) وخيل، وكلما سلم مكثار، أو أقيلا له عثار^(٣)، فلما لم يسعف بالإقالة، ولا أعفى من المقالة، ليبت دعوة تلبية المطيع، وبذلت في مطاوعته جهد المستطيع، وأنشأت على ما أعانيه من قريحة^(٤) جامدة، وفطنة خامدة، وروية ناضبة^(٥)، وهموم ناضبة، خمسين مقامة تحتوي على جد القول وهزله، ورقيق اللفظ وجزله، وغرر البيان ودوره، وملح الأدب^(٦) ونوادره، إلى ما وشحتها^(٧) به من الآيات، ومحاسن الكنايات، ورصعته فيها من الأمثال العريية، واللطائف الأدبية، والأحاجي^(٨) النحوية، والفتاوى اللغوية، والرسائل المبتكرة، والخطب المحبرة^(٩)، والمواعظ المبكية، والأصاحيك الملهية، مما أملت جميعه على لسان أبي زيد السروجي، وأسندت روايته إلى الحارث بن همام البصري، وما قصدت بالإحماض^(١٠) فيه، إلا تنشيط قارئيه، وتكثير سواد طالبيه، ولم أودعه من الأشعار الأجنبية إلا بيتين فذنين^(١١) أسست عليهما بنية المقامة الحلوانية، وآخرين توأمين ضمتهما خواتم المقامة الكرجية، وما عدا ذلك فخاطري أبو عذره^(١٢)، ومقتضب حلوه ومرة، هذا مع اعترافي بأن البديع - رحمه الله - سباق غايات، وصاحب آيات، وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة، ولو أوتي بلاغة

(١) حاطب ليل: الذي لا يدري أي شيء يجمع وما يضر وما ينفع.

(٢) رجل: فارس. (٣) المقصود: العثرات، وهي الزلات والخطيئات.

(٤) قريحة: طبيعة ونفس. (٥) المقصود: فكرة لا تساعد ولا تعين.

(٦) ملح الأدب: ما يستظرف من الأدب. (٧) أي: زينتها وجملتها.

(٨) جمع أحجية، وهي ما يتطلب عمل العقل للفهم.

(٩) المحبرة: المزينة. (١٠) المقصود: تعدد الأساليب.

(١١) فذنين: فردين لا ثالث لهما. (١٢) المراد: ابتكرتها ولم يسبقني أحد لها.

قُدَامَةٌ^(١)، لَا يَغْتَرِفُ إِلَّا مِنْ فُضَالَتِهِ، وَلَا يَسْرِي ذَلِكَ الْمَسْرَى إِلَّا بِدَلَالَتِهِ،
وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً بَسُعْدَى شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ
وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُكَاءُ بُكَاهَا فَقُلْتُ الْفَضْلُ لِلْمَتَقَدِّمِ

وَأَرْجُو أَلَّا أَكُونَ فِي هَذَا الْهَذَرِ^(٢) الَّذِي أوردته، وَالْمُورِدِ الَّذِي
توردته^(٣)، كَالْبَاحِثِ عَنْ حَتْفِهِ بِظِلْفِهِ^(٤)، وَالْجَادِعِ مَارِنَ^(٥) أَنْفِهِ بِكَفِّهِ،
فَالْحَقُّ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُمْ يُخْسِنُونَ
أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا، عَلَى أَنِّي وَإِنْ أَغْمَضَ لِي الْفَطْنُ الْمُتَغَابِي وَنَضَحَ عَنِّي
الْمُحِبُّ الْمُحَابِي، لَا أَكَادُ أَخْلُصُ مِنْ غُمْرِ جَاهِلٍ، أَوْ ذِي غِمْرِ^(٦) مُتَجَاهِلٍ،
يَضَعُ مِنِّي لِهَذَا الْوَضْعِ، وَيَنْدَدُ بِأَنَّهُ مِنْ مَنَاهِي الشَّرْعِ، وَمَنْ نَقَدَ الْأَشْيَاءَ بِعَيْنِ
الْمَعْقُولِ، وَأَنْعَمَ^(٧) النَّظَرَ فِي مَبَانِي الْأُصُولِ، نَظَّمَ هَذِهِ الْمَقَامَاتِ، فِي سِلْكِ
الْإِفَادَاتِ، وَسَلَكَهَا مَسْلَكَ الْمَوْضُوعَاتِ، عَنِ الْعَجَمَاوَاتِ وَالْجَمَادَاتِ، وَلَكَمْ
يُسْمَعُ بِمَنْ نَبَا سَمْعُهُ عَنْ تِلْكَ الْحِكَايَاتِ، أَوْ أَتَمَّ رَوَاتَهَا فِي وَقْتٍ مِنَ
الْأَوْقَاتِ، ثُمَّ إِذَا كَانَتْ الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَبِهَا أَنْعَادُ الْعُقُودِ الدِّينِيَّاتِ، فَأَيُّ
حَرْجٍ عَلَى مَنْ أَنْشَأَ مُلْحًا لِلتَّنْبِيهِ، لَا لِلتَّمْوِيهِ، وَنَحَا بِهِ مِنْحَى التَّهْذِيبِ، لَا
الْكَاذِيبِ؟ وَهَلْ هُوَ فِي ذَلِكَ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ مَنْ انْتَدَبَ لِتَعْلِيمٍ، أَوْ هَدَى إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ؟

(١) المقصود: هو قدامة بن جعفر، الكاتب البغدادي المعروف.

(٢) الهذر: الكلام الذي لا فائدة فيه، والهديان. (٣) أي: تجرأت عليه وأقبلت.

(٤) مثل عربي، والمراد: من يسعى في هلاك نفسه. (٥) أي: الجزء اللين من الأنف.

(٦) غمر: بكسر أوله: حاقِد. (٧) أنعم: أمعن وأعمل فكره.

على أنني راضٍ بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا علي ولا ليا
 وبالله اعتضد، فيما أعتمد، واعتصم، مما يصم^(١)، وأسترشد، إلى
 ما يرشد، فما المفزع إلا إليه، ولا الاستعانة إلا به، ولا التوفيق إلا منه،
 ولا الموئل^(٢) إلا هو، عليه توكلت وإليه أنيب، وبه نستعين، وهو نعم
 المعين.



(١) يصم: يعيب ويشوه.

(٢) الموئل: المنجي من الأضرار.

المَقَامَةُ الْأُولَى الصَّنْعَانِيَّةُ

حَدَّثَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: لَمَّا اقْتَعَدْتُ غَارِبَ الْاِغْتِرَابِ^(١)، وَأَنَا تُنِي
الْمُتْرَبَةُ^(٢) عَنِ الْأَثْرَابِ^(٣)، طَوَّحْتُ بِي طَوَائِحُ الزَّمَنِ، إِلَى صَنْعَاءِ الْيَمَنِ،
فَدَخَلْتُهَا خَاوِيَ الْوِفَاضِ، بَادِيَ الْإِنْفَاضِ، لَا أَمْلِكُ بُلْغَةً، وَلَا أَجِدُ فِي
جِرَابِي مُضْغَةً، فَطَفَقْتُ أَجُوبُ طُرُقَاتِهَا مِثْلَ الْهَائِمِ، وَأَجُولُ فِي حَوْمَاتِهَا
جَوْلَانَ الْحَائِمِ، وَأُرُودُ فِي مَسَارِحِ لِمَحَاتِي، وَمَسَايِحِ غَدَوَاتِي وَرَوْحَاتِي^(٤)،
كَرِيماً أُخْلِقُ لَهُ دِيْبَاجَتِي^(٥)، وَأُبُوحُ إِلَيْهِ بِحَاجَتِي، أَوْ أَدِيْباً تُفَرِّجُ رُؤْيَتَهُ غُمَّتِي،
وَتُرْوِي رِوَايَتَهُ غُلَّتِي^(٦)، حَتَّى أَدْتَنِي خَاتِمَةَ الْمَطَافِ، وَهَدْتَنِي فَاتِحَةَ
الْأَلْطَافِ، إِلَى نَادٍ رَحِيبٍ، مُحْتَوٍ عَلَى زِحَامٍ وَنَحِيبٍ، فَوَلَجْتُ غَابَةَ الْجَمْعِ،
لَأَسْبِرَ^(٧) مَجْلِبَةَ الدَّمْعِ، فَرَأَيْتُ فِي بُهْرَةِ الْخُلُقَةِ، شَخْصاً شَخَتْ الْخُلُقَةَ^(٨)،
عَلَيْهِ أَهْبَةُ السِّيَاحَةِ، وَلَهُ رَنَّةُ النَّيَاحَةِ، وَهُوَ يَطْبَعُ الْأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ لَفْظِهِ،
وَيَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهِ، وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ أَخْلَاطُ الزُّمَرِ، إِحَاطَةً الْهَالَةِ
بِالْقَمَرِ، وَالْأَكْمَامِ بِالثَّمَرِ، فَدَلَّفْتُ إِلَيْهِ لِأَقْتَبِسَ مِنْ فَوَائِدِهِ، وَأَلْتَقِطَ بَعْضَ
فَرَائِدِهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ حِينَ خَبَّ فِي مَجَالِهِ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُ ارْتِجَالِهِ^(٩)،

(١) أي: ابتعدت عن وطني واغتربت.
(٢) المتربة: الحاجة والفقر الشديد.
(٣) الأثراب: الرجال والنساء في سن واحدة.
(٤) أي: أقدم كل ما أستطيع عليه.
(٥) أي: غلتي: عطشي الشديد.
(٦) أي: أمتحن وأختبر.
(٧) أي: أظهرت فصاحته وتتابعته بلاغته.
(٨) شَخَتْ الْخُلُقَةَ: نحيف وضعيف.
(٩) أي: ظهرت فصاحته وتتابعته بلاغته.

أَيُّهَا السَّادِرُ فِي غُلُوَّائِهِ^(١)، السَّادِلُ^(٢) ثُوبَ خِيَلَاتِهِ، الْجَامِحُ فِي جَهَالَاتِهِ،
الْجَانِحُ إِلَى خُزَعْبَلَاتِهِ^(٣)، إِلَامَ تَسْتَمِرُّ عَلَى غَيْكِ، وَتَسْتَمِرُّ^(٤) مَرَعَى
بَغِيكِ؟ وَحَتَّامٌ تَتَنَاهَى فِي زَهْوِكَ، وَلَا تَنْتَهِي عَنْ لَهْوِكَ؟ تُبَارِزُ بِمَعْصِيَتِكَ،
مَالِكَ نَاصِيَتِكَ! وَتَجْتَرِي بِقُبْحِ سِيرَتِكَ، عَلَى عَالِمِ سَرِيرَتِكَ! وَتَتَوَارَى عَنْ
قَرِيْبِكَ، وَأَنْتَ بَمَرَأَى رَقِيْبِكَ! وَتَسْتَخْفِي مِنْ مَمْلُوكِكَ وَمَا تَخْفَى خَافِيَةً عَلَى
مَلِيْكِكَ! أَتُظَنُّ أَنْ سَتَنْفَعُكَ حَالُكَ، إِذَا أَنْ ارْتَحَالُكَ؟ أَوْ يُنْقَذُكَ مَالُكَ، حِينَ
تَوْبُقُكَ^(٥) أَعْمَالُكَ؟ أَوْ يُغْنِي عَنْكَ نَدْمُكَ، إِذَا زَلَّتْ قَدَمُكَ؟ أَوْ يَعْطِفُ
عَلَيْكَ مَعَشْرُكَ، يَوْمَ يَضْمُكَ مَحْشَرُكَ؟ هَلَّا انْتَهَجْتَ مَحَجَّةَ اهْتِدَائِكَ،
وَعَجَلْتَ مُعَالَجَةَ دَائِكَ، وَفَلَلْتَ شِبَاةَ^(٦) اِعْتِدَائِكَ، وَقَدَعْتَ نَفْسَكَ فِيهِ أَكْبَرَ
أَعْدَائِكَ؟ أَمَا الْحَمَامُ مِيعَادُكَ، فَمَا إِعْدَادُكَ؟ وَبِالْمَشِيبِ إِنْذَارُكَ، فَمَا أَعْدَارُكَ؟
وَفِي اللَّحْدِ مَقِيلُكَ، فَمَا قِيلُكَ؟ وَإِلَى اللَّهِ مَصِيرُكَ، فَمَنْ نَصِيرُكَ؟ طَالَمَا
أَيْقُظُكَ الدَّهْرُ فَتَنَاعَسْتَ، وَجَذَبَكَ الْوَعْظُ فَتَقَاعَسْتَ!

وَتَجَلَّتْ لَكَ الْعِبَرُ فَتَعَامَيْتَ، وَحَصَّحَصَ لَكَ الْحَقُّ فَتَمَارَيْتَ، وَأَذْكَرَكَ
الْمَوْتَ فَتَنَاسَيْتَ، وَأَمَكَّنَكَ أَنْ تُؤَاسِيَ فَمَا آسَيْتَ! تُؤَثِّرُ فَلِسًا تَوْعِيَهُ، عَلَى ذِكْرِ
تَعِيهِ، وَتَخْتَارُ قَصْرًا تُعْلِيهِ، عَلَى بَرٍّ تُؤْلِيهِ، وَتَرْغَبُ عَنْ هَادٍ تَسْتَهْدِيهِ، إِلَى
زَادٍ تَسْتَهْدِيهِ، وَتُغْلِبُ حُبَّ ثُوبٍ تَشْتَهِيهِ، عَلَى ثَوَابٍ تَشْتَرِيهِ، يَوَاقِيْتُ
الصَّلَاتِ، أَعْلَقُ بِقَلْبِكَ مِنْ مَوَاقِيَتِ الصَّلَاةِ، وَمُغَالَاةِ الصَّدَقَاتِ، آثَرُ^(٧)
عِنْدَكَ مِنْ مُوَالَاةِ الصَّدَقَاتِ، وَصِحَافِ الْأَلْوَانِ، أَشْهَى إِلَيْكَ مِنْ صَحَائِفِ

(١) غلوائه: مجاوزته الحد.

(٢) السادل: المرخي، والمقصود: المتكبر.

(٣) خزعبلاته: أباطيله وخرافات.

(٤) أي: تستحسن وتستطاب.

(٥) توبقك: تقضي عليك وتهلكك.

(٦) أي: أزلت أسباب كبرك وحدته.

(٧) آثر: أفضل وأحسن.

الأديان، ودُعابة الأقران، آنسُ لك من تلاوة القرآن! تأمرُ بالعرف وتنتهكُ حمَاهُ، وتَحْمِي عن النُّكْرِ^(١) وَلَا تَحَامَاهُ! وتُزَحِّحُ عَنِ الظُّلْمِ ثُمَّ تَغْشَاهُ، وتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ! ثُمَّ أُنْشَدَ:

تَبَّالْطَالِبُ دُنْيَا ثَنَى إِلَيْهَا انْصِبَابَهُ^(٢)
مَا يَسْتَفِيْقُ غَرَامًا بِهَا وَفَرَطَ صَبَابَهُ^(٣)
وَلَوْ دَرَى لَكَفَاهُ مَا يَرُومُ صُبَابَهُ^(٤)

ثُمَّ إِنَّهُ لَبَدَّ عَجَاجَتَهُ^(٥)، وَغِيَضَ مُجَاجَتَهُ^(٦)، وَاعْتَصَدَ شَكْوَتَهُ، وَتَأَبَّطَ هِرَاوَتَهُ^(٧)، فَلَمَّا رَنَتْ^(٨) الْجَمَاعَةُ إِلَى تَحْفُزِهِ، وَرَأَتْ تَاهُبَهُ لِمُزَايَلَةِ مَرْكَزِهِ، أَدْخَلَ كُلُّ مِنْهُمْ يَدَهُ فِي جِيْبِهِ، فَأَفْعَمَ لَهُ سَجَلًا مِنْ سِيْبِهِ^(٩)، وَقَالَ: اصْرِفْ هَذَا فِي نَفَقَتِكَ، أَوْ فَرِّقْهُ عَلَى رُفَقَتِكَ، فَقَبِلَهُ مِنْهُمْ مُغْضِيًا^(١٠)، وَأَنْشَى عَنْهُمْ مَثْنِيًا، وَجَعَلَ يودِّعُ مَنْ يُشِيعُهُ، لِيَخْفَى عَلَيْهِ مَهْيَعُهُ^(١١)، وَيُسْرَبُ مَنْ يَتَّبَعُهُ، لَكِي يُجْهَلَ مَرْبَعُهُ.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَاتَّبَعْتُهُ مُوَارِيًا عَنْهُ عَيَانِي^(١٢)، وَقَفَوْتُ أَثَرَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَانِي، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَغَارَةٍ، فَانْسَابَ فِيهَا عَلَى غَرَارَةٍ^(١٣)، فَأَمْهَلَتْهُ رِيثًا خَلَعَ نَعْلَيْهِ، وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ هَجَمْتُ عَلَيْهِ، فَوَجَدْتُهُ

(١) النُّكْرُ: الشر وكل ما ينكره الشرع.

(٢) مال واتجه إليها.

(٣) أي شديد الحبّ لديناه.

(٤) صباية: الشيء اليسير.

(٥) العجاجة: الريح تحمل الغبار والدخان، والمراد: أنهى كلامه.

(٦) مُجَاجَة: الريق، والمراد: توقف عن الكلام وبلغ ريقه. (٧) هراوته: عصاه.

(٨) رنت: نظرت إليه طويلاً وأعجبت بكلامه.

(٩) المغضيا: حياء.

(١٠) المقصود: قدم كل منهم ما معه من مال.

(١١) مهيعه: طريقه.

(١٢) عياني: شخصي.

(١٣) الغرة: الغفلة.

مُثَانِفاً (١) لِتَلْمِيزٍ، عَلَى خَبَزٍ سَمِيدٍ، وَجَدَيْ حَيْدٍ، وَقَبَالَتَهُمَا خَابِيَةٌ نَبِيدٌ،
فَقُلْتُ لَهُ: يَا هَذَا أَيْكُونُ ذَاكَ خَبْرَكَ، وَهَذَا مُخْبَرَكَ؟ فَزَفَرَ زَفْرَةَ الْقَيْظِ،
وَكَادَ يَتَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ، وَلَمْ يَزَلْ يُحْمَلَقُ إِلَيَّ، حَتَّى خِفْتُ أَنْ يَسْطُوَ عَلَيَّ،
فَلَمَّا أَنْ حَبَّتْ نَارُهُ، وَتَوَارَى أَوَارُهُ، أَنْشَدَ:

لَبِسْتُ الْخَمِيصَةَ (٢) أَبْغِي الْخَبِيصَةَ (٣)	وَأَنْشَبْتُ شَصِي (٤) فِي كُلِّ شَيْصَةٍ
وَصَيَّرْتُ وَعْظِي أَحْبُولَةً	أُرِيغُ (٥) الْقَنِيصَ بِهَا وَالْقَنِيصَةَ
وَأَلْجَأَنِي الدَّهْرُ حَتَّى وَلَجْتُ	بَلُطْفٍ احْتِيَالِي عَلَى اللَّيْثِ عَيْصَةٍ (٦)
عَلَى أَنَّنِي لَمْ أَهَبْ صَرْفَهُ	وَلَا نَبَضْتُ لِي مِنْهُ فَرِيصَةَ (٧)
وَلَا شَرَعْتُ بِي عَلَى مَوْرَدٍ	يُدْنِسُ عَرْضِي نَفْسُ حَرِيصَةٍ
وَلَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ فِي حُكْمِهِ	لَمَا مَلَكَ الْحُكْمَ أَهْلَ النَّقِيصَةِ

ثُمَّ قَالَ لِي: ادْنُ فَكُلْ، وَإِنْ شِئْتَ فَقُمْ وَقُلْ، فَالْتَقَتْ إِلَيَّ تِلْمِيذُهُ
وَقُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَنْ تَسْتَدْفِعُ بِهِ الْأَذَى، لَتُخْبِرَنِي مَنْ ذَا، فَقَالَ: هَذَا
أَبُو زَيْدٍ السَّرُوجِيُّ، سِرَاجُ الْغُرَبَاءِ، وَتَاجُ الْأَدْبَاءِ، فَانصَرَفْتُ مِنْ حَيْثُ
أَتَيْتُ، وَقَضَيْتُ الْعَجَبَ مِمَّا رَأَيْتُ.



(١) مَثَانِفًا: مجاورًا ومُحَاذِيًا.

(٢) الْخَمِيصَةُ: ثِيَابٌ أَسْوَدُ تَكُونُ مِنْ صُوفٍ أَوْ خَزٍّ بِهِ أَعْلَامٌ.

(٣) الْخَبِيصَةُ: نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْحُلِيِّ.

(٤) حَدِيدَةٌ تُشَبِّهُ الصَّنَارَةَ.

(٥) أُرِيغُ: أَخْدَعُ وَأَحْتَالُ.

(٦) عَيْصَةٌ: بَيْتُهُ وَمَخْدَعُهُ.

(٧) فَرِيصَةٌ: الْمَرَادُ: لَمْ أَرْتَعُدْ وَلَمْ أَخْفَ، وَهِيَ لَحْمٌ عِنْدَ الْكَتِفِ تَرْعَدُ عِنْدَ الْخَوْفِ.

المقامة الثانية الحلوانية

حكى الحارثُ بن همامَ قال: كلّفتُ^(١) مُذْ مِيطَتْ^(٢) عني التّمائمُ،
ونِيطَتْ^(٣) بي العَمائمُ، بأنْ أغشى معانَ^(٤) الأدبِ، وأنْضي إليه رِكابَ
الطّلبِ، لأعلّقَ منه بما يكونُ لي زينةً بين الأنامِ، ومُزنةً عند الأوامِ^(٥)،
وكُنْتُ لفرطِ اللّهجِ باقتباسه، والطّمعِ في تقمّصِ لباسه، أباحثُ كلَّ مَنْ جَلَّ
وقلَّ، وأستسقي الوِبلَ والطلَّ، وأتعلّلُ بعسى ولعلَّ، فلمّا حللتُ حلوانَ،
وقدْ بلّوتُ الإخوانَ، وسبرتُ الأوزانَ، وخبرتُ ما شانَ وزانَ، ألفتُ بها أبا
زيدَ السّروجيَّ يتقلّبُ في قوالبِ الانتسابِ، ويخبطُ في أساليبِ الاكتسابِ،
فيدّعي تارةً أنّه من آلِ ساسانَ^(٦)، ويعتزي مرّةً إلى أقيالِ غسانَ^(٧)، ويبرزُ
طوراً في شعارِ الشعراءِ، ويلبسُ حيناً كِبَرَ الكُبراءِ، بيدَ أنّه معَ تلوّنِ حاله،
وتبيّنِ محالهِ، يتحلّى برواءِ^(٨) وروايةٍ، ومُدراةٍ ودرايةٍ، وبلاغَةٍ رائِعَةٍ، وبديهةٍ
مُطاوعةٍ، وآدابِ بارِعَةٍ، وقَدَمِ لأعلامِ العلّومِ فارِعَةٍ^(٩)، فكانَ لمحاسنِ
آلاتِهِ، يُلْبَسُ على علاتهِ^(١٠)، ولِسَعَةِ روايتهِ، يُصْنِي إلى رؤيتهِ، ولخِلاّبَةِ
عارضتِهِ، يُرْغَبُ عن مُعارضتِهِ، ولعُدوبةِ إيرادِهِ، يُسَعَفُ بِمرادهِ، فتعلّقتُ
بأهدابهِ، لخصائصِ آدابهِ، ونافستُ في مُصافاتِهِ، لنفائسِ صفاتِهِ.

(١) كلّف: بكسر الكاف: عشق.

(٢) مِيطَتْ: من أَمِطَ؛ أي: أبعد وأزال.

(٣) نِيطَتْ: أحاطت وعلقت.

(٤) معان: منازل.

(٥) مُزنة: هم ملوك الفرس.

(٦) آل ساسان: هي أمّ الأوس والخزرج.

(٧) أقيال غسان: هم ملوك الشّام.

(٨) رواء: زينة.

(٩) فارعة: مطاولة وصاعدة.

(١٠) علاته: عيوبه.

فَكُنْتُ بِهِ أَجْلُو هُمُومِي وَأَجْتَلِي زَمَانِي طَلَقَ الْوَجْهَ مُلْتَمِعَ الضِّيَا
أَرَى قُرْبَهُ قُرْبِي وَمَغْنَاهُ غُنْيَةً وَرُؤْيَاهُ رِيًّا وَمَحْيَاهُ لِي حَيَا

وَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ بُرْهَةً، يُنْشَى لِي كُلَّ يَوْمٍ نَزْهَةً، وَيَدْرَأُ عَنِ قَلْبِي شُبْهَةً،
إِلَى أَنْ جَدَحَتْ لَهُ يَدُ الْإِمْلَاقِ^(١)، كَأْسُ الْفِرَاقِ، وَأَغْرَاهُ عَدَمُ الْعُرَاقِ،
بِتَطْلِقِ الْعِرَاقِ، وَلَفْظَتُهُ مَعَاوِزُ الْإِرْفَاقِ، إِلَى مَفَاوِزِ الْآفَاقِ، وَنَظَّمَهُ فِي سِلْكَ
الرِّفَاقِ، خُفُوقُ رَايَةِ الْإِخْفَاقِ، فَشَحَذَ لِلرَّحْلَةِ غِرَارَ عَزْمَتِهِ، وَظَعَنَ يَقْتَادُ
الْقَلْبَ بِأَزْمَتِهِ.

فَمَا رَاقِنِي مَنْ لَا قَنِي بَعْدَ بُعْدِهِ وَلَا شَاقِنِي مَنْ سَاقِنِي لَوْصَالِهِ
وَلَا لَاحَ لِي مُذْ نَدَّ^(٢) نَدٌّ لِفَضْلِهِ وَلَا ذُو خِلَالٍ حَازَ مِثْلَ خِلَالِهِ

وَاسْتَسَرَّ عَنِي حِينًا، لَا أَعْرِفُ لَهُ عَرِينًا، وَلَا أَجِدُ عَنْهُ مُبِينًا، فَلَمَّا أُبْتُ
مَنْ غُرْبَتِي، إِلَى مَنْبِتِ شُعْبَتِي، حَضَرْتُ دَارَ كُتُبِهَا الَّتِي هِيَ مُتَدَيُّ الْمَتَادِبِينَ،
وَمُلْتَقَى الْقَاطِنِينَ مِنْهُمْ وَالْمُتَغَرِّبِينَ، فَدَخَلَ ذُو لَحْيَةٍ كَثَّةٍ^(٣)، وَهَيْئَةٍ رَثَّةٍ، فَسَلَّمَ
عَلَى الْجُلَاسِ، وَجَلَسَ فِي أُخْرِيَاتِ النَّاسِ، ثُمَّ أَخَذَ يُبْدِي مَا فِي وَطَائِهِ^(٤)،
وَيُعْجِبُ الْحَاضِرِينَ بِفَصْلِ خَطَابِهِ، فَقَالَ لِمَنْ يَلِيهِ: مَا الْكِتَابُ الَّذِي تَنْظُرُ فِيهِ؟
فَقَالَ: دِيْوَانُ أَبِي عُبَادَةَ، الْمُشْهُودَ لَهُ بِالْإِجَادَةِ، فَقَالَ: هَلْ عَثَرْتَ لَهُ فِيهَا
لَمَحَّتَهُ، عَلَى بَدِيعِ اسْتِمْلَحَتِهِ^(٥)؟ قَالَ: نَعَمْ قَوْلُهُ:

كَأَنَّمَا تَبَسُّمٌ عَنْ لَوْلُوٍ مِنْضِدٍ^(٦) أَوْ بَرْدٍ^(٧) أَوْ أَقَاحٍ^(٨)

(١) أي: مزج الفقر عليه عيشته الهنية.

(٢) نَدَّ: بالفتح؛ أي: هرب.

(٣) كَثَّةٌ: كثيفة.

(٤) المراد: يظهر أفضل ما لديه من بلاغة.

(٥) استمْلَحَتُهُ: استحسنته.

(٦) لَوْلُوٍ مِنْضِدٌ: أي: منظوم في سلك.

(٧) برد: البرد: الثلج الأبيض شبه الأسنان في شدة بيضاها بالثلج.

(٨) أَقَاح: جمع أقحوان، وهو: نبات طيب الريح.

فإنه أبدع في التشبيه، المودع فيه، فقال له: يا للعجب، ولضيعة الأدب! لقد استسمنت يا هذا ذا ورم، ونفخت في غير ضرمة^(١)! أين أنت من البيت النذر، الجامع مشبهات الثغر؟ وأنشد:

نفسي الفداء لثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيك من شنب
يفتر^(٢) عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن أقاح وعن طلع وعن حب

فاستجاده من حضر واستحلاه، واستعاده منه واستملاه، وسئل: لمن هذا البيت، وهل حي قائله أو ميت؟ فقال: أيم الله للحق أحق أن يتبع، وللصدق حقيق بأن يستمع! إنه يا قوم، لنجيكم مذ اليوم، قال: فكان الجماعة ارتابت^(٣) بعزوته، وأبت تصديق دعوته، فتوجس ما هجس في أفكارهم، وفطن لما بطن من استنكارهم، وحاذر أن يفرط إليه ذم، أو يلحقه وصم، فقرأ: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، ثم قال: يا رواة القريض، وأساءة القول المريض^(٤)، إن خلاصة الجوهر تظهر بالسبك، ويد الحق تصدع رداء الشك، وقد قيل فيما غبر من الزمان: عند الامتحان، يكرم الرجل أو يهان، وها أنا قد عرضت خبيتي للاختبار، وعرضت حقيتي على الاعتبار، فابتدر أحد من حضر، وقال: أعرف بيتاً لم ينسج على منواله، ولا سمحت قريحة بمثاله، فإن أثرت اختلاب القلوب، فانظم على هذا الأسلوب، وأنشد:

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

(١) يقصد بأنه لم يأت بشيء جيد، وإنما أساء البحث.

(٢) يفتر: يتبسم.

(٣) ارتابت: شكت.

(٤) أراد: يا من تروا وتتناقلوا الأشعار، ويا من على علم بمعرفة الصحيح من السقيم من

فلم يكنْ إلا كَلَمَحَ البَصَرِ أو هوَ أَقْرَبُ، حَتَّى أنْشَدَ فأغْرَبَ:

سألتها حينَ زارتْ نَضُو بُرْقَعِها الـ لقاني وإيداعَ سَمْعِي أَطِيبَ الخَبَرِ
فَزَحْزَحَتْ شَفَقاً غَشَى سَنَا قَمَرٍ وساقطتْ لَوْلُؤاً من خاتَمِ عَطِرِ
فحارَ الحاضِرُونَ لَبَداهَتِهِ، واعتَرَفُوا بِنِزاهَتِهِ، فَلَمَّا أنَسَ اسْتِناسَهُمْ
بِكَلَامِهِ، وانصَبَ بِهِمْ إلى شَعْبِ إِكْرَامِهِ، أَطْرَقَ كَطَرْفَةِ العَيْنِ، ثُمَّ قالَ:
ودونُكُمْ بَيتَينِ آخَرِينِ، وأنْشَدَ:

وأقْبَلْتُ يَوْمَ جَدِّ البَينِ في حُلَلٍ سودَ تَعْضُ بَنانَ النَّادِمِ الحَصَرِ
فلاحَ لَيلٌ على صُبْحِ أَقْلَهُما غُصْنٌ وَضُرْسَتِ البِلُورِ بالدَّرَرِ

فحيثُ استَسْنَى (١) القومُ قِيمَتَهُ، واستَغَزَرُوا دِيمَتَهُ، وأجْمَلُوا عِشْرَتَهُ،
وجمَلُوا قِشْرَتَهُ، قالَ المُخْبِرُ بِهَذِهِ الحِكايةِ: فَلَمَّا رَأَيْتُ تَلْهَبَ جَذوتَهُ، وتَأَلَّقَ
جَلوتَهُ (٢)، أَمَعَنْتُ النِّظَرَ في تَوْسِمِهِ، وسَرَّحْتُ الطَّرْفَ في مِيسِمِهِ، فَإِذَا هوَ
شَيْخُنَا السَّرُوجِيّ، وَقَدْ أَقْمَرَ ليلَهُ الدَّجُوجِيّ (٣)، فَهَنَّتْ نَفْسِي بِمُورَدِهِ،
وابتَدَرْتُ اسْتِلامَ يَدِهِ، وَقَلْتُ لَهُ: ما الَّذِي أَحالَ صَفَتَكَ، حَتَّى جَهِلْتُ
مَعْرِفَتَكَ؟ وأيَّ شَيْءٍ شَيَّبَ لِحيتَكَ، حَتَّى أنْكَرْتُ حِلْيَتَكَ؟ فَأَنشَأُ يَقُولُ: (٤)
وَقَعُ الشَّوائبِ شَيِّبٌ فِي غَدٍ يَتَغَلَّبُ
إِنْ دَانَ يَوْمًا لَشَخْصٍ مِنْ بَرَقِهِ فَهُوَ خُلْبُ
فَلَا تَثِقْ بِوَمَيزٍ بِكَ الخُطُوبِ وَأَلْبُ
وَاصْبِرْ إِذَا هوَ أَضْرَى (٥)

(١) استسنى القوم: أي أعلوا منزلته وقدروه قدره.

(٢) جلوته: التألق واللمعان.

(٣) كناية عن شيبه.

(٤) قلب: كثير التحول وتقلب الناس.

(٥) أضرى: أغرى.

فَمَا عَلَى التَّبْرِ عَارٌ فِي النَّارِ حِينَ يُقْلَبُ
ثُمَّ نَهَضَ مُفَارِقاً مَوْضِعَهُ، وَمُسْتَصْحِباً الْقُلُوبَ مَعَهُ.



المقامة الثالثة المقامة الدينارية

رَوَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: نَظَمَنِي ^(١) وَأَخَذَانَا ^(٢) لِي نَادٍ، لَمْ يَخْبُ فِيهِ مُنَادٍ ^(٣)، وَلَا كَبَا ^(٤) قَدْحُ زِنَادٍ، وَلَا ذَكَتْ نَارُ عِنَادٍ، فَبَيْنَمَا نَحْنُ نَتَجَاذَبُ أَطْرَافَ الْأَنَاشِيدِ، وَنَتَوَارَدُ طُرْفَ الْأَسَانِيدِ ^(٥)، إِذْ وَقَفَ بِنَا شَخْصٌ عَلَيْهِ سَمَلٌ ^(٦)، وَفِي مِشْيَتِهِ قَزَلٌ ^(٧)، فَقَالَ: يَا أَخَايِرَ الذَّخَائِرِ، وَبِشَائِرِ الْعَشَائِرِ ^(٨)، عَمُوا صَبَاحًا، وَأَنْعَمُوا اصْطَبَاحًا، وَانْظُرُوا إِلَى مَنْ كَانَ ذَا نَدَى ^(٩) وَنَدَى، وَجِدَّةً وَجَدًا ^(١٠)، وَعَقَارٍ ^(١١) وَقَرَى ^(١٢)، وَمَقَارٍ وَقَرَى ^(١٣)، فَمَا زَالَ بِهِ قُطُوبُ الْخُطُوبِ، وَحُرُوبٍ ^(١٤) الْكُرُوبِ ^(١٥)، وَشَرَرُ شَرِّ الْحَسُودِ، وَأَنْتِيَابِ ^(١٦) النَّوَبِ ^(١٧) السَّوْدِ، حَتَّى صَفِرَتْ ^(١٨) الرَّاحَةُ، وَقِرَعَتْ ^(١٩) السَّاحَةُ، وَغَارَ ^(٢٠) الْمَنْعُ، وَنَبَا الْمَرْبَعُ، وَأَقْوَى الْمَجْمَعُ ^(٢١)، وَأَقْضَى الْمَضْجَعُ ^(٢٢)،

(٣) متكلم.

(٢) أصحابا.

(١) جمعني.

(٥) الأخبار المسندة لأهلها.

(٤) شحّ ولم يُبدِ نارا.

(٦) ثوب خلق وأكثر ما تقول العرب: ثوب أسمال وأخلاق فيوصف بالجمع؛ لأنه قطع متفرقة،

وسمل: قليل.

(٩) جود وكرم.

(٨) مجلس اجتماع.

(٧) عرج.

(١١) المال الذي لا ينتقل كالنخل والدور.

(١٠) بالفتح عطية.

(١٤) القتال.

(١٣) طعام الضيف.

(١٢) جمع قرية.

(١٧) النوازل.

(١٦) نزول وقصود.

(١٥) الهموم.

(١٩) خلت من المال وصارت قراء.

(١٨) خلت من الدراهم.

(٢٢) موضوع رقاده.

(٢١) موضع الاجتماع.

(٢٠) جفّ الماء النَّابِع.

وَاسْتَحَالَتْ ^(١) الْحَالُ، وَأَعْوَلَ ^(٢) الْعِيَالُ، وَخَلَّتِ الْمَرَابِطُ، وَرَحِمَ الْغَابِطُ ^(٣)،
وَأَوْدَى النَّاطِقُ وَالصَّامِتُ، وَرَثَى لَنَا الْحَاسِدُ وَالشَّامِتُ، وَآلَ بِنَا الدَّهْرُ ^(٤)
الْمَوْقِعُ، وَالْفَقْرُ الْمُدْقِعُ ^(٥)، إِلَى أَنْ احْتَذَيْنَا الْوَجَى ^(٦)، وَاغْتَذَيْنَا الشَّجَا،
وَاسْتَبْطَنَّا ^(٧) الْجَوَى ^(٨)، وَطَوَيْنَا الْأَحْشَاءَ عَلَى الطَّوَى ^(٩)، وَاکْتَحَلْنَا
السُّهَادَ ^(١٠)، وَاسْتَوَطْنَا ^(١١) الْوَهَادَ ^(١٢)، وَاسْتَوَطْنَا الْقِتَادَ، وَتَنَاسَيْنَا
الْأَقْتَادَ ^(١٣)، وَاسْتَبْطَنَّا الْحَيْنَ الْمُجْتَاحَ وَاسْتَبْطَنَّا الْيَوْمَ الْمُتَّاحَ ^(١٤)، فَهَلْ مِنْ حُرٍّ
أَسَى ^(١٥)، أَوْ سَمَحٍ ^(١٦) مُؤَاسٍ ^(١٧)؟ فَوَالَّذِي اسْتَخْرَجَنِي مِنْ قَيْلِهِ، لَقَدْ
أَمْسَيْتُ أَخَا عَيْلِهِ، لَا أَمْلِكُ بَيْتَ لَيْلِهِ.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَأَوَيْتُ ^(١٨) لِمَفَاقِرِهِ، وَلَوَيْتُ ^(١٩) إِلَى
اسْتِنْبَاطِ ^(٢٠) فَقْرِهِ ^(٢١)، فَأَبْرَزْتُ دِينَارًا، وَقُلْتُ لَهُ اخْتِبَارًا: إِنَّ مَدَحَتَهُ نَظْمًا،
فَهُوَ لَكَ حَتْمًا، فَانْبَرَى يُنْشِدُ فِي الْحَالِ، مِنْ غَيْرِ انْتِحَالٍ ^(٢٢).
أَكْرَمُ بِهِ أَصْفَرَ رَاقَتْ ^(٢٣) صُفْرَتُهُ جَوَابَ ^(٢٤) آفَاقِ تَرَامَتْ سَفَرَتُهُ ^(٢٥)
مَأْثُورَةً ^(٢٦) سَمِعَتْهُ وَشُهِرَتْهُ قَدْ أُودِعَتْ ^(٢٧) سِرِّ الْغِنَى أَسْرَتُهُ

- | | |
|---|--|
| (١) تَغَيَّرَتْ. | (٢) بَكَى. |
| (٣) الَّذِي يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَهُ مَا لِمَغْبُوطِهِ. | (٤) رَجَعَ بِنَا. |
| (٥) الْمُلْصَقُ بِالْدَقْعَاءِ؛ أَيِ: التَّرَابِ. | (٦) تَوَجَّعَ بَاطِنُ الْقَدَمَيْنِ مِنَ الْخَفَا. |
| (٧) جَعَلْنَاهُ فِي بَطُونِنَا. | (٨) فَسَادُ الْجُوفِ. |
| (٩) الْجُوعُ. | (١٠) امْتِنَاعُ النَّوْمِ. |
| (١١) سَكْنَا وَاتَّخَذْنَاهُ وَطْنَا. | (١٢) خَشَبُ الرَّحَالِ. |
| (١٣) مَا انْخَفَضَ مِنَ الْأَرْضِ. | (١٤) الْمَقْدَرُ. |
| (١٥) طَبِيبٌ يَطْبُ عِلَّةَ الْفَقْرِ. | (١٦) كَرِيمٌ. |
| (١٧) أَسْهَفَتْ وَحَنَّتْ. | (١٨) انْعَطَفَتْ. |
| (١٩) أَشْفَقَتْ وَحَنَّتْ. | (٢٠) اسْتَخْرَجَ. |
| (٢١) فَوَاصِلُهُ. | (٢٢) أَعْجَبَتْ. |
| (٢٣) قَطَاعُ بِلَادٍ. | (٢٤) ادْعَاءٌ مِنْهُ فِي شَعْرٍ غَيْرِ. |
| (٢٤) قَطَاعُ بِلَادٍ. | (٢٥) بَعْدَتْ سَفَرَتُهُ. |
| (٢٦) مَحْدَثٌ بِهَا. | (٢٧) ضَمِنَتْ. |

وَحَبَّبْتُ إِلَى الْأَنَامِ غُرَّتَهُ (٤)
 به يَصُولُ مَنْ حَوَّتَهُ صُرَّتَهُ (٦)
 يَا حَبِّذَا نُضَارُهُ (٩) وَنَضُرَّتُهُ
 كَمْ أَمْرٍ بِهِ اسْتَبَّتْ (١٠) إِمْرَتُهُ (١١)
 وَجَيْشٌ هَمٌّ هَزَمَتْهُ كَرَّتُهُ (١٣)
 وَمُسْتَشِيطٌ (١٦) تَتَلَطَّى جَمْرَتُهُ (١٧)
 وَكَمْ أُسِيرٍ أُسْلِمَتْهُ (٢١) أُسْرَتُهُ (٢٢)
 وَحَقُّ مَوْلَى (٢٤) أَبْدَعَتْهُ فِطْرَتُهُ (٢٥)
 لَوْلَا التَّقَى (٢٦) لَقُلْتُ جَلْتُ (٢٧) قُدْرَتُهُ

ثُمَّ بَسَطَ يَدَهُ، بَعْدَمَا أُنْشَدَهُ، وَقَالَ: أَنْجَزَ (٢٨) حُرٌّ مَا وَعَدَ، وَسَحَّ (٢٩)

- (١) ساءت .
 (٢) ضد الخيبة .
 (٣) المشي في طلب الحوائج .
 (٤) وجهه .
 (٥) القطعة المسبوكة من الذهب والفضة .
 (٦) الحرقه تصرّف فيها الدراهم .
 (٧) أبطأت وضعفت عن نصرته .
 (٨) قرابته الأدنون .
 (٩) ذهبه .
 (١٠) تَمَّت واستقامت .
 (١١) ولايته .
 (١٢) تفجعه وحزنه .
 (١٣) رجعته .
 (١٤) القمر ليلة الكمال .
 (١٥) عشرة آلاف دينار .
 (١٦) غضبان .
 (١٧) شدة غيظه .
 (١٨) أخفى .
 (١٩) حديثه سرّاً .
 (٢٠) حدثه وغضبه .
 (٢١) تركته .
 (٢٢) فرحه .
 (٢٣) خلقته .
 (٢٤) أوجدته قبل أن يكون .
 (٢٥) عظمت .
 (٢٦) الخوف .
 (٢٧) صب وأمطر .
 (٢٨) أحضر وهياً .

خال^(١) إذ رعد^(٢)، فنبذت^(٣) الدينار إليه، وقلتُ: خذهُ غيرَ مأسوفٍ عليه، فوضعهُ في فيه، وقالَ: بارِك^(٤) اللَّهُمَّ فيه! ثُمَّ شَمَرَ لِلانْتِشاءِ^(٥)، بعدَ توفيةِ الشَّاءِ، فنشأتُ لي من فُكاهتِهِ نشوةٌ^(٦) غرامٍ، سهَّلتْ عليَّ اتِّئافَ^(٧) اغترامٍ، فجردتُ ديناراً آخرَ وقلتُ له: هلْ لَكَ في أنْ تَذُمَّهُ، ثم تَضُمَّهُ؟ فأنشدَ مُرتَجِلاً، وشَدَا^(٨) عَجِلاً:

تَبَّأَ لَهُ مِنْ خَادِعٍ مُمَادِقٍ^(٩)
يِيدُو بِوَصْفَيْنِ لَعِينِ الرَّامِقِ^(١٠)
وَحُبِّهِ عِنْدَ ذَوِي الْحَقَائِقِ^(١٢)
لَوْلَاهُ لَمْ تُقْطَعْ يَمِينُ سَارِقٍ
وَلَا اشْمَازٌ بَاخِلٍ^(١٤) مِنْ طَارِقٍ^(١٥)
وَلَا اسْتُعِيدَ^(١٨) مِنْ حَسُودٍ رَاشِقٍ^(١٩)
أَنْ لَيْسَ يُغْنِي عَنْكَ فِي الْمَضَاقِ
وَاهَا لَمْ يُقْذِفْهُ مِنْ حَالِقٍ^(٢١)
أَصْفَرَ ذِي وَجْهَيْنِ كَالْمُنَافِقِ
زِينَةَ^(١١) مَعْشُوقٍ وَلَوْنِ عَاشِقٍ
يَدْعُو إِلَى ارْتِكَابِ سُخْطِ الْخَالِقِ
وَلَا بَدَتْ مَظْلَمَةٌ مِنْ فَاسِقٍ^(١٣)
وَلَا شَكَا الْمَطُولُ مَظْلَ^(١٦) الْعَائِقِ^(١٧)
وَشَرٌّ مَا فِيهِ مِنَ الْخِلَاقِ
إِلَّا إِذَا فَرَّ فَرَارَ الْآبِقِ^(٢٠)
وَمَنْ إِذَا نَاجَاهُ^(٢٢) نَجْوَى الْوَامِقِ^(٢٣)

(٢) صوت.

(١) سحاب يخيل لك أن المطر فيه.

(٤) أي: ضع البركة فيه.

(٣) رميت.

(٦) سكرة شوق.

(٥) الرجوع.

(٨) ابتدأ الغناء وطرب بنشيده.

(٧) استقبال.

(١٠) الناظر.

(٩) لا يصفو وده لصاحبه.

(١٢) هم أهل العرفان.

(١١) اكشفه وتزيينه.

(١٤) شحيح.

(١٣) أخرج عن الطاعة إلى ركوب المعصية.

(١٦) تأخير الحق الواجب.

(١٥) قاصد بليل.

(١٨) كثرى عليه الموعودتان.

(١٧) للحابس.

(٢٠) لهارب.

(١٩) عائن وأصله الرامي.

(٢٣) المحب.

(٢٢) حدثه سرّاً.

(٢١) جبل أملس منيف.

قَالَ لَهُ قَوْلَ الْمُحَقِّ (١) الصَّادِقِ لَا رَأْيَ فِي وَصْلِكَ لِي فَفَارِقَ
فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَغْزَرَ وَبَلَكَ! فَقَالَ: وَالشَّرْطُ (٢) أَمْلَكَ، فَنفَحْتُهُ
بِالدِّينَارِ الثَّانِي، وَقُلْتُ لَهُ: عَوِّذُهُمَا (٣) بِالْمِثْنَانِي (٤)، فَأَلْقَاهُ فِي فَمِهِ، وَقَرَنَهُ
بِتَوَائِمِهِ (٥)، وَانْكَفَأَ يَحْمَدُ مَغْدَاهُ، وَيَمْدَحُ النَّادِيَّ وَنَدَاهُ.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَنَاجَانِي قَلْبِي بِأَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ، وَأَنَّ تَعَارُجَهُ لِكَيْدٍ،
فَاسْتَعَدَّتْهُ (٦) وَقُلْتُ لَهُ: قَدْ عُرِفْتَ بِوَشِيكَ (٧)، فَاسْتَقِمَّ (٨) فِي مَشِيكَ،
فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ ابْنَ هَمَّامٍ، فَحَيِّتَ (٩) بِأَكْرَامٍ، وَحَيِّتَ (١٠) بَيْنَ كِرَامٍ!
فَقُلْتُ: أَنَا الْحَارِثُ، فَكَيْفَ حَالُكَ وَالْحَوَادِثُ (١١)؟ فَقَالَ: أَتَقَلَّبُ فِي الْحَالَيْنِ
بُؤْسٍ (١٢) وَرُخَاءٍ (١٣)، وَأَنْقَلِبُ مَعَ الرِّيحَيْنِ زَعْنَعٍ (١٤) وَرُخَاءٍ (١٥)، فَقُلْتُ:
كَيْفَ ادَّعَيْتَ الْقَزَلَ (١٦)؟ وَمَا مِثْلُكَ مِنْ هَزَلٍ (١٧)، فَاسْتَسَرَّ (١٨) بِشِرُّهُ الَّذِي
كَانَ تَجَلَّى، ثُمَّ أُنْشَدَ حِينَ وَلَّى:

تَعَارَجْتُ لَا رَغْبَةً فِي الْعَرَجِ وَلَكِنْ لَا فِرْعَ (١٩) بَابَ الْفِرَجِ (٢٠)

- | | |
|------------------------------------|-----------------------------------|
| (١) القائل الحق. | (٢) ألزم وأحق. |
| (٣) رقاها. | (٤) أم القرآن. |
| (٥) أي بأخيه، يعني: الدينار الأول. | (٦) طلبت عودته ورجوعه. |
| (٧) بحسن كلامك وتزيينه. | (٨) استعدل وأزل عوجك. |
| (٩) طال بقاؤك. | (١٠) عشت. |
| (١١) ما يحدث من الخير والشر. | (١٢) شدة العيش. |
| (١٣) لينه وسعته. | (١٤) ريح شديدة تحرك الشجر وتقلعه. |
| (١٥) ريح لينة سريعة. | (١٦) أسوأ العرج. |
| (١٧) الهزل ضد الجد. | (١٨) زال عنه سماحة وطلاقة وجهه. |
| (١٩) أضرب. | (٢٠) كشف الهم. |

وَأُلْقِيَ حَبْلِي عَلَى غَارِبِي ^(١) وَأَسْلُكَ ^(٢) مَسْلُكَ مَنْ قَدْ مَرَجَ ^(٣)
فَإِنْ لَأَمَنِي الْقَوْمُ قُلْتُ أَعْذَرُوا فَلَيْسَ عَلَيَّ أَعْرَجٍ مِنْ حَرَجٍ ^(٤)



(١) ما انحدر من السَّامِ.

(٢) أي: أدخل مدخل.

(٣) خلط الجلد بالهزل.

(٤) إثم.

المقامة الرابعة الدمياطية

أخبرَ الحارث بن همام قال: طعنتُ^(١) إلى دُمياط، عامَ هِياط^(٢) ومِياط^(٣)، وأنا يومئذٍ مرموقُ^(٤) الرِّخاء^(٥)، موموقُ^(٦) الإخاء، أسحبُ^(٧) مطارفَ^(٨) الثَّراء، وأجتلي^(٩) معارفَ السَّراء، فرافقتُ^(١٠) صحباً قد شقوا عصا الشَّقاق^(١١)، وارْتَضَعُوا أفوايقَ الوِفاق^(١٢)، حتَّى لاحُوا^(١٣) كأَسنانِ المُشْطِ^(١٤) في الاستواء، وكالنفْسِ الواحِدةِ في التَّثامِ^(١٥) الأهواء^(١٦)، وكُنَّا مَعَ ذَلِكَ نسيرُ النِّجاء^(١٧)، وَلَا نَرَحُلُ إِلَّا كُلُّهُ جِواء، وإذا نَزَلْنَا مَنْزِلاً، أو وَرَدْنَا مَنْهَلاً^(١٨)، اختَلَسْنَا^(١٩) اللَّبْثَ، وَلَمْ نُطِلِ الْمُكْثَ^(٢٠)، فَعَنَّ لَنَا إِعْمَالُ الرُّكَّابِ، فِي لَيْلَةٍ فَتِيَّةِ الشَّبَابِ، غُدَافِيَّةِ^(٢١) الإِهَابِ، فَأَسْرَيْنَا^(٢٢) إِلَى أَنْ نَضَا

-
- | | |
|--|---------------------|
| (١) رحلت. | (٢) صباح. |
| (٣) دفاع. | (٤) منظور إليه. |
| (٥) سعة المال. | (٦) محبوب. |
| (٧) ثياب لها أعلام في أطرافها. | (٨) أنظر. |
| (٩) صحبت في السفر. | (١٠) الخلاف. |
| (١١) ترك الخلاف. | (١٢) ظهروا. |
| (١٣) يقع على كل استواء في أي حال. | (١٤) اجتماع واتفاق. |
| (١٥) جمع هوى، وهو: ما تحبه وتميل إليه النفس. | (١٦) السير السريع. |
| (١٧) أتينا ماء نزل عليه. | (١٨) استرقنا. |
| (١٩) لا يستقرون بموضع ينزلون فيه إلا قليلاً. | (٢٠) سرنا ليلاً. |
| (٢١) مظلمة. | |

الليلُ شَبَابُهُ، وَسَلَتْ^(١) الصَّبْحُ خَضَابُهُ، فَحِينَ مَلْنَا السُّرَى^(٢)، وَمَلْنَا إِلَى
الْكُرَى^(٣)، صَادَفْنَا أَرْضاً مُخْضَلَّةَ الرُّبَا، مُعْتَلَّةَ^(٤) الصَّبَا، فَتَخَيَّرْنَاهَا مُنَاخاً
لِلْعَيْسِ^(٥)، وَمَحَطّاً لِلتَّعْرِيسِ^(٦)، فَلَمَّا حَلَّهَا الْخَلِيطُ^(٧)، وَهَذَا^(٨) بِهَا
الْأُطِيطُ^(٩) وَالْغَطِيطُ^(١٠)، سَمِعْتُ صَيِّتاً^(١١) مِنَ الرِّجَالِ، يَقُولُ لِسَمِيرِهِ^(١٢)
فِي الرَّحَالِ: كَيْفَ حُكْمُ سِيرَتِكَ^(١٣)، مَعَ جَيْلِكَ^(١٤) وَجِيرَتِكَ^(١٥)؟
فَقَالَ: أُرْعَى^(١٦) الْجَارَ، وَكَوْ جَارَ^(١٧)، وَأَبْذُلُ^(١٨) الْوِصَالَ، لِمَنْ صَالَ^(١٩)،
وَأَحْتَمِلُ الْخَلِيطَ^(٢٠)، وَكَوْ أَبْدَى التَّخْلِيطَ، وَأَوْدُ الْحَمِيمَ^(٢١)، وَلَوْ جَرَّعَنِي
الْحَمِيمَ^(٢٢)، وَأَفْضَلُ الشَّقِيقَ^(٢٣)، عَلَى الشَّقِيقِ^(٢٤)، وَأَفِي لِلْعَشِيرِ^(٢٥)،
وَإِنْ لَمْ يُكَافَى بِالْعَشِيرِ^(٢٦)، وَأَسْتَقِلَّ^(٢٧) الْجَزِيلَ، لِلنَّزِيلِ، وَأَغْمُرُ^(٢٨)
الزَّمِيلَ، بِالْجَمِيلِ، وَأُنْزِلُ سَمِيرِي مَنْزِلَةَ أَمِيرِي^(٢٩)، وَأُحِلَّ أُنَيْسِي^(٣٠)،

- | | |
|-------------------------------|------------------------------------|
| (١) أزال . | (٢) السير بالليل . |
| (٣) النوم . | (٤) لينة الريح . |
| (٥) الإبل يخالط بياضها حمرة . | (٦) النزول بالليل في آخره . |
| (٧) الأصحاب . | (٨) سكن . |
| (٩) أصوات الإبل . | (١٠) أصوات الناس النيام . |
| (١١) جهير الصوت . | (١٢) رفيقه الذي يسمر معه بالحديث . |
| (١٣) عادتك . | (١٤) أهل عصر له . |
| (١٥) جيرانك . | (١٦) أحفظ . |
| (١٧) تعدى ومال عن الحق . | (١٨) أعطى . |
| (١٩) صاح مخوفاً . | (٢٠) الصاحب . |
| (٢١) الصديق المخلص . | (٢٢) الماء الحار . |
| (٢٣) المحب . | (٢٤) الأخ من الأب . |
| (٢٥) أعامل الصاحب بالوفاء . | (٢٦) يجازي بالعشر من فعل . |
| (٢٧) أراد قليلاً . | (٢٨) أعطى . |
| (٢٩) الحاكم علي . | (٣٠) الذي يؤنس بحديثه . |

محلّ رئيسي، وأودعُ معارفِي عوارِفِي^(١)، وأولي مرافِقِي مرافِقِي، وألنّ
مَقَالِي للقالِي^(٢)، وأديم^(٣) تسَالِي، عن السّالِي^(٤)، وأرضي من الوفاء
باللفاء^(٥)، وأقنع^(٦) من الجزاء^(٧) بأقلّ الأجزاء، ولا أظلم^(٨)، حين أظلم،
ولا أنقم^(٩)، ولو لدغني الأرقم^(١٠)، فقال له صاحبه: ويك يا بُني إنما
يُضنّ^(١١) بالضّنين، ويُنافسُ في الثّمين، لكنّ أنا لا آتي غير المُؤاتي^(١٢)،
ولا أسمُ العاتي^(١٣)، بمراعاتي^(١٤)، ولا أصافي^(١٥)، من يأبى
إنصافي^(١٦)، ولا أواخي، من يُلغِي الأواخي^(١٧)، ولا أُمالي^(١٨)، من
يُخيبُ أُمالي، ولا أبالي بمن صرم^(١٩) حِبالي، ولا أداري، من جهل
مِقداري، ولا أعطي زِمامي^(٢٠)، من يُخفِرُ ذِمامي^(٢١)، ولا أبذل
ودادي^(٢٢)، لأضدادي^(٢٣)، ولا أدعُ إيعادي للمُعادي، ولا أغرسُ
الأيادي^(٢٤) في أرضِ الأعادي، ولا أسمحُ بمواساتي، لمن يفرحُ

- | | |
|--------------------------------|--------------------------------------|
| (١) هباتي. | (٢) المبعض. |
| (٣) كثرة سؤالي. | (٤) النَّاسِي للمودة والتارك لها. |
| (٥) النقصان. | (٦) أرضى. |
| (٧) المكافأة. | (٨) أشتكي من الظلم. |
| (٩) أنقم. | (١٠) الثعبان المنقط. |
| (١١) ييخل. | (١٢) المساعد الموافق. |
| (١٣) المتكبر الصعب. | (١٤) المحافظة للود. |
| (١٥) أخلص له ودّي. | (١٦) إعطائي الحق من نفسه. |
| (١٧) أسباب الود. | (١٨) أعاون. |
| (١٩) قطع أسباب وصالي. | (٢٠) حبل من جلود يربط في أنف البعير. |
| (٢١) ينقض عهدي. | (٢٢) حبي. |
| (٢٣) أعدائي المناقضين لأفعالي. | (٢٤) النعم. |

بُسَاءَاتِي^(١)، وَلَا أَرَى التَّفَاتِي^(٢)، إِلَى مَنْ يَشْمَتُ بَوَفَاتِي^(٣)، وَلَا أُخْصَرُ
 بِحِبَائِي^(٤)، إِلَّا أَحْبَائِي، وَلَا أَسْتَطِبُّ^(٥) لِدَائِي، غَيْرَ أَوْدَائِي، وَلَا أَمْلِكُ
 خُلَّتِي^(٦) مَنْ لَا يَسُدُّ خُلَّتِي، وَلَا أَصْفِي نَيْتِي لِمَنْ يَتَمَنَّى مِنِّي، وَلَا أُخْلِصُ
 دُعَائِي لِمَنْ لَا يُفْعِمُ وَعَائِي، وَلَا أُفْرِغُ ثَنَائِي^(٧) عَلَى مَنْ يَفْرَغُ إِنَائِي، وَمَنْ
 حَكَمَ بَأَنْ أَبْذُلَ وَتَخْزَنَ^(٨)، وَأَلِينَ وَتَخْشَنَ، وَأَذُوبَ وَتَجْمُدَ، وَأَذْكَو^(٩)
 وَتَجْمُدُ؟ لَا وَاللَّهِ بَلْ نَتَوَازَنُ فِي الْمَقَالِ، وَزَنَ الْمِثْقَالَ^(١٠)، وَنَتَحَادَى^(١١) فِي
 الْفَعَالِ حَذْوَ النَّعَالِ، حَتَّى نَأْمَنَ السَّغَابْنَ^(١٢)، وَنُكْفَى^(١٣) التَّضَاغْنَ^(١٤)،
 وَإِلَّا فَلِمَ أَعْلَكَ^(١٥) وَتُعَلَّنِي^(١٦)، وَأُقَلِّكَ وَتَسْتَقْلِنِي^(١٧)، وَأُجْتَرِحُ^(١٨) لَكَ
 وَتُجْرَحُنِي، وَأُسْرَحُ إِلَيْكَ وَتُسْرَحُنِي^(١٩)؟ وَكَيْفَ يُجْتَلَبُ إِنْصَافٌ بِضِيْمٍ^(٢٠)،
 وَأَتَّى^(٢١) تُشْرِقُ شَمْسٌ مَعَ غَيْمٍ^(٢٢)؟ وَمَتَى أَصْحَبَ وَدٌّ بَعْسَفٍ^(٢٣)، وَأَيَّ
 حُرٍّ رَضِيَ بِخُطَّةٍ خَسَفٍ^(٢٤)؟ وَلِلَّهِ أَبُوكَ حَيْثُ يَقُولُ:

-
- (١) أحزاني وما يسوءني.
 (٢) نظري وانعطافي إلى جهة.
 (٣) موتي.
 (٤) عطائي.
 (٥) أطلب طبه.
 (٦) صداقي.
 (٧) أصب مدحي وأكوه أو يكون أفرغه: بلغ أجره.
 (٨) تحبس.
 (٩) أضى.
 (١٠) الصنجة التي يوزن بها.
 (١١) ننشأه.
 (١٢) الغبن.
 (١٣) تمنع.
 (١٤) العداوة.
 (١٥) أسقيك عللاً.
 (١٦) تقرضني.
 (١٧) تحقرني.
 (١٨) تهملني.
 (١٩) كيف.
 (٢٠) ذل.
 (٢١) سحاب.
 (٢٢) بجورٍ وعنف.
 (٢٣) الإذلال والنقصان.

جَزَاءَ مَنْ يُبْنِي عَلَى أُسِّهِ (٢)
 عَلَى وَفَاءِ الْكَيْلِ أَوْ بَخْسِهِ (٣)
 مَنْ يَوْمُهُ أَخْسَرُ مَنْ أَمْسَهُ
 فَمَا لَهُ إِلَّا جَنَى غُرْسِهِ
 بِصَفْقَةِ (٩) الْمَغْبُونِ فِي حَسِّهِ
 لَا يُوْجِبُ الْحَقُّ عَلَى نَفْسِهِ
 أَصْدَقُّهُ الْوُدُّ عَلَى لُبْسِهِ (١٢)
 أَقْضِي غَرِيمِي (١٣) الدِّينَ مِنْ جِنْسِهِ (١٤)
 وَهَبُهُ كَالْمَلْحُودِ (١٧) فِي رَمْسِهِ (١٨)
 لِبَاسَ مَنْ يُرْغَبُ عَنْ أَنْسِهِ
 أَنْكَ مُحْتَاجٌ إِلَى فَلْسِهِ

جَزَيْتُ مَنْ أَعْلَقَ (١) بِي وَدَّهْ
 وَكَلْتُ لِلْخَلِّ كَمَا كَالُ لِي
 وَلَمْ أَخْسِرْهُ (٤) وَشَرُّ الْوَرَى (٥)
 وَكُلُّ مَنْ يَطْلُبُ عِنْدِي جَنَى (٦)
 لَا أَبْتَغِي الْغَبْنَ (٧) وَلَا أَتْنِي (٨)
 وَلَسْتُ بِالْمَوْجِبِ حَقًّا لِمَنْ
 وَرُبَّ مَذَاقٍ (١٠) الْهَوَى (١١) خَالَنِي
 وَمَا دَرَى مَنْ جَهْلُهُ أَنَّنِي
 فَاهْجُرْ مَنْ اسْتَعْبَاكَ (١٥) هَجَرَ الْقَلَى (١٦)
 وَالْبَسَ لِمَنْ فِي وَصْلِهِ لُبْسَةٌ
 وَلَا تُرَجِّ الْوُدَّ مِمَّنْ يَرَى

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمَّا (١٩) وَعَيْتُ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا، تُقْتُ (٢٠) إِلَى
 أَنْ أَعْرِفَ عَيْنَهُمَا، فَلَمَّا لَاحَ ابْنُ ذُكَّاءَ (٢١)، وَالْحَفَّ (٢٢) الْجَوَّ (٢٣) الضِّيَاءُ،

(١) بمعنى: علق؛ أي: ألصق.

(٣) نقصه.

(٥) الخلق من الناس.

(٧) أطلب الخداع.

(٩) بيعة المخدوع.

(١١) الحب.

(١٣) صاحب دين.

(١٥) استجهلك.

(١٧) المدفون.

(٢٠) اشتقت.

(٢٢) غطى.

(٢) أصل بنائه.

(٤) أنقصه.

(٦) ما يجنى من الثمر.

(٨) أرجع.

(١٠) خلأط غير مخلص.

(١٢) تخليطه وتلييسه.

(١٤) من نوع ما أعطاني.

(١٦) البعض.

(١٨) قبره. (١٩) حفظت.

(٢١) الصبح. وذكاء: هي الشمس.

(٢٣) الهواء بين السماء والأرض.

غَدَوْتُ^(١) قَبْلَ اسْتِقْلَالِ^(٢) الرِّكَّابِ، وَلَا اغْتِدَاءَ الْغُرَابِ، وَجَعَلْتُ أُسْتَقْرِي صَوْبَ الصَّوْتِ اللَّيْلِ، وَأَتَوْسَّمُ الْوُجُوهَ بِالنَّظَرِ الْجَلِيِّ، إِلَى أَنْ لَمَحْتُ أَبَا زَيْدٍ وَابْنَهُ يَتَحَادَثَانِ، وَعَلَيْهِمَا بُرْدَانِ رَثَّانِ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُمَا نَحِيًّا لَيْلَتِي، وَمُعْتَزًى رَوَاتِي، فَقَصَدْتُهُمَا قَصْدَ كَلَفٍ^(٣) بَدَمَاتِهِمَا^(٤)، رَاثٍ^(٥) لِرَثَائِهِمَا، وَأَبْحَثُهُمَا^(٦) التَّحَوُّلَ إِلَى رَحْلِي، وَالتَّحَكُّمَ فِي كَثْرِي^(٧) وَقُلِّي، وَطَفَقْتُ أُسِيرُ بَيْنَ السَّيَّارَةِ^(٨) فَضْلُهُمَا، وَأَهْزُ الْأَعْوَادِ الْمُثْمِرَةَ لَهُمَا، إِلَى أَنْ غَمِرَا بِالنُّحْلَانِ^(٩)، وَاتَّخِذَا مِنَ الْخُلَّانِ، وَكُنَّا بِمَعْرَسٍ^(١٠) نَتَبَّيْنُ مِنْهُ بَنِيَانَ الْقُرَى، وَنَتَنَوِّرُ^(١١) نِيرَانَ الْقَرَى، فَلَمَّا رَأَى أَبُو زَيْدٍ امْتِلَاءَ كَيْسِهِ^(١٢)، وَانْجِلَاءَ بُوسِهِ^(١٣)، قَالَ لِي: إِنَّ بَدَنِي قَدْ اتَّسَخَ، وَدَرْنِي قَدْ رَسَخَ، أَفْتَأْذَنْ لِي فِي قَصْدِ قَرْيَةٍ لَا اسْتَحَمَ^(١٤)، وَأَقْضِي هَذَا الْمُهَمَّ^(١٥)؟ فَقُلْتُ: إِذَا شِئْتَ فَالسرَّعةَ السرَّعةَ، وَالرَّجْعَةَ الرَّجْعَةَ! فَقَالَ: سَتَجِدُ مَطْلَعِي^(١٦) عَلَيْكَ، أَسْرَعَ مِنْ ارْتِدَادِ^(١٧) طَرَفِكَ إِلَيْكَ، ثُمَّ اسْتَنْ استِنَانَ الْجَوَادِ فِي الْمِضْمَارِ، وَقَالَ لِابْنِهِ: بَدَارِ^(١٨) بَدَارِ! وَلَكَمْ نَخْلُ أَنَّهُ غَرٌّ، وَطَلَبَ الْمَقَرَّ، فَلَبِثْنَا نَرْقُبُهُ^(١٩) رَقَبَةً

- (١) غدت؛ أي: بكرت.
 (٢) ارتفاع وقيام.
 (٣) محب.
 (٤) سهولتهما، والدَّمَائَةُ: سهولة الأرض.
 (٥) بَاكَ مُشْفِقٌ.
 (٦) جعلته له مباحًا.
 (٧) كثير مالي وقليله.
 (٨) القافلة.
 (٩) العطايا.
 (١٠) موضع النزول آخر الليل.
 (١١) وعاء دراهمه.
 (١٢) نظر النيران.
 (١٣) انكشاف فقره.
 (١٤) أدخل الحمام، واستحَمَّ الرَّجُلُ: اغتسل بالماء الحار.
 (١٥) أراد به فرض الصلاة.
 (١٦) مصدر بمعنى: طلوعي.
 (١٧) رجوع نظرك.
 (١٨) سبقا مسبقا.
 (١٩) ننظر من أين يجيء.

الأعياد، ونستطلعهُ بالطَّلَّاعِ والروَّادِ^(١)، إلى أنْ هَرِمَ^(٢) النَّهَارُ، وكادَ جُرْفُ الْيَوْمِ يَنْهَارُ^(٣)، فَلَمَّا طَالَ أَمَدُ الْإِنْتِظَارِ، وَلاَحَتْ الشَّمْسُ فِي الْأَطْمَارِ^(٤)، قُلْتُ لِأَصْحَابِي: قَدْ تَنَاهَيْنَا^(٥) فِي الْمُهْلَةِ^(٦)، وَتَمَادَيْنَا فِي الرَّحْلَةِ، إِلَى أَنْ أَضَعْنَا الزَّمَانَ^(٧)، وَبَانَ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ مَانَ^(٨)، فَتَاهَبُوا^(٩) لِلظَّعَنِ^(١٠)، وَلَا تَلَوْا عَلَى خَضِرَاءِ الدَّمَنِ، وَنَهَضْتُ لِأَحْدِجِ رَاحِلَتِي، وَأَتَحَمَّلَ لِرَحْلَتِي، فَوَجَدْتُ أَبَا زَيْدٍ قَدْ كَتَبَ، عَلَى الْقَتَبِ:

يَا مَنْ غَدَا لِي سَاعِدًا^(١١) وَمُسَاعِدًا^(١٢) دُونَ الْبَشَرِ
لَا تَحْسَبَنَّ أَتَيْ نَائِبَ تُكَ^(١٣) عَنْ مَلَالٍ أَوْ أَشَرِ
لَكِنِّي مُذَلِّمٌ^(١٤) أَزَلَّ مِمَّنْ إِذَا طَعِمَ أَنْتَشَرَ^(١٥)

قال: فَأَقْرَأْتُ الْجَمَاعَةَ الْقَتَبَ، لِيَعْذَرَهُ مِنْ كَانَ عَتَبَ^(١٦)، فَأُعْجِبُوا بِخُرَافَتِهِ^(١٧)، وَتَعَوَّذُوا مِنْ آفَتِهِ، ثُمَّ إِنَّا ظَعَنَّا^(١٨)، وَلَمْ نَذَرِ مِنْ اعْتَاضٍ عَنَّا.



- | | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| (١) الطَّلَّبُونَ لَهُ. | (٢) شَاخ. |
| (٣) يَنْهَدِم. | (٤) الثِّيَابِ الْخُلُقَةِ. |
| (٥) بَلَّغْنَا النِّهَايَةَ. | (٦) التَّرَاخِي. |
| (٧) الْيَوْمِ. | (٨) كَذَبَ. |
| (٩) اسْتَعْدُّوا. | (١٠) الرَّحِيلَ. |
| (١١) ذِرَاعًا يَسْتَعِينُ بِهِ. | (١٢) مُوَافَقًا. |
| (١٣) بَعَدْتَ عَنْكَ. | (١٤) أَي: مَذْبَنَتْ وَوَجَدْتَ. |
| (١٥) ذَهَبَ. | (١٦) لَامٍ وَسَخَطَ فَعْلُهُ. |
| (١٧) حَدِيثُهُ الْمَلْهِي. | (١٨) ارْتَحَلْنَا وَسَرْنًا. |

المقامة الخامسة الكوفية

حكى الحارث بن همام قال: سمرت^(١) بالكوفة في ليلة أديمها^(٢) ذو
لونين، وقمرها كتعويد^(٣) من لجين^(٤)، مع رُفقة غُذوا بلبان البیان،
وسحبوا^(٥) على سحبان^(٦) ذيل النسيان^(٧)، ما فيهم إلا من يحفظ عنه
ولا يتحفظ^(٨) منه، ويميل الرفيق^(٩) إليه ولا يميل^(١٠) عنه، فاستهوانا
السمر^(١١)، إلى أن غرب القمر، وغلب السهر، فلما روق^(١٢) الليل
البهيم^(١٣)، ولم يبق إلا التهويم^(١٤)، سمعنا من الباب نبأ^(١٥)
مُستنجح^(١٦)، ثم تلتها^(١٧) صكة^(١٨) مُستفتح، فقلنا: من الملم، في الليل
المدلهم؟ فقال:

يا أهل ذا المغنى^(١٩) وقيتم^(٢٠) شرًا ولا لقيتم ما بقيتم ضراً

- | | |
|--|-----------------------|
| (١) سهرت. | (٢) الأديم: الجلد. |
| (٣) طوق. | (٤) الفضة. |
| (٥) جروا. | (٦) فصيح العرب. |
| (٧) طرفه. | (٨) يتحذر. |
| (٩) ملت إلى فلان: إذا أحببته وتقربت منه. | (١٠) كرهته وبعدت عنه. |
| (١١) لحديث. | (١٢) ضرب رواقه. |
| (١٣) الخالص السواد. | (١٤) النوم بالليل. |
| (١٥) صوت. | (١٦) يحكي نباح الكلب. |
| (١٧) تبعثها. | (١٨) ضربة. |
| (١٩) المنزل. | (٢٠) كُفيتم. |

قَدْ دَفَعُ اللَّيْلُ الَّذِي اكْفَهَرَا (١) إِلَى ذَرَاكُمُ (٢) شَعْنًا مُغْبَرًا (٣)
 أَخَا (٤) سَفَارَ طَالَ وَاسْبَطَرَا (٥) حَتَّى انْثَنَى مُحَقَّقَفَا (٦) مُصْفَرَا
 مِثْلَ هَلَالِ الْأَفْقِ حِينَ افْتَرَا (٧) وَقَدْ عَرَا (٨) فَنَاءَكُمْ مُعْتَرَا
 وَأَمَّكُمْ (٩) دُونَ الْأَنَامِ طُرَا (١٠) يَنْغِي (١١) قَرَى مِنْكُمْ وَمُسْتَقَرَا
 فَدُونَكُمْ ضَيْفًا قَنوعًا حُرَا يَرْضَى بِمَا أَحْلَوْلَى (١٢) وَمَا أَمَرَا
 وَيَنْثَنِي عَنْكُمْ يَنْثُ (١٣) الْبِرَا (١٤)

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمَّا خَلَبْنَا (١٥) بِعُدُوبَةٍ نَطَقَهُ ، وَعَلِمْنَا مَا وَرَاءَ
 بَرْقِهِ ، ابْتَدَرْنَا (١٦) فَتَحَ الْبَابِ ، وَتَلَقَّيْنَاهُ بِالْتَّرْحَابِ (١٧) ، وَقُلْنَا لِلْغُلَامِ : هَيَّا
 هَيَّا (١٨) ، وَهَلُمَّ مَا تَهَيَّا (١٩) ! فَقَالَ الضَّيْفُ : وَالَّذِي أَحْلَنِي ذِرَاكُمُ ، لَا
 تَلَمَّظْتُ (٢٠) بِقِرَاكُمُ ، أَوْ تَضْمَنُوا لِي أَلَّا تَتَّخِذُونِي كَلَا (٢١) ، وَلَا تَجَشَّمُوا (٢٢)
 لِأَجْلِي أَكْلًا ، فَرُبَّ أَكْلَةٍ هَاضَتِ (٢٣) الْأَكِلَ ، وَحَرَمَتُهُ مَآكِلَ ، وَشَرُّ الْأَضْيَافِ

- (١) تَرَكَكُمْ ظَلَامُهُ وَكَثُرَ .
 (٢) منزلكم وكنكم .
 (٣) عليه الغبار .
 (٤) صاحب أسفار؛ أي: ملازم لها .
 (٥) امتدَّ وطال .
 (٦) منحنيًا .
 (٧) انفتحت أطرافه ولم يتقارب .
 (٨) قصد .
 (٩) أي قصدكم .
 (١٠) يطلب طعامًا .
 (١١) يفشى وينتشر .
 (١٢) خدعنا .
 (١٣) من قولهم: مرحبًا مرحبًا .
 (١٤) الإحسان .
 (١٥) استبقنا .
 (١٦) أي: أقبل مسرعًا .
 (١٧) تيسر .
 (١٨) لا تذوقت طعامكم .
 (١٩) ثقیلاً .
 (٢٠) تكلفوا .
 (٢١) أضعت وأدخلت على هيضة وهي: القيء والإسهال .
 (٢٢) تكلفوا .
 (٢٣) أضعت وأدخلت على هيضة وهي: القيء والإسهال .

مَنْ سَامَ التَّكْلِيفَ، وَأَذَى الْمُضِيفَ، خُصُوصاً أَدَّى يَعْتَلِقُ بِالْأَجْسَامِ،
وَيُفْضِي (١) إِلَى الْأَسْقَامِ، وَمَا قِيلَ فِي الْمَثَلِ الَّذِي سَارَ سَائِرُهُ (٢) : خَيْرُ الْعِشَاءِ
سَوَافِرُهُ (٣)، إِلَّا لِيُعَجَّلَ التَّعْشِي (٤)، وَيُجْتَنَّبَ أَكْلُ اللَّيْلِ الَّذِي يُعْشِي (٥).

اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تَقْدَ نَارُ الْجُوعِ، وَتَحُولَ دُونَ الْهُجُوعِ (٦)، قَالَ: فَكَأَنَّهُ اطَّلَعَ
عَلَى إِرَادَتِنَا، فَرَمَى عَنْ قَوْسِ عَقِيدَتِنَا (٧)، لَا جَرَمَ أَنَا أَنْسَاهُ بِالتِّزَامِ الشَّرْطِ،
وَأَثْنَيْنَا عَلَى خُلُقِهِ السَّبْطِ (٨)، وَلَكَّمَّا أَحْضَرَ الْغُلَامُ مَا رَاجَ (٩)، وَأَذَكِي بَيْنَنَا
السَّرَاجَ (١٠)، تَأَمَّلْتَهُ فَإِذَا هُوَ أَبُو زَيْدٌ فَقُلْتُ لَصَحْبِي: لِيُهْنَأَكُمُ (١١) الضَّيْفُ
الْوَارِدُ (١٢)، بَلِ الْمَغْنَمُ الْبَارِدُ (١٣)، فَإِنْ يَكُنْ أَقْلُ (١٤) قَمَرُ الشَّعْرَى فَقَدْ طَلَعَ
قَمَرُ الشَّعْرِ، أَوْ اسْتَسَرَّ (١٥) بَدْرُ النَّشْرَةِ (١٦) فَقَدْ تَبَلَّجَ (١٧) بَدْرُ النَّثْرِ،
فَسَرَتْ (١٨) حُمَيَّا الْمَسْرَةِ (١٩) فِيهِمْ، وَطَارَتْ السَّنَةُ (٢٠) عَنْ مَاقِيهِمْ (٢١)،
وَرَفَضُوا الدَّعَةَ الَّتِي كَانُوا نَوَوْهَا، وَثَابُوْا إِلَى نَشْرِ الْفُكَاهَةِ بَعْدَ مَا طَوَوْهَا،
وَأَبُو زَيْدٍ مُكَبُّ (٢٢) عَلَى إِعْمَالِ يَدَيْهِ (٢٣)، حَتَّى إِذَا اسْتَرْفَعَ مَا لَدَيْهِ، قَلْتُ

(١) يؤول.

(٢) انتشر التحدث به ومشى في الناس.

(٣) بواكره: أي: ما أكل منه بضوء النهار.

(٤) أكل العشاء؛ وهو ما يؤكل بالعيشي.

(٥) يورث العشاء، وهو ضعف البصر ليلاً.

(٦) أي: ما انعقدت عليه نيتنا.

(٧) أي: ليسر.

(٨) أي: ليسرهم.

(٩) الهنئ الذي يغنم دون قتال ولا تعب.

(١٠) غاب وخفي.

(١١) ظهر وأضاء.

(١٢) شدة السرور.

(١٣) عيونهم.

(١٤) استعمالها بالأكل.

(١٥) انتشار التحدث به ومشى في الناس.

(١٦) أكل العشاء؛ وهو ما يؤكل بالعيشي.

(١٧) يورث العشاء، وهو ضعف البصر ليلاً.

(١٨) أي: ما انعقدت عليه نيتنا.

(١٩) أي: ليسر.

(٢٠) أي: ليسرهم.

(٢١) الهنئ الذي يغنم دون قتال ولا تعب.

(٢٢) غاب وخفي.

(٢٣) ظهر وأضاء.

(٢٤) شدة السرور.

(٢٥) عيونهم.

(٢٦) استعمالها بالأكل.

له: أطرَفنا^(١) بِغَرِيبَةٍ مِنْ غَرَائِبِ أَسْمَارِكَ، أَوْ عَجَبِيَّةٍ مِنْ عَجَائِبِ أَسْفَارِكَ،
فَقَالَ: لَقَدْ بَلَوْتُ^(٢) مِنَ الْعَجَائِبِ مَا لَمْ يَرَهُ الرَّأْوُونَ^(٣)، وَلَا رَوَاهُ الرَّأْوُونَ،
وإنَّ مِنْ أَعْجَبِهَا مَا عَايَتْهُ اللَّيْلَةُ قُبَيْلَ انْتِيَابِكُمْ^(٤)، وَمَصِيرِي إِلَى بَابِكُمْ،
فَاسْتَخْبَرْنَاهُ عَنْ طُرْفَةِ مَرَأَةٍ^(٥)، فِي مَسْرَحٍ^(٦) مَسْرَاهُ،^(٧) فَقَالَ: إِنَّ مَرَامِي^(٨)
الْغُرْبَةَ، لَفَظْتُني إِلَى هَذِهِ التُّرْبَةِ^(٩)، وَأَنَا ذُو مَجَاعَةٍ^(١٠) وَبُوسَى،
وَجِرَابٍ^(١١) كَفَوَادٍ أُمِّ مُوسَى، فَنَهَضْتُ^(١٢) حِينَ سَجَا الدُّجَى^(١٣)، عَلَى مَا
بِي مِنَ الْوَجَى^(١٤)، لِأَرْتَادَ^(١٥) مُضِيْفًا^(١٦)، أَوْ أَقْتَادَ^(١٧) رَغِيْفًا، فَسَاقَنِي
حَادِي السَّغَبِ^(١٨)، وَالْقَضَاءُ الْمَكْنَى أَبَا الْعَجَبِ، إِلَى أَنْ وَقَفْتُ عَلَى بَابِ
دَارٍ، فَقُلْتُ عَلَى بِدَارٍ:

حَيِّتُمْ^(١٩) يَا أَهْلَ هَذَا الْمَنْزِلِ وَعِشْتُمْ فِي خَفْضِ^(٢٠) عَيْشِ خَضِلٍ^(٢١)
مَا عِنْدَكُمْ لَا بِنِ سَبِيلٍ^(٢٢) مُرْمِلٍ^(٢٣) نَضُّو سُرِّي^(٢٤) خَابِطٍ لَيْلٍ أَلِيلٍ^(٢٥)

- | | |
|----------------------------------|---------------------------------------|
| (١) أي أتحفنا. | (٢) اختبرت. |
| (٣) الناظرون إليه. | (٤) أي قبل قصدي إياكم. |
| (٥) رؤيته. | (٦) حيث يسرح ويمشي. |
| (٧) سيره بالليل. | (٨) قواذف. |
| (٩) الأرض. | (١٠) جوع. |
| (١١) وعاء الزاد. | (١٢) مشيت. |
| (١٣) انتشر الظلام وغطى كل شيء. | (١٤) الحفا. |
| (١٥) أطلب. | (١٦) منزلاً. |
| (١٧) أقود. | (١٨) سائق الجوع. |
| (١٩) طابت حياتكم والتحية البقاء. | (٢٠) لين. |
| (٢١) ناعم. | (٢٢) خاطر طريق، وهو الغريب. |
| (٢٣) لا زاد له. | (٢٤) أي هزيل من مشي الليل في الأسفار. |
| (٢٥) شديد السواد. | |

جَوِيَ الْحَشَى عَلَى الطَّوَى مُشْتَمِلٍ ^(١) مَا ذَاقَ مَذَّ يَوْمَانِ طَعَمَ مَا كَلَّ
وَلَا لَهُ فِي أَرْضِكُمْ مِنْ مَوْتِلٍ ^(٢) وَقَدْ دَجَا ^(٣) جُنْحُ الظَّلَامِ الْمُسْبِلِ ^(٤)
وَهُوَ مِنَ الْحَيْرَةِ فِي تَمْلُلٍ ^(٥) فَهَلْ بِهَذَا الرَّبْعِ ^(٦) عَذْبُ الْمَنْهَلِ
يَقُولُ لِي: أَلْقِ عَصَاكَ وَادْخُلِ
قَالَ: فَبَرَزَ إِلَيَّ جَوْدَرٌ، عَلَيْهِ شَوَذَرٌ، وَقَالَ:

وَحُرْمَةِ الشَّيْخِ الَّذِي سَنَّ ^(٧) الْقُرَى وَأَسَّسَ الْمُحْجُوجَ ^(٨) فِي أُمِّ الْقُرَى ^(٩)
مَا عِنْدَنَا لَطَارِقُ ^(١٠) إِذَا عَرَا سَوَى الْحَدِيثِ وَالْمُنَاخِ ^(١١) فِي الذَّرَى
وَكَيْفَ يَقْرِي ^(١٢) مَنْ نَفَى عَنْهُ الْكَرَى ^(١٣) طَوَى بَرَى أَعْظَمَهُ ^(١٤) لَمَّا أَنْبَرَى ^(١٥)

فَمَا تَرَى فِيمَا ذَكَرْتُ مَا تَرَى

فَقُلْتُ: مَا أَصْنَعُ بِمَنْزِلِ ^(١٦) قَفَرٍ، وَمَنْزِلِ ^(١٧) حَلْفِ ^(١٨) فَقَرٍ؟ وَلَكِنْ يَا فَتَى
مَا اسْمُكَ، فَقَدْ فَتَنَنِي فَهْمُكَ؟ فَقَالَ: اسْمِي زَيْدٌ، وَمَنْشَيْي ^(١٩) فَيْدٌ،
وَوَرَدْتُ ^(٢٠) هَذِهِ الْمَدْرَةَ ^(٢١) أَمْسٍ، مَعَ أَخْوَالِي مِنْ بَنِي عَبْسٍ ^(٢٢)، فَقُلْتُ لَهُ:

-
- | | |
|---------------------------|--------------------------------|
| (١) منظم. | (٢) ملجأ. |
| (٣) ألبس. | (٤) المطبق. |
| (٥) تقلَّب وتوجَّع. | (٦) المنزل. |
| (٧) ابتداء وجعله سنة. | (٨) أي: بنى أساس البيت الحرام. |
| (٩) مكة. | (١٠) الآتي بالليل. |
| (١١) موضع البروك. | (١٢) يضيف. |
| (١٣) النوم. | (١٤) أي: أزال اللحم عنها. |
| (١٥) اعترض. | (١٦) مكان خالي لا نبات به. |
| (١٧) مضيف. | (١٨) صاحب. |
| (١٩) موضعي الذي نشأت فيه. | (٢٠) أتيت. |
| (٢١) البلد. | (٢٢) قبيلة. |

زِدْنِي إِيضَاحاً (١) عِشْتُ، وَنُعِشْتُ (٢)! فَقَالَ: أَخْبِرْتَنِي أُمِّي بَرَّةً، وَهِيَ كَاسِمِهَا بَرَّةً، أَتَهَا نَكَحَتْ (٣) عَامَ الْغَارَةِ (٤) بِمَاوَانَ، رَجُلًا مِنْ سَرَاةٍ (٥) سَرُوجَ وَغَسَّانَ، فَلَمَّا آنَسَ (٦) مِنْهَا الْإِثْقَالَ (٧)، وَكَانَ بَاقِعَةً (٨) عَلَى مَا يُقَالُ، ظَعَنَ (٩) عَنْهَا سِرًّا، وَهَلُمَّ جَرًّا (١٠)، فَمَا يُعْرِفُ أَحْيًى هُوَ فَيُتَوَقَّعُ، أَمْ أَوْدَعَ اللَّحْدَ الْبَلْقَعَ؟ قَالَ أَبُو زَيْدٍ: فَعَلِمْتُ بِصِحَّةِ الْعَلَامَاتِ أَنَّهُ وَلَدِي، وَصَدَفَنِي (١١) عَنِ التَّعَرُّفِ إِلَيْهِ صَفْرُ (١٢) يَدِي، فَفَصَلْتُ (١٣) عَنْهُ بِكَبِدٍ مَرْضُوضَةٍ (١٤)، وَدُمُوعٍ مَفْضُوضَةٍ (١٥)، فَهَلْ سَمِعْتُمْ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ، بِأَعْجَبَ مَنْ هَذَا الْعُجَابِ؟ فَقُلْنَا: لَا وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، فَقَالَ: أَثْبِتُوهَا فِي عَجَائِبِ الْإِتْفَاقِ، وَخَلِّدُوهَا (١٦) بِطُونِ الْأَوْرَاقِ، فَمَا سُرِيرَ مَثَلُهَا فِي الْآفَاقِ (١٧)، فَأَحْضَرْنَا الدَّوَاةَ وَأَسَاوِدَهَا (١٨)، وَرَقَشْنَا (١٩) الْحِكَايَةَ عَلَى مَا سَرَدَهَا (٢٠)، ثُمَّ اسْتَبْطَنَاهُ عَنْ مُرْتَاهُ (٢١)، فِي اسْتِضْمَامِ فَتَاهُ، فَقَالَ: إِذَا ثَقُلَ رُدْنِي، خَفَّ عَلَيَّ أَنْ أَكْفَلَ (٢٢) ابْنِي، فَقُلْنَا: إِنْ كَانَ يَكْفِيكَ

(١) بياناً.

(٢) جُبرت.

(٣) تزوجت.

(٤) أي: عام أغار عليهم عدوهم.

(٥) سادة.

(٦) أبصر.

(٧) الامتلاء بالولد.

(٨) داهية.

(٩) رحل وسار.

(١٠) على هيتكم.

(١١) أمالني.

(١٢) فراغها من الدراهم.

(١٣) زلت.

(١٤) مدقوقة ومكسورة.

(١٥) مفترقة.

(١٦) كناية عن الحفظ والكتابة في الأوراق.

(١٧) البلدان وجهات الأرض جميعها.

(١٨) أقلامها.

(١٩) كتبنا.

(٢٠) أي: كما حكاهما وتكلم بها.

(٢١) رأيه وغرضه.

(٢٢) أضْمُ.

نِصَابٌ^(١) مِنَ الْمَالِ، أَلْفَنَاهُ^(٢) لَكَ فِي الْحَالِ، فَقَالَ: وَكَيْفَ لَا يُقْنِعُنِي^(٣) نِصَابٌ، وَهَلْ يَحْتَقِرُ قَدْرُهُ إِلَّا مُصَابٌ^(٤)؟.

قَالَ الرَّأْيِي: فَالْتَزَمَ مِنْهُ كُلُّ مَنْ قَسَطَا^(٥)، وَكَتَبَ لَهُ بِهِ قَطًّا^(٦)، فَشَكَرَ عِنْدَ ذَلِكَ الصُّنْعَ، وَاسْتَنْفَدَ^(٧) فِي الثَّنَاءِ الْوُسْعَ^(٨)، حَتَّى إِنَّا اسْتَطَلْنَا^(٩) الْقَوْلَ، وَاسْتَقْلَلْنَا الطَّوْلَ^(١٠)، ثُمَّ إِنَّهُ نَشَرَ مِنْ وَشْيِ^(١١) السَّمَرِ، مَا أَزْرَى بِالْحَبْرِ^(١٢)، إِلَى أَنْ أَظْلَلَ التَّنْوِيرُ، وَجَشَرَ^(١٣) الصَّبْحُ الْمُنِيرُ، فَقَضَيْنَاهَا لَيْلَةً غَابَتْ شَوَائِبُهَا، إِلَى أَنْ شَابَتْ ذَوَائِبُهَا^(١٤)، وَكَمُلَ سُعُودُهَا، إِلَى أَنْ انْفَطَرَ^(١٥) عَوْدُهَا، وَكَمَّا ذَرَّ قَرْنُ الْغَزَالَةِ^(١٦)، طَمَرَ طُمُورَ الْغَزَالَةِ^(١٧)، وَقَالَ: انْهَضْ^(١٨) بِنَا لِنَقْبُضَ الصَّلَاتِ^(١٩)، وَنَسْتَنْضِ^(٢٠) الْإِحَالَاتِ^(٢١)، فَقَدْ اسْتَطَارَتْ^(٢٢) صُدُوعُ كَبْدِي، مِنَ الْحَيْنِ^(٢٣) إِلَى وَلَدِي، فَوَصَلَتْ جَنَاحَهُ^(٢٤)، حَتَّى سَنَيْتُ نَجَاحَهُ، فَحِينَ أَحْرَزَ الْعَيْنَ فِي صِرَّتِهِ، بَرَقَتْ أُسَارِيرُ مَسْرِتِهِ^(٢٥)، وَقَالَ لِي: جُزِيتَ

(١) عشرون دينار.

(٢) جمعناه.

(٣) يكفيني.

(٤) مجنون.

(٥) نصيباً.

(٦) كتاباً.

(٧) استفرغ وأتم.

(٨) الطاقة.

(٩) استكثرنا ووجدناه كثيراً طويلاً.

(١٠) الإِنْعَامَ وَالْفَضْلَ.

(١١) ثياب مرقومة بألوان شتى من الحرير.

(١٢) ثياب فيها خطوط ورقوم مختلفة.

(١٣) طلع.

(١٤) الشعر الطويل الأسود، وأراد به: ظلام الليل.

(١٥) انشقق وطلع.

(١٦) شعاعها وحاجبها.

(١٧) الظبية.

(١٨) قم.

(١٩) العطايا.

(٢٠) نستحضر ونستنجز.

(٢١) الديون التي وعدوه بها.

(٢٢) توسعت وانتشرت.

(٢٣) الشوق والرحمة.

(٢٤) مشيت معه ويدي في يده.

(٢٥) سروره وفرحته.

خَيْرًا عَنْ خُطَا قَدَمَيْكَ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: أُرِيدُ أَنْ أَتَّبِعَكَ لِأَشَاهِدَ
وَلَدَكَ النَّجِيبَ، وَأُنَافِثَهُ^(١) لَكِي يُجِيبَ، فَنَظَرَ إِلَيَّ نَظْرَةَ الْخَادِعِ إِلَى الْمَخْدُوعِ،
وَضَحَكَ حَتَّى تَغْرَغَرَتْ^(٢) مُقْلَتَاهُ بِالْدَّمْعِ، وَأَنشَدَ:

يَا مَنْ تَظَنَّنِي^(٣) السَّرَابَ مَاءً لَمَّا رَوَيْتُ الَّذِي رَوَيْتُ
مَا خَلْتُ أَنْ يَسْتَسِرَّ^(٤) مَكْرِي^(٥) وَأَنْ يُخِيلَ الَّذِي عَنِتُّ
وَاللَّهُ مَا بَرَّةٌ بِعَرْسِي^(٦) وَلَا لِي ابْنٌ بِهِ اكْتَنَيْتُ
وَإِنَّمَا لِي فُنُونُ^(٧) سَحَرٍ أَبَدَعْتُ فِيهَا وَمَا اقْتَدَيْتُ
لَمْ يَحْكُهَا^(٨) الْأَصْمَعِيُّ فِيمَا حَكَى وَلَا حَاكَهَا^(٩) الْكُمَيْتُ
تَخَذْتُهَا وَصْلَةً إِلَى مَا تَجْنِيهِ كَفَى مَتَى اشْتَهَيْتُ
وَلَوْ تَعَايَيْتُهَا^(١٠) لِحَالَتُ حَالِي وَلَمْ أَحْوِ^(١١) مَا حَوَيْتُ
فَمَهْدِ^(١٢) الْعُذْرَ أَوْ فَسَامِحُ إِنْ كُنْتُ أَجْرَمْتُ^(١٣) أَوْ جَنَيْتُ^(١٤)

ثُمَّ إِنَّهُ وَدَّعَنِي وَمَضَى، وَأَوْدَعَ^(١٥) قَلْبِي جَمْرَ الْغَضَا^(١٦).



- | | |
|------------------------------|---|
| (١) أَكَلَمَهُ. | (٢) امْتَلَأَتْ. |
| (٣) حَسَبَ. | (٤) يَخْفَى. |
| (٥) خَدَاعِي. | (٦) زَوْجَتِي. |
| (٧) أَنْوَاعَ. | (٨) يَحْدُثُ بِهَا. |
| (٩) أَيْ: نَسَجَهَا. | (١٠) تَكَارَهَتْهَا. |
| (١١) أَجْمَعَ. | (١٢) أَقْبَلَ وَسَهَلَ. |
| (١٣) أَذْنَبْتُ لِنَفْسِي. | (١٤) أَذْنَبْتُ لْغَيْرِي. |
| (١٥) ضَمَّنَ وَجَعَلَ فِيهِ. | (١٦) شَجَرُ جَمْرِهِ يَثْبُتُ فِي النَّارِ. |

المَقَامَةُ السَّادِسَةُ المَرَاغِيَّةُ

رَوَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ، قَالَ: حَضَرْتُ دِيْوَانَ النَّظْرِ بِالمَرَاغَةِ ^(١)، وَقَدْ جَرَى بِهِ ذِكْرُ البَلَاغَةِ، فَأَجْمَعَ مَنْ حَضَرَ مِنْ فُرْسَانِ السِّيرَاعَةِ ^(٢)، وَأَرْبَابِ البرَاعَةِ، عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ مَنْ يُنْقَحُ ^(٣) الإِنْشَاءَ، وَيَتَصَرَّفُ فِيهِ كَيْفَ شَاءَ، وَلَا خَلْفَ، بَعْدَ السَّلَفِ، مَنْ يَتَدَعُ طَرِيقَةَ غَرَاءَ ^(٤)، أَوْ يَفْتَرِعُ ^(٥) رِسَالَةَ عِذْرَاءَ، وَأَنَّ الْمُفْلِقَ مِنْ كُتَّابِ هَذَا الْأَوَانِ، الْمُتَمَكِّنَ مِنْ أَزِمَةِ الْبَيَانِ، كَالْعِيَالِ ^(٦) عَلَى الْأَوَائِلِ، وَلَوْ مَلِكٌ فَصَاحَةٌ سَحْبَانٍ وَائِلٍ، وَكَانَ بِالْمَجْلِسِ كَهْلٌ جَالِسٌ فِي الْحَاشِيَةِ، عِنْدَ مَوَاقِفِ الْحَاشِيَةِ ^(٧)، فَكَانَ كُلَّمَا شَطَّ الْقَوْمُ فِي شَوَاطِئِهِمْ ^(٨)، وَنَشَرُوا الْعَجْوَةَ وَالنَّجْوَةَ مِنْ نَوَاطِئِهِمْ ^(٩)، يُنْبِئُ تَخَازُرُ طَرَفِهِ، وَتَشَامُخُ أَنْفِهِ ^(١٠)، أَنَّهُ مُخَرَّبُكٌ ^(١١) لِنَبَاعٍ، وَمُجْرَمٌ سِيمَدُ الْبَاعِ، وَنَابِضٌ يَبْرِي النَّبَالَ ^(١٢)، وَرَابِضٌ ^(١٣) يَبْغِي النَّضَالَ، فَلَمَّا نُثِلَّتِ الْكَنَائِنُ، وَفَاءَتْ

(١) موضع بأذربيجان.

(٢) في الأصل: القصة، ويُرادُّ بها ههنا القلم وفرسانها مهرة الكتاب.

(٣) يحرق ويهذب.

(٤) حسناء واضحة.

(٥) يفتض.

(٦) جمع عيل مخفف عيل.

(٧) أي طرف المجلس، والحاشية: هي الخدم والغلمان.

(٨) غاية جريهم وجمع الشوط: أشواط.

(٩) جلد يُجمَعُ فيه التمر.

(١٠) تعاظمه وتكبره.

(١١) أي مَرَّحِيَّ عَيْنِهِ ينظر ساكتاً.

(١٢) ينحت السهام.

(١٣) جالسٌ عَلَى رُكْبِهِ.

السَّكَّائِنُ^(١)، وَرَكَدَتِ الزَّرْعَاذُ، وَكَفَّ الْمُنَاذِعُ، وَسَكَنَتِ الزَّمَاجِرُ^(٢)،
 وَسَكَتَ الْمَرْجُورُ وَالزَّاجِرُ، أَقْبَلَ عَلَى الْجَمَاعَةِ وَقَالَ: لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا،
 وَجُرْتُمْ عَنِ الْقَصْدِ جَدًّا، وَعَظَّمْتُمْ الْعِظَامَ الرُّفَاتَ^(٣)، وَافْتُتِمُ فِي الْمِيلِ إِلَى
 مَنْ فَاتَ، وَغَمَصْتُمْ^(٤) جَيْلَكُمْ الَّذِينَ فِيهِمْ لَكُمْ اللَّدَّاتُ، وَمَعَهُمْ انْعَقَدَتِ
 الْمَوَدَّاتُ، أَنْسَيْتُمْ يَا جَهَابِذَةَ النَّقْدِ، وَمَوَابِذَةَ^(٥) الْحَلِّ وَالْعَقْدِ، مَا أَبْرَزْتَهُ
 طَوَارِفُ^(٦) الْقَرَائِحِ^(٧)، وَبَرَزَ فِيهِ الْجَذْعُ عَلَى الْقَارِحِ، مِنْ الْعِبَارَاتِ الْمَهْدَبَةِ،
 وَالِاسْتِعَارَاتِ الْمُسْتَعْدَبَةِ، وَالرَّسَائِلِ الْمَوْشَحَةِ^(٨)، وَالْأَسَاجِيعِ^(٩) الْمُسْتَمْلَحَةِ؟
 وَهَلْ لِلْقُدَمَاءِ إِذَا أَنْعَمَ النَّظَرُ، مَنْ حَضَرَ، غَيْرُ الْمَعَانِي الْمَطْرُوقَةِ الْمَوَارِدِ،
 الْمَعْقُولَةِ الشَّوَارِدِ، الْمَأْثُورَةِ عَنْهُمْ لِتَقَادُمِ الْمَوَالِدِ، لَا لِتَقَدُّمِ الصَّادِرِ عَلَى الْوَارِدِ؟
 وَإِنِّي لَا عَرِفُ الْآنَ مَنْ إِذَا أَنْشَأَ وَشَى^(١٠)، وَإِذَا عَبَّرَ، حَبَّرَ، وَإِنْ أَسْهَبَ^(١١)،
 أَذْهَبَ، وَإِذَا أَوْجَزَ، أَعْجَزَ، وَإِنْ بَدَّهَ، شَدَّهَ، وَمَتَى اخْتَرَعَ، خَرَعَ^(١٢)،
 فَقَالَ لَهُ نَاطُورَةُ الدِّيَّانِ، وَعَيْنُ أَوْلَيْكَ الْأَعْيَانِ: مَنْ قَارِعُ هَذِهِ الصِّفَاةِ،
 وَقَرِيعُ هَذِهِ الصِّفَاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ قَرْنُ مَجَالِكَ، وَقَرِينُ جِدَالِكَ^(١٣)، وَإِذَا
 شِئْتَ ذَاكَ فَرُضْ نَجِيبًا^(١٤)، وَادْعُ مُجِيبًا، لَتَرَى عَجِيبًا، فَقَالَ لَهُ: يَا هَذَا
 إِنَّ الْبُغَاثَ بِأَرْضِنَا لَا يَسْتَنْسِرُ^(١٥)، وَالتَّمْيِيزَ عِنْدَنَا بَيْنَ الْفِضَّةِ وَالْقِضَّةِ

(١) جمع سكينه، مصدر كالسُّكُونِ.

(٣) كناية عن الموتى البالية.

(٥) هو حاكم المحوس.

(٧) الفطنة.

(٩) المزودج من الكلام المُقَفَّى.

(١١) أطال الكلام وأبعد فيه.

(١٣) الجدل؛ أي: المجادلة.

(١٥) لا يتشبه بالنسر.

(٢) جمع زمجرة، وهو: صوت المغناط.

(٤) عبتم وحقرتم.

(٦) ما استحدثته من المال خلاف التالدة.

(٨) المزينة.

(١٠) أي: زين وخلط لون بلون.

(١٢) أفزع.

(١٤) كريمًا.

مَتَسِرٌّ، وَقُلَّ مِنْ اسْتَهْدَفَ لِلنُّضَالِ، فَخَلَّصَ مِنَ الدَّاءِ الْعُضَالِ^(١)، أَوْ اسْتَسَارَ
 نَفَعَ الْامْتِحَانَ، فَلَمْ يُقَدْ بِالْامْتِهَانِ^(٢)، فَلَا تُعَرِّضْ عَرْضَكَ لِلْمَفَاضِحِ، وَلَا
 تُعَرِّضْ عَنْ نَصَاحَةِ النَّاصِحِ، فَقَالَ: كُلُّ امْرِئٍ أَعْرَفُ بَوْمِ قَدْحِهِ^(٣)،
 وَسَيَتَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صَبْحِهِ، فَتَنَاجَتْ الْجَمَاعَةُ فِيمَا يُسَبَّرُ^(٤) بِهِ قَلْبِيهِ، وَيَعْمَدُ
 فِيهِ تَقْلِيْبُهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: ذَرُوهُ فِي حِصَّتِي^(٥)، لِأَرْمِيَهُ بِحَجَرٍ قَصَّتِي، فَإِنَّهَا
 عُضْلَةُ الْعُقْدِ، وَمَحَكُ الْمُتَّقِدِ^(٦)، فَقَلَّدُوهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ الزَّعَامَةَ^(٧)، تَقْلِيدَ
 الْخَوَارِجِ أَبَا نَعَامَةَ، فَأَقْبَلَ عَلَى الْكَهْلِ وَقَالَ: اعْلَمْ أَنِّي أُوَالِي^(٨)، هَذَا
 الْوَالِي، وَأَرْقُحُ حَالِي، بِالْبَيَانِ الْحَالِي، وَكُنْتُ أُسْتَعِينُ عَلَى تَقْوِيمِ أَوْدِي^(٩)،
 فِي بَلَدِي، بِسَعَةِ ذَاتِ يَدِي، مَعَ قِلَّةِ عَدَدِي، فَلَمَّا ثَقُلَ حَاذِي، وَنَفِدَ
 رَدَّادِي^(١٠)، أُمِّمْتُهُ مِنْ أَرْجَائِي، بِرَجَائِي وَدَعْوَتُهُ لِإِعَادَةِ رُؤَائِي وَإِرْوَائِي،
 فَهَشَّ^(١١) لِلْوَفَادَةِ وَرَاحَ، وَغَدَا بِالْإِفَادَةِ وَرَاحَ، فَلَمَّا اسْتَأذَنْتُهُ فِي الْمَرَّاحِ، إِلَى
 الْمُرَّاحِ، عَلَى كَاهِلِ الْمَرَّاحِ، قَالَ: قَدْ أَزْمَعْتُ^(١٢) أَنْ لَا أَزُودَكَ بَتَاتًا، وَلَا
 أَجْمَعَ لَكَ شَتَاتًا^(١٣)، أَوْ تُنْشِئَ لِي أَمَامَ ارْتِحَالِكَ، رِسَالَةً تَوَدِّعُهَا شَرْحَ
 حَالِكَ، حُرُوفُ إِحْدَى كَلِمَتَيْهَا يَعْمَهَا النَّقْطُ^(١٤)، وَحُرُوفُ الْأُخْرَى لَمْ
 يُعْجَمَنَّ^(١٥) قَطُّ، وَقَدْ اسْتَأْنَيْتُ بَيَانِي حَوْلًا، فَمَا أَحَارَ قَوْلًا، وَنَبَّهْتُ

(١) هو عسر الإزالة.

(٢) الاحتقار.

(٣) القدح - بالكسر - وهو: السهم.

(٤) يختبر به.

(٥) نصيبي.

(٦) النقاد، المنتقد والانتقاد بمعنى.

(٧) السيادة أو الكفالة.

(٨) أصادق.

(٩) تعديل عوجي.

(١٠) فني زادي.

(١١) اهتزَّ وفَرِحَ.

(١٢) عزمْتُ.

(١٣) مصدر شت: إذا تفرَّقَ.

(١٤) أي: حروفها معجمة.

(١٥) مهملة لا نقط بها.

فَكَرِي سَنَةً، فَمَا أَزْدَادَ إِلَّا سَنَةً، وَاسْتَعْنَتْ بِقَاطِبَةِ الْكِتَابِ، فَكُلُّ مَنْهُمْ قَطَبٌ (١) وَتَابَ، فَإِنْ كُنْتَ صَدَعْتَ عَنْ وَصْفِكَ بِالْيَقِينِ، فَأَتِ بَايَةَ إِنْ كُنْتَ مِنْ الصَّادِقِينَ، فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ اسْتَسْعَيْتَ يَعْبُوبًا (٢)، وَاسْتَسْقَيْتَ أُسْكُوبًا، وَأَعْطَيْتَ الْقَوْسَ بَارِيهَا (٣)، وَأَسَكَنْتَ الدَّارَ بَانِيهَا، ثُمَّ فَكَّرَ رِثْمًا (٤) اسْتَجَمَ قَرِيحَتَهُ (٥)، وَاسْتَدَّرَ لَقَحَّتَهُ (٦)، وَقَالَ: أَلْقِ دَوَاتَكَ وَاقْرُبْ، وَخُذْ أَدَاتَكَ وَاكْتُبْ: الْكَرْمُ ثَبَتَ اللَّهُ جَيْشَ سُعُودِكَ يَزِينُ، وَاللَّوْمُ غَضَّ الدَّهْرُ جَفَنَ حَسُودِكَ يَشِينُ، وَالْأَرْوَعُ يُثِيبُ، وَالْمُعَوَّرُ (٧) يَخِيبُ، وَالْحُلَّاحِلُ (٨) يُضِيفُ، وَالْمَاحِلُ يُخِيفُ، وَالسَّمْحُ يُغْذِي، وَالْمَحْكُ (٩) يُقْذِي، وَالْعَطَاءُ يَنْجِي وَالْمَطَالُ يَشْجِي، وَالِدَعَاءُ يَقِي وَالْمَدْحُ يَنْقِي، وَالْحُرُّ يَجْزِي، وَالْإِلْطَاطُ (١٠) يُخْزِي، وَاطْرَاحُ ذِي الْحُرْمَةِ غِيٌّ، وَمَحْرَمَةُ بَنِي الْأَمَالِ بَغِيٌّ، وَمَا ضَنَّ إِلَّا غَيْنٌ (١١)، وَلَا غَبْنَ إِلَّا ضَنِينَ، وَلَا خَزَنَ إِلَّا شَقِيٌّ، وَلَا قَبْضَ رَاحَةٍ تَقِيٌّ، وَمَا فَتَى (١٢) وَعَدُّكَ يَفِي، وَآرَاؤُكَ تَشْفِي، وَهَلَالُكَ يُضِي، وَحِلْمُكَ يُغْضِي، وَآلَاؤُكَ (١٣) تُغْنِي، وَأَعْدَاؤُكَ تُثْنِي (١٤)، وَحُسَامُكَ يُفْنِي، وَسُودَدُكَ (١٥) يُقْنِي، وَمُواصِلُكَ

- (١) عبس وجهه ورجع.
 (٢) ناحتها وصانعها.
 (٣) جمعها أو طلب استراحتها.
 (٤) قبيح الفعل من العوار وهو العيب.
 (٥) السيد الركين الرزين.
 (٦) البخيل اللجوج.
 (٧) البخل.
 (٨) ما زال.
 (٩) أي نعمك.
 (١٠) من الثناء وهو الشكر.
 (١١) شرفك وسيادتك.
 (١٢) النهر شديد الجري.
 (١٣) أي قدر ما.
 (١٤) الناقة ذات الدر وهو اللبن.
 (١٥) ستر الحق وكتمانه.

يَجْتَنِي، وَمَادَحُكَ يَقْتَنِي، وَسَمَاحُكَ يُغِيثُ، وَسَمَاؤُكَ تَغِيثُ، وَدَرْكُ^(١) يَفِيضُ، وَرَدُّكَ يَغِيضُ، وَمُؤْمَلُّكَ^(٢) شَيْخٌ حَكَاهُ فِيَّ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ، أَمَّاكَ بَظَنِّ حَرِصِهِ يَثْبُ^(٣)، وَمَدَحُكَ بِنُخْبٍ، مُهَوَّرُهَا تَجِبُ، وَمَرَامُهُ يَخِفُ، وَأَوَاصِرُهُ^(٤) تَشِفُ، وَإِطْرَاؤُهُ يُجْتَدِبُ، وَمَلَامُهُ يُجْتَنِبُ، وَوَرَاءَهُ ضَفَفُ^(٥)، مَسَّهُمْ شَطَفُ، وَحَصَّهُمْ جَنَفُ، وَعَمَّهُمْ قَشَفُ^(٦)، وَهُوَ فِي دَمْعٍ يُجِيبُ، وَوَلَهُ يُذِيبُ، وَهَمُّ تَضْيِيفٍ، وَكَمَدُ نَيْفٍ، لِمَأْمُولٍ خَيْبٍ، وَإِهْمَالٍ شَيْبٍ، وَعَدُوٌّ نَيْبٍ، وَهَدُوٌّ تَغْيِبٍ، وَلَمْ يَزِغْ وَدُهُ^(٧) فَيَغْضَبُ، وَلَا خَبَثَ عَوْدُهُ فَيُقْضَبُ، وَلَا نَفَثَ صَدْرُهُ فَيُنْفَضُ^(٨)، وَلَا نَشَرَ وَصْلُهُ فَيُغْضَضُ، وَمَا يَقْتَضِي كَرَمُكَ نَبَذَ حُرْمِهِ، فَيَبِيضُ أَمَلُهُ بِتَخْفِيفِ اللَّهِ، يَنْثُ حَمْدُكَ بَيْنَ عَالَمِهِ، بِقَيْتِ لِمَاطَةِ شَجَبٍ، وَإِعْطَاءِ نَشَبٍ، وَمُدَاوَاةِ شَجَنِ، وَمُرَاعَاةِ يَفَنِ^(٩)، مُوَصُولًا بِخَفْضٍ، وَسُرُورٍ غَضٍّ. مَا غُشِيَ مَعْهَدُ غَنِيٍّ، أَوْ خُشِيَ وَهْمُ غَنِيٍّ^(١٠)، وَالسَّلَامُ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ إِمْلَاءِ رِسَالَتِهِ، وَجَلَّى فِي هَيْجَاءِ الْبَلَاغَةِ عَنْ بَسَالَتِهِ^(١١)، أَرْضَتْهُ الْجَمَاعَةُ فَعَلًّا وَقَوْلًا، وَأَوْسَعَتْهُ^(١٢) حَفَاوَةً وَطَوْلًا، ثُمَّ سُلِّ مَنْ أَيِّ الشُّعُوبِ نِجَارُهُ، وَفِي أَيِّ الشُّعَابِ^(١٣) وَجَارُهُ؟ فَقَالَ:

(٢) راجيك .

(١) أي: خيرك .

(٤) أي: وسائله .

(٣) أي: يقفز من النشاط .

(٦) الخشونة واليبس من شدة العيش .

(٥) بالتحريك: كثرة العيال وسوء الحال .

(٨) فيبعد .

(٧) أي: لم تملّ مودته .

(٩) الشيخ الفاني .

(١٠) أي: ما أتى منزل، والوهم: الغلط والسَّهو .

(١٢) أكثرته .

(١١) أي: شجاعته .

(١٣) الشُّعَاب: جمع شُعْب، وهو: ما انفرج بين الجبلين .

وَسُورَجٌ تُرْبَتِي الْقَدِيمَةُ
 رَاقِئاً وَمَنْزِلَةً جَسِيمَةً^(٢)
 يَبَّةً وَمَنْزَهَةً وَقِيمَةً
 فِيهَا وَلَدَاتٌ عَمِيمَةً^(٣)
 فِي رَوْضِهَا مَاضِي الْعَزِيمَةِ
 بَ وَأَجْتَلِي^(٥) النَّعَمَ الْوَسِيمَةَ
 نَ وَلَا حَوَادِثُهُ الْمُلِيمَةَ^(٦)
 لَتَلَفْتُ مِنْ كُرْبِي الْمُقِيمَةَ
 لَفَدَتْهُ مُهَجَّتِي الْكَرِيمَةَ
 مِنْ عَيْشِهِ عَيْشَ الْبَهِيمَةِ
 رَ إِلَى الْعَظِيمَةِ^(٨) وَالْهَضِيمَةَ^(٩)
 أَيْدِي الضَّبَاعِ الْمُسْتَضِيمَةِ^(١١)
 لَا شُؤْمُهَا لَمْ تَنْبُ شِيمَةَ
 أَحْوَالُ فِيهَا مُسْتَقِيمَةَ

غَسَّانُ أُسْرَتِي الصَّمِيمَةِ^(١)
 فَالْبَيْتُ مِثْلُ الشَّمْسِ إِشْدُ
 وَالرَّبْعُ كَالْفِرْدَوْسِ مَطْ
 وَاهَاً لِعَيْشِ كَانَ لِي
 أَيَّامَ أَسْحَبٍ مُطَرَفِي^(٤)
 أَخْتَالُ فِي بُرْدِ الشَّبَا
 لَا أَتَّقِي نُوبَ الزَّمَا
 فَلَوْ أَنَّ كَرْباً مُتْلَفٌ
 أَوْ يُفْتَدَى عَيْشٌ مُضَى
 فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِّلْفَتَى
 تَقْتَادُهُ^(٧) بُرَّةُ الصَّغَا
 وَيَرَى السَّبَاعَ تَنَوُّشُهَا^(١٠)
 وَالذَّنْبُ لِلْأَيَّامِ لَوْ
 وَلَوْ اسْتَقَامَتْ كَانَتْ الـ

ثُمَّ إِنَّ خَبْرَهُ نَمَا إِلَى الْوَالِي، فَمَلَأَ فَاهُ بِاللَّالِي^(١٢) وَسَامَهُ أَنْ يَنْضَوِي^(١٣)

(١) الخالصة الأصيلة.

(٣) عامة كثيرة.

(٥) أي: أنظر.

(٧) أي: تجرّه.

(٩) الظلم، مصدر كالشّيمة.

(١١) الجائرة والمضامة.

(١٣) أي: ينظم.

(٢) عظيمة.

(٤) أي: أجزّ ردائي.

(٦) التي تأتي بما يلام عليه.

(٨) الخطب الشديد.

(١٠) تتناولها وترفعها.

(١٢) جمع لؤلؤة، والمعنى: أجزل عطاؤه.

إِلَى أَحْشَائِهِ، وَيَلِي دِيوَانَ إِنْشَائِهِ، فَأَحْسَبُهُ الْحَبَاءُ^(١)، وَظَلَفَهُ^(٢) عَنِ الْوَلَايَةِ
الْإِبَاءُ، قَالَ الرَّائِي: وَكُنْتُ عَرَفْتُ عُودَ شَجَرَتِهِ، قَبْلَ إِيْنَاعِ ثَمَرَتِهِ، وَكِدْتُ
أَنْبَهُ عَلَى عُلُوِّ قَدْرِهِ، قَبْلَ اسْتِنَارَةِ بَدْرِهِ.

فَأَوْحَى إِلَيَّ بِإِيْمَاضِ^(٣) جَفْنِهِ، أَلَا أَجَرَّدَ عَضْبُهُ مِنْ جَفْنِهِ، فَلَمَّا خَرَجَ
بَطِينَ الْخُرْجِ، وَفَصَلَ فَائِزاً بِالْفُلُجِ^(٤)، شَبَّعْتُهُ قَاضِياً حَقَّ الرِّعَايَةِ، وَلَا حِيَا لَهُ
عَلَى رَفْضِ الْوَلَايَةِ، فَأَعْرَضَ مُتَبَسِّماً، وَأَنْشَدَ مَتَرْنَمًا^(٥):

لَجُوبُ الْبِلَادِ مَعَ الْمُتَرَبِّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمُرْتَبَةِ^(٦)
لَأَنَّ الْوَلَاةَ لَهُمْ نَبْوَةٌ وَمُعْتَبَةٌ يَا لَهَا مَعْتَبَةٌ^(٧)
وَمَا فِيهِمْ مَنْ يُرْبُ الصَّنِيعَ^(٨) وَلَا مَنْ يُشِيدُ مَا رَتَّبَهُ
فَلَا يَخْدَعُنكَ لُوعُ^(٩) السَّرَابِ وَلَا تَأْتِ أُمُراً إِذَا مَا اشْتَبَهُ
فَكَمْ حَالِمٍ سِرَّةَ حُلْمِهِ وَأَدْرَكَهُ الرُّوعُ^(١٠) لَمَّا انْتَبَهُ



(١) أي: كفاه العطاء حتى قال: حسبي، حسبي.

(٢) أي: صرفه ومنعه.

(٣) بإشارة خفيفة من جفنه.

(٤) الظفر.

(٥) أي: مرجعاً صوته.

(٦) يقصد بالبيت: لقطع فيافي البلاد في-الفقر أحسن لي من المنزلة في الولاية.

(٧) موجدته، وهي: الغضب.

(٨) أي: يحفظ المعروف والإحسان.

(٩) لمعان.

(١٠) الفزع.

المَقَامَةُ السَّابِعَةُ الْبَرْقَعِيدِيَّةُ

حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ، قَالَ: أَزْمَعْتُ (١) الشَّخْوصَ مِنْ بَرْقَعِيدٍ، وَقَدْ شَمْتُ بَرْقَ عِيدٍ، فَكْرِهْتُ الرِّحْلَةَ عَنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ، أَوْ أَشْهَدَ بِهَا يَوْمَ الزَّيْنَةِ (٢)، فَلَمَّا أَظَلَّ بِفَرْضِهِ وَنَفْلِهِ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ وَرَجَلِهِ، اتَّبَعْتُ السُّنَّةَ فِي لُبْسِ الْجَدِيدِ، وَبَرَزْتُ مَعَ مَنْ بَرَزَ لِلتَّعْيِيدِ (٣)، وَحِينَ التَّامَ (٤) جَمْعُ الْمُصَلَّى وَانْتِظَمَ، وَأَخَذَ الزُّحَامُ بِالْكَظَمِ (٥)، طَلَعَ شَيْخٌ فِي شِمْلَتَيْنِ (٦)، مُحْجُوبُ الْمُقْلَتَيْنِ (٧)، وَقَدْ اعْتَضَدَ شِبْهُ الْمَخْلَاةِ (٨)، وَاسْتَقَادَ لِعَجُوزٍ كَالسَّعْلَاةِ (٩)، فَوَقَّفَ وَقْفَةً مُتَهَافَتٍ، وَحَيًّا تَحِيَّةَ خَافَتٍ، وَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ دُعَائِهِ، أَجَالَ (١٠) خَمْسَهُ فِي وَعَائِهِ، فَأَبْرَزَ مِنْهُ رِقَاعًا قَدْ كُتِبَ بِالْوَانِ الْأَصْبَاغِ (١١)، فِي أَوَانِ الْفَرَاغِ، فَنَاوَلَهُنَّ عَجُوزُهُ الْحَيْزَبُونَ (١٢)، وَأَمَرَهَا بِأَنْ تَتَوَسَّمَ الزَّبُونِ (١٣)، فَمَنْ أَنْسَتَ نَدَى يَدَيْهِ، أَلْقَتْ وَرْقَةً مِنْهُنَّ لَدَيْهِ، فَأَتَاكَ لِي الْقَدْرُ الْمَعْتُوبُ رُقْعَةً فِيهَا مَكْتُوبٌ:

(١) عزمْتُ.

(٢) يوم العيد.

(٣) لصلاة العيد.

(٤) اتصل.

(٥) بضيق النفس وأصله من كظم الغيظ: حَبَسَهُ.

(٦) ثنية شملة، وهي: كساءٌ من صوفٍ أسودٍ يشتمل به.

(٧) مُغَطَّى الْعَيْنَيْنِ.

(٨) أي: حمل شيئًا يشبه المخلاة.

(٩) السَّعْلَاةُ: أَخْبَثُ الْغِيلَانِ، وَهِيَ كَثِيرَةُ التَّلَوْنِ.

(١٠) جمع صبغ، وصبغة: ما يصبغ به.

(١١) أَدَار.

(١٢) بِالْفَتْحِ، وَهُوَ: الْكَرِيمُ الْغَنِيُّ.

(١٣) الْمُسِنَّةُ الْمَكَّارَةُ.

لَقَدْ أَصْبَحْتُ مَوْقُودًا
وَمَمْنُوا بِمُخْتَالِ (٢)
وَحَوَّانٍ مِنَ الْإِخْوَانِ
وَإِعْمَالٍ مِنَ الْعُمَمَا
فَكَمْ أَصْلِي بِأَذْحَالِ
وَكَمْ أَخْطَرُ فِي بَالِ
فَلَيْتَ الدَّهْرَ لَمَّا جَاءَ
فَلَوْلَا أَنْ أَشْبَهَا
لَمَّا جَهَّزْتُ أَمَالِي
وَلَا جَرَرْتُ أَذْيَالِي (٩)
فَمُخْرَابِي (١٠) أَحْرَى بِي
فَهَلْ حُرِّيْرِي تَخْفِي
وَيُطْفِي حَرَّ بَلْبَالِي (١١)

بِأَوْجَاعٍ وَأَوْجَالِ (١)
وَمُخْتَالٍ وَمُغْتَالِ
نَ قَالَ لِي لِإِقْلَالِي (٣)
لِ فِي تَضْلِيلِ (٤) أَعْمَالِي
وَأَمَحَالِ (٥) وَتَرْحَالِ
وَلَا أَخْطَرُ فِي بَالِ
رَ أَطْفَالِي أَطْفَالِي (٦)
لِي أَغْلَالِي (٧) وَأَعْلَالِي (٨)
إِلَى آلٍ وَلَا وَالِي
عَلَى مَسْحَبٍ إِذْ لَالِي
وَأَسْمَالِي أَسْمَى لِي
فَ أَثْقَالِي بِمِثْقَالِ
بِسِرْبَالِ (١٢) وَسِرْوَالِ (١٣)

(١) جمع وجل بالتحريك، وهو: الخوف.

(٢) بِمُتَكَبَّرٍ. (٣) لفقري.

(٤) اعوجاج من الضلع - بفتح اللام - وهو: الميل.

(٥) بالكسر - كناية عن الفقر، وبالفتح - جمع محل، وهو: القحط.

(٦) الأول: من أطفأ النار إذا أخمدها وقلب الهمة للزواج.

الثاني: جمع طفل؛ أي: أمات لأجلي أولادي.

(٧) جمع الغل - بالضم - وهو ما يُوضع في العُنُق. (٨) علل - بالكسر - جمع عِلَّة.

(٩) جمع ذيل، وهو ما وصل إلى الأرض من الثوب.

(١٠) المحراب: أشرف مكان في المسجد، يريد به: مقامه.

(١١) هم قلبي أو حزني. (١٢) هو القميص.

(١٣) واحد السراويل، ويؤنث. قال: عليه من اللؤم سرواله.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمَّا اسْتَعْرَضْتُ حُلَّةَ الْأَيَّاتِ تُقْتُ (١) إِلَى
مَعْرِفَةٍ مُلَحِّمِهَا (٢)، وَرَاقِمِ عِلْمِهَا، فَنَاجَانِي الْفِكْرُ بِأَنَّ الْوَصْلَةَ إِلَيْهِ الْعَجُوزُ،
وَأَفْتَانِي بِأَنَّ حُلْوَانَ الْمَعْرِفِ يَجُوزُ، فَרَصَدْتُهَا وَهِيَ تَسْتَقْرِي (٣) الصَّفُوفَ صَفًّا
صَفًّا، وَتَسْتَوَكِفُ (٤) الْأَكْفَ كَفًّا كَفًّا، وَمَا إِنْ يَنْجَحُ لَهُ عَنَاءٌ، وَلَا يَرْشَحُ
عَلَى يَدِهَا إِنَاءٌ، فَلَمَّا أَكْدَى اسْتِعْطَافُهَا، وَكَدَّهَا مَطَافُهَا، عَادَتْ بِالْإِسْتِرْجَاعِ،
وَمَالَتْ إِلَى إِرْجَاعِ الرِّقَاعِ (٥)، وَأَنَسَاهَا الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رُقْعَتِي، فَلَمْ تَعُجْ (٦) إِلَى
بُقْعَتِي، وَأَبَتْ (٧) إِلَى الشَّيْخِ بَاكِیَّةً لِلْحَرَمَانِ، شَاكِیَّةً تَحَامُلُ الزَّمَانَ، فَقَالَ: إِنَّا
لِلَّهِ، وَأَفْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ أَنَشَدَ:
لَمْ يَبْقَ صَافٍ وَلَا مُصَافٍ (٨) وَلَا مَعِينٌ وَلَا مُعِينٌ
وَفِي الْمَسَاوِي بَدَا التَّسَاوِي فَلَا أَمِينَ (٩) وَلَا ثَمِينَ

ثُمَّ قَالَ لَهَا: مَنِّي النَّفْسَ وَعَدِيهَا، وَاجْمَعِي الرِّقَاعَ وَعُدِّيَهَا، فَقَالَتْ: لَقَدْ
عَدَدْتُهَا، لَمَّا اسْتَعَدْتُهَا، فَوَجَدْتُ يَدَ الضِّيَاعِ، قَدْ غَالَتْ (١٠) إِحْدَى الرِّقَاعِ،
فَقَالَ: تَعْسًا لَكَ يَا لِكَاعِ (١١)! أَنُحْرَمُ وَيُحَكَّ الْقَنْصَ (١٢) وَالْحِبَالَةَ، وَالْقَبَسَ
وَالذُّبَالَةَ (١٣)? إِنِّهَا لَضِغْتُ عَلَى إِبَالَةٍ! فَانْصَاعَتْ (١٤) تَقْتَصُّ مَدْرَجَهَا، وَتَنْشُدُ
مَدْرَجَهَا، فَلَمَّا دَانَتْنِي قَرَنْتُ بِالرُّقْعَةِ، دِرْهَمًا وَقِطْعَةً، وَقُلْتُ لَهَا: إِنْ رَغِبْتَ

(١) اسْتَقْتُ.

(٢) نَازِمَهَا وَالْمَلْحَمَ فِي الْأَصْلِ: النَّاسِجُ.

(٣) تَتَبَعَ.

(٤) تَتَطَلَّبُ الْوَكْفَ، وَهُوَ مَا يَسِيلُ خَفِيفًا وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ قَلِيلِ الْعَطَاءِ.

(٥) إِعَادَتُهَا وَرَدَّهَا إِلَى الشَّيْخِ.

(٦) فَلَمْ تَمَلْ وَلَمْ تَرْجِعْ.

(٧) رَجَعَتْ.

(٨) مُخْلِصٌ صَادِقٌ فِي وَدِّهِ.

(٩) مِنَ الْأَمَانَةِ؛ أَيُّ: ثِقَةٍ.

(١٠) أَهْلَكَتِ، وَالْمُرَادُ: أَنَّهَا أَخَذَتْ مِنْ حَيْثُ لَا أُدْرِي.

(١١) يَا لَتَيْمَةٍ.

(١٢) الْبَيْدُ.

(١٣) الْفَتِيلَةُ.

(١٤) رَجَعَتْ بِسُرْعَةٍ.

فِي الْمَشُوفِ ^(١) الْمُعْلَمَ، وَأَشْرَتْ إِلَى الدَّرْهِمِ، فَبُوحِي ^(٢) بِالسَّرِّ الْمُبْهِمِ، وَإِنْ
أَبَيْتَ أَنْ تَشْرَحِي، فَخُذِي الْقِطْعَةَ وَاسْرَحِي، فَمَالَتْ إِلَى اسْتِخْلَاصِ الْبَدْرِ
الْتَّمِ، وَالْأَبْلَجِ الْهَمِّ، وَقَالَتْ: دَعْ جِدَالَكَ، وَسَلِّ عَمَّا بَدَا لَكَ، فَاسْتَطَلَّعْتُهَا
طَلَعَ الشَّيْخِ ^(٣) وَبَلَدَتَهُ، وَالشَّعْرَ وَنَاسِجَ بُرْدَتِهِ، فَقَالَتْ: إِنَّ الشَّيْخَ مِنْ أَهْلِ
سُرُوجٍ، وَهُوَ الَّذِي وَشَّى ^(٤) الشَّعْرَ الْمَنْسُوجَ ^(٥)، ثُمَّ خَطَفَتْ الدَّرْهَمَ خَطْفَةً
الْبَاشِقِ، وَمَرَقَتْ مُرُوقَ السَّهْمِ الرَّاشِقِ، فَخَالَجَ قَلْبِي أَنَّ أَبَا زَيْدٍ هُوَ الْمُشَارُ
إِلَيْهِ، وَتَأَجَّجَ كَرْبِي لِمُصَابِهِ بِنَاطِرِيهِ، وَآثَرْتُ أَنْ أَفَاجِيهِ ^(٦) وَأَنَاجِيهِ، لِأَعْجَمَ ^(٧)
عُودَ فِرَاسَتِي فِيهِ، وَمَا كُنْتُ لِأَصِلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِتَخْطِي رِقَابِ الْجَمْعِ، الْمُنْهِي عَنْهُ
فِي الشَّرْعِ، وَعَفْتُ ^(٨) أَنْ يَتَأَذَّى بِي قَوْمٌ، أَوْ يَسْرِي إِلَيَّ لَوْمٌ، فَسَدَكْتُ ^(٩)
بِمَكَانِي، وَجَعَلْتُ شَخْصَهُ قَيْدَ عَيَانِي، إِلَى أَنْ انْقَضَتِ الْخُطْبَةُ، وَحَقَّتْ
الْوَثْبَةُ ^(١٠)، فَخَفَفْتُ إِلَيْهِ، وَتَوَسَّمْتُهُ عَلَى التَّحَامِ ^(١١) جَفْنِيهِ، فَإِذَا الْمَعِيَّتِي الْمَعِيَّةُ
ابْنِ عَبَّاسٍ، وَفِرَاسَتِي فِرَاسَةُ إِيَّاسٍ، فَعَرَفْتُهُ حَيْثُذُ شَخْصِي، وَآثَرْتُهُ بِأَحَدِ
قُمْصِي ^(١٢). وَأَهْبَتُ بِهِ إِلَى قُرْصِي، فَهَشَّ لِعَارِفَتِي ^(١٣) وَعَرَفَانِي، وَلَبَّى دَعْوَةَ
رُغْفَانِي، وَانْطَلَقَ وَيَدِي زِمَامُهُ ^(١٤)، وَظَلِّي إِمَامُهُ، وَالْعَجُوزُ ثَالِثَةُ الْأَثَافِي،
وَالرَّقِيبُ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِي، فَلَمَّا اسْتَحْلَسَ وَكُنْتِي، وَأَحْضَرْتُهُ
عُجَالَةً مُكْتَتِي، قَالَ لِي: يَا حَارِثُ، أَمَعَنَا ثَالِثٌ؟ فَقُلْتُ: لَيْسَ إِلَّا الْعَجُوزُ،

(١) المجلو المصقول.

(٢) أعلنني وأظهري.

(٣) خبره.

(٤) زين.

(٥) المنظوم.

(٦) أتته فجأة.

(٧) أختبر.

(٨) كرهت.

(٩) لزمت وتمكنت وأقمت.

(١٠) القيام.

(١١) التقاء جفنيه والتصاقهما.

(١٢) أعطيته إياه.

(١٣) عطيتي.

(١٤) قيَّاده؛ أي: لا تفارقه.

قَالَ: مَا دُونَهَا سِرٌّ مَحْجُوزٌ^(١)، ثُمَّ فَتَحَ كَرِيمَتِيهِ^(٢)، وَرَأَى بِتَوَأْمَتِيهِ^(٣)، فَإِذَا سِرَاجًا وَجْهَهُ يَقْدَانِ، كَأَنَّهُمَا الْفَرْقَدَانِ^(٤)، فَأَبْتَهَجْتُ بِسَلَامَةٍ بِصَرِّهِ، وَعَجِبْتُ مِنْ غَرَائِبِ سِيرِهِ، وَلَمْ يُلْقِنِي قَرَارٌ^(٥)، وَلَا طَاوَعَنِي اصْطِبَارٌ^(٦)، حَتَّى سَأَلْتُهُ: مَا دَعَاكَ إِلَى التَّعَامِي^(٧)، مَعَ سَيْرِكَ فِي الْمَعَامِي، وَجُوبِكَ الْمَوَامِي^(٨)، وَإِغَالِكَ فِي الْمَرَامِي؟ فَظَاهَرَ بِاللُّكْنَةِ^(٩)، وَتَشَاغَلَ بِاللُّهْنَةِ^(١٠)، حَتَّى إِذَا قَضَى وَطَرَهُ، أَتَارَ إِلَيَّ نَظْرَهُ، وَأَنْشَدَ:

وَلَمَّا تَعَامَى الدَّهْرُ وَهُوَ أَبُو الْوَرَى عَنْ الرُّشْدِ فِي أَنْحَائِهِ^(١١) وَمَقَاصِدِهِ
تَعَامَيْتُ حَتَّى قِيلَ إِنِّي أَخُو عَمِّي وَلَا غَرَوْ^(١٢) أَنْ يَحْذُو الْفَتَى حَذُوَ وَالِدِهِ

ثُمَّ قَالَ لِي: انْهَضْ إِلَى الْمُخْدَعِ فَاتْنِي بِغَسُولٍ يَرُوقُ^(١٣) الطَّرْفَ، وَيُنْقِي الْكَفَّ، وَيَنْعَمُ الْبَشْرَةَ، وَيُعْطِرُ النَّكْهَةَ، وَيَشُدُّ اللَّثَّةَ، وَيَقْوِي الْمَعْدَةَ، وَلِيَكُنْ نَظِيفَ الطَّرْفِ^(١٤)، أَرِيحَ الْعَرْفَ، فَتِي الدَّقَّ، نَاعِمَ السَّحْقِ، يَحْسِبُهُ اللَّامِسُ ذُرُورًا، وَيَخَالُهُ النَّاشِقُ كَافُورًا، وَاقْرَأْ بِهِ خِلَالَةَ^(١٥) نَقِيَّةِ الْأَصْلِ، مَحْبُوبَةَ الْوَصْلِ، أُنِيقَةَ^(١٦) الشَّكْلِ، مَدْعَاةً إِلَى الْأَكْلِ، لَهَا نَحَافَةٌ^(١٧) الصَّبِّ،

(١) ممنوع ومحجوب.

(٢) عينيه.

(٣) حَدَدَ النَّظَرَ وَحَرَكَ عَيْنِيهِ وَأَدَارَهُمَا.

(٤) كوكبان عند القطب.

(٥) سكون.

(٦) صبر.

(٧) التشبه بالأعمى.

(٨) أي: وقطعت القفار الواسعة.

(٩) أظهر أن به عقدة في لسانه، يعني: أَنَّهُ انْقَطَعَ عَنِ الْكَلَامِ كَأَنَّ بِهِ ذَلِكَ.

(١٠) ما يتعجله الرَّجُلُ قَبْلَ الطَّعَامِ.

(١١) أنحائه.

(١٢) لا عجب.

(١٣) يعجب.

(١٤) الوعاء.

(١٥) ما يتخلل به.

(١٦) حسنة معجبة.

(١٧) رِقَّة.

وصَقَالَةٌ^(١) الْعَضْبِ، وَآلَةُ الْحَرْبِ، وَلُدُونَةُ الْغُصْنِ الرَّطْبِ.

قَالَ: فَنهَضْتُ فيما أَمَرَ، لِأَدْرَأَ^(٢) عَنْهُ الْغَمَرَ، وَلَمْ أَهْمُ إِلَى أَنَّهُ قَصَدَ أَنْ يَخْدَعَ، بِإِدْخَالِي الْمُخْدَعَ، وَلَا تَطَنَيْتُ^(٣) أَنَّهُ سَخِرَ مِنَ الرَّسُولِ، فِي اسْتِدْعَاءِ الْخِلَالَةِ وَالْغَسُولِ، فَلَمَّا عُدْتُ بِالْمُلْتَمَسِ^(٤)، فِي أَقْرَبَ مِنْ رَجْعِ النَّفْسِ، وَجَدْتُ الْجَوْ^(٥) قَدْ خَلَا، وَالشَّيْخَ وَالشَّيْخَةَ قَدْ أَجْفَلَا^(٦)، فَاسْتَشْطْتُ^(٧) مِنْ مَكْرِهِ غَضَبًا، وَأَوْغَلْتُ فِي إِثْرِهِ^(٨) طَلَبًا، فَكَانَ كَمَنْ قُمِسَ فِي الْمَاءِ، أَوْ عُرِجَ^(٩) بِهِ إِلَى عَنَانِ السَّمَاءِ.



(١) بريق ولعان.

(٢) أَدْفَعُ.

(٣) التَّطَنَّى: إِعْمَالُ الظَّنِّ.

(٤) أَي: الْمَطْلُوبِ.

(٥) الْمَكَانِ.

(٦) ذَهَبًا.

(٧) التَّهَبَّتْ وَاحْتَرَقَتْ.

(٨) بِكسر فسكون وبفتحتين؛ أَي: خَلْفَهُ.

(٩) رُقِيَ بِهِ.

المَقَامَةُ الثَّامِنَةُ المَعْرِيةُ

أخبرَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ، قَالَ: رَأَيْتُ مِنْ أَعَاجِبِ الزَّمَانِ، أَنْ تَقْدَمَ خَصْمَانِ، إِلَى قَاضِي مَعْرِةِ النِّعْمَانِ، أَحَدُهُمَا قَدْ ذَهَبَ مِنْهُ الْأَطْيَانُ^(١)، وَالْآخَرُ كَأَنَّهُ قَضِيبُ الْبَانِ، فَقَالَ الشَّيْخُ: أَيْدَ اللَّهِ الْقَاضِي، كَمَا أَيْدَ بِهِ الْمُتَقَاضِي^(٢)، إِنَّهُ كَانَتْ لِي مَمْلُوكَةٌ رَشِيقَةٌ^(٣) الْقَدُّ، أَسِيلَةٌ^(٤) الْخَدُّ، صَبُورٌ عَلَى الْكَدِّ^(٥)، تَخُبُّ أحياناً كَالنَّهْدِ^(٦)، وَتَرْقُدُ أَطْوَاراً^(٧) فِي الْمَهْدِ، وَتَجِدُ فِي تَمْوِزِ مَسِّ الْبَرْدِ، ذَاتُ عَقْلٍ^(٨) وَعِنَانٍ، وَحَدٌّ وَسِنَانٍ^(٩)، وَكَفٌّ بَيْنَانٍ، وَفَمٌّ بِلَا أَسْنَانٍ، تَلْدَغُ بِلِسَانٍ نَضْضًا^(١٠)، وَتَرْفُلُ فِي ذَيْلٍ فَضْفَاضٍ، وَتُجَلِّي فِي سَوَادٍ وَبِيَاضٍ، وَتُسْقَى وَلَكِنْ مِنْ غَيْرِ حِيَاضٍ، نَاصِحَةٌ خُدَعَةٌ، خُبَاءٌ طُلْعَةٌ، مَطْبُوعَةٌ عَلَى الْمَنْفَعَةِ، وَمَطْوَاعَةٌ فِي الضِّيقِ وَالسَّعَةِ، إِذَا قَطَعَتْ^(١١) وَصَلَتْ، وَمَتَّى فَصَلَّتْهَا^(١٢) عَنْكَ انْفَصَلَتْ، وَطَالَمَا خَدَمْتُكَ فَجَمَلْتُ، وَرَبِّمَا جَنَتْ^(١٣) عَلَيْكَ فَالَمْتُ^(١٤) وَمَلَمْتُ، وَإِنَّ هَذَا الْفَتَى اسْتَخْدَمْنِيهَا

(١) الطَّيَّانُ هُمَا: الْأَكْلُ وَالْجِمَاعُ. وَقِيلَ: النَّوْمُ وَالْجِمَاعُ. وَقِيلَ: الشَّحْمُ وَالشَّبَابُ.

(٢) طَالِبُ الْحَقِّ.

(٣) خفيفة معتدلة القامة.

(٤) سهلته طويلته.

(٥) الشدَّة فِي الْعَمَلِ وَطَلَبِ الْمَكْسَبِ.

(٦) الْفَرَسُ الْناهُضُ الْكَرِيمُ الطَّوِيلُ الْقَامَةُ.

(٧) أَوْقَاتًا.

(٨) رِبَطٌ.

(٩) ذِبَابَةٌ.

(١٠) كَثِيرُ الْحَرَكَةِ.

(١١) فَصَلَّتِ الثُّوبَ.

(١٢) عَزَلَتْهَا وَتَجَنَّبَتْهَا.

(١٣) ضَرَبْتُكَ بِرَأْسِهَا.

(١٤) أَوْجَعْتُ.

لغرض^(١)، فأخدمته إياها بلا عوض، على أن يجتني نفعها، ولا يكلفها إلا وسعها، فأولج^(٢) فيها متاعه، وأطال بها استمتاعه^(٣)، ثم أعادها إلي وقد أفضاها^(٤)، وبذل عنها قيمة لا أرضاها، فقال الحدث: أما الشيخ فأصدق من القطا، وأما الإفضاء ففرط عن خطأ^(٥)، وقد رهنه، عن أرش^(٦) ما أوهنته^(٧)، مملوكاً لي متناسب الطرفين، متسبباً إلى القين، نقياً من الدرن والشين^(٨)، يقارن محله سواد العين، يفسشي الإحسان، وينشي^(٩) الاستحسان، ويغذي الإنسان، ويتحامى اللسان، إن سود جاد، أو وسم^(١٠) أجاد، وإذا زود وهب الزاد، ومتى استزيد زاد، لا يستقر بمغنى^(١١)، وقلما ينكح إلا مثني، يسخو^(١٢) بموجوده، ويسمو عند جوده، وينقاد^(١٣) مع قريته، وإن لم تكن من طيته، ويستمتع بزيته، وإن لم يطمع في لينته، فقال لهما القاضي: إما أن تبينا، وإلا فيينا^(١٤)، فابتدر الغلام وقال:

أعارني إبرة لأرفو^(١٥) أطما
فانخرمت في يدي على خطأ
رأ عفاها البلى وسودها
مني لما جذبت مقودها^(١٦)

(١) لقصد.

(٢) استعماله.

(٤) خرقها وأريد به هنا: أنه خرم خرمته؛ أي: سمها.

(٥) عن غير عمد.

(٦) الأرض: دية الجراحات.

(٧) أفسدته.

(٨) العيب.

(٩) يبتدئ الاستحسان.

(١٠) علم.

(١١) بمنزل.

(١٢) يسمح.

(١٣) ينصرف.

(١٤) أبعدا.

(١٥) الرفو: إصلاح الخرق بنساجه.

(١٦) الخيط الذي فيها.

بأرْشَهَا^(١) إِذْ رَأَى تَأَوُّدَهَا
أَوْ قِيَمَةً بَعْدَ أَنْ تَجَوَّدَهَا
هَيْكَ^(٢) بِهِ سُبَّةً^(٣) تَزَوَّدَهَا
تَقْصُرُ عَنْ أَنْ تَفُكَّ^(٤) مِرْوَدَهَا
وَارِثٍ^(٥) لِمَنْ لَمْ يَكُنْ تَعَوَّدَهَا

فَلَمْ يَرِ الشَّيْخُ أَنْ يُسَامِحَنِي
بَلْ قَالَ هَاتِ إِيرَةَ ثُمَّائِلُهَا
وَاعْتِاقَ مِيلِي رَهْنًا لَدَيْهِ وَنَا
فَالْعَيْنُ مَرَّهً لِرَهْنِهِ وَيَدِي
فَاسْبِرْ^(٥) بِذَا الشَّرْحِ غَوْرَ مَسْكَنَتِي^(٦)

فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَى الشَّيْخِ وَقَالَ: إِيْهِ، بَغَيْرِ تَمْوِيهِ! فَقَالَ:

ضَمَّ مِنَ النَّاسِكِينَ^(٨) خَيْفٌ مِنِّي
مُرْتَهَنًا مَيْلَهُ الَّذِي رَهَّنَا
مِنْ إِيرَةِ غَالِهَا^(١٠) وَلَا ثَمَّنَا
بِمُصْمِيَّاتٍ^(١٢) مِنْ هَاهُنَا وَهُنَا
ضُرًّا وَبُؤْسًا وَغُرْبَةً وَضَنَى^(١٣)
نَظِيرُهُ فِي الشَّقَاءِ وَهُوَ أَنَا
لَمَّا غَدَا فِي يَدَيَّ مُرْتَهَنًا
فِيهِ اتَّسَاعٌ لِلْعَفْوِ حِينَ جَنَى
فَأَنْظُرُ إِلَيْنَا وَبَيْنَنَا^(١٥) وَلَنَا

أَقْسَمْتُ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَمَنْ
لَوْ سَاعَفْتَنِي^(٩) الْيَوْمَ لَمْ يَرْنِي
وَلَا تَصَدِّتُ أَبْتَغِي بَدَلًا
لَكِنْ قَوْسَ الْخُطُوبِ^(١١) تَرَشَّقُنِي
وخبْرُ حَالِي كخبْرِ حَالَتِهِ
قَدْ عَدَلَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَأَنَا
لَا هُوَ يَسْتَطِيعُ فَكَّ مِرْوَدِهِ
وَلَا مَجَالِي^(١٤) لَضَيْقِ ذَاتِ يَدِي
فَهَإِذِهِ قِصَّتِي وَقِصَّتُهُ

(٢) حسبك وغايتك.

(١) قيمة ما نقص منها وهو ديتها.

(٤) تخلص.

(٣) عارًا.

(٧) ارحم.

(٦) دلي.

(٥) أنظر وقدّر وفقّش.

(٩) ساعدتني.

(٨) جمع ناسك، وهو: المتقربُ بنسيكة؛ أي: ذبيحة.

(١١) الدواهي.

(١٠) أهلكها.

(١٢) أصلها السَّهَامُ التي تقتل الصيد سريعًا، وأرادَ بها: الحوادث المهلكات من أصمائه إذا قتله

(١٣) هزلاً.

مكانه.

(١٥) بالحكم.

(١٤) مداري.

فَلَمَّا وَعَى الْقَاضِي قَصَصَهُمَا ^(١)، وَتَبَيَّنَ خِصَاصَتَهُمَا وَتَخَصُّصَهُمَا ^(٢)،
أَبْرَزَ لَهُمَا دِينَارًا مِنْ تَحْتِ مُصْلَاهُ، وَقَالَ لَهُمَا: اقْطَعَا بِهِ الْخِصَامَ وَافْصِلَاهُ،
فَتَلَقَّفَهُ ^(٣) الشَّيْخُ دُونَ الْحَدَثِ، وَاسْتَخْلَصَهُ عَلَى وَجهِ الْجِدِّ لَا الْعَبَثِ، وَقَالَ
لِلْحَدَثِ: نِصْفُهُ لِي بِسَهْمِ مَبْرَتِي ^(٤)، وَسَهْمُكَ لِي عَنْ أَرْشِ ^(٥) إِبْرَتِي،
وَلَسْتُ عَنِ الْحَقِّ أَمِيلُ، فَقُمْ وَخُذِ الْمِيلَ، فَعَرَا الْحَدَثُ لِمَا حَدَثَ اكْتِئَابٌ،
وَكَفْهَرَّ ^(٦) عَلَى سَمَائِهِ سَحَابٌ، وَجَمَ لَهُ الْقَاضِي، وَهَيَّجَ أَسْفَهُ عَلَى الدِّينَارِ
الْمَاضِي، إِلَّا أَنَّهُ جَبَرَ بَالَ الْفَتَى وَبَلْبَالَهُ ^(٧)، بِدُرِّيَّهَاتٍ رَضَخَ بِهَا لَهُ، وَقَالَ
لَهُمَا: اجْتَنِبَا الْمُعَامَلَاتِ، وَادْرَأَا الْمُخَاصِمَاتِ، وَلَا تَحْضُرَانِي فِي
الْمُحَاكَمَاتِ، فَمَا عِنْدِي كَيْسُ الْغَرَامَاتِ.

فَنَهَضَا مِنْ عِنْدِهِ، فَرَحَيْنَ بِرِفْدِهِ ^(٨)، مُفْصَحِينَ بِحَمْدِهِ، وَالْقَاضِي مَا
يَخْبُو ^(٩) ضَجْرَهُ، مُذْ بَضَّ حَجْرَهُ، وَلَا يَنْصُلُ ^(١٠) كَمْدَهُ، مُذْ رَشَحَ
جَلْمَدَهُ ^(١١)، حَتَّى إِذَا أَفَاقَ مِنْ غَشِيَّتِهِ ^(١٢)، أَقْبَلَ عَلَى غَاشِيَّتِهِ، وَقَالَ: قَدْ
أَشْرَبَ حِسِّي ^(١٣)، وَنَبَأَنِي حَدْسِي ^(١٤)، أَنَّهُمَا صَاحِبَا دَهَاءٍ، لَا خَصْمَا
ادْعَاءٍ، فَكَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى سَبْرِهِمَا، وَاسْتِنْبَاطِ سَرِّهِمَا؟ فَقَالَ لَهُ نَحْرِيرُ
زُمَرَتِهِ، وَشِرَارَةُ جَمَرَتِهِ: إِنَّهُ لَنْ يَتِمَّ اسْتِخْرَاجُ خَبِيئَتِهِمَا ^(١٥) إِلَّا بِهِمَا،

(١) خبرهما.

(٢) تفضلتهما وانفرداهما.

(٣) تناوله بسرعة.

(٤) نصيب صلتى.

(٥) دية.

(٦) اسودَّ وغلظ وركب بعضه بعضًا.

(٧) وسواس صدره.

(٨) عطائه.

(٩) يخمد.

(١٠) يزول.

(١١) حجره.

(١٢) زوال عقله.

(١٣) قلبي وإدراكي وفهمي.

(١٤) ظنِّي.

(١٥) مكرهما.

فَقَفَّاهُمَا عَوْنًا يُرْجِعُهُمَا إِلَيْهِ، فَلَمَّا مَثَلَا بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ لَهُمَا: اصْدُقَانِي سِنَّ
بَكْرِكُمَا، وَلَكُما الْأَمَانُ مِنْ تَبِيعَةٍ ^(١) مَكْرِكُمَا، فَأَحْجَمَ الْحَدَثُ وَاسْتَقَالَ،
وَأَقْدَمَ الشَّيْخُ وَقَالَ:

أَنَا السَّرُوجِيُّ وَهَذَا وَلَدِي
وَمَا تَعَدَّتْ يَدُهُ وَلَا يَدِي
وَإِنَّمَا الدَّهْرُ الْمُسِيءُ الْمُعْتَدِي ^(٢)
كُلَّ نَدَى الرَّاحَةِ عَذْبِ الْمَوْرَدِ ^(٣)
بِكُلِّ فَنٍّ وَبِكُلِّ مَقْصَدٍ
لَنَجْلِبَ الرِّشْحَ إِلَى الْحِظِّ الصَّدِيِّ ^(٤)
وَالْمَوْتُ مِنْ بَعْدِ لَنَا بِالْمَرْصَدِ ^(٥)
وَالشَّبْلُ ^(٦) فِي الْمَخْبِرِ ^(٧) مِثْلُ الْأَسَدِ
فِي إِبْرَةِ يَوْمًا وَلَا فِي مِرْوَدٍ
مَالٍ بَنَّا حَتَّى غَدَوْنَا نَجْتَدِي ^(٨)
وَكُلَّ جَعْدِ الْكَفِّ مَغْلُولَ الْيَدِ
بِالْجَدِّ إِنْ أَجْدَى وَإِلَّا بِالْجَدِّ ^(٩)
وَنُنْفِدَ الْعُمَرَ بَعِيشَ أَنْكَدٍ
إِنْ لَمْ يُفَاجِ ^(١٠) الْيَوْمَ فَاجِئِي فِي غَدٍ

فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: لِلَّهِ دَرَكٌ فَمَا أَعَذَبَ نَفَثَاتِ ^(١١) فَيْكَ، وَوَاهَا لَكَ لَوْلَا
خِدَاعُ فَيْكَ! وَإِنِّي لَكَ لِمَنْ الْمُنْذِرِينَ، وَعَلَيْكَ مِنَ الْحَذَرِينَ ^(١٢)، فَلَا تُمَآكِرْ
بَعْدَهَا الْحَاكِمِينَ، وَاتَّقِ سَطْوَةَ ^(١٣) الْمُتَحَكِّمِينَ، فَمَا كُلُّ مُسَيِّطِرٍ يُقِيلُ ^(١٤)، وَلَا
كُلُّ أَوَانٍ يُسَمِّعُ الْقِيلُ، فَعَاهِدَهُ الشَّيْخُ عَلَى اتِّبَاعِ مَشُورَتِهِ، وَالْإِرْتِدَاعِ ^(١٥) عَنْ

(١) جنابة.

(٢) ولد الأسد.

(٣) أي في التجربة.

(٤) نطلب الجدوى؛ أي: العطاء من الناس.

(٥) يعنى: سهل العطاء.

(٦) العطشان من الصَّدِيِّ وَهُوَ الْعِطْشُ.

(٧) يباغت.

(٨) المشفقين.

(٩) يعفُو عن الزَّلَّةِ.

(١٠) مترقب لنا.

(١١) كلماتك.

(١٢) قهر وبطش.

(١٣) الرجوع والكف.

تَلْبِيسٍ^(١) صُورَتِهِ، وَفَصَلَ عَنِ جِهَتِهِ، وَالْخَتَرُ^(٢) يَلْمَعُ مِنْ جِبْهَتِهِ.
 قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمْ أَرَ أَعْجَبَ مِنْهَا فِي تَصَارِيفِ الْأَسْفَارِ، وَلَا
 قَرَأْتُ مِثْلَهُ فِي تَصَانِيفِ الْأَسْفَارِ^(٣).



(١) تغيير .

(٢) الغدر والخديعة، أو: أقبح العذر .

(٣) جمع سَفَر - بالكسر - وهو: الكتاب الكبير .

المقامة التاسعة الإسكندرية

قال الحارث بن همام: طحا بي مَرَحُ الشَّبابِ، وهَوَى الاكْتِسَابِ^(١)،
إلى أَنْ جُبْتُ مَا بَيْنَ فَرُغَانَةٍ^(٢)، وَغَانَةٍ^(٣)، أَخْوَضُ الغَمَارِ، لِأَجْنِي الثَّمَارِ،
وَأَقْتَحَمُ الْأَخْطَارَ، لَكَيْ أَدْرِكَ الْأَوْطَارَ^(٤)، وَكُنْتُ لَقِفْتُ مِنْ أَفْوَاهِ الْعُلَمَاءِ،
وَتَقِفْتُ مِنْ وَصَايَا الْحُكَمَاءِ، أَنَّهُ يُلْزَمُ الْأَدِيبَ الْأَرِيبَ^(٥)، إِذَا دَخَلَ الْبَلَدَ
الْغَرِيبَ، أَنْ يَسْتَمِيلَ قَاضِيَهُ، وَيَسْتَخْلَصَ مَرَضِيَهُ^(٦)، لِيَشْتَدَّ ظَهْرُهُ عِنْدَ
الْخِصَامِ، وَيَأْمَنَ فِي الْغُرْبَةِ جَوْرَ الْحُكَّامِ، فَاتَّخَذْتُ هَذَا الْأَدَبَ إِمَامًا^(٧)،
وَجَعَلْتُهُ لِمَصَالِحِي زِمَامًا، فَمَا دَخَلْتُ مَدِينَةً، وَلَا وَلَجْتُ^(٨) عَرِينَةً^(٩)، إِلَّا
وَامْتَزَجْتُ^(١٠) بِحَاكِمِهَا امْتِزَاجَ الْمَاءِ بِالرَّاحِ^(١١)، وَتَقَوَّيْتُ بِعِنَايَتِهِ تَقَوِّيَ
الْأَجْسَادِ بِالْأَرْوَاحِ، فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ حَاكِمِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ، فِي عَشِيَّةٍ عَرِيَّةٍ، وَقَدْ
أَحْضَرَ مَالَ الصَّدَقَاتِ، لِيَفُضَّهَ^(١٢) عَلَى ذَوِي الْفَاقَاتِ^(١٣)، إِذْ دَخَلَ شَيْخٌ
عَفْرِيَّةً^(١٤)، تَعْتَلُهُ^(١٥) امْرَأَةٌ مُصِيبِيَّةٌ^(١٦)، فَقَالَتْ: أَيَّدَ اللَّهُ الْقَاضِيَّ، وَأَدَامَ بِهِ

(٢) بلد بأقصى بلاد المشرق.

(١) محبة اكتساب المال.

(٤) الحاجات.

(٣) بلد بأقصى المغرب.

(٦) أي: رضا.

(٥) العاقل.

(٨) دخلت.

(٧) قدوة، يعني: أعمل بمقتضاه.

(١٠) اختلطت.

(٩) مأوى الأسد.

(١٢) يفرقه.

(١١) الخمر.

(١٤) خبيث شديد الدهاء.

(١٣) الفقراء المحتاجين.

(١٦) ذات صبيان.

(١٥) تجرّه بعنف وجفاء.

التّراضي، إني امرأةٌ من أكرم جرثومة^(١)، وأطهر أرومة، وأشرف خوولة^(٢) وعمومة، ميسمي الصّون^(٣)، وشيمتي الهون، وخلقتي نعم العون، وبيننا جاراتي بون، وكان أبي إذا خطبني بناءً المجد، وأرباب^(٤) الجدّ، سكّتهم وبكّتهم، وعاف وصلّتهم وصلّتهم، واحتجّ بأنّه عاهد الله تعالى بحلفه، ألا يصاهر^(٥) غير ذي حرفة، فقيّض القدر لنصبي، ووصّبي، أن حضر هذا الخدعة نادي أبي، فأقسم بين رهطه^(٦)، أنّه وفق شرطه، وادّعى أنّه طالما نظم درّة إلى درّة^(٧)، فباعهما ببذرة^(٨)، فإغترّ أبي بزخرفة محاله، وزوجنيه قبل اختبار حاله، فلمّا استخرجني من كناسي^(٩)، ورحلني عن أناسي، ونقلني إلى كسره^(١٠)، وحصلني تحت أسره، وجدته قعدة جثمة^(١١)، وألفيته ضجعة نومّة، وكنتُ صحبته برياش^(١٢) وزيّ، وأثاث وريّ، فما برح يبيعه في سوق الهضم، ويثلف ثمنه في الخضم، والقضم^(١٣)، إلى أن مزق ما لي بأسره، وأنفق مالي في عسره^(١٤)، فلمّا أنساني طعم الراحة، وغادر بيتي أنقى من الراحة^(١٥)، قلتُ له: يا هذا إنّه

(١) أصل.

(٢) جمع خال.

(٣) الحفظ والعفاف.

(٤) أصحاب الغنى.

(٥) لا يزوج ابنته.

(٦) قومه وعشيرته.

(٧) جوهرة إلى جوهرة.

(٨) البذرة: عشرة آلاف درهم.

(٩) منزلي، وأصله: بيت الطّبي أو بقر الوحش. (١٠) بفتح الكاف وكسرهما؛ أي: جانب بيته.

(١١) كثير الجثوم؛ أي: يلزم الموضع الذي يقعد فيه.

(١٢) مال ولبّاس فاخر.

(١٣) الأكل بأطراف الأسنان، وقيل: الخضم: الأكل بأطراف الأسنان، والقضم: بمقدمها،

وقيل: الخضم أكل الرطب، والقضم: أكل اليابس، يريد: أنه يصرف ثمنه في أنواع الأكل واللذات.

(١٤) في قلّة ذات يده.

(١٥) بطن الكفّ لنقائه من الشّعير.

لا مخبأ بعدُ بُوسٍ^(١)، وَلَا عَطَرَ بعدَ عَرُوسٍ، فانهَضُ للاكتِسَابِ بصِنَاعَتِكَ،
 واجْنِثِي ثَمَرَةَ بَرَاعَتِكَ، فزَعَمَ أَنَّ صِنَاعَتَهُ قَدْ رُمِيتُ بِالكَسَادِ^(٢)، لما ظَهَرَ فِي
 الْأَرْضِ مِنَ الْفَسَادِ، وَلِي مِنْهُ سُلَالَةٌ، كَأَنَّهُ خِلَالَةٌ، وَكَلَانَا مَا يَنَالُ مَعَهُ
 شُبُعَةٌ^(٣)، وَلَا تَرَفًا^(٤) لَهُ مِنَ الطَّوَى دَمْعَةٌ، وَقَدْ قُدَّتْهُ إِلَيْكَ، وَأَحْضَرْتُهُ
 لَدَيْكَ، لَتَعْجُمَ عَوْدَ دَعْوَاهُ، وَتَحْكُمَ بَيْنَنَا بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ، فَأَقْبَلَ الْقَاضِي عَلَيْهِ
 وَقَالَ لَهُ: قَدْ وَعَيْتُ قَصَصَ عَرْسِكَ^(٥)، فَبَرِهِنِ الْآنَ عَنْ نَفْسِكَ، وَإِلَّا
 كَشَفْتُ عَنْ لَبْسِكَ^(٦)، وَأَمَرْتُ بِحَبْسِكَ، فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الْأَفْعُوانِ^(٧)، ثُمَّ
 شَمَرَ لِلحَرْبِ الْعَوَانِ، وَقَالَ:

اسْمَعْ حَدِيثِي فَإِنَّهُ عَجَبُ
 أَنَا امْرُؤٌ لَيْسَ فِي خَصَائِصِهِ^(٨)
 سَرُوجُ دَارِي الَّتِي وَلَدْتُ بِهَا
 وَشُغْلِي الدَّرْسُ وَالتَّبَحُّرُ فِي الـ
 وَرَأْسُ مَالِي سِحْرُ الْكَلَامِ الَّذِي
 أَغْوَصُ فِي لُجَّةِ الْبَيَانِ فَأَخـ

يُضْحَكُ مِنْ شَرْحِهِ وَيُنْتَحِبُ^(٩)
 عَيْبٌ وَلَا فِي فَخَارِهِ^(١٠) رَيْبُ
 وَالْأَصْلُ غَسَّانُ حِينَ أَنْتَسَبُ
 عِلْمُ طَلَابِي^(١١) وَحَبْذا الطَّلَبُ^(١٢)
 مِنْهُ يُصَاغُ الْقَرِيضُ^(١٣) وَالخُطْبُ
 تَارُ اللَّالِي مِنْهَا وَأَنْتَخِبُ

(١) فقر.

(٢) هو خمود السوق وقلة البيع: ضد النفاق - بالفتح.

(٣) بالضم - قدر ما يشبع به مرة.

(٤) تسكن.

(٥) ما قصته زوجته.

(٦) إشكالك وتعمية أمرك.

(٧) ذكر الأفاعي أو العظيم منها.

(٨) ييكى ويشهق من سماعه؛ لأن الانتحاب: بكاء مع شهيق، ويُطْلَقُ عَلَى رَفْعِ الصَّوْتِ بِالْبُكَاءِ.

(٩) خصاله وطباعه.

(١٠) مباهاته بالمكارم والمناقب.

(١١) بالكسر، أي: مطلوبى.

(١٢) ما أحبه.

(١٣) الشعر.

وَأَجْتَنِي الْيَانِعَ^(١) الْجَنِيَّ مِنْ الـ
وَأَخُذُ اللَّفْظَ فَضَّةً فَإِذَا
وَكُنْتُ مِنْ قَبْلُ أُمْتَرِي^(٢) نَشَبَا
وَيَمْتَطِي أَخْمَصِي لِحْرِمَتِهِ
وَطَالَمَا زُفْتُ الصَّلَاتُ إِلَى
فَالْيَوْمَ مَنْ يَعْلَقُ الرَّجَاءُ بِهِ
لَا عَرَضُ أَبْنَائِهِ يُصَانُ وَلَا
كَأَنَّهُمْ فِي عَرَاصِنِهِمْ جَيْفٌ^(٣)
فَحَارَ لُبِّي^(٤) لَمَّا مُنِيتُ بِهِ
وَضَاقَ^(٥) ذُرْعِي لَضِيقِ ذَاتِ يَدِي
وَقَادَنِي دَهْرِي الْمُلِيمُ إِلَى
فَبِعْتُ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِي سَبْدٌ
وَادَنْتُ حَتَّى أَثْقَلْتُ سَالِفَتِي
ثُمَّ طَوَيْتُ الْحَشَا عَلَى سَغَبٍ^(٦)
لَمْ أَرَ إِلَّا جِهَازَهَا^(٧) عَرْضاً^(٨)

قَوْلُ وَغَيْرِي لِلْعُودِ يَخْتَطِبُ
مَا صَغُتُهُ^(٩) قِيلَ إِنَّهُ ذَهَبُ
بِالْأَدَبِ الْمُقْتَنَى وَأَحْتَلَبُ
مَرَاتِباً لَيْسَ فَوْقَهَا رُتَبٌ^(١٠)
رَبْعِي^(١١) فَلَمْ أَرْضَ كُلَّ مَنْ يَهَبُ
أَكْسَدُ شَيْءٍ فِي سَوْقِهِ الْأَدَبُ
يُرْقَبُ^(١٢) فِيهِمْ إِنْ وَلَا نَسَبُ
يُبْعَدُ مَنْ نَتْنُهَا وَيُجْتَنَبُ
مِنَ اللَّيَالِي وَصَرَفُهَا^(١٣) عَجَبُ
وَسَاوَرْتَنِي^(١٤) الْهُمُومُ وَالْكَرْبُ
سُلُوكُ مَا يَسْتَشِينُهُ^(١٥) الْحَسَبُ
وَلَا بَتَاتٌ^(١٦) إِلَيْهِ أَنْقَلِبُ
بِحَمَلِ دَيْنٍ مِنْ دُونِهِ الْعَطَبُ
خَمْساً فَلَمَّا أَمْضَيْتُ السَّغَبُ
أَجُولُ فِي بَيْعِهِ وَأُضْطَرُّ

(١) الزَّاهِي.

(٢) اكتسب.

(٣) منزلي.

(٤) جمع جيفة، وهي: الميتة الممتنة.

(٥) ثقلها.

(٦) واثنين وغلبتني.

(٧) البتات: الزاد ومتاع البيت.

(٨) الجُهَاز - بفتح الجيم وكسرها: فاخر متاع البيت وأهبة السفر.

(٩) حطام الدنيا وهو: المال قلَّ أو كثر.

(١٠) سبكته.

(١١) جمع رتبة، وهي: المنزلة الرفيعة.

(١٢) يحفظ.

(١٣) تحير عقلي.

(١٤) انقبض قلبي.

(١٥) يستشعنه.

(١٦) جوع.

والعينُ عِبْرَى^(١) والقلبُ مُكْتَسَبٌ^(٢)
 حَدَّ التَّرَاضِي فيحْدُثُ الغَضَبُ
 أَنَّ بَنَانِي بِالنَّظْمِ تَكْتَسِبُ
 زُخْرَفَتُ^(٤) قَوْلِي لِيَنْجَحَ الأَرَبُ
 كَعَبْتِهِ تَسْتَحِثُّهَا النُّجُبُ^(٥)
 وَلَا شِعَارِي التَّمْوِيهِ وَالْكَذِبُ
 إِلَّا مَوَاضِي الْيَرَاعِ وَالْكَتَبُ
 فِي وَشْعَرِي الْمَنْظُومِ لَا السُّخْبُ
 مَا كُنْتُ أَحْوِي^(٧) بِهَا وَأَجْتَلِبُ^(٨)
 وَلَا تُرَاقِبُ وَأَحْكُمُ بِمَا يَجِبُ

فَجُلْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ كَارِهَةٌ
 وَمَا تَجَاوَزْتُ إِذْ عَبَثْتُ بِهِ
 فَإِنْ يَكُنْ غَاظَهَا^(٣) تَوْهْمُهَا
 أَوْ أَتْنِي إِذْ عَزَمْتُ خُطْبَتَهَا
 فَوَالَّذِي سَارَتْ الرَّفَاقُ إِلَى
 مَا الْمَكْرُ بِالْمُحْصَنَاتِ مِنْ خُلُقِي^(٦)
 وَلَا يَدِي مُذْ نَشَأْتُ نِيْطَ بِهَا
 بَلْ فَكَّرْتِي تَنْظُمُ الْقَلَائِدِ لَا كَفْ
 فَهَـذِهِ الْحَرْفَةُ الْمُشَارُ إِلَى
 فَأَذْنُ لَشَرَحِي^(٩) كَمَا أَذْنَتْ لَهَا

قال: فَلَمَّا أَحْكَمَ مَا شَادَهُ^(١٠)، وَأَكْمَلَ إِنْشَادَهُ، عَطَفَ الْقَاضِي إِلَى
 الْفَتَاةِ، بَعْدَ أَنْ شَغَفَ بِالْأَبْيَاتِ، وَقَالَ: أَمَّا إِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عِنْدَ جَمِيعِ الْحُكَّامِ،
 وَوَلَاةِ الْأَحْكَامِ^(١١) انْقِرَاضُ^(١٢) جِيلِ الْكِرَامِ، وَمِيلُ الْأَيَّامِ إِلَى اللَّثَامِ^(١٣)،
 وَإِنِّي لِإِخَالٍ بَعْلُكَ صَدُوقاً فِي الْكَلَامِ، بَرِيّاً مِنَ الْمَلَامِ، وَهَا هُوَ قَدْ اعْتَرَفَ
 لَكَ بِالْقَرَضِ^(١٤)، وَصَرَّحَ عَنِ الْمَحْضِ^(١٥)، وَبَيَّنَ مِصْدَاقَ النَّظْمِ، وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ

(١) دامعة باكية.

(٢) حزين.

(٣) أغضبها.

(٤) زينت وحسنت.

(٥) جمع نجيبة، وهي: الكريمة من الإبل.

(٦) طَبْعِي وَسَجِيَّتِي.

(٨) أجمع وأكسب.

(٩) فاستمع لقولي.

(١٠) أتقن ما قاله. والنشأة من شاد البناء: إذا طلاه بالشيد، وهو: الجُصّ.

(١١) أُمَرَاءُ الشَّرَائِعِ.

(١٢) انقطاع وفناء.

(١٣) الخالص.

(١٤) السلف.

(١٥) أهل البُخْلِ.

مَعْرُوقُ الْعَظْمِ، وَإِعْنَاتُ الْمُعَذِّرِ مَلَأْمَةٌ^(١)، وَحَبْسُ الْمُعْسِرِ^(٢) مَأْلَةٌ، وَكَيْثَمَانُ الْفَقْرِ زَهَادَةٌ، وَانْتِظَارُ الْفَرَجِ بِالصَّبْرِ عِبَادَةٌ، فَارْجِعِي إِلَى خَدْرِكَ^(٣)، وَاعْذُرِي أَبَا عَذْرِكَ، وَنَهْنِهِي عَنْ غَرْبِكَ، وَسَلِّمِي لِقَضَاءِ رَبِّكَ، ثُمَّ إِنَّهُ فَرَضَ^(٤) لَهُمَا فِي الصَّدَقَاتِ حِصَّةً، وَنَاوَلَهُمَا مِنْ دَرَاهِمِهَا قَبْصَةً، وَقَالَ لَهُمَا: تَعْلَلَا^(٥) بِهَذِهِ الْعُلَالَةِ، وَتَنْدَيَا بِهَذِهِ الْبُلَالَةِ^(٦)، وَاصْبِرَا عَلَى كَيْدِ الزَّمَانِ وَكُدِّهِ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَتَنْهَضَا وَلِلشَّيْخِ فَرَحُهُ الْمُطْلَقُ مِنَ الْإِسَارِ^(٧)، وَهَزَةُ الْمَوَسْرِ بَعْدَ الْإِعْسَارِ.

قَالَ الرَّأْوِي: وَكُنْتُ عَرَفْتُ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ سَاعَةً بَزَغَتْ شَمْسُهُ، وَنَزَغَتْ عَرْسُهُ، وَكُنْتُ أَفْصَحُ عَنْ افْتِنَانِهِ، وَأَثْمَارِ أَفْنَانِهِ، ثُمَّ أَشْفَقْتُ^(٨) مِنْ عَثُورِ الْقَاضِي عَلَى بُهْتَانِهِ^(٩)، وَتَزْوِيقِ لِسَانِهِ، فَلَا يَرَى عِنْدَ عِرْفَانِهِ، أَنْ يُرْشِّحَهُ لِإِحْسَانِهِ، فَأَحْجَمْتُ^(١٠) عَنِ الْقَوْلِ إِحْجَامَ الْمُرتَابِ^(١١)، وَطَوَيْتُ ذِكْرَهُ كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ، إِلَّا أَنِّي قُلْتُ بَعْدَمَا فَصَلْتُ، وَوَصَلْتُ إِلَى مَا وَصَلْتُ: لَوْ أَنَّ لَنَا مَنْ يَنْطَلِقُ فِي أَثَرِهِ، لِأَتَانَا بِفَصٍّ^(١٢) خَبَرِهِ، وَبِمَا يُنْشَرُ مِنْ حَبَرِهِ، فَاتَّبَعَهُ الْقَاضِي أَحَدَ أُمْنَائِهِ، وَأَمَرَهُ بِالتَّجَسُّسِ عَنْ أَنْبَائِهِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ رَجَعَ مُتْدَهِّدًا^(١٣)، وَقَهْقَرَ مُقَهْقَهَا^(١٤)، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: مَهَيْمُ، يَا أَبَا مَرِيَمَ؟

(١) لَوْمٌ. (٢) هُوَ مَنْ عَجَزَ عَنْ قَضَاءِ الدَّيْنِ.

(٣) بَيْتُكَ وَسْتَرْكَ، وَمِنْهُ: جَارِيَةٌ مَخْدَرَةٌ إِذَا لَزِمَتْ الْخَدْرَ.

(٤) عَيْنٌ وَقَدَّرَ. (٥) تَشَاغَلًا وَتَلَاهِيًا.

(٦) قَدَرُ مَا يَلْبَسُ بِهِ الشَّيْءُ، وَاسْمٌ لِلْبَقِيَّةِ أَيْضًا.

(٧) الْقَيْدُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ الْأَسِيرُ. (٨) خَفْتُ.

(٩) كَذَبَهُ. (١٠) تَأَخَّرَتْ.

(١١) تَأَخَّرَ الشَّاكُّ. (١٢) بِحَقِيقَةِ حَالِهِ.

(١٣) التَّدْهَدَةُ: الْإِسْرَاعُ، مِنْ دَهَدَهْتَ الْحَجَرَ: إِذَا دَحَرَجْتَهُ.

(١٤) الْقَهْقَرَةُ: الْمَشْيُ إِلَى الْوَرَاءِ. وَالْقَهْقَرَةُ: الضَّحْكُ بِصَوْتٍ.

فَقَالَ: لَقَدْ عَايَنْتُ عَجَبًا ^(١)، وَسَمِعْتُ مَا أُنْشَأُ لِي طَرَبًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا رَأَيْتَ، وَمَا الَّذِي وَعَيْتَ؟ قَالَ: لَمْ يَزَلِ الشَّيْخُ مَذْخَرَجَ يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ، وَيُخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، وَيُغَرِّدُ ^(٢) بِمِلءِ شِدْقَيْهِ، وَيَقُولُ:

كَدْتُ أَصْلَى ^(٣) بَبْلِيَّةٍ مِنْ وَقَاحِ شَمَرِيَّةٍ ^(٤)
وَأَزُورُ السَّجْنَ لَوْلَا حَاكِمُ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ

فَضَحِكَ الْقَاضِي حَتَّى هَوَتْ ^(٥) دَنْيَتُهُ، وَذَوَتْ سَكِينَتُهُ، فَلَمَّا فَاءَ إِلَى الْوَقَارِ، وَعَقَّبَ الْاسْتِغْرَابَ بِالْإِسْتِغْفَارِ، قَالَ: اللَّهُمَّ بِحُرْمَةِ عِبَادِكَ الْمُقَرَّبِينَ، حَرِّمْ حُبْسِي عَلَى الْمُتَأَدِّينَ، ثُمَّ قَالَ لِذَلِكَ الْأَمِينِ: عَلَيَّ بِهِ، فَاَنْطَلِقْ مُجِدًّا بَطْلَبِهِ، ثُمَّ عَادَ بَعْدَ لَأْيِهِ، مُخْبِرًا بَنَائِيهِ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: أَمَّا إِنَّهُ لَوْ حَضَرَ، لَكُنْفِي الْحَذَرَ، ثُمَّ لِأَوَّلِيَّتِهِ مَا هُوَ بِهِ أَوْلَى، وَلَأَرَيْتُهُ ^(٦) أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الْأُولَى.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمَّا رَأَيْتُ صَغَوَ ^(٧) الْقَاضِي إِلَيْهِ، وَفَوَتْ ثَمَرَةَ التَّبْيِيهِ عَلَيْهِ، غَشِيْتَنِي ^(٨) نَدَامَةُ الْفِرْزَدَقِ حِينَ أَبَانَ النُّوَارَ، وَالْكَسْعِيَّ لَمَّا اسْتَبَانَ النَّهَارَ.



(١) أمراً يتعجب منه.

(٢) التغريد: تطريب الصوت.

(٣) أحترق.

(٤) الشمري: الماضي في الأمور الحادثة فيما يحاول.

(٥) وقعت.

(٦) لأفهمته وأعلمته أن العطية الأخيرة خير من العطية الأولى.

(٧) بفتح الصاد؛ أي: ميله.

(٨) أتنتني وحضرتني.

المَقَامَةُ العَاشِرَةُ الرَّحْبِيَّةُ

حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: هَتَفَ بِي دَاعِي الشُّوقِ، إِلَى رَحْبَةٍ مَالِكِ
ابْنِ طَوْقٍ، فَلَبِيتُهُ مُمْتَطِيًا (١) شِمْلَةً (٢)، وَمُنْتَضِيًا عَزْمَةً مُشْمَعَلَّةً (٣)، فَلَمَّا
أَلْقَيْتُ بِهَا الْمَرَّاسِيَّ (٤)، وَشَدَدْتُ أَمْرَاسِي، وَبَرَزْتُ مِنَ الْحَمَّامِ بَعْدَ سَبْتِ
رَأْسِي، رَأَيْتُ غُلَامًا أَفْرَغَ فِي قَالِبِ الْجَمَالِ، وَأَلْبَسَ مِنَ الْحُسْنِ حُلَّةَ
الْكَمَالِ، وَقَدْ اعْتَلَقَ شَيْخُ بَرْدْنِهِ (٥)، يَدَّعِي أَنَّهُ فَتَكَ بَابْنَهُ، وَالْغُلَامُ يُنْكِرُ
عِرْفَتَهُ (٦)، وَيُكَبِّرُ قِرْفَتَهُ (٧)، وَالْخِصَامُ بَيْنَهُمَا مُتَطَايِرُ (٨) الشَّرَارِ، وَالزَّحَامُ
عَلَيْهِمَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ، إِلَى أَنْ تَرَاضِيَا بَعْدَ اشْتِطَاطِ (٩)
اللَّدَدِ (١٠)، بِالتَّنَافُرِ إِلَى وَالِي الْبَلَدِ، وَكَانَ مِمَّنْ يُزَنُّ بِالْهَنَاتِ (١١)، وَيَغْلَبُ
حُبَّ الْبَنِينَ عَلَى الْبَنَاتِ، فَأَسْرَعَا إِلَى نِدْوَتِهِ، كَالسُّلَيْكِ فِي عَدْوَتِهِ، فَلَمَّا
حَضَرَاهُ، جَدَّدَ الشَّيْخُ دَعْوَاهُ، وَاسْتَدْعَى عَدْوَاهُ، فَاسْتَنْطَقَ الْغُلَامُ وَقَدْ فَتَنَهُ

(١) راكبا.

(٢) بكسر الشين والميم وتشديد اللام: ناقة مُسْرَعَةٌ.

(٣) حادة سريعة من اشمعل القوم إذا هرعوا في خوفٍ وشِدَّةٍ.

(٤) جمع المرساة كناية عن الإقامة.

(٥) الرذن - بالضم - أصل الكم.

(٦) معرفته.

(٧) تهتمته، وأصل القرفة: الكسب.

(٨) متناثر.

(٩) الاشتطاط: تجاوز الحد في كل شيء، واللدد: شدة الخصومة.

(١٠) شدة الخصومة.

(١١) بالقاذورات: كناية عن الغلمان.

بمحاسنِ غُرَّتِهِ، وطَرَّ عقلُهُ بتصنيفِ طُرَّتِهِ^(١).

فَقَالَ: إِنَّهُ أَفِيكَةُ أَفَاكِ، عَلَى غَيْرِ سَفَاكِ! وَعَضِيهَةٌ مُحْتَالٍ، عَلَى مَنْ لَيْسَ بِمُغْتَالٍ.

فَقَالَ الْوَالِي لِلشَّيْخِ: إِنَّ شَهِدَ لَكَ عَدْلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَإِلَّا فَاسْتَوْفِ مِنْهُ الْيَمِينَ، فَقَالَ الشَّيْخُ: إِنَّهُ جَدَلُهُ^(٢) خَاسِيًا^(٣)، وَأَفَاحَ^(٤) دَمَهُ خَالِيًا، فَأَتَى لِي شَاهِدٌ، وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّ مُشَاهِدٌ؟ وَلَكِنْ وَلَّيْتُ تَلْقِيَنَهُ الْيَمِينَ، لِيُبَيِّنَ لَكَ أَيُّصَدُقُ أَمْ يَمِينُ؟

فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ الْمَالِكُ لَذَلِكَ، مَعَ وَجْدِكَ الْمُتَهَالِكِ^(٥)، عَلَى ابْنِكَ الْهَالِكِ.

فَقَالَ الشَّيْخُ لِلْغُلَامِ: قُلْ وَالَّذِي زَيَّنَ الْجِبَاهَةَ بِالطُّرَرِ^(٦)، وَالْعُيُونََ بِالْحَوَرِ، وَالْحَوَاجِبَ بِالْبَلَجِ، وَالْمَبَاسِمَ^(٧) بِالْفَلَجِ، وَالْجُفُونََ بِالسَّقَمِ^(٨)، وَالْأَنْوْفَ بِالشَّمَمِ، وَالْخُدُودَ بِاللَّهَبِ، وَالْثَّغُورَ بِالشَّنْبِ، وَالْبَنَانَ^(٩) بِالتَّرَفِ، وَالْخُصُورَ بِالْهَيْفِ، إِنِّي مَا قَتَلْتُ ابْنَكَ سَهْوًا وَلَا عَمْدًا، وَلَا جَعَلْتُ هَامَتَهُ لِسَيْفِي غَمْدًا، وَإِلَّا فَرَمَى اللَّهُ جَفْنِي بِالْعَمَشِ، وَخَدَيَّ بِالنَّمَشِ، وَطُرَّتِي بِالْجَلَحِ^(١٠)، وَطَلَعِي بِالْبَلَحِ، وَوَرَدَتِي بِالْبَهَارِ، وَمِسْكَتِي بِالْبُخَارِ، وَبَدْرِي^(١١) بِالْمُحَاقِ، وَفِضَّتِي بِالْإِحْتِرَاقِ^(١٢)، وَشُعَاعِي بِالْإِظْلَامِ، وَدَوَاتِي بِالْأَقْلَامِ.

(١) بتسوية شعر ناصيته.

(٢) بعيداً فقلب الهمزة للازدواج.

(٣) الشديد البالغ.

(٤) جمع مبسم، وهو: محل الضحك.

(٥) الأصابع.

(٦) وجهي.

(٧) بالسواد كناية عن الالتحاء.

(٨) صرعه على الجدالة، وهي الأرض.

(٩) أراق وأسأل.

(١٠) جمع طرة، وهي: القصة.

(١١) الفتور.

(١٢) هو انحسار شعر مقدم الرأس.

فَقَالَ الْغُلَامُ: الْاِصْطِلَاءُ بِالْبَلِيَّةِ^(١)، وَلَا الْإِيْلَاءُ^(٢) بِهَذِهِ الْأَلِيَّةِ^(٣)،
وَالْإِنْفِيَادَ لِلْقَوْدِ، وَلَا الْحَلْفَ بِمَا لَمْ يَحْلِفْ بِهِ أَحَدٌ، وَأَبَى الشَّيْخُ إِلَّا تَجْرِيعَهُ
الْيَمِينَ الَّتِي اخْتَرَعَهَا، وَأَمَقَّرَ لَهُ جُرْعَهَا، وَلَمْ يَزَلِ التَّلَاحِي^(٤) بَيْنَهُمَا
يَسْتَعِرُّ^(٥)، وَمَحَجَّةُ التَّرَاضِي تَعِرُّ، وَالْغُلَامُ فِي ضِمْنِ تَأْبِيهِ، يَخْلُبُ قَلْبَ
الْوَالِي بَتْلَوِيهِ^(٦)، وَيُطْمَعُهُ فِي أَنْ يَلْبِيهِ، إِلَى أَنْ رَانَ هَوَاهُ عَلَى قَلْبِهِ، وَأَلْبَ
بَلْبِهِ^(٧)، فَسَوَّلَ لَهُ الْوَجْدُ الَّذِي تِيَمَهُ، وَالطَّمَعُ الَّذِي تَوَهَّمَهُ، أَنْ يُخْلَصَ
الْغُلَامَ وَيَسْتَخْلَصَهُ، وَأَنْ يُنْقِذَهُ مِنْ حِبَالَةِ الشَّيْخِ ثُمَّ يَقْتَنَصَهُ.

فَقَالَ لِلشَّيْخِ: هَلْ لَكَ فِيمَا هُوَ أَلْيَقُ^(٨) بِالْأَفْوَى، وَأَقْرَبُ لِلتَّقْوَى؟

فَقَالَ: إِيْلَامٌ تُشِيرُ لِأَقْتَفِيهِ^(٩)، وَلَا أَقِفُ لَكَ فِيهِ؟

فَقَالَ: أَرَى أَنْ تُقْصِرَ عَنِ الْقِيلِ وَالْقَالِ، وَتُقْتَصِرَ مِنْهُ عَلَى مَائَةِ مِثْقَالٍ،
لَا تَحْمِلَ مِنْهَا بَعْضًا، وَأُجْتَبِيَ الْبَاقِي لَكَ عَرْضًا^(١٠).

فَقَالَ الشَّيْخُ: مَا مِنِّي خِلَافٌ، فَلَا يَكُنْ لَوْعِدِكَ إِخْلَافٌ، فَنَقَدَهُ الْوَالِي
عِشْرِينَ، وَوَزَعَ عَلَى وَزَعَتِهِ^(١١) تَكْمِلَةَ خَمْسِينَ، وَرَقَّ ثَوْبُ الْأَصِيلِ،
وَانْقَطَعَ لِأَجْلِهِ صَوْبُ التَّحْصِيلِ^(١٢).

فَقَالَ: خُذْ مَا رَاجَ، وَدَعْ عَنْكَ اللَّجَاجَ، وَعَلَيَّ فِي غَدٍ أَنْ أَتَوْصَلَ إِلَى
أَنْ يَنْضَ^(١٣) لَكَ الْبَاقِي وَيَتَحَصَّلَ.

(١) المصيبة، وهي في الأصل: الناقة التي كانت تعقل عند قبر صاحبها حتى تموت.

(٢) اليمين.

(٣) اليمين.

(٤) يلتهب ويتقد.

(٥) بعقله.

(٦) لاتبه.

(٧) أعوانه وخدمه.

(٨) يصير نقدًا ومنه الناض؛ أي: النقد.

(٩) الحلف.

(١٠) التنازع والتشاتم.

(١١) بشنيه وانعطافه.

(١٢) أولى وأقرب.

(١٣) من أي وجه كان.

(١٤) طريق العطاء.

فَقَالَ الشَّيْخُ: أَقْبِلْ مِنْكَ عَلَيَّ أَنْ أَلْزِمَهُ لَيْلَتِي، وَيَرْعَاهُ إِنْسَانٌ مُقْلَتِي،
حَتَّى إِذَا أَعْفَى^(١) بَعْدَ إِسْفَارِ الصَّبْحِ، بِمَا بَقِيَ مِنْ مَالِ الصَّلَحِ، تَخَلَّصْتُ
قَائِبَةً مِنْ قُوبٍ، وَبَرِيءٌ بَرَاءَةُ الذُّبِّ مِنْ دَمِ ابْنِ يَعْقُوبَ.

فَقَالَ لَهُ الْوَالِي: مَا أُرَاكَ سُمْتَ^(٢) شَطَطاً^(٣)، وَلَا رُمْتَ فَرَطاً.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمَّا رَأَيْتُ حُجَجَ الشَّيْخِ كَالْحُجَجِ السَّرِيجِيَّةِ،
عَلِمْتُ أَنَّهُ عَلِمُ السَّرُوجِيَّةِ، فَلَبِثْتُ إِلَى أَنْ زَهَرَتْ^(٤) نُجُومُ الظَّلَامِ، وَانْتَثَرَتْ
عُقُودُ الزَّحَامِ^(٥)، ثُمَّ قَصَدْتُ فِنَاءَ الْوَالِي، فَإِذَا الشَّيْخُ لِلْفَتَى كَالِي^(٦)،
فَنَشَدَتْهُ^(٧) اللَّهُ أَهْوَأُ أَبُو زَيْدٍ؟

فَقَالَ: أَيُّ وَمُحِلِّ الصَّيْدِ؟

فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا الْغُلَامُ، الَّذِي هَفَّتْ^(٨) لَهُ الْأَحْلَامُ؟

قَالَ: هُوَ فِي النَّسَبِ فَرَخِي^(٩)، وَفِي الْمَكْتَسَبِ فَخِي!

قُلْتُ: فَهَلَّا اكْتَفَيْتَ بِمَحَاسِنِ فِطْرَتِهِ، وَكَفَيْتَ الْوَالِيَّ الْاِفْتِتَانَ بِطُرَّتِهِ؟

فَقَالَ: لَوْ لَمْ تُبْرِزْ جَبْهَتَهُ السَّيْنَ، لَمَا قَنَفَشْتُ^(١٠) الْخَمْسِينَ.

ثُمَّ قَالَ: بَتِ اللَّيْلَةَ عِنْدِي لِنُطْفِئَ نَارَ الْجَوَى، وَنُذِيلَ الْهَوَى مِنْ النَّوَى،
فَقَدْ أَجْمَعْتُ عَلَيَّ أَنْ أَنْسَلَ^(١١) بِسُحْرَةٍ، وَأُصْلِيَ قَلْبَ الْوَالِي نَارَ حَسْرَةٍ!
قَالَ: فَقَضَيْتُ اللَّيْلَةَ مَعَهُ فِي سَمَرٍ^(١٢)، أَتَقَ مِنْ حَدِيقَةِ زَهْرٍ، وَخَمِيلَةِ شَجَرٍ،

(١) أدَّى المال بتمامه.

(٢) كلفت.

(٣) جوراً وامراً بعيداً.

(٤) طلعت وأضاءت.

(٥) تفرقت الجماعات المزدحمة.

(٦) حارس وحافظ.

(٧) أقمست عليه بالله.

(٨) طاشت وذهبت.

(٩) ولدي.

(١٠) جمعت وقبضت.

(١١) أذهب.

(١٢) هو حديث الليل.

حَتَّى إِذَا لَأْلَأَ (١) الْأَفْقَ ذَنْبُ السَّرْحَانِ (٢)، وَأَنَّ ابْنِالْجُ الْفَجْرِ وَحَانَ، رَكِبَ
مَتَنَ الطَّرِيقِ، وَأَذَاقَ الْوَالِي عَذَابَ الْحَرِيقِ، وَسَلَّمَ إِلَيَّ سَاعَةَ الْفِرَاقِ، رُقْعَةً
مُحْكَمَةً الْإِلْصَاقِ.

وَقَالَ: ادْفَعْهَا إِلَيَّ الْوَالِي إِذَا سُلِبَ الْقَرَارُ، وَتَحَقَّقَ مِنَّا الْفِرَارُ، فَفَضَضْتُهَا (٣)
فَعَلَّ الْمُتَمَلِّسِ، مِنْ مِثْلِ صَحِيفَةِ الْمُتَمَلِّسِ، فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ:
قُلْ لَوَالٍ غَادَرْتُهُ بَعْدَ بَيْنِي (٤)
سَلَبَ الشَّيْخُ مَالَهُ وَفَتَاهُ
جَادَ بِالْعَيْنِ حِينَ أَعْمَى هَوَاهُ (٥)
خَفَّضَ الْحُزْنَ يَا مُعْنَى (٦) فَمَا يُجِ
وَلَيْزَ جَلَّ مَا عَرَاكَ (٧) كَمَا جَدَّ
فَقَدْ اعْتَضَتْ (٨) مِنْهُ فَهْمًا وَحَزْمًا
فَاعَصَ مِنْ بَعْدِهَا الْمَطَامِعَ وَاعْلَمَ
لَا وَلَا كُلَّ طَائِرٍ يُلْجُ الْفَخْ
وَلَكُمْ مَنْ سَعَى لِيَصْطَادَ فَاصْطَبِ
فَتَبَصَّرَ وَلَا تَشِمْ (٩) كُلَّ بَرْقٍ

سَادِمًا نَادِمًا يَعَضُّ الْيَدَيْنِ
لَبَّهُ فَاصْطَلَى لَظِي (١٠) حَسْرَتَيْنِ
عَيْنُهُ فَاثْنَى بِلَا عَيْنَيْنِ
دِي طَلَابُ الْأَثَارِ مِنْ بَعْدِ عَيْنِ
لَلَّذِي الْمُسْلِمِينَ رَزَّ الْحُسَيْنِ
وَاللَّبِيبُ الْأَرِيبُ يُبْغِي ذِينَ
أَنْ صَيَّدَ الظُّبَاءَ لَيْسَ بِهِيْنِ
خ (١١) وَلَوْ كَانَ مُحْدَقًا (١٢) بِاللُّجَيْنِ
دَ وَلَمْ يُلْقَ غَيْرَ خُفِّي حُنَيْنِ
رُبَّ بَرْقٍ فِيهِ صَوَاعِقُ (١٣) حَيْنِ

(١) نور.

(٢) فككتها وفتحتها.

(٣) فراقِي.

(٤) نار.

(٥) حُبِّهِ لِلْغَلَامِ.

(٦) يا مولع.

(٧) عظم ما أصابك وعرض لك.

(٨) تعوّضت.

(٩) يدخل الشرك.

(١٠) محاطًا.

(١١) تنظر.

(١٢) جمع صاعقة، وهي من العذاب.

واغضُضِ الطَّرْفَ تَسْتَرِخْ مِنْ غَرَامٍ تَكْتَسِي فِيهِ ثَوْبَ ذُلٍّ وَشَيْنِ^(١)
 فَبَلَاءِ الْفَتَى اتَّبَاعُ هَوَى النَّفْسِ سِ وَبَذَرُ الْهَوَى^(٢) طُمُوحُ الْعَيْنِ^(٣)
 قَالَ الرَّأْوِي: فَمَزَّقْتُ رُقْعَتَهُ شَذَرَ مَذَرَ، وَلَمْ أَبْلُ أَعْدَلَ أَمْ عَذَرَ.



(١) عَيْبٌ .

(٢) زَرْعُهُ .

(٣) تَسْرِيحَ نَظَرِهَا .

المَقَامَةُ الْحَادِيَةُ عَشْرَةَ السَّائِيَّةُ

حَدَّثَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: آنَسْتُ^(١) مِنْ قُلُوبِ الْقَسَاوَةِ، حِينَ حَلَلْتُ سَاوَةً، فَأَخَذْتُ بِالْخَبْرِ الْمَأْثُورِ، فِي مُدَاوَاتِهَا بِزِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى مَحَلَّةِ^(٢) الْأَمْوَاتِ، وَكَفَاتِ الرُّفَاتِ، رَأَيْتُ جَمْعًا عَلَى قَبْرِ يُحْفَرُ، وَمَجْنُوزٍ^(٣) يُقْبَرُ، فَانْحَزْتُ إِلَيْهِمْ مُتَفَكِّرًا فِي الْمَالِ^(٤)، مُتَذَكِّرًا مِنْ دَرَجٍ^(٥) مِنَ الْآلِ، فَلَمَّا أَحْدَوْا الْمَيِّتَ، وَفَاتَ قَوْلُ لَيْتَ، أَشْرَفَ^(٦) شَيْخٌ مِنْ رُبَاوَةٍ، مُتَخَصِّرًا بِهَرَاوَةٍ، وَقَدْ لَفَعَ^(٧) وَجْهَهُ بِرِدَائِهِ، وَنَكَرَ^(٨) شَخْصَهُ لِدَهَائِهِ، فَقَالَ: لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ، فَادْكُرُوا أَيُّهَا الْغَافِلُونَ، وَشَمِّرُوا^(٩) أَيُّهَا الْمُقْصِرُونَ، وَأَحْسِنُوا النَّظَرَ أَيُّهَا الْمُتَبَصِّرُونَ! مَا لَكُمْ لَا يَحْزَنُكُمْ دَفْنُ الْأَثَرَابِ^(١٠)، وَلَا يَهْوِلُكُمْ هَيْلُ التَّرَابِ؟ وَلَا تَعْبُؤُونَ^(١١) بِنَوَازِلِ الْأَحْدَاثِ، وَلَا تَسْتَعِدُّونَ لِنُزُولِ الْأَجْدَاثِ^(١٢)؟ وَلَا تَسْتَعِيرُونَ بَعِينَ تَدْمَعُ، وَلَا تَعْتَبِرُونَ

(١) أدركت وأحسست.

(٢) مَحْمُولٌ عَلَى الْجَنَازَةِ - بِالْكَسْرِ - وَهِيَ النَّعْشُ.

(٣) مات ومضى.

(٤) غطى وستر.

(٥) اجتهدوا وتهيؤوا.

(٦) لا تبالون ولا تهتمون.

(٧) جمع جَدَثَ، وهو: القبر. والمراد: كأنكم غير مكترئين بالموت.

(٨) (١٠) القرناء في السِّنِّ وهم اللَّدَّاتِ.

(٩) (١٢) جمع جَدَثَ، وهو: القبر. والمراد: كأنكم غير مكترئين بالموت.

بَنَعِي يُسْمَعُ؟ وَلَا تَرْتَاعُونَ (١) لِأَلْفٍ يُفْقَدُ، وَلَا تَلْتَاعُونَ لِمُنَاحَةٍ تُعْقَدُ؟ يَشِيعُ
أَحَدُكُمْ نَعَشَ الْمَيِّتِ، وَقَلْبُهُ تَلْقَاءَ الْبَيْتِ، وَيَشْهَدُ مُوَارَاةَ نَسِيهِ (٢)، وَفِكْرُهُ فِي
اسْتِخْلَاصِ نَصِيهِ، وَيُخَلِّي بَيْنَ وَدُودِهِ وَدُودِهِ، ثُمَّ يَخْلُو بِمِزْمَارِهِ وَعُودِهِ، طَالَمَا
أَسِيتُمْ عَلَى انْتِلَامِ الْحَبَّةِ، وَتَنَاسَيْتُمْ اخْتِرَامَ (٣) الْأَحْبَةِ، وَاسْتَكْتَمْتُمْ (٤)
لَاِعْتِرَاضِ الْعُسْرَةِ، وَاسْتَهْتَمْتُمْ بِانْقِرَاضِ (٥) الْأُسْرَةِ، وَضَحِكْتُمْ عِنْدَ الدَّفْنِ، وَلَا
ضَحِكْتُمْ سَاعَةَ الزَّفَنِ (٦)، وَتَبَخَّرْتُمْ (٧) خَلْفَ الْجَنَائِزِ، وَلَا تَبَخَّرْتُمْ يَوْمَ
قَبْضِ الْجَوَائِزِ، وَأَعْرَضْتُمْ عَنْ تَعْدِيدِ النَّوَادِبِ، إِلَى إِعْدَادِ الْمَادِبِ، وَعَنْ تَحْرِقِ
الثَّوَائِلِ، إِلَى التَّائِقِ فِي الْمَأْكَلِ، لَا تُبَالُونَ بِمَنْ هُوَ بَالٍ، وَلَا تُخْطَرُونَ ذَكَرَ
الْمَوْتِ بِبَالٍ، حَتَّى كَأَنَّكُمْ قَدْ عَلِقْتُمْ (٨) مِنَ الْحِمَامِ (٩) بِذِمَامٍ، أَوْ حَصَلْتُمْ
مِنَ الزَّمَانِ عَلَى أَمَانٍ، أَوْ وَثِقْتُمْ بِسَلَامَةِ الذَّاتِ (١٠)، أَوْ تَحَقَّقْتُمْ مُسَالَةَ (١١)
هَادِمِ اللَّذَاتِ، كَلَّا سَاءَ مَا تَتَوَهَّمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ!

ثُمَّ أُنْشَدَ:

إِلَى كَمْ يَا أَخَا الْوَهْمِ (١٢)	أَيَّامَ مَنْ يَدْعِي الْفَهْمِ
وَتُخْطِي الْخَطَا الْجَمَّ	تُعَبِّي (١٣) الذَّنْبَ وَالذَّمَّ
أَمَا أَنْذَرَكِ (١٤) الشَّيْبَ	أَمَا بَانَ لَكَ الْعَيْبُ
وَلَا سَمِعُكَ قَدْ صَمَّ	وَمَا فِي نَصْحِهِ رَيْبُ

(١) لَا تَخَافُونَ وَلَا تَفْزَعُونَ.

(٢) قَرِيبِهِ.

(٣) هُوَ الْإِنْتِقَاعُ وَالِاسْتِثْصَالُ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا: الْمَوْتُ. (٤) خَضَعْتُمْ وَتَذَلَّلْتُمْ.

(٥) فَنَاءٌ.

(٦) نَوْعٌ مِنَ الرَّقْصِ.

(٧) تَمَسَّكْتُمْ.

(٨) مَشَيْتُمْ بِعُجْبٍ.

(٩) هُوَ الْمَوْتُ.

(١٠) النَّفْسُ.

(١١) مُصَالِحَةٌ.

(١٢) يَا ذَا الْغُلْطِ وَالسَّهْوِ.

(١٣) تَهَيَّئُ.

(١٤) أَعْلَمَكَ بِتَهْدُدٍ.

أَمَّا نَادَىٰ بِكَ الْمَوْتُ
 أَمَا تَخْشَىٰ مِنَ الْقَوْتِ
 فَكَمْ تَسْدِرُ فِي السَّبْهُوِ
 وَتَنْصَبُ^(٢) إِلَى اللَّهِوِ
 وَحَتَّامَ تَجَافِيكَ
 طِبَاعاً جُمِعَتْ فِيكَ
 إِذَا أَسْخَطْتَ^(٣) مَوْلَاكَ
 وَإِنْ أَخْفَقَ مَسْعَاكَ
 وَإِنْ لَاحَ لَكَ النَّقْشُ
 وَإِنْ مَرَّ بِكَ النَّعْشُ
 تُعَاصِي النَّاصِحَ الْبَرَّ
 وَتُنْقَادُ^(٥) لِمَنْ غَرَّ^(٦)
 وَتَسْعَىٰ فِي هَوَى النَّفْسِ
 وَتَنْسَى ظُلْمَةَ الرَّمْسِ^(٧)
 وَلَوْ لَاحَظَّكَ الْخُظَّ^(٨)
 وَلَا كُنْتَ إِذَا الْوَعْظُ
 سِتُّذِرِي^(٩) الدَّمَ لَا الدَّمَغُ

أَمَّا أَسْمَعَكَ الصَّوْتُ
 فَتَخْتَاطُ وَتَهْتَمُ
 وَتَخْتَالُ^(١) مِنَ الزَّهْوِ
 كَأَنَّ الْمَوْتَ مَا عَمَّ
 وَإِطَاءُ تَلَافِيكَ
 عُيُوباً شَمَلُهَا انْضَمَّ
 فَمَا تَقْلَقُ مِنْ ذَاكَ
 تَلْظِيْتِ مِنَ الْهَمِّ
 مِنَ الْأَصْفَرِ تَهْتَشُ^(٤)
 تَغَامِمْتَ وَلَا غَمَّ
 وَتَغْتَنَاصُ وَتَزُورُ
 وَمِنْ مَانَ وَمِنْ نَمِّ
 وَتَحْتَالُ عَلَى الْفَلَسِ
 وَلَا تَذْكُرُ مَآثِمَ
 لَمَّا طَاحَ بِكَ اللَّحْظُ
 جَلَا الْأَحْزَانُ تَغْتَمُ
 إِذَا عَايَنْتِ لَا جَمْعُ

(١) تنبختر.

(٢) خالفته وعصيته.

(٣) تطيع وتمثل.

(٤) القبر.

(٥) تصبّ الدمع أو تنحيه بأصبعك.

(٦) تنحدر وتميل.

(٧) الاهتداس: الفرح والطرب.

(٨) خدع.

(٩) الجد والبخت والنصيب.

وَلَا خَالٍ وَلَا عَمٍّ
إِلَى اللَّحْدِ وَتَنْغَطُّ
إِلَى أَضْيَقَ مَنْ سَمٍّ
لِيَسْتَأْكَلَهُ الدَّوْدُ
وَيُمْسِي الْعَظْمَ قَدْرَمٍ^(٣)
مَنْ الْعَرْضِ إِذَا اعْتُدَّ
عَلَى النَّارِ لَمَنْ أُمَّ^(٤)
وَمَنْ ذِي عِزَّةٍ ذَلَّ
وَقَالَ الْخُطْبُ قَدْ طَمَّ^(٥)
لِمَا يَحْلُو بِهِ الْمَرْ^(٦)
وَمَا أَقْلَعْتَ عَنْ ذَمٍّ
وَأَنْ لَانَ وَإِنْ سَرَّ
بِأَفْعَى تَنْفُثُ السَّمَّ
فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا قِيكَ
وَمَا يَنْكُلُ إِنْ هَمَّ
إِذَا سَبَّاعِدَكَ الْجُدَّ

يَقِي فِي عَرِصَةِ الْجَمْعِ^(١)
كَأَنِّي بِكَ تَنْحَطُّ
وَقَدْ أَسْلَمَكَ الرَّهْطُ^(٢)
هُنَاكَ الْجَسْمُ مَمْدُودٌ
إِلَى أَنْ يَنْخَرَّ الْعَوْدُ
وَمَنْ بَعْدُ فَلَا بُدَّ
صِرَاطُ جَسْرِهِ مُدَّ
فَكَمْ مِنْ مُرْشِدٍ ضَلَّ
وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ زَلَّ^(٥)
فَبَادِرْ أَيُّهَا الْغُمَرُ^(٧)
فَقَدْ كَادَ يَهِي الْعُمَرُ
وَلَا تَرْكَنْ إِلَى الدَّهْرِ
فَتُلْفَى كَمَنْ اغْتَرَّ
وَحَفَّضَ مِنْ تَرَاقِيكَ^(٩)
وَسَارَ فِي تَرَاقِيكَ
وَجَانِبُ صَعَرِ الْخُدَّ

(١) لا عشيرة تقيك يوم الحشر.

(٣) بكى، ومنه قوله تعالى: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]؛ أي: بالية.

(٤) قصد.

(٦) طم: علا وعظم، والخطب: الأمر العظيم.

(٨) بالعمل الصالح الذي تنجو به من مرارة الآخرة.

(٩) ترفعك على أفاصيك وأدانيك.

- وَزِمَّ (١) اللفظَ إِنْ نَدَّ (٢) فَمَا أَسْعَدَ مَنْ زَمَّ (٣)
 وَنَفْسٌ عَنْ أَخِي الْبَثَّ (٤) وَصَدَّقْهُ إِذَا نَثَّ (٥)
 وَرَمَّ الْعَمَلَ الرِّثَّ (٦) فَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَمَّ (٦)
 وَرَشُّ مَنْ رِيثُهُ أَنْحَصَّ (٧) بِمَا عَمَّ وَمَا خَصَّ
 وَلَا تَأْسَ (٨) عَلَى النِّقْصِ وَلَا تَحْرِصْ عَلَى اللَّمِّ
 وَعَادِ الْخُلُقَ الرَّذْلَ (٩) وَعَوِّدْ كَفَّكَ الْبِذْلَ
 وَلَا تَسْتَمِعِ الْعَذْلَ (١٠) وَزَوِّدْ نَفْسَكَ الْخَيْرَ
 وَهَيِّئِ مَرْكَبَ السَّيْرِ (١١) وَخَفْ مَنْ لُجَّةِ الْيَمِّ
 بِذَا أُوصِيَتْ يَا صَاحِبَ وَقَدْ بُحْتُ (١٢) كَمَنْ بَاخَ
 فَطُوبَى لِفَتَى رَاحَ بِأَدَابِي يَأْتُمُّ (١٣)

ثُمَّ حَسَرَ رُدْنَهُ (١٤) عَنْ سَاعِدٍ شَدِيدِ الْأَسْرِ، قَدْ شَدَّ عَلَيْهِ جَبَائِرُ الْمَكْرِ لَا الْكُسْرِ، مُتَعَرِّضًا لِلْإِسْتِمَاحَةِ (١٥)، فِي مَعْرِضِ الْوَقَاحَةِ، فَاخْتَلَبَ بِهِ أَوْلَيْكَ الْمَلَا (١٦)، حَتَّى أَتْرَعَ كُمَّهُ وَمَلَا، ثُمَّ انْحَدَرَ مِنَ الرَّبْوَةِ، جَذَلًا (١٧)

- (١) قيد.
 (٢) نفر وذهب شارداً.
 (٣) قَيَّدَ لفظه.
 (٤) الحزن.
 (٥) نشر الكلام.
 (٦) أصلح العمل.
 (٧) تناثر وتساقت.
 (٨) لا تأسف ولا تحزن.
 (٩) الرَّذِي الدَّنِيء.
 (١٠) اللوم الذي يصدك عن البذل.
 (١١) عبارة عن طريق الآخرة.
 (١٢) نطقت وكشفت.
 (١٣) يقتدي.
 (١٤) كُمَّهُ.
 (١٥) الاستعطاء.
 (١٦) الأشراف، وقيل: الجماعة.
 (١٧) فرحاً.

بالحَبْوة^(١)، قَالَ الراوي: فَجَاذَبْتُهُ^(٢) مِنْ وَرَائِهِ، حَاشِيَةً رِدَائِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيَّ مُسْتَسْلِمًا، وَوَاجَهَنِي مُسْلِمًا، فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا أَبُو زَيْدٍ بَعِينِهِ، وَمِينِهِ^(٣)، فَقُلْتُ لَهُ:

إِلَى كَمْ يَا أَبَا زَيْدٍ أَفَانِينُكَ فِي الْكِيدِ
لِيَنْحَاشَ^(٤) لَكَ الصَّيْدُ وَلَا تَغُوبَا بَمَنْ ذِمَّ^(٥)

فَأَجَابَ مِنْ غَيْرِ اسْتِحْيَاءٍ، وَلَا ارْتِيَاءٍ^(٦)، وَقَالَ:

تَبَصَّرْ وَدَعِ الْيَوْمَ وَقُلْ لِي هَلْ تَرَى الْيَوْمَ
فَتَى لَا يَقْمُرُ الْقَوْمُ مَتَى مَا دَسَّيْتُهُ^(٧) تَمَّ

فَقُلْتُ لَهُ: بَعْدًا^(٨) لَكَ يَا شَيْخَ النَّارِ، وَزَامِلَةَ الْعَارِ! فَمَا مَثْلُكَ فِي طُلَاوَةِ^(٩) عَلَانِيَتِكَ^(١٠)، وَخُبْتُ نَيْتِكَ، إِلَّا مَثَلُ رَوْثٍ مَفْضَضٍ، أَوْ كَنِيفٍ مَبْيَضٍ، ثُمَّ تَفَرَّقْنَا فَانْطَلَقْتُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَانْطَلَقَ ذَاتَ الشَّمَالِ، وَنَاوَحْتُ^(١١) مَهَبَّ الْجَنُوبِ وَنَاوَحَ مَهَبَّ^(١٢) الشَّمَالِ.



- | | |
|---------------------------|------------------------------|
| (١) بالعطية. | (٢) نازعته. |
| (٣) بنفسه وكذبه. | (٤) ليجتمع وينحاز. |
| (٥) بمن نقص. | (٦) تفكر وتأمل من الرأي. |
| (٧) حيلته وخداعه. | (٨) هلاكًا. |
| (٩) هي حسن الشيء ونضارته. | (١٠) ظاهر أمرك. |
| (١١) قابلت. | (١٢) مهَبَّ الرِّيح: مخرجها. |

المَقَامَةُ الثَّانِيَّةُ عَشْرَةُ الدَّمَشْقِيَّةُ

حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: شَخَصْتُ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الْغَوَاطَةِ، وَأَنَا ذُو جُرْدٍ (١) مَرْبُوطَةٌ، وَجِدَّةٌ مَغْبُوطَةٌ (٢)، يُلْهِينِي خُلُوعُ الذَّرْعِ، وَيَزِدُّهُنِي حُفُولُ الضَّرْعِ، فَلَمَّا بَلَغْتُهَا بَعْدَ شَقِّ النَّفْسِ، وَإِنْضَاءِ الْعَنْسِ (٣)، أَلْفَيْتُهَا (٤) كَمَا تَصِفُهَا الْأَلْسُنُ، وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ، وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ، فَشَكَرْتُ يَدَ النَّوَى (٥)، وَجَرَيْتُ طَلَقًا مَعَ الْهَوَى، وَطَفِقتُ (٦) أَفْضَرَ خُتُومِ الشَّهَوَاتِ، وَأَجْتَنِي قُطُوفَ اللَّذَاتِ، إِلَى أَنْ شَرَعَ سَفَرٌ (٧) فِي الْإِعْرَاقِ (٨)، وَقَدْ اسْتَفَقْتُ (٩) مِنَ الْإِعْرَاقِ، فَعَادَنِي عِيدٌ مِنْ تَذْكَارِ الْوَطَنِ، وَالْحَنِينِ إِلَى الْعَطَنِ، فَقَوَّضْتُ خِيَامَ الْغَيْبَةِ، وَأَسْرَجْتُ جَوَادَ الْأَوْبَةِ.

وَلَمَّا تَاهَبَتِ (١٠) الرَّفَاقُ، وَاسْتَتَبَّ الْإِتِّفَاقُ، أَلْحَنَا مِنَ الْمَسِيرِ، دُونَ اسْتِصْحَابِ الْخَفِيرِ، فَرُدُّنَاهُ (١١) مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ، وَأَعْمَلْنَا فِي تَحْصِيلِهِ أَلْفَ حِيلَةٍ، فَأَعُوَزَ وَجْدَانُهُ فِي الْأَحْيَاءِ، حَتَّى خَلْنَا (١٢) أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْأَحْيَاءِ

(٢) مُتَمَنِّي مِثْلَهَا.

(٤) وَجَدْتُهَا.

(٦) أَخَذْتُ وَشَرَعْتُ.

(٨) فِي الذَّهَابِ إِلَى الْعِرَاقِ.

(١٠) تَهَيَّأتُ.

(١٢) حَسَبْنَا.

(١) صَاحِبُ خَيْلٍ قَصِيرَةٍ الشَّعْرِ مِنَ التَّنْعَمِ.

(٣) وَإِهْزَالِ النَّاقَةِ الصَّلْبَةِ.

(٥) نِعْمَةُ الْفِرَاقِ.

(٧) مَسَافِرُونَ.

(٩) أَفَقْتُ.

(١١) فَطَلَبْنَاهُ.

فخارت لعوزه عُزُومُ السَّيَّارَةِ (١)، وانتَدَوْا (٢) بِيَابِ جَيَّرُونَ للاستِشَارَةِ، فَمَا زَالُوا بَيْنَ عَقْدٍ وَحَلٍّ، وَشَزَرَ وَسَحَلٍ، إِلَى أَنَّ نَفِدَ التَّنَاجِي، وَقَنَطَ الرَّاجِي (٣)، وَكَانَ حَدَثَهُمْ (٤) شَخْصٌ مِيسَمُهُ (٥) مِيسَمُ الشَّبَانِ، وَلَبَّوسُهُ لَبُوسُ الرُّهْبَانِ (٦)، وَبِيَدِهِ سُبْحَةُ النَّسْوَانِ (٧)، وَفِي عَيْنِهِ تَرْجَمَةُ النَّشْوَانِ (٨)، وَقَدْ قَيَّدَ لَحْظَهُ بِالْجَمْعِ، وَأَرْهَفَ أذُنُهُ لَاسْتِرَاقِ السَّمْعِ، فَلَمَّا أَنَّى انْكِفَاؤُهُمْ، وَقَدْ بَرَحَ لَهُ خَفَاؤُهُمْ (٩)، قَالَ لَهُمْ: يَا قَوْمُ لِيُفْرِخَ كَرْبُكُمْ، وَلِيَأْمَنَ سِرْبُكُمْ، فَسَاخَفَرُكُمْ (١٠) بِمَا يَسْرُو رَوْعَكُمْ، وَيَبْدُو طَوْعَكُمْ، قَالَ الرَّاوي: فَاسْتَطَلَعْنَا مِنْهُ طَلْعَ الْخِفَارَةِ، وَأَسْنَيْنَا (١١) لَهُ الْجَعَالَةَ (١٢) عَنِ السَّفَارَةِ (١٣)، فزَعَمَ أَنَّهَا كَلِمَاتٌ لُقْنَهَا فِي الْمَنَامِ، لِيَحْتَرِسَ بِهَا مِنْ كَيْدِ الْأَنَامِ، فَجَعَلَ بَعْضُنَا يَوْمِضُ إِلَى بَعْضٍ، وَيَقْلَبُ طَرْفِيهِ بَيْنَ لَحْظٍ وَغَضٍّ، وَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّا اسْتَضَعَفْنَا الْخَبَرَ، وَاسْتَشْعَرْنَا الْخَوَرَ، فَقَالَ: مَا بِالْكُمُ اتَّخَذْتُمْ جِدِّي عِبْثًا، وَجَعَلْتُمْ تَبْرِي خَبْثًا؟ وَلَطَلَمَّا وَاللَّهِ جُبْتُ (١٤) مَخَاوِفَ الْأَقْطَارِ، وَوَلَجْتُ (١٥) مَقَاحِمَ الْأَخْطَارِ، فَغَنَيْتُ بِهَا عَنْ مُصَاحَبَةِ جَفِيرٍ (١٦)، وَاسْتِصْحَابِ جَفِيرٍ، ثُمَّ إِنِّي

- | | |
|--|--|
| (١) القافلة. | (٢) اجتمعوا. |
| (٣) يَتَسَّ الْأَمِل. | (٤) حذاءهم. |
| (٥) علامته. | (٦) جمع راهب، وهو: الزَّاهِد. |
| (٧) هي خرزات يَسْبُحْنَ بعددها. | (٨) أَمَارَةُ السَّكْرَانِ. |
| (٩) ظهر لهم باطن أمرهم. | (١٠) أَجِيرُكُمْ وَأَحْمِيكُمْ وَالاسْمُ الْخِفَارَةُ. |
| (١١) أَعْلَيْنَا. | (١٢) أَجْرَةُ الْأَجِيرِ. |
| (١٣) مصدر، ومنه السفير، وهو: الْمُصْلِحُ بَيْنَ الْقَوْمِ. | |
| (١٤) قطعت. | (١٥) دخلت. |
| (١٦) جعبة السَّهَامِ. | |

سَأْنَفِي مَا رَابِكُمْ، وَأَسْتَسِلُّ الْحَذَرَ الَّذِي نَابِكُمْ، بَأْنَ أُوَافِقُكُمْ فِي الْبَدَاوَةِ ^(١)،
وَأُرَافِقُكُمْ فِي السَّمَاءِ، فَإِنْ صَدَقْتُكُمْ وَعُدِّي، فَأَجِدُوا سَعْدِي ^(٢)، وَأُسْعِدُوا
جِدِّي، وَإِنْ كَذَبْتُكُمْ فَمِي، فَمَزَّقُوا أَدَمِي ^(٣)، وَأَرِيقُوا دَمِي.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَأَلْهَمْنَا تَصْدِيقَ رُؤْيَاهُ، وَتَحْقِيقَ مَا رَوَاهُ،
فَنَزَعْنَا ^(٤) عَنْ مُجَادَلَتِهِ، وَاسْتَهَمْنَا عَلَى مُعَادَلَتِهِ، وَفَصَمْنَا بِقَوْلِهِ عُرَى
الرِّبَاثِ، وَالْغَيْنَا ^(٥) اتِّقَاءَ الْعَابِثِ وَالْعَائِثِ، وَلَمَّا عُكِمَتِ الرَّحَالُ، وَأَزْفَ
التَّرْحَالُ، اسْتَنْزَلْنَا كَلِمَاتِهِ الرَّاقِيَةَ، لِنَجْعَلَهَا الْوَاقِيَةَ الْبَاقِيَةَ، فَقَالَ: لِيَقْرَأْ كُلُّ
مَنْكُمْ أَمَّ الْقُرْآنِ، كُلَّمَا أَظَلَّ الْمَلَوَانِ ^(٦)، ثُمَّ لِيَقُلْ بِلِسَانٍ خَاضِعٍ، وَصَوْتٍ
خَاشِعٍ: اللَّهُمَّ يَا مُحْيِيَ الرُّفَاتِ، وَيَا دَافِعَ الْآفَاتِ، وَيَا وَاقِيَ الْمَخَافَاتِ، وَيَا
كَرِيمَ الْمُكَافَاةِ، وَيَا مَوْتِلَ ^(٧) الْعُقَاةِ ^(٨)، وَيَا وَلِيَّ الْعَفْوِ وَالْمُعَافَاةِ، صَلِّ عَلَى
مُحَمَّدٍ خَاتِمِ أَنْبِيَائِكَ، وَمَبْلُغِ أَنْبَائِكَ، وَعَلَى مَصَابِيحِ أَسْرَتِهِ، وَمِفَاتِيحِ
نُصْرَتِهِ، وَأَعِزَّنِي مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَنَزَوَاتِ السَّلَاطِينِ، وَإِعْنَاتِ
الْبَاغِينَ، وَمُعَانَاةِ الطَّاغِينَ، وَمُعَادَاةِ الْعَادِينَ، وَعُدْوَانِ الْمُعَادِينَ، وَغَلَبِ
الْغَالِبِينَ، وَسَلَبِ السَّالِبِينَ، وَحِيلِ الْمُحْتَالِينَ، وَغِيَلِ الْمُغْتَالِينَ ^(٩)،
وَأَجِرْنِي اللَّهُمَّ مِنْ جَوْرِ الْمُجَاوِرِينَ، وَمُجَاوَرَةِ الْجَائِرِينَ، وَكُفَّ عَنِّي أَكُفَّ
الضَّائِمِينَ ^(١٠)، وَأَخْرِجْنِي مِنْ ظُلُمَاتِ الظَّالِمِينَ، وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي

(١) السَّيْرِ فِي الْبَادِيَةِ.

(٢) فَقَطَّعُوا جِلْدِي وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنْ هَتِكِ الْعَرَضِ.

(٣) كَفَفْنَا.

(٤) تَرَكَنَا.

(٥) مُرْجِعٌ وَمُلْجَأٌ.

(٦) دَنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

(٧) جَمَعَ الْعَافِي، وَهُوَ: طَالِبُ الْعَفْوِ وَهُوَ الْفَضْلُ.

(٨) جَمَعَ غِيْلَةً، اسْمٌ مِنَ الْإِغْيَالِ، وَهُوَ: الْإِهْلَاكُ وَالْمُغْتَالِينَ الْمُهْلَكِينَ.

(٩) أَيْدِي الظَّالِمِينَ الْمَذْلُومِينَ.

عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ حُطْنِي^(١) فِي تَرْبَتِي^(٢)، وَغُرْبَتِي، وَغِيَّتِي،
 وَأَوْبَتِي^(٣)، وَنُجْعَتِي، وَرَجْعَتِي، وَتَصَرُّفِي^(٤)، وَمُنْصَرَفِي، وَتَقَلُّبِي،
 وَمُنْقَلَبِي، وَاحْفَظْنِي فِي نَفْسِي، وَنَفَائِسِي، وَعَرَضِي، وَعَرَضِي، وَعَدَدِي،
 وَعُدْدِي، وَسَكْنِي، وَمَسْكْنِي، وَحَوْلِي^(٥)، وَحَالِي، وَمَالِي وَمَالِي، وَلَا
 تُلْحِقْ بِي تَغْيِيرًا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مُغْيِرًا، وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا
 نَصِيرًا، اللَّهُمَّ احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ^(٦)، وَعَوْنِكَ، وَاخْصُصْنِي بِأَمْنِكَ، وَمَنْكَ،
 وَتَوَلَّنِي بِاخْتِيَارِكَ وَخَيْرِكَ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى كِلَآءَةٍ غَيْرِكَ، وَهَبْ لِي عَافِيَةً غَيْرَ
 عَافِيَةٍ، وَارْزُقْنِي رِفَافِيَةً غَيْرَ وَاهِيَةٍ^(٧)، وَاكْفِنِي مَخَاشِي^(٨) اللَّأَوَاءِ^(٩)،
 وَاكْفِنِي بَغَوَاشِي الْآلَاءِ، وَلَا تُظْفِرْ بِي أَظْفَارَ الْأَعْدَاءِ، إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.
 ثُمَّ أَطْرَقَ لَا يُدِيرُ لِحْظًا، وَلَا يُحِيرُ لَفْظًا^(١٠)، حَتَّى قُلْنَا: قَدْ أَبْلَسَتْهُ خَشْيَةٌ،
 أَوْ أَخْرَسَتْهُ غَشْيَةٌ، ثُمَّ أَقْنَعَ رَأْسَهُ، وَصَعَدَ أَنْفَاسُهُ، وَقَالَ: أَقْسِمُ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ
 الْأَبْرَاجِ، وَالْأَرْضِ ذَاتِ الْفِجَاجِ^(١١)، وَالْمَاءِ الثَّجَاجِ، وَالسَّرَاجِ الْوَهَّاجِ،
 وَالْبَحْرِ الْعَجَّاجِ، وَالْهَوَاءِ وَالْعَجَّاجِ، إِنَّهَا لِمَنْ أَيْمَنَ الْعَوْدِ، وَأَغْنَى عَنْكُمْ مَنْ
 لَا يَسِي الْخَوْذَ^(١٢)، مَنْ دَرَسَهَا عِنْدَ ابْتِسَامِ الْفَلَقِ^(١٣)، لَمْ يُشْفَقْ مِنْ
 خُطْبِ إِلَى الشَّفَقِ، وَمَنْ نَاجَى بِهَا طَلِيعَةَ الْغَسَقِ^(١٤)، أَمِنَ لَيْلَتَهُ مِنْ

(١) احفظني.

(٢) بلدتي ووطني.

(٣) رجعتي.

(٤) في مشاغلي.

(٥) قوتي.

(٦) يحفظك.

(٧) ضعيفة.

(٨) مخاوف.

(٩) الشدة والضيق.

(١٠) الطرق الواسعة.

(١١) الخوذ - بفتح الواو - جمع خوذ، وهي البيضة من الحديد يلبسها الفارس في رأسه عند

الحرب؛ يعني: أن قراءة هذه العوذة تكفي في دفع المضرة.

(١٢) انبلاج الصبح.

(١٣) أول دخول ظلمة الليل.

(١٤) أول دخول ظلمة الليل.

السَّرَقِ ، قَالَ : فَتَلَقَّيْنَاهَا حَتَّى أَتَقَنَّاهَا ، وَتَدَارَسْنَاهَا لَكَيْ لَا نَسَاهَا ، ثُمَّ سَرِنَا
 نُزْجِي^(١) الْحَمُولَاتِ ، بِالِدَّعَوَاتِ لَا بِالْحُدَاةِ ، وَنَحْمِي الْحُمُولَاتِ ،
 بِالْكَلِمَاتِ لَا بِالْكُمَاةِ ، وَصَاحِبُنَا يَتَعَهَّدُنَا بِالْعَشِيِّ وَالْغَدَاةِ ، وَلَا يَسْتَنْجِزُ مِنَّا
 الْعِدَاتِ^(٢) ، حَتَّى إِذَا عَايَنَّا أَطْلَالَ عَانَةَ ، قَالَ لَنَا : الْإِعَانَةُ الْإِعَانَةُ^(٣) !
 فَأَحْضَرَنَاهُ الْمَعْلُومَ وَالْمَكْتُومَ ، وَأَرَيْنَاهُ الْمُعْكَومَ^(٤) وَالْمَخْتُومَ ، وَقُلْنَا لَهُ : اقْضِ
 مَا أَنْتَ قَاضٍ ، فَمَا تَجِدُ فِينَا غَيْرَ رَاضٍ ، فَمَا اسْتَخَفَّهُ سِوَى الْخِفِّ وَالزَّيْنِ^(٥) ،
 وَلَا حَلِيٍّ بَعِينِهِ غَيْرُ الْحَلِيِّ وَالْعَيْنِ ، فَاحْتَمَلَ مِنْهُمَا وَفَرَهُ^(٦) ، وَنَاءَ بِمَا يَسُدُّ
 فَقَرَهُ ، ثُمَّ خَالَسَنَا^(٧) مُخَالَسَةَ الطَّرَارِ ، وَانْصَلَّتْ مِنَّا انْصِلَاتِ الْفَرَارِ ، فَأَوْحَشَنَا
 فِرَاقَهُ ، وَأَدْهَشَنَا امْتِرَاقَهُ^(٨) ، وَلَمْ نَزَلْ نَنْشُدُهُ بِكَلِّ نَادٍ ، وَنَسْتَخْبِرُ عَنْهُ كُلَّ
 مُغَوٍّ^(٩) وَهَادٍ ، إِلَى أَنْ قِيلَ : إِنَّهُ مُذْ دَخَلَ عَانَةَ ، مَا زَايَلَ الْحَانَةَ ، فَأَغْرَانِي
 خُبْتُ هَذَا الْقَوْلِ بِسَبْكِهِ^(١٠) ، وَالْانْسِلَاكِ^(١١) فِيمَا لَسْتُ مِنْ سِلْكِهِ ،
 فَادْلَجْتُ إِلَى الدَّسْكَرَةِ ، فِي هَيْئَةٍ مَنَكْرَةٍ ، فَإِذَا الشَّيْخُ فِي حُلَّةٍ مَمَصْرَةٍ ، بَيْنَ
 دِنَانٍ وَمِعْصَرَةٍ ، وَحَوْلَهُ سِقَاةٌ تَبْهَرُ ، وَشُمُوعٌ تَزْهَرُ وَأَسٌّ وَعَبْهَرُ^(١٢) ، وَمِزْمَارٌ
 وَمِزْهَرٌ ، وَهُوَ تَارَةً يَسْتَبْزِلُ الدَّنَانَ ، وَطَوْرًا يَسْتَنْطِقُ الْعِيدَانَ ، وَدَفْعَةً يَسْتَنْشِقُ
 الرِّيحَانَ ، وَأُخْرَى يُغَازِلُ^(١٣) الْغِزْلَانَ ، فَلَمَّا عَثَرْتُ عَلَى لَبْسِهِ ، وَتَفَاوُتِ يَوْمِهِ

(١) نسوق . (٢) جمع عِدَّة ، من الوَعْد .

(٣) أَعَيْنُونِي أَعِينُونِي .

(٤) المتاع المشدود .

(٥) حملته .

(٦) خروجه بسرعة .

(٧) خادعنا وهرب .

(٨) بتجربته .

(٩) مضل ، ضدَّ الهادي .

(١٠) الدخول .

(١١) يلاعِب .

(١٢) نرجس أو ياسمين .

(١٣) نرجس أو ياسمين .

مَنْ أَمْسَهُ، قُلْتُ: أَوْلَى لَكَ يَا مُلْعُونُ، أُنْسِيتَ يَوْمَ جَيْرُونَ^(١)؟ فَضَحِكَ مُسْتَغْرِباً^(٢)، ثُمَّ أَنْشَدَ مُطَرَّباً:

لَزِمْتُ السَّفَارَ وَجُبْتُ الْقِفَارَ
وَحُضْتُ السَّيُولَ وَرُضْتُ الْخَيُولَ
وَمَطْتُ الْوَقَارَ وَبَعْتُ الْعُقَارَ
وَلَوْلَا الطَّمَّاحُ إِلَى شَرْبِ رَاحٍ
وَلَا كَانَ سَاقَ دَهَائِي^(٥) الرِّفَاقُ
فَلَا تَغْضَبَنَّ وَلَا تَصْخَبَنَّ^(٦)
وَلَا تَعْجَبَنَّ لِشَيْخِ أَبْنٍ
فَإِنَّ الْمُدَامَ تُقْوِي الْعِظَامَ
وَأُصْفَى السَّرُورَ إِذَا مَا الْوَقُورُ
وَأَحْلَى الْغَرَامَ إِذَا الْمُسْتَهَامَ^(٩)
فَبُحْ بِهِوَكَ وَبِرْدٌ حَشَاكَ
وَدَاوِ الْكُلُومَ^(١٠) وَسَلِّ الْهُمُومَ
وُخْصَ الْغَبُوقَ بِسَاقٍ يَسُوقُ

وَعَفْتُ النَّفَارَ^(٣) لِأَجْنِي الْفَرَحِ
لَجَرِّ ذُيُولِ الصَّبَى وَالْمَرْحِ
لِحَسَنِ الْعُقَارِ وَرَشْفِ الْقَدَحِ
لَمَا كَانَ بَاحَ فَمِي بِالْمَلَحِ^(٤)
لَأَرْضِ الْعِرَاقِ بِحِمْلِ السُّبْحِ
وَلَا تَعْتَبَنَّ فِعْذَرِي وَضَحِ
بِمَغْنَى أَغْنٍ وَدَنَّ طَفَحِ^(٧)
وَتَشْفِي السَّقَامَ وَتَنْفِي التَّرَحِ^(٨)
أَمَاطَ سُتُورَ الْحَيَا وَاطَّرَحَ
أَزَالَ اكْتِتَامَ الْهَوَى وَافْتَضَحَ
فَرَزْنَدُ أَسَاكَ بِهِ قَدْ قَدَحَ
بَبْنَتِ الْكُرُومِ الَّتِي تُقْتَرَحُ
بَلَاءَ الْمَشُوقِ إِذَا مَا طَمَحُ^(١١)

(٢) مَبَالِغًا.

(١) هِيَ الشَّامُ.

(٣) كَرِهَتْ الْبُعْدَ وَالْفَرَارَ عَنْكُمْ.

(٥) مَكْرِي.

(٤) جَمَعَ مِلْحَةً، وَهُوَ مَا يَسْتَمْلَحُ مِنَ الْكَلَامِ.

(٦) الصَّخْبُ: الصِّيَاحُ، وَهُوَ قَبِيحٌ، خُصُوصًا مِنَ الرِّجَالِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «وَلَا صَخَابًا فِي الْأَسْوَاقِ».

(٨) الْحَزَنُ.

(٧) امْتَلَأَ وَفَاضَ.

(١٠) هِيَ الْجَرَّاحُ.

(٩) الْعَاشِقُ الْهَائِمُ ذَاهِبَ الْقَلْبِ.

(١١) أَبْعَدَ نَظْرَهُ وَأَشْخَصَهُ.

وَشَادُ يُشِيدُ بِصَوْتِ تَمِيدٍ^(١) جَبَالُ الْحَدِيدِ لَهُ إِنْ صَدَحَ
وَعَاَصِرُ النَّصِيحِ^(٢) الَّذِي لَا يُبِيحُ وَصَالُ الْمَلِيحِ إِذَا مَا سَمَحَ
وَجُلُ فِي الْمَحَالِ^(٣) وَلَوْ بِالْمَحَالِ وَدُعُ مَا يُقَالُ^(٤) وَخُذْ مَا صَلَحَ
وَفَارِقُ أَبَاكَ إِذَا مَا أَبَاكَ وَمُدُّ الشَّبَاكَ وَصَدُّ مَنْ سَنَحَ^(٥)
وَصَافُ الْخَلِيلِ وَنَافُ^(٦) الْبَخِيلِ وَأَوَّلُ الْجَمِيلِ وَوَالُ الْمَنَحِ
وَلُذُّ بِالْمَتَابِ أَمَامَ الذَّهَابِ فَمَنْ دَقَّ بَابَ كَرِيمٍ فَتَحَ
فَقُلْتُ لَهُ: بَخِ بَخِ^(٧) لِرَوَايَتِكَ، وَأُفٍّ وَتَفٍّ لِعَوَايَتِكَ^(٨)! فَبِاللَّهِ مِنْ أَيْ
الْأَعْيَاصِرِ عَيْصُكَ، فَقَدْ أَعْضَلَنِي عَوِيصُكَ؟

فَقَالَ: مَا أَحَبُّ أَنْ أَفْصَحَ عَنِّي، وَلَكِنْ سَأُكْنِي:
أَنَا أَطْرُوفَةُ الزَّمَا نِ وَأُغْجُوبَةُ الْأُمَمِ
وَأَنَا الْحُورُلُ^(٩) الَّذِي أَحْـ تَالِ فِي الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
غَيْرَ أَنِّي ابْنُ حَاجَةٍ هَاضَهُ^(١٠) الدَّهْرُ فَاهْتَضَمَ^(١١)
وَأَبُوصَبِيَّةٌ بَدَوًا مَثَلُ لَحْمٍ عَلَى وَضَمٍ
وَأَخُو الْعَيْلَةِ الْمُعِيـ لُ إِذَا احْتَالَ لَمْ يُلَمْ
قَالَ الرَّأْوِي: فَعَرَفْتُ حِينَئِذٍ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٍ ذُو الرِّيبِ وَالْعَيْبِ، وَمُسَوِّدُ وَجْهِهِ

- (١) تميل وتتحرّك.
(٢) خالف الناصح.
(٣) بالكسر - المكر والخديعة.
(٤) أي: أترك ما يقوله الجهال.
(٥) عرض وأقبل.
(٦) أبعد.
(٧) كلمة تُقَالُ عند استحسان الشيء مكررة يجوز فيها تسكين الخاء وكسرها منونة.
(٨) لضلالتك.
(٩) الكثير الحيلة.
(١٠) ظلّمه وكسره.
(١١) ذل ونقص.

الشَّيْبِ، وساءني عِظْمُ تَمَرْدِهِ، وَقُبْحُ تَوَرُّدِهِ^(١)، فَقُلْتُ لَهُ بِلِسَانِ الْأَنْفَةِ^(٢)،
وإِدْلَالِ الْمَعْرِفَةِ: أَلَمْ يَأْنِ لَكَ يَا شَيْخَنَا، أَنْ تُقْلَعَ عَنِ الْخَنَا^(٣)؟ فَتَضَجَرَ
وَزَمَجَرَ^(٤)، وَتَنَكَّرَ وَفَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهَا لَيْلَةُ مِرَاجٍ لَا تَلَاحِ، وَنُهْزَةُ شُرْبٍ
رَاحٍ لَا كِفَاحٍ، فَعَدَّ عَمَّا بَدَأَ، إِلَى أَنْ نَتَلَقَى غَدَا، فَفَارَقْتُهُ فَرَقًا مِنْ
عَرَبِدَّتِهِ^(٥)، لَا تَعْلُقًا بِعِدَّتِهِ، وَبَيْتٌ لَيْلَتِي لِابْسَاءِ حَدَادِ النَّدَمِ، عَلَى نَقْلِي خُطَى
الْقَدَمِ، إِلَى ابْنَةِ الْكَرَمِ لَا الْكَرَمِ، وَعَاهَدْتُ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَلَّا أَحْضُرَ
بَعْدَهَا حَانَةَ نَبَازٍ^(٦)، وَلَوْ أُعْطِيتُ مُلْكَ بَغْدَادِ، وَأَلَّا أَشْهَدَ مَعْصَرَةَ الشَّرَابِ،
وَلَوْ رُدُّ عَلَيَّ عَصْرُ الشَّبَابِ، ثُمَّ إِنَّا رَحَلْنَا الْعِيسَ^(٧)، وَقَتَ التَّغْلِيسِ^(٨)،
وَخَلَيْنَا بَيْنَ الشَّيْخَيْنِ أَبِي زَيْدٍ وَابْلِيسَ.



(١) وروده في مناهل المخازي.

(٢) الحمية.

(٣) الفعش.

(٤) صاح، والزَّمَجَرَةُ: صوت الأسد.

(٥) العريدة: سُوءُ خُلُقِ السَّكْرَانِ.

(٦) بَيْتُ خَمَّارٍ.

(٧) الإبل البيض.

(٨) السير وقت الغلس وهو: ظلمة آخر الليل.

المقامة الثالثة عشرة البغدادية

رَوَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: نَدَوْتُ بَضَوَاحِي الزُّورَاءِ، مَعَ مَشِيخَةٍ ^(١) مِنْ الشَّعْرَاءِ، لَا يَعْلَقُ لَهُمْ مُبَارٍ بِغُبَارٍ، وَلَا يَجْرِي مَعَهُمْ مُمَارٍ ^(٢) فِي مِزْمَارٍ، فَأَفْضَنَا فِي حَدِيثٍ يَفْضَحُ الْأَزْهَارَ، إِلَى أَنْ نَصَفْنَا النَّهَارَ، فَلَمَّا غَاضَ دُرُّ الْأَفْكَارِ، وَصَبَتْ ^(٣) النَّفُوسُ إِلَى الْأَوْكَارِ ^(٤)، لَمَحْنَا عَجُوزًا تُقْبِلُ مِنَ الْبُعْدِ، وَتُحْضِرُ إِحْضَارَ الْجُرْدِ، وَقَدْ اسْتَتَلَتْ صَبِيَّةً أَنْحَفَ مِنَ الْمَغَازِلِ، وَأَضْعَفَ مِنَ الْجَوَازِلِ ^(٥)، فَمَا كَذَّبْتُ إِذْ رَأَتْنَا، أَنْ عَرَّتْنَا ^(٦)، حَتَّى إِذَا مَا حَضَرْتَنَا، قَالَتْ: حَيَّا اللَّهُ الْمَعَارِفَ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَارِفَ، اعْلَمُوا يَا مَالَ الْأَمَلِ، وَثِمَالَ الْأَرَامِلِ، أَنِّي مِنْ سُرَوَاتِ ^(٧) الْقَبَائِلِ، وَسَرَيَّاتِ ^(٨) الْعَقَائِلِ ^(٩)، لَمْ يَزَلْ أَهْلِي وَبُعْلِي يَحْلُونَ الصَّدْرَ، وَيَسِيرُونَ الْقَلْبَ، وَيُمُطُونَ الظَّهْرَ، وَيُولُونَ الْيَدَ، فَلَمَّا أَرْدَى الدَّهْرُ الْأَعْضَادَ ^(١٠)، وَفَجَعَ بِالْجَوَارِحِ الْأَكْبَادَ، وَانْقَلَبَ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، نَبَا النَّاطِرُ، وَجَفَا الْحَاجِبُ، وَذَهَبَتِ الْعَيْنُ، وَفُقِدَتِ الرَّاحَةُ، وَصَلَدَ الزَّئِدُ، وَوَهَنَتِ الْيَمِينُ ^(١١)، وَضَاعَ الْيَسَارُ، وَبَانَتْ الْمُرَافِقُ،

(١) جماعة من الشيوخ.

(٢) من المماراة، وهي: المجادلة.

(٣) مالت.

(٤) جمع وكر، وهو: بيت الطائر.

(٥) جمع جوزل، وهو: فرخ الحمامة.

(٦) قصدتنا.

(٧) سراة جمع سري، وهو: السَّخِيُّ ذُو الْمُرُوءَةِ.

(٨) جمع سرية، وهي: الكريمة الجيدة.

(٩) جمع سرية، وهي: الرفيعة القدر.

(١٠) ضعف القوة.

(١١) الأعوان.

وَلَمْ يَبْقَ لَنَا ثَنِيَّةٌ وَلَا نَابٌ، فَمَدُّ اغْبَرَّ الْعَيْشُ الْأَخْضَرَ^(١)، وَازْوَرَّ الْمَحْبُوبُ
الْأَصْفَرَ، اسْوَدَّ يَوْمِي الْأَبْيَضُ، وَابْيَضَ فَوْدِي الْأَسْوَدُ، حَتَّى رَثَى لِي^(٢)
الْعَدُوَّ الْأَزْرَقُ^(٣)، فَجَبَّذَا الْمَوْتَ الْأَحْمَرَ! وَتَلَوِي مَنْ تَرَوَّنَ عَيْنُهُ فُرَارُهُ،
وَتَرْجُمَانُهُ أَصْفَرَارُهُ، قُصُوى بَغِيَّةٍ أَحَدِهِمْ ثُرْدَةٌ، وَقُصَارَى أُمْنِيَّتِهِ بُرْدَةٌ^(٤)،
وَكُنْتُ أَلَيْتُ^(٥) إِلَّا أَبْذَلَ الْحَرَّ، إِلَّا لِلْحَرِّ، وَلَوْ أَنِّي مِتُّ مِنَ الضَّرِّ، وَقَدْ
نَاجَتْنِي الْقَرَوْنَةُ^(٦)، بَأَنْ تَوْجَدَ عِنْدَكُمْ الْمَعُونَةُ، وَأَذْنَتْنِي فِرَاسَةُ الْخَوْبَاءِ،
بَأَنَّكُمْ يَنَابِيعُ الْحَبَاءِ، فَضَرَّ اللَّهُ أَمْرًا أَبْرَ قَسَمِي، وَصَدَّقَ تَوْسَمِي^(٧)، وَنَظَرَ
إِلَيَّ بَعَيْنٍ يُقْذِيهَا الْجُمُودُ^(٨)، وَيُقْذِيهَا الْجُودُ.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَهَمْنَا لِبَرَاةٍ عِبَارَتِهَا، وَمُلِحَ اسْتِعَارَتِهَا، وَقُلْنَا
لَهَا: قَدْ فَتَنَ كَلَامُكَ، فَكَيْفَ الْحَامُكَ؟ فَقَالَتْ: أَفَجَرُ الصَّخَرِ، وَلَا
فَخْرًا! فَقُلْنَا: إِنْ جَعَلْتَنَا مِنْ رُؤَاتِكَ^(٩)، لَمْ نَبْخُلْ بِمُؤَاسَاتِكَ.

فَقَالَتْ: لِأُرَيْنَكُمْ أَوَّلًا شِعَارِي، ثُمَّ لِأُرَوِّبَكُمْ أَشْعَارِي، فَأَبْرَزَتْ رُؤْدَنَ
دِرْعٍ دَرِيسٍ، وَبَرَزَتْ بَرْزَةَ عَجُوزٍ دَرْدَبِيسٍ^(١٠)، وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:
أَشْكُو إِلَى اللَّهِ اشْتِكَاءَ الْمَرِيضِ رَبِّ الزَّمَانِ^(١١) الْمُتَعَدِّي الْبَغِيضِ
يَا قَوْمُ إِنِّي مِنْ أَنْاسٍ غَنُوا دَهْرًا وَجَفَنَ الدَّهْرُ عَنْهُمْ غَضِيضُ
فَخَارَهُمْ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ وَصِيَّتُهُمْ^(١٢) بَيْنَ الْوَرَى مُسْتَفِيضُ

(١) كناية عن المعيشة الطيبة.

(٣) أي: شديد العداوة.

(٥) حلفت.

(٧) ما توسمته فيكم وطننته.

(٩) الراوين لشعرِكَ.

(١١) جوره، كما في بعض النسخ.

(٢) رحمني.

(٤) منتهى ما يتمناه كساء يلبسه.

(٦) هي النفس.

(٨) يريد به البخل.

(١٠) مسنة ذات مكر ودهاء.

(١٢) ما يذكر وينشر من ذكركم الحميد.

فِي السَّنَةِ الشَّهْبَاءِ رَوْضاً أَرِيضُ^(٢)
وَيُطْعَمُونَ الضَّيْفَ لَحْماً غَرِيضُ^(٤)
وَلَا لَرَوْعٍ قَالَ حَالَ الْجَرِيضُ
بِحَارِ جُودٍ لَمْ نَخْلُهَا تَغِيضُ
أُسْدَ التَّحَامِي وَأُسَاةَ^(٨) الْمَرِيضُ
وَمَوْطِنِي بَعْدَ الْيَفَاعِ^(٩) الْخُضِيضُ
بُؤْساً لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَمِيضُ^(١٠)
مَوْلَاهُ نَادَوُهُ بِدَمْعٍ يَفِيضُ
وَجَابِرَ الْعَظْمِ الْكَسِيرِ الْمَهِيضُ^(١١)
مَنْ دَنَسَ الدَّمَ نَقِي رَحِيضُ^(١٢)
بِمَذَقَةٍ مِنْ حَارِزِ^(١٣) أَوْ مَخِيضُ^(١٤)
وَيَغْنَمُ الشُّكْرُ الطَّوِيلَ الْعَرِيضُ
يَوْمَ وَجْوهُ الْجَمْعِ سَوْدٌ وَبِيضُ^(١٥)
وَلَا تَصْدَيْتُ^(١٦) لِنَظْمِ الْقَرِيضُ^(١٧)

كَانُوا إِذَا مَا نُجِعَةً^(١) أَعُوزَتْ
تُشَبُّ لِلْسَّارِينِ^(٣) نِيرَانُهُمْ
مَا بَاتَ جَارٌ لَهُمْ سَاغِباً^(٥)
فَغِيضَتْ^(٦) مِنْهُمْ صُرُوفُ الرَّدَى
وَأُودِعَتْ مِنْهُمْ بُطُونُ الثَّرَى^(٧)
فَمَحْمَلِي بَعْدَ الْمَطَايَا الْمَطَا
وَأَفْرُخِي مَا تَأْتَلِي تَشْتَكِي
إِذَا دَعَا الْقَانِتُ فِي لَيْلِهِ
يَا رَازِقَ النَّعَّابِ فِي عُشِّهِ
أَتَحْ لَنَا اللَّهُمَّ مَنْ عَرْضُهُ
يُطْفِئُ نَارَ الْجُوعِ عَنَّا وَلَوْ
فَهَلْ فَتَى يَكْشِفُ مَا نَابَهُمْ
فَوَالَّذِي تَعْنُو النَّوَاصِي لَهُ
لَوْلَاهُمْ لَمْ تَبْدُلِي صَفْحَةً

(٢) حسن النبات .

(١) مرعى خصب .

(٤) طَرِيّ .

(٣) جمع سار، وهو من يسري ليلاً .

(٦) فنقصت وأفنت .

(٥) جائعاً .

(٨) جمع آس، وهو: الطيب .

(٧) كناية عن القبور .

(٩) الظهر، تعني: أن أمتعتها بعد أن كانت تحمل على الإبل، صارت تحمل على ظهرها .

(١١) الذي يتكسر بعد جبره .

(١٠) المراد هنا: الظهور .

(١٣) لبن حامض .

(١٢) مغسول طاهر .

(١٥) يوم القيامة .

(١٤) لبن منزوع الزبد .

(١٧) الشُّعْر .

(١٦) تعرّضت .

قال الراوي: فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب، واستخرجت خبايا الجيوب، حتى ماحها من دينه الامتناح^(١)، وارتاح لرفدها من لم نخله^(٢) يرتاح، فلما افوعم جيبها تبرأ، وأولاه^(٣) كل منا برا، تولت يتلوها الأصاغر، وفوها بالشكر فاغر، فاشرابت الجماعة بعد ممرها، إلى سبرها^(٤) لتبلو مواقع برها، فكفلت لهم باستنباط السر المرموز، ونهضت أقفو أثر العجوز، حتى انتهت إلى سوق مغتصة^(٥) بالأنام، مختصة بالزحام، فانغمست في الغمار، واملست^(٦) من الصيبة الأغمار، ثم عاجت^(٧) بخلو بال، إلى مسجد خال، فأماطت الجلباب، ونضت الثقاب، وأنا ألمحها من خصاص^(٨) الباب، وأرقب ما سبدي من العجاب، فلما انسرت^(٩) أهبة الخفر، رأيت محيا أبي زيد قد سفر، فهمت أن أهجم عليه، لأعنه^(١٠) على ما أجرى إليه، فاسلنقى اسلنقاء المتمردين، ثم رفع عقيرة المغردين، واندفع ينشد:

يَا لَيْتَ شَعْرِي أَدْهَرِي أَحَاطَ عِلْمًا بِقُدْرِي
وَهَلْ دَرَى كُنْهَ غَوْرِي^(١١) فِي الْخُدْعِ أَمْ لَيْسَ يَدْرِي
كَمْ قَدْ قَمَرْتُ بَنِيهِ^(١٢) بِحَيَلَتِي وَبِمَكْرِي
وَكَمْ بَرَزْتُ بِمُعْرِفِ^(١٣) عَلَيْهِمْ وَبِنُكْرِي

- (١) أعطاه من عادته طلب العطاء.
(٢) أعطاه.
(٣) امتلئة.
(٤) تخلصت وانفلتت.
(٥) شقوقه.
(٦) مالت ورجعت.
(٧) انكشفت.
(٨) غاية عمق عقلي.
(٩) من المعروف، ضد النكر بمعنى: المنكر.
(١٠) نظنه.
(١١) أي اختبارها.
(١٢) تخلصت وانفلتت.
(١٣) غلبت بالقمار أهله.

أَصْطَادُ قَوْمًا بَوَّعَظَ وَآخِرِينَ بِشِغَرِ
وَأَسْتَفْزُ بِخَلٍّ عَقْلًا وَعَقْلًا بِخَمْرِ
وَتَارَةً أَنَا صَخْرُ وَتَارَةً أُخْتُ^(١) صَخْرِ
وَلَوْ سَلَكَتُ سَبِيلًا مَالُوفَةً^(٢) طُولَ عُمْرِي
لَحَابَ قَدْحِي وَقَدْحِي وَدَامَ عُسْرِي وَخُسْرِي
فَقُلْ لِمَنْ لَمْ هَذَا عُذْرِي فَدُونَكَ عُذْرِي

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمَّا ظَهَرْتُ عَلَى جَلِيَّةٍ أَمْرِهِ^(٣)، وَبَدِيعَةِ
إِمْرِهِ^(٤)، وَمَا زَخَرَفَ فِي شِعْرِهِ مِنْ عُذْرِهِ، عَلِمْتُ أَنَّ شَيْطَانَهُ الْمَرِيدَ، لَا
يَسْمَعُ التَّفْنِيدَ^(٥)، وَلَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا يُرِيدُ، فَتَنَيْتُ إِلَى أَصْحَابِي عِنَانِي.
وَأَبْشَتْهُمْ^(٦) مَا أَثْبَتَهُ عَيْنَانِي، فَوَجَمُوا^(٧) لَضِيعَةِ الْجَوَائِزِ، وَتَعَاهَدُوا عَلَى
مَحْرَمَةٍ^(٨) الْعَجَائِزِ.



(١) هو: صخر بن عمرو بن الشديد السُّلَمِيَّ وأخته الحُنْسَاءُ الشَّاعِرَةُ الْمُشْهُورَةُ.

(٢) مَسْلُوكَةٌ مَعْرُوفَةٌ.

(٣) حَقِيقَةُ حَالِهِ.

(٤) الْإِمْرُ - بِالْكَسْرِ - الشَّيْءُ الْعَجِيبُ.

(٥) اللَّوْمُ وَالتَّوْبِيخُ.

(٦) أَخْبَرْتَهُمْ وَشَرَحْتَ لَهُمْ.

(٧) سَكَنُوا حَزَنًا.

(٨) أَي: حَرَمَانٍ.

المقامة الرابعة عشرة المكيّة

حكى الحارث بن همام قال: نهضت من مدينة السلام، لحجة الإسلام، فلما قضيت بعون الله التفت، واستبحت الطيب والرفث، صادف موسم الخيف، معمعان^(١) الصيف، فاستظهرت للضرورة، بما بقي حرّ الظهيرة، فبينما أنا تحت طراف^(٢)، مع رفقة ظراف، وقد حمي وطيس الحصباء^(٣)، وأعشى الهجير عين الحرباء، إذ هجم علينا شيخ متسع^(٤)، يتلوه^(٥) فتى مترعرع.

فسلم الشيخ تسليم أديب أريب، وحاور محاوره قريب لا غريب، فأعجبنا بما نثر من سمطه، وعجبنا من انبساطه^(٦) قبل بسطه، وقلنا له: ما أنت، وكيف ولجت^(٧)، وما استأذنت؟ فقال: أما أنا فعاف، وطالب إسعاف^(٨)، وسرّ ضرّي غير خاف، والنظر إليّ شفيح لي كاف، وأما الانسياب، الذي علق به الارتياب^(٩)، فما هو بعجاب، إذ ما على الكرماء من حجاب، فسألناه: أنى اهتدى^(١٠) إلينا؟ وبم استدلل علينا؟ فقال: إن

(١) شدة الحرّ وتوقده.

(٢) خيمة من آدم.

(٣) الوطيس: التنور. والحصباء: الحصى الصغار.

(٤) أي: هرم.

(٥) أي: يتبعه.

(٦) ترك الاحتشام.

(٧) أي: دخلت.

(٨) المعاونة وقضاء الحاجة.

(٩) القلق والاضطراب.

(١٠) استرشد واستدل.

للكرم نشرًا (١) تنم به نفحاته، وترشد إلى روضه فوحاته، فاستدللت بتأرج عركم (٢)، على تبلج عرفكم! وبشرني تضوع رندكم، بحسن المنقلب من عندكم! فاستخبرناه حيثد عن لبائته، لتكفل بإعانتته، فقال: إن لي ماربًا، ولفتاي مطلبًا، فقلنا له: كلا المرامين (٣) سيقتضى، وكلاكما سوف يرضى، ولكن الكبر الكبر، فقال: أجل ومن دحا السبع الغبر، ثم وثب للمقال، كالمنشط من العقال، وأنشد:

إني امرؤ أبداع بي
وشققتي شاسعة
وما معي خردلة
فحيلتي منسدة
إن ارتحلت راجلاً (٧)
وإن تخلفت عن الرف
فزفرتي في صعد
وأنتم منتجع الـ
لهاكم منهلة (١١)
وجاركم في حرم (١٢)

بعد الوجي (٤) والتعب
يقصر عنها خبي
مطبوعة (٥) من ذهب
وحيرتي تلعب (٦) بي
خفت دواعي العطب (٨)
قة ضاق مذهبي (٩)
وعبرتي في صعب (١٠)
رأجي ومرمى الطلب
ولا انهلال السحب
ووفركم في حرب

(١) الرائحة الطيبة.

(٢) من البلج، وهو: وضوح النور. والعرف - بالضم - المعروف.

(٣) الحاجتين. (٤) وجع الرجلين من الحفاء.

(٥) أي مصنوعة. (٦) أي لا تنفك عني.

(٨) أسباب الهلاك.

(١٠) الصبب: الانحدار والهبوط.

(١٢) أي: في منعة واحترام.

(٧) ماشيًا على رجله.

(٩) أي: طريقي.

(١١) منسكة متتابة.

فَخَافَ نَابَ النُّوبِ
حَبَاءُكُمْ فَمَا حُبِّي^(١)
وَأَحْسِنُوا مُنْقَلَبِي
فِي مَطْعَمِي وَمَشْرَبِي
أَسْلَمَنِي لِلْكَرْبِ^(٢)
وَنَسَبِي وَمِثْهَبِي
مِنَ الْعُلُومِ النُّخَبِ^(٣)
فِي أَنْ دَائِي أَدَبِي
أَرْضَعْتُ نُذْيَ الْأَدَبِ
وَعَقَّنِي^(٤) فِيهِ أَبِي

مَا لَازِمُ رُتَاعُكُمْ
وَلَا اسْتَدْرَ أَمَلُ
فَانْعَظِفُوا فِي قِصَّتِي
فَلَوْ بَلَوْتُمْ^(٥) عِشَّتِي
لَسَاءَ كُفٍّ^(٦) ضُرِّي الَّذِي
وَلَوْ خَبَرْتُمْ حَسَبِي
وَمَا حَوَتْ مَعْرِفَتِي
لَمَا اغْتَرَّتْكُمْ شُبْهَةٌ
فَلَيْتَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ
فَقَدْ دَهَانِي شُؤْمُهُ

فَقُلْنَا لَهُ: أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ صَرَّحْتَ بِأَيَاتِكَ بِفَاقَتِكَ، وَعَطَبَ نَاقَتِكَ،
وَسَنُمِطِيكَ مَا يُوَصِّلُكَ إِلَى بِلَدِكَ، فَمَا مَأْرَبُهُ وَلَدَكَ؟ فَقَالَ لَهُ: قُمْ يَا بَنِي كَمَا
قَامَ أَبُوكَ، وَفُهُ^(٧) بِمَا فِي نَفْسِكَ لَا فُضَّ فُوكَ^(٨)، فَنَهَضَ نُهُوضَ الْبَطْلِ
لِلْبِرَازِ^(٩)، وَأَصْلَتْ لِسَانًا كَالْعَضْبِ^(١٠) الْجُرَازِ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

لَهُمْ مَبَانِ مَشِيدَةٍ
قَامُوا بِدَفْعِ الْمَكِيدَةِ
بِذُلِّ الْكُنُوزِ الْعَتِيدَةِ^(١١)

يَا سَادَةً فِي الْمَعَالِي
وَمَنْ إِذَا نَابَ خَطْبٌ
وَمَنْ يَهُونُ عَلَيْهِمْ

(١) أي: فما أعطى. (٢) اختبرتم. (٣) أي: لأحزنكم.

(٤) جمع كُرْبَةٍ، بمعنى: المِحْنَةُ.

(٥) أي: قطع رحمي.

(٦) أي: لا كسرت أسنانك.

(٧) أي: قام قيام الفارس الشجاع للحرب.

(٨) أي: كالسيف الماضي القاطع لكل شيء.

(٩) أي: كالحاضرة المُسْتَعِدَّة أو الجسيمة.

(١٠) أي: كالحاضرة المُسْتَعِدَّة أو الجسيمة.

(١١) أي: كالحاضرة المُسْتَعِدَّة أو الجسيمة.

أريدُ منكمُ شِواءً
 فإنْ غَلَا فَرَكْفاقٌ
 أوْ لَمْ يَكُنْ ذَا وَلَا ذَا
 فإنْ تَعَذَّرْنَ طُراً
 فأَحْضِرُوا مَا تَسْنَى
 وروَّجُوهُ ^(٤) فَنَفْسِي
 وَالزَّادُ لَا بُدَّ مِنْهُ
 وَأَنْتُمْ خَيْرُ رَهْطٍ ^(٥)
 أَيْدِيكُمْ كُلَّ يَوْمٍ
 وَرَاحِكُمْ وَأَصْلَاتُ
 وَبُغْيَتِي ^(٦) فِي مَطَاوِي
 وَفِي أَجْرٍ وَعُقْبَى
 وَلِي نَتَائِجُ فِكْرٍ

وَجَرْدَقاً ^(١) وَعَصِيدَهُ
 بِهِ تُوَارَى الشَّهِيدَهُ
 فَشُبْعَةٌ مِنْ ثَرِيدِهِ ^(٢)
 فَعَجْوَةٌ وَنَهِيدَهُ ^(٣)
 وَلَوْ شَطَطِي مِنْ قَدِيدِهِ
 لَمَا يَرُوجُ مُرِيدَهُ
 لَرَحْلَةٍ لِي بَعِيدِهِ
 تُدْعَوْنَ عِنْدَ الشَّادِيدِهِ
 لَهَا أَيْادُ جَدِيدِهِ
 شَمْلُ الصَّلَاتِ الْمُفِيدِهِ
 مَا تَرَفَدُونَ زَهِيدَهُ ^(٧)
 تَنْفِيسُ كَرْبِي حَمِيدَهُ
 يَفْضَحْنَ كُلَّ قَصِيدِهِ

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمَّا رَأَيْنَا السَّبِيلَ يُشَبِّهُ الْأَسَدَ، أَرْحَلْنَا الْوَالِدَ
 وَزَوَدْنَا الْوَلَدَ، فَقَابَلَا الصَّنْعَ ^(٨) بِشُكْرِ نَشْرَ أَرْدِيَّتِهِ ^(٩)، وَأَدْيَا بِهِ دَيْتَهُ، وَكَمًّا
 عَزَمَا عَلَى الْإِنْطِلَاقِ، وَعَقَدَا لِلرَّحْلَةِ حُبْكَ النَّطَاقِ، قُلْتُ لِلشَّيْخِ: هَلْ
 ضَاهَتْ ^(١٠) عِدَّتُنَا عِدَّةَ عُرْقُوبٍ، أَوْ هَلْ بَقِيَتْ حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبُ؟

(١) رغيفاً معرب كرده.

(٣) صنف من طيبخ العرب.

(٥) أي: قوم.

(٧) أي: قليله.

(٩) أكثر من الشكر حتى اشتهر صيته.

(٢) هو أن تفتته ثم تبليه بمرق.

(٤) عجلوه وهبؤوه.

(٦) مطلبي وما أتمناه.

(٨) أي: المعروف.

(١٠) أي: ماثلت وشابهت.

فَقَالَ: حَاشَ لِلَّهِ وَكَلَّا، بَلْ جَلَّ مَعْرُوفُكُمْ وَجَلَّى.

فَقُلْتُ لَهُ: فَدَنَا كَمَا دَنَاكَ، وَأَفَدَنَا كَمَا أَفَدْنَاكَ، أَيْنَ الدُّوِيرَةُ ^(١)، فَقَدْ
مَلَكَتْنَا فِيكَ الْحَيْرَةُ؟ فَتَنْفَسَ تَنْفُسَ مَنْ اذْكُرَ ^(٢) أَوْطَانَهُ، وَأَنْشَدَ وَالشَّهِيْقُ
يَلْعَثُ ^(٣) لِسَانَهُ:

سَرُوجُ دَارِي وَلَكِنْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَيْهَا
وَقَدْ أَنْاخَ ^(٤) الْأَعَادِي بِهَا وَأَخْنَوْنَا عَلَيْهَا ^(٥)
فَوَالَّتِي سِرْتُ أَبْغِي حَطَّ الذُّنُوبِ لَدَيْهَا
مَا رَاقَ طَرْفِي شَيْءٌ مُذْ غَبْتُ عَنْ طَرْفِهَا ^(٦)

ثُمَّ اغْرُورَقَتْ عَيْنَاهُ بِالْدمُوعِ، وَأَذْنَتْ ^(٧) مَدَامِعُهُ بِالْهُمُوعِ، فَكَّرَهُ أَنْ
يَسْتَوْكِفَهَا، وَلَمْ يَمْلِكْ أَنْ يُكْفِكَفَهَا ^(٨)، فَقَطَعَ إِنْشَادَهُ الْمُسْتَحْلَى، وَأَوْجَزَ ^(٩)
فِي الْوَدَاعِ وَوَلَّى ^(١٠).



(١) أي: البلدة. (٢) أي: تذكَّر. وأصله: «اذْكُرْ» فَأُدْغِمَ.

(٣) من اللَّعْنَةِ، وهي: التَّوَقُّفُ والتَّمَكُّثُ. (٤) أي: نزل.

(٥) أهلَكُوها وأفسدوها. (٦) أي: ما أعجب عيني شَيْءٌ من حين مفارقتها.

(٧) أي: أعلمت. (٨) يمنعها ويردها.

(٩) اقتصر وأسرع. (١٠) أي: ذهب ومضى.

المَقَامَةُ الْخَامِسَةُ عَشْرَةُ الْفَرْضِيَّةُ

أَخْبَرَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: أَرِقْتُ ^(١) ذَاتَ لَيْلَةٍ حَالِكَةَ الْجَلْبَابِ، هَامِيَةَ الرَّبَابِ، وَلَا أَرَقَّ صَبًّا ^(٢) طُرِدَ عَنِ الْبَابِ، وَمُنِي بِصَدِّ الْأَحْبَابِ، فَلَمْ تَزَلِ الْأَفْكَارُ يَهْجُنَ هَمِّي، وَيُجِلْنَ فِي الْوَسَاوِسِ ^(٣) وَهَمِّي ^(٤)، حَتَّى تَمَنَيْتُ، لِمَضَضٍ مَا عَانَيْتُ، أَنْ أُرْزَقَ سَمِيرًا مِنَ الْفُضْلَاءِ، لِيُقْصَرَ طَوْلَ لَيْلَتِي اللَّيْلَاءِ، فَمَا انْقَضَتْ مُنِيَّتِي ^(٥)، وَلَا أُغْمِضْتُ مُقْلَتِي، حَتَّى قَرَعَ الْبَابَ قَارِعًا، لَهُ صَوْتُ خَاشِعٍ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَعَلَّ غَرَسَ التَّمْنِي قَدْ أَثْمَرَ، وَلَيْلَ الْخَطِّ قَدْ أَقْمَرَ، فَنَهَضْتُ إِلَيْهِ عَجَلَانًا ^(٦)، وَقُلْتُ: مَنْ الطَّارِقُ الْآنَ؟ فَقَالَ: غَرِيبٌ أَجْنَهُ ^(٧) اللَّيْلُ، وَغَشِيَهُ السَّيْلُ، وَيَبْتَغِي الْإِيوَاءَ ^(٨) لَا غَيْرَ، وَإِذَا أُسْحَرَ قَدَمَ السَّيْرِ، قَالَ: فَلَمَّا دَلَ شُعَاعُهُ عَلَى شَمْسِهِ، وَنَمَّ عَنْوَانُهُ بِسَرِّ طَرْسِهِ، عَلِمْتُ أَنَّ مُسَامَرَتَهُ غَنَمٌ، وَمُسَاهَرَتَهُ نَعَمٌ، فَفَتَحْتُ الْبَابَ بِابْتِسَامٍ، وَقُلْتُ: ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ، فَدَخَلَ شَخْصٌ قَدْ حَنَى الدَّهْرُ صَعْدَتَهُ، وَبَلَّلَ الْقَطَرُ بُرْدَتَهُ ^(٩)، فَحَيَّا بِلِسَانٍ عَضْبٍ، وَبَيَانٍ عَذْبٍ، ثُمَّ شَكَرَ عَلَيَّ تَلِيَّةَ صَوْتِهِ، وَاعْتَذَرَ مِنْ

(١) أي: عاشق.

(١) أي: سهرت.

(٣) جمع الوسوسة، وهي: حديث النفس أو الكلام الخفي.

(٤) أي: ما تمنيت وطلبت.

(٤) أي: بالي وفكري.

(٧) أي: ستره.

(٦) فقمْتُ إليه مُسرِّعًا.

(٩) أي: أصابه المطر حتى ابتل ثوبه.

(٨) إدخاله المنزل.

الطُّرُوقُ^(١) فِي غَيْرِ وَقْتِهِ، فِدَانِيَّتُهُ^(٢) بِالْمُصْبَاحِ الْمُتَقَدِّ، وَتَأَمَّلْتُهُ تَأَمَّلَ الْمُتَقَدِّ،
فَأَلْفَيْتُهُ شَيْخَنَا أَبَا زَيْدٍ بِلَا رَيْبٍ، وَلَا رَجْمٍ غَيْبٍ، فَأَحْلَلْتُهُ^(٣) مَحَلَّ مَنْ
أُظْفِرَنِي بِقُصْوَى الطَّلَبِ، وَنَقَلَنِي مِنْ وَقْدِ الْكَرْبِ، إِلَى رَوْحِ الطَّرَبِ^(٤)، ثُمَّ
أَخَذَ يَشْكُو الْأَيْنَ، وَأَخَذْتُ فِي كَيْفَ وَأَيْنَ؟ فَقَالَ: أَبْلِعْنِي رَيْقِي، فَقَدْ أَتَعَبَنِي
طَرِيقِي، فَظَنَنْتُهُ مُسْتَبْطِنًا لِلْسَّغْبِ^(٥)، مُتَكَاسِلًا لِهَذَا السَّبَبِ، فَأَحْضَرْتُهُ مَا
يُحْضِرُ لِلضَّيْفِ الْمُفْجَاجِي، فِي اللَّيْلِ الدَّاجِي، فَاَنْقَبَضَ انْقِبَاضَ
الْمُحْتَشِمِ^(٦)، وَأَعْرَضَ إِعْرَاضَ الْبَشِمِ^(٧)، فَسَوْتُ ظَنًّا بِامْتِنَاعِهِ، وَأَحْفَظَنِي
حَوْوُلُ طِبَاعِهِ، حَتَّى كِدْتُ أُغْلِظُ لَهُ فِي الْكَلَامِ، وَالسَّعَةِ بِحُمَةِ الْمَلَامِ،
فَتَبَيَّنَ مِنْ لَمَحَاتِ نَاطِرِي، مَا خَامَرَ خَاطِرِي، فَقَالَ: يَا ضَعِيفَ الثَّقَةِ، بِأَهْلِ
الْمَقَةِ^(٨)، عِدُّ عَمَّا أَخْطَرْتُهُ بِالْكَ، وَاسْتَمِعْ إِلَيَّ لَا أَبَا لَكَ! فَقُلْتُ: هَاتِ، يَا
أَخَا التُّرْهَاتِ! فَقَالَ: اعْلَمْ أَنِّي بِتُ الْبَارِحَةِ حَلِيفَ إِفْلَاسٍ^(٩)، وَنَجِيٍّ
وَسَوَاسٍ، فَلَمَّا قَضَى اللَّيْلُ نَحْبَهُ، وَغَوَرَ^(١٠) الصُّبْحُ شُهْبَهُ، غَدَوْتُ وَقْتُ
الْإِشْرَاقِ، إِلَى بَعْضِ الْأَسْوَاقِ، مُتَصَدِّيًا^(١١) لَصَيْدٍ يَسْنَحُ، أَوْ حُرٍّ يَسْمَحُ،
فَلَحَظْتُ بِهَا تَمَرًا قَدْ حَسُنَ تَصْفِيفُهُ^(١٢)، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ مَصْفِيفُهُ، فَجَمَعَ عَلَى
التَّحْقِيقِ، صَفَاءَ الرَّحِيقِ^(١٣)، وَقُنُوءَ الْعَقِيقِ، وَقُبَالَتَهُ لِبَأً^(١٤) قَدْ بَرَزَ كَالْإِبْرِيزِ

(١) الْإِتْيَانُ.

(٢) أَي: قَارِبَتُهُ.

(٣) أَي: فَانْزَلْتُهُ.

(٤) أَي: رَاحَةَ السَّرُورِ.

(٥) السَّغْبُ: الْجَوْعُ.

(٦) الْمُسْتَحْيِي: الْمُنْقَبِضُ.

(٧) الْمَمْتَلَى بِالطَّعَامِ.

(٨) الْمَحَبَّةُ.

(٩) قَرِينٌ فَقْرٌ وَمَصَاحِبٌ عُدْمٌ.

(١٠) أَي: غَيَّبَ وَأَخْفَى.

(١١) قَاصِدًا وَمَتَعَرِّضًا.

(١٢) أَي: كَوْنَهُ صَفُوفًا.

(١٣) هُوَ الشَّرَابُ الصَّافِي.

(١٤) هُوَ أَوَّلُ اللَّبَنِ فِي النَّجَاجِ.

الأصفر، وانجلى في اللون المزعر، فهو يثني على طأهيه، بلسان تنأهيه^(١)،
ويصوب رأي مشتريه، وكو نقد حبة القلب فيه، فأسرتني الشهوة بأشطانها،
وأسلمتني العيمة^(٢) إلى سلطانها، فبقيت أحر من صب، وأذهل من
صب، لا وجد^(٣) يوصلني إلى نيل المراد، ولذة الازدراد^(٤)، ولا قدم
تطاوعني على الذهب، مع حرقه الالتهاب، لكن حداني القرم وسورته^(٥)،
والسغب^(٦) وفورته^(٧)، على أن أنتجع كل أرض، وأقتنع من الورد ببرض،
فلم أزل سحابة ذلك النهار، أدلي دكوي إلى الأنهار، وهي لا ترجع بيلة،
ولا تجلب نفع غلة^(٨)، إلى أن صغت الشمس للغروب، وضعفت النفس
من اللعوب^(٩)، فرحت بكبد حري، وانثنت أقدام رجلاً وأوخر أخرى،
وبينما أنا أسعى وأقعد، وأهبط وأركد^(١٠)، إذ قابلني شيخ يتأوه أهة
الثكلان، وعيناه تهملان^(١١)، فما شغلني ما أنا فيه من داء الذيب،
والخوى المذيب، عن تعاطي مداخلته^(١٢)، والطمع في مخاطلته^(١٣)،
فقلت له: يا هذا إن لبكائك سرًا، ووراء تحرقك لشرًا، فأطلعني على
برحائك^(١٤)، واتخذني من نصحاءك، فإنك ستجد مني طبًا آسيًا^(١٥)، أو
عونًا مؤاسيًا، فقال: والله ما تأوّه من عيش فات^(١٦)، ولا من دهر افتات

- (١) انتهاؤه في حسنه .
(٢) لا مال ولا غنى .
(٣) أي: حدته .
(٤) حرقته .
(٥) الإعياء .
(٦) تسيلان بالدمع .
(٧) أي: مخادعته .
(٨) أي: طبيبًا مدأويا .
(٩) أي: في الأصل شهوة اللبن .
(١٠) أي: أسكن .
(١١) أي: مداناته .
(١٢) البرح والبرحاء: شدة الأذى .
(١٣) انقضى .
(١٤) أي: حدته .
(١٥) أي: أسكن .
(١٦) أي: مداناته .

بَلْ لَانْقِرَاضِ الْعِلْمِ وَدُرُوسِهِ، وَأَقُولُ ^(١) أَقْمَارِهِ وَشُمُوسِهِ، فَقُلْتُ: وَأَيَّ حَادِثَةٍ نَجَمَتْ ^(٢)، وَقَضِيَّةٍ اسْتَعْجَمْتُ، حَتَّى هَاجَتْ لَكَ الْأَسْفَ ^(٣)، عَلَى فَقْدٍ مِنْ سَلَفٍ؟ فَأَبْرَزَ رُقْعَةً مِنْ كُمِّهِ، وَأَقْسَمَ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ، لَقَدْ أَنْزَلَهَا بِأَعْلَامِ الْمُدَارِسِ، فَمَا امْتَازُوا عَنِ الْأَعْلَامِ الدَّوَارِسِ، وَاسْتَنْطَقَ لَهَا أَحْبَارَ الْمَحَابِرِ، فَخَرَسُوا وَلَا خَرَسَ سُكَّانُ الْمَقَابِرِ، فَقُلْتُ: أَرْنِيهَا ^(٤)، فَلَعَلِّي أَغْنِي فِيهَا، فَقَالَ: مَا أَبْعَدْتَ فِي الْمَرَامِ، فَرُبَّ رَمِيَّةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ، ثُمَّ نَاولَنيهَا، فَإِذَا الْمَكْتُوبُ فِيهَا:

أَيُّهَا الْعَالَمُ الْفَقِيهُ الَّذِي فَاءَ
أَفْتِنَا فِي قَضِيَّةٍ حَادَ عَنْهَا
رَجُلٌ مَاتَ عَنْ أَخٍ مُسْلِمٍ حُ
وَلَهُ زَوْجَةٌ لَهَا أَيُّهَا الْحَبِ
فَحَوَتْ فَرَضَهَا وَحَازَ أَخُوهَا
فَاشْفِنَا بِالْجَوَابِ عَمَّا سَأَلْنَا
قَ ذَكَاءٌ فَمَالَهُ مِنْ شَبِيهِ
كُلُّ قَاضٍ وَحَارَ ^(٥) كُلُّ فَقِيهِ
رَتَقِيٍّ مِنْ أُمِّهِ وَأَبِيهِ
رُ ^(٦) أَخٌ خَالِصٌ بِلَا تَمُويِهِ ^(٧)
مَا تَبَقَّى بِالْإِرْثِ دُونَ أَخِيهِ
فَهُوَ نَصٌّ لَا خُلْفَ يَوْجَدُ فِيهِ

فَلَمَّا قَرَأْتُ شِعْرَهَا، وَلَمَحْتُ سِرَّهَا ^(٨)، قُلْتُ لَهُ: عَلَى الْخَبِيرِ بِهَا
سَقَطَتْ، وَعِنْدَ ابْنِ بَجْدَتِهَا حَطَطَتْ، إِلَّا أَنِّي مُضْطَرِمٌّ ^(٩) الْأَحْشَاءَ، مُضْطَرٌّ
إِلَى الْعَشَاءِ ^(١٠)، فَأَكْرَمُ مَثْوَايَ، ثُمَّ اسْتَمِعَ فَتَوَايَ، فَقَالَ: لَقَدْ أَنْصَفْتَ فِي

(١) أي: غروب.

(٣) أي: الحزن.

(٥) تخيير.

(٧) أي: بلا شك ولا ريب.

(٩) الأحشاء: ما انحنت عليه الضلوع.

(٢) أي: ظهرت.

(٤) أي: أطلعني عليها.

(٦) الْعَالِم.

(٨) نظرته واطلعت عليه.

(١٠) أي: محتاج إليه.

الاشتراط، وتجافيت عن الاشتطاط^(١)، فصر معي، إلى مربعي، لتظفر بما
تبتغي، وتنقلب كما ينبغي، قال: فصاحبتة إلى ذراه^(٢)، كما حكم الله،
فأدخلني بيتاً أخرج^(٣) من التابوت، وأوهن من بيت العنكبوت، إلا أنه
جبر^(٤) ضيق ربه^(٥)، بتوسعة ذرعه^(٦)، فحكمني في القرى، ومطايب ما
يشتري، فقلت: أريد أزهي راكب على أشهى مركوب، وأنفع صاحب مع
أضر مصحوب، فأفكر ساعة طويلة، ثم قال: لعلك تعني بنت نخيلة، مع
لباء نخيلة، فقلت: إياهما عني، ولأجلهما تعني^(٧)، فنهض نسيطاً، ثم
ربض مستشيطاً، وقال: اعلم أصلحك الله أن الصدق نباهة^(٨)، والكذب
عاهة، فلا يحملنك الجوع الذي هو شعار الأنبياء، وحلية الأولياء^(٩)، على
أن تلحق بمن مان، وتتخلق بالخلق الذي بجانب الإيمان، فقد تجوع الحرة
ولا تأكل بثدييها، وتأبى الدنية^(١٠) ولو اضطرت إليها، ثم إني لست لك
بزبون، ولا أغضي^(١١) على صفة مغبون، وما أنا قد أنذرتك^(١٢) قبل أن
ينتهك السر، وينعقد فيما بيننا الوتر، فلا تلغ تدبر الإنذار، وحذار من
المكاذبة حذار، فقلت له: والذي حرم أكل الربا، وأحل أكل اللبا، ما
فهُتُ بزور، ولا دليتك بغرور، وستخبر حقيقة الأمر، وتحمد بذل اللبا
والتمر، فهش^(١٣) هشاشة المصدق، وانطلق مغذاً^(١٤) إلى السوق، فما كان

(١) الجور ومجاوزة الحد.

(٢) أي: بيته.

(٣) أي: أضيق.

(٤) أصلح.

(٥) منزله.

(٦) صدره وخلقه.

(٧) تعبت.

(٨) شرف ورفعة.

(٩) زينة ولباس الأولياء.

(١٠) تمتنع من الخصلة القبيحة؛ كالزنا.

(١١) لا تغافل.

(١٢) أعلمتك.

(١٣) أي: فرح.

(١٤) مسرعاً.

بأسرع من أن أقبلَ بهما يدلحُ، ووجهه من التعبِ يكلحُ، فوضعهما لديّ،
 وضعَ المُمْتَنَّ عليّ، وقالَ: اضربْ الجيشَ بالجيشِ، تحطّ (١) بلذّةِ
 العيشِ، فحَسَرْتُ عَنْ سَاعِدِ النَّهْمِ (٢)، وحملتُ حملةَ الفيلِ المُلْتَهَمِ (٣)،
 وهو يلحظُنِي كما يلحظُ الحَنَقُ (٤)، ويودّ من الغيظِ لو أختنقُ، حتّى إذا
 هَلَقَمْتُ التَّوَعِينَ (٥)، وغادرتُهُما أثراً بعدَ عينٍ، أَفَرَدْتُ حَيْرَةً فِي إِظْلَالِ
 البَيَاتِ (٦)، وفكرةً في جَوَابِ الأبياتِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ قَامَ، وأحضرَ الدَّوَاةَ
 والأقلامَ، وقالَ: قد ملأتُ الجِرَابَ (٧)، فأملِ الجَوَابَ، وإلا فتهاً إنْ
 نَكَلْتُ، لا غَتْرَامِ مَا أَكَلْتُ! فقلتُ له: مَا عِنْدِي إِلَّا التَّحْقِيقُ، فَاكْتُبِ
 الجَوَابَ وبالله التوفيقُ:

كَاشَفُ سِرِّهَا الَّذِي تُخْفِيهِ
 عَ أَخَا عَرْسِهِ (٨) عَلَى ابْنِ أَبِيهِ
 بِحَمَاةٍ لَهُ وَلَا غَرَوَ فِيهِ
 هُ فَجَاءَتْ بِابْنِ يَسُرِّ ذَوِيهِ
 وَأَخُو عَرْسِهِ بِلا تَمُويهِ (٩)
 سَدَّ وَأَوَّلَى بِإِرْثِهِ مِنْ أَخِيهِ
 جَةَ ثُمْنُ الثَّرَاثِ (١٠) تَسْتَوْفِيهِ
 لَ أَخُوها مِنْ أُمِّها بَاقِيهِ

قُلْ لِمَنْ يُلْغِزُ الْمَسَائِلَ إِنِّي
 إِنّ ذَا الْمَيْتِ الَّذِي قَدَّمَ الشَّرَّ
 رَجُلٌ زَوْجَ ابْنِهِ عَنْ رِضَاهُ
 ثُمَّ مَاتَ ابْنُهُ وَقَدْ عَلِقَتْ (١١) مِنْهُ
 فَهُوَ ابْنُ ابْنِهِ بَغِيرِ مِرَاءٍ
 وَابْنُ الْابْنِ الصَّرِيحُ أَذْنَى إِلَى الْجَا
 فَلِذَا حِينَ مَاتَ أَوْجِبَ لِلزَّوْ
 وَحَوَى ابْنُ ابْنِهِ الَّذِي هُوَ فِي الْأَصْدِ

(٢) المفرط في شهوة الطعام.

(٤) الغضببان.

(٦) المبيت.

(٨) زوجته.

(١٠) تزيين.

(١١) هو الميراث.

(١) تَفَرُّ وَتَغَنَمُ.

(٣) الاتهام: الابتلاء الشديد.

(٥) هما التمر واللبّ.

(٧) البطن، وهو كناية عن الشبع.

(٩) حملت.

وتخلّى الأخ الشقيق من الإِرْ هَاكَ (١) مني الفتيا التي يحتذيه (٢)
ث وقلنا يكفيك أن تبكيه
كُلُّ قَاضٍ يَقْضِي وَكُلُّ فقيه

قَالَ: فَلَمَّا أَثَبَّتَ الْجَوَابَ، وَاسْتَبْتُ مِنْهُ الصَّوَابَ، قَالَ لِي: أَهْلَكَ
وَاللَّيْلَ، فَشَمَّرَ الذَّيْلَ، وَبَادَرَ السَّيْلَ! فَقُلْتُ: إِنِّي بِدَارِ غُرْبَةٍ (٣)، وَفِي إِيَوَائِي
أَفْضَلُ قُرْبَةٍ (٤)، لَا سِيَّمَا وَقَدْ أَغْدَفَ جُنْحُ الظَّلَامِ، وَسَبَّحَ الرَّعْدُ فِي الْغَمَامِ،
فَقَالَ: اغْرُبْ عَافَاكَ اللَّهُ إِلَى حَيْثُ شِيتَ، وَلَا تَطْمَعْ فِي أَنْ تَبْتَ، فَقُلْتُ:
وَلِمَ ذَاكَ، مَعَ خُلُوءِ ذَرَاكَ (٥)؟ قَالَ: لِأَنِّي أَنْعَمْتُ النَّظَرَ، فِي التَّقَامِكِ (٦) مَا
حَضَرَ، حَتَّى لَمْ تَبْقَ وَلَمْ تَذَرْ، فَرَأَيْتُكَ لَا تَنْظُرُ فِي مَصْلَحَتِكَ، وَلَا تُرَاعِي
حِفْظَ صَحَّتِكَ، وَمَنْ أَمَعَنَ فِيمَا أَمَعَنْتَ، وَتَبَطَّنَ مَا تَبَطَّنْتَ، لَمْ يَكْدُ يَخْلُصُ
مَنْ كُظَّةٌ مُدْنِفَةٌ، أَوْ هَيْضَةٌ (٧) مُتَلَفَةٌ (٨)، فَدَعْنِي بِاللَّهِ كَفَافًا، وَاخْرُجْ عَنِّي مَا
دُمْتَ مُعَافًى، فَوَالَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، مَا لَكَ عِنْدِي مَبِيتٌ! فَلَمَّا سَمِعْتُ
أَلَيْتَهُ، وَبَلَوْتُ بَلَيْتَهُ، خَرَجْتُ مِنْ بَيْتِهِ بِالرَّغَمِ (٩)، وَتَزَوَّدَ الْغَمُّ، تَجَوَّدُنِي
السَّمَاءُ، وَتَخَبَّطُ بِي الظُّلُمَاءُ، وَتَنْبَحُنِي الْكِلَابُ، وَتَتَقَاذَفُ بِي الْأَبْوَابُ، حَتَّى
سَاقَنِي إِلَيْكَ لُطْفُ الْقَضَاءِ، فَشُكْرًا لِيَدِهِ الْبَيْضَاءِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَحِبُّ بِلِقَائِكَ
الْمُنَاحَ (١٠)، إِلَى قَلْبِي الْمُرْتَاحِ! ثُمَّ أَخَذَ يَفْتَنُ بِحِكَايَاتِهِ، وَيُسْمِطُ (١١)
مُضْحِكَاتِهِ بِمُبْكِيَاتِهِ، إِلَى أَنْ عَطَسَ أَنْفُ الصَّبَاحِ، وَهَتَفَ دَاعِي الْفَلَاحِ (١٢)،

(١) أي: خذ.

(٢) يتبعها ويقتدي بها.

(٣) أي: أنا غريب فيها.

(٤) ما يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ.

(٥) بالفتح؛ أي: محلك.

(٦) أكلك.

(٧) انطلاق البطن عن سوء الهضم.

(٨) مهلكة.

(٩) بالكره والهوان والذل.

(١٠) المُسَهِّلُ المُيسِّرُ.

(١١) أي: يخلط.

(١٢) منادي الفوز، والمراد: المؤذن.

فتأهَّبَ لإِجَابَةِ الدَّاعِي ، ثُمَّ عَطَفَ^(١) إِلَى وَدَاعِي ، فَعُقَّتُهُ^(٢) عَنِ
الانْبِعَاثِ^(٣) ، وَقُلْتُ : الضِّيَافَةُ ثَلَاثُ ! فَنَاشَدَ وَحَرَجَ ، ثُمَّ أَمَّ الْمَخْرَجَ ،
وَأَنشَدَ إِذْ عَرَجَ^(٤) :

لَا تَزُرْ مَنْ تُحِبُّ فِي كُلِّ شَهْرٍ غَيْرَ يَوْمٍ وَلَا تَزِدْهُ عَلَيْهِ
فَاجْتِلَاءُ الْهَلَالِ^(٥) فِي الشَّهْرِ يَوْمٌ ثُمَّ لَا تَنْظُرُ الْعُيُونُ إِلَيْهِ
قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَوَدَّعْتُهُ بِقَلْبٍ دَامِيَ الْقُرْحِ^(٦) ، وَوَدِدْتُ لَوْ أَنَّ
لَيْلَتِي بِطَيْئَةِ الصُّبْحِ .



(١) مَالَ .

(٢) عطلته ومنعته .

(٣) التوجه والسير .

(٤) عطف ومال عن الباب مُسْرِعًا .

(٥) مشاهدته .

(٦) مجروح من فراقه يسيل من جُرْحِهِ الدَّم .

المَقَامَةُ السَّادِسَةُ عَشْرَةُ المَغْرِبِيَّةُ

حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: شَهِدْتُ صَلَاةَ الْمَغْرِبِ، فِي بَعْضِ مَسَاجِدِ الْمَغْرِبِ، فَلَمَّا أَدَيْتُهَا بِفَضْلِهَا، وَشَفَعْتُهَا بِنَفْلِهَا، أَخَذَ طَرْفِي (١) رُقْفَةً قَدْ انْتَبَذُوا (٢) نَاحِيَةً، وَامْتَازُوا صَفْوَةً صَافِيَةً، وَهُمْ يَتَعَاطُونَ كَأْسَ الْمُنَافَثَةِ، وَيَقْتَدِحُونَ زِنَادَ الْمُبَاحَثَةِ، فَرَغَبْتُ فِي مُحَادَثَتِهِمْ (٣) لِكَلِمَةٍ تُسْتَفَادُ، أَوْ أَدَبٍ يُسْتَرَادُ، فَسَعَيْتُ إِلَيْهِمْ، سَعِيَ الْمُتَطَفِّلِ عَلَيْهِمْ.

وَقُلْتُ لَهُمْ: أَتَقْبَلُونَ نَزِيلًا (٤) يَطْلُبُ جَنَى الْأَسْمَارِ (٥)، لَا جَنَّةَ الثَّمَارِ، وَيُبْنِي مِلْحَ الْحَوَارِ (٦)، لَا مِلْحَاءَ الْحَوَارِ، فَحَلُّوا لِي الْحَبَى.

وَقَالُوا: مَرَحَبًا مَرَحَبًا، فَلَمْ أَجْلِسْ إِلَّا لَمَحَّةَ بَارِقٍ خَاطِفٍ، أَوْ نَغْبَةَ طَائِرٍ خَائِفٍ، حَتَّى غَشِينَا (٧) جَوَابٌ، عَلَى عَاتِقِهِ (٨) جِرَابٌ، فَحَيَّانَا بِالْكَلِمَتَيْنِ (٩)، وَحَيَّا الْمَسْجِدَ بِالتَّسْلِيمَتَيْنِ.

ثُمَّ قَالَ: يَا أُولِي الْأَلْبَابِ، وَالْفَضْلِ اللَّبَابِ، أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ أَنْفُسَ الْقُرْبَاتِ (١٠)، تَنْفِسُ الْكُرْبَاتِ؟ وَأَمْتَنَ أَسْبَابُ النَّجَاةِ، مَوَاسَاةُ ذَوِي

(٢) ابتعدوا وفي نسخة: «انتدوا»؛ أي: اجتمعوا.

(٤) ضيقًا نازلاً.

(٦) ولد الناقة ما لم يستكمل عاماً.

(٨) منكبه.

(١٠) أفضل الأعمال التي يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى اللَّهِ.

(١) ملح بصري.

(٣) مباحثتهم.

(٥) جمع «سمر»، وهو: حديث الليل.

(٧) أتاناً.

(٩) قال: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ.

الحاجات؟ وإني ومن أحلني ساحتكم، وأتاح لي استماحتكم، لشريد محل قاص^(١)، وبريد صبية خماص، فهل في الجماعة، من يفثأ^(٢) حمياً المراجعة؟

فقالوا له: يا هذا إنك حضرت بعد العشاء، ولم يبق إلا فضلات العشاء، فإن كنت بها قنوعاً، فما تجد فينا منوعاً^(٣).

فقال: إن أخا الشدائد، ليَقْنَعُ بلفظات الموائد، ونفاضات المزود، فأمر كلُّ منهم عبده، أن يزوده ما عنده، فأعجبه الصنع وشكر عليه، وجلس يرقب^(٤) ما يحمل إليه، وثبنا نحن إلى استشارة ملح الأدب^(٥) وعيونه، واستنباط معينه من عيونه^(٦)، إلى أن جلنا فيما لا يستحيل^(٧) بالانعكاس، كقولك ساكب كاس، فتداعينا إلى أن نستتج له الأفكار، ونفترع^(٨) منه الأبكار، على أن ينظم البادئ ثلاث جمانات في عقده، ثم تدرج الزيادات من بعده، فيربع ذو ميمته في نظمه، ويسبع صاحب ميسرته على رغمه^(٩).

قال الراوي: وكنا قد انتظمنا عدة أصابع الكف، وتألفنا ألفة أصحاب الكهف، فابتدر لعظم محنتي، صاحب ميمتي، وقال: لم أخوا مل، وقال ميامنه: كبر رجاء أجر ربك، وقال الذي يليه: (من يرب^(١٠) إذا بر

(١) طريد منزل بعيد.

(٢) الفثأ: تسكين الغضب وغيره، وفثأ القدر: سكن غليانها.

(٣) مانعاً.

(٤) ينتظر.

(٥) إظهار ما حسن منه.

(٦) من أهله.

(٧) لا يتحوّل ولا يتغيّر.

(٨) نفتض.

(٩) قهراً عنه.

(١٠) يربّي الصنيعة ويصونها.

يَنُمُ) (١)، وَقَالَ الْآخَرُ: (سَكَّتْ كُلُّ مَنْ نَمَّ لَكَ تَكْسُ) (٢)، وَأَفْضَتِ النَّوْبَةُ إِلَيَّ، وَقَدْ تَعَيَّنَ نَظْمُ السَّمَطِ السُّبَاعِيِّ عَلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ فِكْرِي يَصُوغُ وَيَكْسِرُ، وَيُثْرِي (٣) وَيُعْسِرُ (٤)، وَفِي ضِمْنِ ذَلِكَ أُسْتَطْعِمُ، فَلَا أَجِدُ مَنْ يُطْعِمُ، إِلَى أَنْ رَكَدَ النَّسِيمُ، وَحَصَّحَصَ (٥) التَّسْلِيمُ، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: لَوْ حَضَرَ السَّرُوجِيُّ هَذَا الْمَقَامَ، لَشَفَى الدَّاءَ الْعُقَامَ، فَقَالُوا: لَوْ نَزَلَتْ هَذِهِ بِإِيَّاسٍ، لِأَمْسَكَ عَلَى يَاسٍ، وَجَعَلْنَا نُفَيْضُ (٦) فِي اسْتِصْعَابِهَا، وَاسْتَغْلَاقِ بَابِهَا، وَذَلِكَ الزَّوْرُ الْمُعْتَرِي (٧)، يَلْحَظُنَا لِحْظَ الْمُزْدَرِيِّ (٨)، وَيُوَلِّفُ الدَّرَرَ وَنَحْنُ لَا نَدْرِي، فَلَمَّا عَثَرَ عَلَى افْتِضَاحِنَا (٩)، وَنُضُوبِ ضَحْضَاحِنَا (١٠)، قَالَ: يَا قَوْمُ إِنَّ مِنْ الْعَنَاءِ الْعَظِيمِ، اسْتِيلَادَ الْعَقِيمِ (١١)، وَالِاسْتِشْفَاءَ بِالسَّقِيمِ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ: سَأُنُوبُ مِنْابِكَ (١٢)، وَأَكْفِيكَ مَا نَابَكَ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَنْثَرُ، وَلَا تَعَثُرَ (١٣)، فَقُلْ مُخَاطِبًا لِمَنْ ذَمَّ الْبُخْلَ، وَأَكْثَرَ الْعَذْلَ (١٤): لُذْ بِكُلِّ مُؤَمِّلٍ (١٥) إِذَا لَمْ وَمَلَّكَ بِذَلِكَ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تَنْظِمَ، فَقُلْ لِلَّذِي تُعْظِمُ:

(١) مِنَ النَّمَاءِ وَهُوَ: الزِّيَادَةُ.

(٣) يَسْتَعْنِي.

(٥) ثَبِتَ وَاسْتَقَرَّ.

(٧) الْقَاصِدُ.

(٩) أَطَّلَعَ عَلَى عَجْزَانَا.

(١٠) الضَّحْضَاحُ: الْمَاءُ الَّذِي لَا عَمَقَ لَهُ، وَنُضُوبُهُ: غُورَانُهُ فِي الْأَرْضِ؛ يَرِيدُ: عَدَمَ الْقُدْرَةِ عَلَى هَذِهِ الْعِبَارَةِ.

(١١) طَلَبَ الْوَلَدَ مِنْ لَا تَلِدُ.

(١٣) لَا تَغْلُطُ.

(١٥) مُرْجَى.

(١٢) أَصَابَكَ.

(١٤) اللَّوْمُ.

(٢) تَكُنْ كَيْسًا أَيْ: فَطِنًا ذَكِيًّا.

(٤) يَفْتَقِرُ.

(٦) نَخُوضُ.

(٨) الْمُحْتَقِرُ.

أُسْ أَرْمَلًا إِذَا عَرَا ^(١) وارِعَ إِذَا الْمُرءُ أَسَا
 أَسْنَدُ ^(٢) أَخَانَبَاهَةَ أبْنُ إِخَاءٍ دَنَسَا
 أُسِّلُ جَنَابَ غَاشِمٍ ^(٣) مُشَاغِبٍ ^(٤) إِنْ جَلَسَا
 أُسْرُ إِذَا هَبَّ ^(٥) مَرَأُ أَرْمَ بِهِ إِذَا رَسَا ^(٦)
 أُسْكُنْ تَقَوَّ فَعَسَى يُسْعِفُ ^(٧) وَقْتُ نَكَسَا ^(٨)

قال: فَلَمَّا سَحَرْنَا بِآيَاتِهِ ^(٩)، وَحَسَرْنَا بَعْدَ غَايَاتِهِ، مَدَحْنَاهُ حَتَّى اسْتَعْفَى، وَمَنْحَاهُ إِلَى أَنْ اسْتَكْفَى، ثُمَّ شَمَّرَ ^(١٠) ثِيَابَهُ، وَازْدَفَرَ جِرَابَهُ، وَنَهَضَ يَنْشُدُ:

لِلَّهِ دَرْ عَصَابَةٍ ^(١١) صُدُقُ الْمَقَالِ مَقَاوِلَا
 فَاقُوا الْأَنَامَ فَضَائِلَا مَأْثُورَةً ^(١٢) وَفَوَاضِلَا ^(١٣)
 حَاوَرْتُهُمْ فَوَجَدْتُ سَخَا بَانًا لَدَيْهِمْ بَاقِلَا
 وَحَلَلْتُ فِيهِمْ سَائِلَا فَلَقَيْتُ جُودًا سَائِلَا
 أَقْسَمْتُ لَوْ كَانَ الْكَرَا مُ حَيَالِ كَانُوا وَابِلَا
 ثُمَّ خَطَا قَيْدَ رُمَحِينَ، وَعَادَ مُسْتَعِيدًا ^(١٤) مِنَ الْحَيْنِ، وَقَالَ: يَا عَزَّ مَنْ
 عَدِمَ الْآلَ ^(١٥)، وَكُنَزَ مِنْ سُلْبِ الْمَالِ، إِنَّ الْغَاسِقَ قَدْ وَقَبَ، وَوَجْهَهُ

(١) أتى طالبًا للرفد.

(٢) أعن وارفح.

(٣) ظالم.

(٤) مهيج للشر.

(٥) هاج.

(٦) ثبت.

(٧) يساعد.

(٨) قلب.

(٩) بلطفها ودقة مأخذها.

(١٠) رفع.

(١١) جماعة.

(١٢) منقولة ومشهورة.

(١٣) عطايا.

(١٤) مُتَجَنِّيًا.

(١٥) فقد الأهل.

الْمَحَجَّةَ^(١) قَدْ انْتَقَبَ، وَبَيْنِي وَبَيْنَ كَنِّي لَيْلٌ دَامِسٌ^(٢)، وَطَرِيقٌ طَامِسٌ،
 فَهَلْ مِنْ مِصْبَاحٍ يُؤْمِنُنِي الْعِثَارَ، وَيُبَيِّنُ لِي الْآثَارَ^(٣)؟ قَالَ: فَلَمَّا جِئْتُ
 بِالْمُلْتَمَسِ، وَجَلَّى الْوُجُوهَ ضَوْءُ الْقَبَسِ^(٤)، رَأَيْتُ صَاحِبَ صَيْدِنَا، هُوَ أَبُو
 زَيْدِنَا، فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: هَذَا الَّذِي أَشَرْتُ إِلَى أَنَّهُ إِذَا نَطَقَ أَصَابَ، وَإِنْ
 اسْتَمْطَرَ^(٥) صَابَ، فَاتْلَعُوا^(٦) نَحْوَهُ الْأَعْنَاقَ، وَأَحْدَقُوا^(٧) بِهِ الْأَحْدَاقَ^(٨)،
 وَسَلَّوْهُ أَنْ يُسَامِرَهُمْ لَيْلَتَهُ، عَلَى أَنْ يَجْبِرُوا عَيْلَتَهُ^(٩)، فَقَالَ: حُبًّا لِمَا أَحْبَبْتُمْ،
 وَرُحْبًا بِكُمْ إِذَا رَحَبْتُمْ، غَيْرَ أَنِّي قَصَدْتُكُمْ وَأَطْفَالِي يَتَصَوَّرُونَ^(١٠) مِنَ الْجُوعِ،
 وَيَدْعُونَ لِي بِوَشْكِ الرَّجُوعِ، وَإِنْ اسْتَرَاثُونِي^(١١) خَامَرَهُمُ الطَّيْشُ، وَكَمْ
 يَصِفُ لَهُمُ الْعَيْشُ، فَدَعُونِي لِأَذْهَبَ فَاسُدَّ مَخْمَصَتَهُمْ^(١٢)، وَأُسَيِّغَ غُصَّتَهُمْ،
 ثُمَّ أَنْقَلِبَ إِلَيْكُمْ عَلَى الْأَثَرِ، مُتَأَهِّبًا^(١٣) لِلْسَّمْرِ إِلَى السَّحَرِ، فَقُلْنَا لِأَحَدِ
 الْغُلَمَةِ: اتَّبِعْهُ إِلَى فِتْنَتِهِ، لِيَكُونَ أَسْرَعَ لَفِيتَّتِهِ^(١٤)، فَاَنْطَلَقَ مَعَهُ مُضْطَبِّنًا جِرَابَهُ،
 وَمُحْتَحِنًا^(١٥) إِيَابَهُ، فَأَبْطَأَ بَطْأً جَاوَزَ حَدَّهُ، ثُمَّ عَادَ الْغُلَامُ وَحْدَهُ، فَقُلْنَا
 لَهُ: مَا عِنْدَكَ مِنَ الْحَدِيثِ، عَنِ الْخَبِيثِ؟ فَقَالَ: أَخَذَ بِي فِي طَرُقٍ مُتَعَبَةٍ،
 وَسُبُلٍ مُتَشَعِّبَةٍ، حَتَّى أَفْضَيْنَا^(١٦) إِلَى دُوَيْرَةِ خَرِبَةٍ، فَقَالَ: هَلْهَذَا مُنَاخِي،

(٢) شديد الظلمة.

(١) الطريق.

(٣) هو مواطئ أقدام المارئين؛ لأن الآثار في الطريق: ما تؤثره الأرجل فيها.

(٤) لهب النار.

(٥) سئل.

(٦) مدوا.

(٧) أحاطوا.

(٨) العيون.

(٩) فقره.

(١٠) يصيحون.

(١١) استبطؤوني.

(١٢) جوعهم.

(١٣) متعباً.

(١٤) لرجعته.

(١٥) معجلاً.

(١٦) وصلنا.

وَوَكَّرُ^(١) أَفْرَاحِي^(٢)، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ بَابَهُ، وَاخْتَلَجَ^(٣) مِنِّي جِرَابَهُ، وَقَالَ:
لَعَمْرِي لَقَدْ خَفَّتْ عَنِّي، وَاسْتَوْجَبْتَ الْحُسْنَى مِنِّي، فَهَآكَ^(٤) نَصِيحَةٌ هِيَ
مِنْ نَفَائِسِ النَّصَائِحِ، وَمَغَارِسِ^(٥) الْمَصَالِحِ، وَأَنْشَدَ:

إِذَا مَا حَوَيْتَ جَنَى نَخْلَةٍ فَلَا تَقْرُبْنَهَا إِلَى قَابِلٍ
وَأَمَّا سَقَطْتَ عَلَى بَيْدَرٍ فَحَوْضِلُ مِنَ السُّنْبِلِ الْخَاصِلِ
وَلَا تَلْبِثَنَّ^(٦) إِذَا مَا لَقَطْتَ فَتَنْشَبَ فِي كَفَّةِ الْحَابِلِ^(٧)
وَلَا تُوْغَلَنَّ إِذَا مَا سَبَحْتَ^(٨) فَإِنَّ السَّلَامَةَ فِي السَّاحِلِ
وَخَاطَبَ بِهِاتِ^(٩) وَجَاوِبُ سَوْفَ وَبِعَ آجِلًا مِنْكَ بِالْعَاجِلِ
وَلَا تُكْثِرَنَّ عَلَى صَاحِبٍ فَمَا مَلَّ قَطُّ سِوَى الْوَاصِلِ

ثُمَّ قَالَ: اخْزَنْهَا^(١٠) فِي تَأْمُورِكَ^(١١)، وَاقْتَدِ بِهِ فِي أُمُورِكَ، وَبَادِرْ إِلَى
صَحْبِكَ، فِي كَلَاءَةِ^(١٢) رَبِّكَ، فَإِذَا بَلَغْتَهُمْ فَأَبْلِغَهُمْ تَحِيَّتِي، وَاتْلُ عَلَيْهِمْ
وَصِيَّتِي، وَقُلْ لَهُمْ عَنِّي: إِنَّ السَّهْرَ فِي الْخُرَافَاتِ، لِمَنْ أَعْظَمَ الْآفَاتِ،
وَلَسْتُ أُلْغِي احْتِرَاسِي، وَلَا أَجْلُبُ الْهُوسَ^(١٣) إِلَى رَاسِي، قَالَ الرَّأْوِي:
فَلَمَّا وَقَفْنَا عَلَى فَحْوَى^(١٤) شِعْرِهِ، وَاطَّلَعْنَا عَلَى نُكْرِهِ وَمَكْرِهِ، تَلَاوَمْنَا عَلَى
تَرْكِهِ، وَالْإِغْتِرَارِ بِإِفْكِهِ، ثُمَّ تَفَرَّقْنَا بِوَجْهِهِ بِاسِرَةٍ^(١٥)، وَصَفَقَةٍ خَاسِرَةٍ^(١٦).

(٢) أولادي.

(٤) خذ.

(٦) لا تبطئ.

(٨) متى عمت.

(١٠) احفظها.

(١٢) بالكسر والمد؛ أي: حراسة وحفظ.

(١٤) حقيقة ومعنى.

(١٦) مغبونة.

(١) بيت.

(٣) جذب ونزع.

(٥) منابت.

(٧) الصائد.

(٩) أعطني.

(١١) قلبك.

(١٣) بفتحين، خفة العقل.

(١٥) متكرهه عابسة.

المقامة السابعة عشرة القَهْقَرِيَّةُ

حَدَّثَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: لَحِظْتُ فِي بَعْضِ مَطَارِحِ الْبَيْنِ، وَمَطَامِحِ^(١) الْعَيْنِ، فَنِيَّةٌ عَلَيْهِمْ سِيمَا الْحَجَى^(٢)، وَطُلَاوَةٌ نُجُومِ الدُّجَى، وَهُمْ فِي مُمَارَاةٍ مُشْتَدَّةٍ الْهُبُوبِ^(٣)، وَمُبَارَاةٍ مُشْتَطَّةٍ^(٤) الْأُلْهُوبِ، فَهَزَنِي^(٥) لِقَصْدِهِمْ هَوَى الْمُحَاضِرَةِ، وَاسْتَحْلَاءُ جَنَى الْمُنَاطِرَةِ، فَلَمَّا التَّحَقَّتْ بِرَهْطِهِمْ، وَأَنْتَضَمْتُ فِي سَمَطِهِمْ، قَالُوا: أَأَنْتَ مِمَّنْ يُبْلَى فِي الْهَيْجَاءِ، وَيُلْقَى دَلْوُهُ فِي الدَّلَاءِ؟ فَقُلْتُ: بَلِ أَنَا مِنْ نَظَارَةِ الْحَرْبِ^(٦)، لَا مِنْ أَبْنَاءِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ، فَأَضْرَبُوا عَنْ حِجَاكِجِي^(٧)، وَأَفَاضُوا فِي التَّحَاكِجِي^(٨)، وَكَانَ فِي بَحْبُوحَةِ حَلَقَتِهِمْ، وَإِكْلِيلِ رُفْقَتِهِمْ، شَيْخٌ قَدْ بَرَّتَهُ^(٩) الْهُمُومُ، وَلَوْحَتُهُ السَّمُومُ، حَتَّى عَادَ أَنْحَلُ، مِنْ قَلَمٍ وَأَفْحَلُ^(١٠) مِنْ جَلَمٍ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُبْدِي الْعُجَابَ، إِذَا أَجَابَ، وَيُنْسِي سَحْبَانَ، كُلَّمَا أَبَانَ، فَأُعْجِبْتُ بِمَا أُوتِي مِنَ الْإِصَابَةِ، وَالتَّبَرُّيزِ^(١١) عَلَى تِلْكَ الْعِصَابَةِ، وَمَا زَالَ يَفْضَحُ كُلُّ مُعَمِّي، وَيُضْمِي فِي كُلِّ مَرْمَى، إِلَى أَنْ خَلَّتِ الْجِعَابُ، وَنَفَدَ^(١٢) السُّؤَالُ

(١) هي المواضع الحَسَنُ التي تَطْمَحُ فِيهَا الْعَيْنُ بِالنَّظَرِ؛ أَي: تَرْتَفِعُ إِلَيْهَا.

(٢) علامة العقل. (٣) يعني: شديدة كبيرة الحركة.

(٤) بعيدة. (٥) حركني.

(٦) من ينظر الحرب ولا يُحَارِبُ. (٧) جدالي.

(٨) الألغاز ومطارحة المسائل. (٩) أنحلته وأنحفته.

(١٠) التقدّم والسبق. (١١) أيسس. (١٢) فني.

وَالْجَوَابُ، فَلَمَّا رَأَى إِنْفَاضَ الْقَوْمِ، وَاضْطِرَّارَهُمْ إِلَى الصَّوْمِ، عَرَضَ
بِالْمُطَارَحَةِ^(١)، وَاسْتَأْذَنَ فِي الْمُفَاتَحَةِ، فَقَالُوا لَهُ: حَبِّدَا، وَمَنْ لَنَا بِذَا؟ فَقَالَ:
أَتَعْرِفُونَ رِسَالَةَ أَرْضِهَا سَمَاوُهَا، وَصُبْحُهَا مَسَاوُهَا؟ نُسِجَتْ عَلَى مَنَوَالَيْنِ^(٢)،
وَتَجَلَّتْ فِي لَوْنَيْنِ، وَصَلَّتْ إِلَى جِهَتَيْنِ، وَبَدَتْ ذَاتَ وَجْهَيْنِ، إِنْ بَزَغَتْ مِنْ
مَشْرِقِهَا، فَنَاهِيكَ بَرَوْنِقَهَا^(٣)، وَإِنْ طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَيَا لِعَجَبِهَا! قَالَ:
فَكَانَ الْقَوْمُ رُمُوا بِالصُّمَاتِ، أَوْ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْإِنْصَاتِ، فَمَا نَبَسَ^(٤)
مِنْهُمْ إِنْسَانٌ، وَلَا فَاهَ لِأَحَدِهِمْ لِسَانٌ، فَحِينَ رَأَاهُمْ بُكْمًا كَالْأَنْعَامِ، وَصُمُوتًا
كَالْأَصْنَامِ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ أَجَلْتُكُمْ أَجَلَ الْعِدَّةِ^(٥)، وَأَرْخَيْتُ^(٦) لَكُمْ طُولَ
الْمُدَّةِ، ثُمَّ هَلُّهَا مَجْمَعُ الشَّمْلِ، وَمَوْقِفُ الْفَصْلِ^(٧)، فَإِنْ سَمَحَتْ خَوَاطِرُكُمْ
مَدَحَنَا، وَإِنْ صَلَدَتْ زِنَادُكُمْ قَدَحَنَ، فَقَالُوا لَهُ: وَاللَّهِ مَا لَنَا فِي لُجَّةٍ هَذَا
الْبَحْرِ مَسْبَحًا^(٨)، وَلَا فِي سَاحِلِهِ مَسْرَحٌ، فَأَرَحَ أَفْكَارَنَا مِنَ الْكَدِّ، وَهَنِّي
الْعَطِيَّةَ بِالنَّدَدِ، وَاتَّخَذْنَا إِخْوَانًا يَثْبُونُ إِذَا وَثُبْتَ، وَيُثْبُونُ^(٩) مَتَى اسْتَبْتُ،
فَأَطْرَقَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: سَمِعَا لَكُمْ وَطَاعَةً! فَاسْتَمْلُوا مِنِّي، وَانْقُلُوا عَنِّي:
الْإِنْسَانُ صَنِيعَةُ الْإِحْسَانِ، وَرَبُّ الْجَمِيلِ، فِعْلُ النَّدْبِ^(١٠)، وَشِيْمَةُ الْحُرِّ،
ذَخِيرَةُ الْحَمْدِ^(١١)، وَكَسْبُ الشُّكْرِ، اسْتِثْمَارُ السَّعَادَةِ، وَعُنْوَانُ الْكَرَمِ، تَبَاشِيرُ

(١) المناظرة.

(٢) المنوال: خشبة الحائك.

(٣) فكافيك حسنهما؛ أي: غاية تنهاك عن طلب غيرها. (٤) نطق وتكلم.

(٥) عِدَّةُ الْمَرْأَةِ إِذَا طَلَّقَهَا زَوْجُهَا أَوْ مَاتَ عَنْهَا. (٦) مددت.

(٧) الْقَضَاءُ وَالْحُكْمُ، أَوْ: الْجَدُّ الَّذِي لَا هَزْلَ مَعَهُ. (٨) مذهب.

(٩) يعطون. (١٠) الرجل الخفيف في الحاجة.

(١١) يعني: أن طبيعة الحرّ وشيمته أنه لا ينسى المعروف، بل يحمد صاحبه دائماً.

البشر، واستعمال المداراة يُوجب المصافاة^(١)، وعقد المحبة يقتضي النصح، وصدق الحديث، حلية اللسان^(٢)، وفصاحة المنطق، سحر الألباب، وشرك الهوى، آفة النفوس^(٣)، وملل الخلائق، شين^(٤) الخلائق^(٥)، وسوء الطمع، يباين الورع، والتزام الحزامة، زمام السلامة، وتطلب المثالب، شر المعاييب، وتتبع العثرات، يدحض المودات، وخلوص النية، خلاصة العطيّة، وتهتة النوال، ثمن السؤال، وتكلف الكلف^(٦) يسهل الخلف^(٧)، وتيقن المعونة يسني المؤونة، وفضل الصدر سعة الصدر، وزينة الرعاة، مقت السعاة^(٨)، وجزاء المدائح، بث المنائح، ومهر الوسائل، تشفيع المسائل، ومجلة الغواية^(٩) استغراق الغاية، وتجاوز الحد يكل^(١٠) الحد، وتعدّي الأدب، يحبط القرب^(١١)، وتناسي الحقوق يشيئ العقوق، وتحاشي الريب يرفع الرتب^(١٢)، وارتفاع الأخطار، باقحام الأخطار وتنوّه الأقدار، بمؤاتاة الأقدار، وشرف الأعمال في تقصير الآمال، وإطالة الفكرة، تنقيح الحكمة^(١٣)، ورأس الرئاسة تهذب السياسة^(١٤)، ومع اللجاجة، تلغى الحاجة، وعند الأوجال^(١٥) تفاضل الرجال، وبفاضل الهمم، تتفاوت القيم، وبتزيد السفير، يهن التدبير، وبخلل الأحوال^(١٦)،

(٢) أي: زينه.

(١) إخلاص الصُّحبة.

(٤) عيب.

(٣) داؤها ومرضاها المؤدي إلى هلاكها.

(٦) المشاق.

(٥) الخصال والطبائع.

(٨) بغض الساعين في الناس بالنميمة.

(٧) الجزاء.

(١٠) يضعف.

(٩) الجهالة والضلالة.

(١٢) المنازل.

(١١) ما يتقرب به من الأعمال الصالحة.

(١٤) خلوص التدبير والقيام بالأمر.

(١٣) تنقيتها وتهذيبها.

(١٦) عدم استوائها وجريها على سنن واحد.

(١٥) جمع: وجل، وهو: الخوف والفرع.

تَبَيَّنُ الْأَهْوَالُ ^(١)، وبموجب الصَّبْرِ، ثَمَرَةُ النَّصْرِ، واستحقاقُ الإِحْمَادِ، بحسبِ الاجْتِهَادِ، ووجوبُ الْمُلَاحَظَةِ ^(٢) كَفَاءُ الْمُحَافَظَةِ، وصفاءُ الْمَوَالِي، بتعهدِ الْمَوَالِي، وتحلِّي المُرُوءَاتِ بِحِفْظِ الْأَمَانَاتِ، واختبارُ الْإِخْوَانِ، بتخفيفِ الْأَحْزَانِ، ودفعِ الْأَعْدَاءِ، بِكَفِّ الْأَوْدَاءِ، وامْتِحَانُ الْعُقَلَاءِ، بِمُقَارَنَةِ الْجُهَلَاءِ، وتبصُّرُ الْعَوَاقِبِ، يَوْمُنِ الْمَعَاطِبِ ^(٣)، وَاتِّقَاءُ الشُّنْعَةِ، يَنْشُرُ السُّمْعَةَ، وَقُبْحُ الْجَفَاءِ ^(٤)، يُنَافِي الْوَفَاءَ، وَجَوْهَرُ الْأَحْرَارِ ^(٥)، عِنْدَ الْأَسْرَارِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ مَائَتَا لَفْظَةٍ، تَحْتَوِي عَلَى أَدَبٍ وَعِظَةٍ، فَمَنْ سَاقَهَا هَذَا الْمَسَاقَ ^(٦)، فَلَا مَرَاءَ ^(٧) وَلَا شِقَاقَ، وَمَنْ رَامَ عَكْسَ قَالِبِهَا، وَأَنْ يَرُدَّهَا عَلَى عَقِبِهَا ^(٨)، فَلْيَقُلْ: الْأَسْرَارُ، عِنْدَ الْأَحْرَارِ، وَجَوْهَرُ الْوَفَاءِ يَنَافِي الْجَفَاءَ، وَقُبْحُ السُّمْعَةِ يَنْشُرُ الشُّنْعَةَ، ثُمَّ عَلَى هَذَا الْمُسْحَبِ فَلْيَسْحَبْهَا، وَلَا يَرْهَبْهَا ^(٩)، حَتَّى تَكُونَ خَاتِمَةً فَقَرِّهَا، وَآخِرَةُ دُرِّهَا: وَرَبُّ الْإِحْسَانِ، صَنِيعَةُ الْإِنْسَانِ.

قَالَ الرَّأَوِي: فَلَمَّا صَدَعَ بِرِسَالَتِهِ الْفَرِيدَةِ، وَأَمْلُوحتَهُ ^(١٠) الْمُفِيدَةَ، عَلِمْنَا كَيْفَ يَتَفَاوَضَلُ الْإِنْشَاءُ، وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، ثُمَّ اعْتَلَقَ كُلُّ مَنْ بَذَلَهُ، وَفَلَذَ لَهُ فَلِذَّةً مِنْ نَيْلِهِ، فَأَبَى قَبُولَ فَلِذَتِي، وَقَالَ: لَسْتُ أَرْزَأُ ^(١١) تَلَامِذَتِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُنْ أَبَا زَيْدٍ عَلَى شُحُوبِ سَحْتِكَ ^(١٢)، وَنُضُوبِ مَاءِ

(١) تظهر الشدائد.

(٢) المهالك، يريد: من نظر في عاقبة أمره، أمن مما يحذر.

(٣) سوء الأدب وثقل الكلام.

(٤) حسن سجيته.

(٥) جدال.

(٦) يخففها.

(٧) آخرها.

(٨) أفعولة من الملاحظة، وهي هنا عبارة عن الكلام المليح الذي يعجب.

(٩) أنقض.

(١٠) نقص لحمك وتغير لونك وهيتك.

وَجَنَّتَكَ، فَقَالَ: أَنَا هُوَ عَلَى نُحُولِي^(١) وَقُحُولِي، وَقَشَفَ مُحُولِي، فَأَخَذَتْ
فِي تَثْرِيهِهِ، عَلَى تَشْرِيقِهِ وَتَغْرِيْبِهِ، فَحَوَّلَقَ^(٢) وَاسْتَرْجَعَ^(٣)، ثُمَّ أَنْشَدَ مِنْ
قَلْبٍ مَوْجَعٍ:

سَلِّ الزَّمَانَ عَلَيَّ عَضْبَهُ^(٤) لِيَرَوْعَنِي وَأَحَدَ غَرْبَهُ
وَاسْتَلَّ^(٥) مِنْ جَفْنِي كَرَا هُ مُرَاغِمًا وَأَسَالَ غَرْبَهُ
وَأَجَالَني^(٦) فِي الْأَفْقِ أَطْ هُوِي شَرْقَهُ وَأَجُوبُ غَرْبَهُ
فَبِكُلِّ جَوٍّ طُلَعَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ لِي وَغَرْبَهُ
وَكَذَا الْمُغْرَبُ شَخْصَهُ مُتَغَرَّبٌ^(٧) وَنَوَاهُ غَرْبَهُ

ثُمَّ وَلَّى يَجْرُ عِطْفِيهِ^(٨)، وَيَخْطُرُ بِيَدِيهِ، وَنَحْنُ بَيْنَ مُتَلَقِّتٍ إِلَيْهِ،
وَمُتَهَافِتٍ عَلَيْهِ، ثُمَّ لَمْ نَلْبَثْ أَنْ حَلَلْنَا^(٩) الْحَبَى، وَتَفَرَّقْنَا أَيَادِي سَبَا.



(١) ذهاب لحمي.

(٢) أي قال: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

(٣) أي: قال: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

(٤) سيفه الماضي القاطع.

(٥) انتزع.

(٦) أطافني.

(٧) متغير أو صائرٌ غريبًا.

(٨) جانبي ثوابه إعراضًا وكِبْرًا.

(٩) ما أقمنا كثيرًا إِلَّا أَنْ حَلَلْنَا.

المَقَامَةُ الثَّامِنَةُ عَشْرَةُ السَّنَجَارِيَّةُ

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قال: قفلتُ ذاتَ مرّةٍ مِنَ الشَّامِ، أنحو^(١) مدينةَ السَّلامِ، في ركبٍ من بني نُميرٍ، ورُفْقَةُ أُولي خيرٍ وميرٍ^(٢)، ومعنا أبو زيدُ السَّروجيُّ عَقْلَةُ العَجَلانِ^(٣)، وسلوَةُ الثَّكلانِ، وأعجوبةُ الزَّمانِ، والمُشارُ إليه بالبنانِ، في السَّيِّانِ، فصادفَ نزولنا سَنَجَارَ^(٤)، أن أولمَ بها أحدُ التَّجارِ، فدعا إلى ما دُبَّتِه الجَفَلَى^(٥)، من أهلِ الحضارةِ والفلا^(٦)، حتّى سرت دَعْوَتُهُ إلى القافِلَةِ، وجمعَ فيها بينَ الفريضةِ والنَّافِلَةِ، فلمَّا أَجَبْنَا مُنادِيَهُ، وحلَلْنَا نادِيَهُ^(٧)، أَحْضَرَ مِنْ أَطْعَمَةِ اليَدِ واليَدَيْنِ، ما حَلَا في الفَمِّ وحَلِيَ بالعينِ، ثُمَّ قَدَّمَ^(٨) جاماً كأنما جُمِدَ من الهَوَاءِ، أو جُمِعَ من الهَبَاءِ، أو صيغَ من نورِ الفَضَاءِ^(٩)، أو قُشِرَ مِنَ الدُّرَّةِ اليَضاءِ، وقد أودِعَ لَفائِفَ النِّعَمِ، وضمَّخَ^(١٠) بالطَّيِّبِ العَمِيمِ^(١١)، وسبقَ إليه شَرِبٌ من تَسْنِيمٍ، وسفرَ عن مرأى وسيمٍ، وأرجَ نَسِيمٍ، فلمَّا اضْطَرَمَّتْ بِمَحْضَرِهِ الشَّهَوَاتُ، وقَرِمَتْ^(١٢) إلى مَخْبَرِهِ اللَّهَوَاتُ، وشارَفَ أَنْ تُشَنَّ^(١٣) عَلى سِرِّهِ

(١) رجعت من السَّفَرِ.

(٢) نفقة وصدقة.

(٣) حابس المتعجل.

(٤) مدينة في عراق العجم.

(٥) بفتحها؛ أي: الدعوة العامة وعدم التخصيص، وضدَّة: النقرى.

(٦) الْفَقْرُ والبَادِيَّةُ.

(٧) مجلسه.

(٨) ظرفاً من زجاج.

(٩) الخلاء.

(١٠) لَطَخَ.

(١١) التام.

(١٢) القَرَمُ أصله: شدَّة شهوة اللحم، ثم استعمل في مطلق الاشتهاة.

(١٣) وفي رواية بالنون بدل التاء؛ أي: تُفَرَّقُ أو تُفَرَّقُ.

الغارات، ويُنَادِي عِنْدَ نَهْيِهِ: يَا لِلثَّارَاتِ! نَشَرَ أَبُو زَيْدٍ كَالْمَجْنُونِ، وَتَبَاعَدَ عَنْهُ تَبَاعُدَ الضَّبِّ^(١) مِنَ النَّوْنِ، فَرَاوَدَنَاهُ عَلَى أَنْ يَعُودَ، وَأَلَّا يَكُونَ كَقُدَّارٍ فِي ثَمُودَ، فَقَالَ: وَالَّذِي يُنْشِرُ الْأَمْوَاتَ مِنَ الرِّجَامِ، لَا عُدْتُ دُونَ رَفْعِ الْجَامِ، فَلَمْ نَجِدْ بُدًّا مِنْ تَأْلُفِهِ، وَإِبْرَارِ حَلْفِهِ، فَأَشْلَنَاهُ^(٢) وَالْعُقُولُ مَعَهُ سَائِلَةً، وَالدَّمُوعُ عَلَيْهِ سَائِلَةً، فَلَمَّا فَاءَ إِلَى مَجْتَمِعِهِ^(٣)، وَخَلَصَ مِنْ مَأْثَمِهِ، سَأَلَنَاهُ لَمْ قَامَ، وَلَأَيِّ مَعْنَى اسْتَرْفَعَ الْجَامَ؟ فَقَالَ: إِنَّ الزَّجَاجَ نَمَامٌ، وَإِنِّي أَلَيْتُ^(٤) مُذْ أَعُوامٍ، أَنْ لَا يَضْمَنِي وَغَمُومًا مَقَامٌ، فَقُلْنَا لَهُ: وَمَا سَبَبُ يَمِينِكَ الصَّرِي، وَالْيَتِكَ الْحَرَى^(٥)؟ فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ لِي جَارٌ لِسَانُهُ يَتَقَرَّبُ، وَقَلْبُهُ عَقْرَبٌ، وَلَفْظُهُ شَهِدٌ يَنْفَعُ^(٦)، وَخَبْرُهُ سَمٌّ مَنْقَعٌ، فَمَلْتُ لِمُجَاوَرَتِهِ، إِلَى مُحَاوَرَتِهِ، وَاغْتَرَرْتُ بِمُكَاشَرَتِهِ^(٧)، فِي مُعَاشَرَتِهِ، وَاسْتَهْوَيْتَنِي خُضْرَةُ دِمْنَتِهِ، لِمُنَادِمَتِهِ^(٨)، وَأَغْرَتْنِي^(٩) خُدْعَةُ سَمْتِهِ بِمُنَاسِمَتِهِ^(١٠)، فَمَا زَجَّتُهُ وَعِنْدِي أَنَّهُ جَارٌ مُكَاسِرٌ، فَبَانَ أَنَّهُ عُقَابٌ كَاسِرٌ، وَأَنْسَتُهُ عَلَى أَنَّهُ حَبٌّ مُؤَانِسٌ، فَظَهَرَ أَنَّهُ حُبَابٌ^(١١) مُؤَالِسٌ، وَمَالَحَتُهُ^(١٢) وَلَا أَعْلَمُ أَنَّهُ عِنْدَ نَقْدِهِ، مِمَّنْ يُفْرَحُ بِفَقْدِهِ، وَعَاقَرَتُهُ وَلَكَمْ أَدْرُ أَنَّهُ بَعْدَ فَرِهِ، مِمَّنْ يُطْرَبُ لِمَفْرِهِ، وَكَانَتْ عِنْدِي جَارِيَةً، لَا يُوْجَدُ لَهَا فِي الْجَمَالِ مُجَارِيَةٌ^(١٣)، إِنْ سَفَرْتُ خَجَلَ النِّيرَانِ^(١٤)، وَصَلَيْتِ الْقُلُوبَ

(١) حيوان بري معروف يسكن الأرض التي لا مياه بها. (٢) رفعناه.

(٣) مبركه. (٤) حلفت.

(٥) حلفتك العطشى يريد: الشديدة الأكيدة. (٦) يروي ويظفي العطش.

(٧) المكاشرة: أن يفتر الإنسان أو غيره حتى تبدو ثناياه وما يليهن لضحك أو غضب، والمراد هنا: تبسمه.

(٨) لمصاحبتة.

(٩) حرصتني. (١٠) بمحادثته.

(١١) حية. (١٢) أكلته.

(١٣) مماثلة. (١٤) الشمس والقمر.

بالتَّيرَانِ، وَإِنْ بَسَمَتْ أَزْرَتْ^(١) بِالْجُمَانِ^(٢)، وَبِيعَ الْمَرْجَانُ، بِالْمَجَانِ، وَإِنْ رَنْتَ^(٣) هَيَّجَتِ الْبَلَابِلَ، وَحَقَّقَتْ سَحَرَ بَابِلَ، وَإِنْ نَطَقْتَ عَقَلْتَ^(٤) لُبَّ الْعَاقِلِ، وَاسْتَنْزَلْتَ الْعُصْمَ مِنَ الْمَعَاقِلِ، وَإِنْ قَرَأْتَ شَفَتِ الْمَفْوُودَ^(٥)، وَأَحْيَتِ الْمَوْوُودَ^(٦)، وَخَلَّتْهَا أُوتِيَتْ مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ، وَإِنْ غَنَّتْ ظِلَّ مَعْبَدٍ لَهَا عَبْدًا، وَقِيلَ: سُحْقًا لِاسْحَاقَ وَيُعْدَا! وَإِنْ زَمَرْتَ أَضْحَى زُنَامٌ^(٧) عِنْدَهَا زَنِيمًا، بَعْدَ أَنْ كَانَ لَجِيلِهِ^(٨) زَعِيمًا، وَبِالْإِطْرَابِ زَعِيمًا، وَإِنْ رَقَصْتَ أَمَالَتِ الْعَمَائِمَ عَنِ الرُّوُوسِ، وَأَنْسَتِكَ رَقْصَ الْخَبَبِ^(٩) فِي الْكُؤُوسِ، فَكُنْتُ أَزْدَرِي^(١٠) مَعَهُ حُمْرَ النَّعَمِ، وَأُحْلِي بِتَمَلِّيْهَا^(١١) جِيدَ النَّعَمِ، وَأُحْجِبُ مَرَاهَا عَنِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَأَذُودُ ذِكْرَاهَا عَنْ شَرَائِعِ^(١٢) السَّمَرِ، وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ أُلِيحُ^(١٣)، مِنْ أَنْ تَسْرِي بَرِيَّاهَا^(١٤) رِيحٌ، أَوْ يَكْهَنَ^(١٥) بِهَا سَطِيحٌ، أَوْ يَنْمَ عَلَيْهَا بَرْقٌ مُلِيحٌ، فَاتَّفَقَ لَوْشَلُ الْخَطِّ الْمُبْخُوسِ^(١٦)، وَنَكَدَ الطَّالِعِ الْمُنْخُوسِ، أَنْ أَنْطَقْتَنِي بِوَصْفِهَا حُمِيًّا الْمُدَامِ، عِنْدَ الْجَارِ النَّمَامِ^(١٧)، ثُمَّ ثَابَ الْفَهْمُ، بَعْدَ أَنْ صَرِدَ السَّهْمُ، فَأَحْسَسْتُ الْخَبَالَ^(١٨) وَالْوَبَالَ^(١٩)، وَضِيْعَةً مَا أُوْدِعَ^(٢٠) ذَلِكَ الْغَرْبَالَ، بِيَدِ أَنِّي عَاهَدْتُهُ عَلَى عَكْمٍ مَا لَفْظْتُهُ، وَأَنْ يَحْفَظَ

- (١) هزأت. (٢) جمع جُمَانَة وهي: اللؤلؤة وقيل: حبة تعمل من فضة كاللؤلؤة.
(٣) نظرت. (٤) حبست وأمسكت.
(٥) الذي به وجع الفؤاد. (٦) الذي دُفِنَ حَيًّا.
(٧) اسم الذي كان يعزف للمتوكل الموسيقى.
(٨) أهل زمانه. (٩) الزبد الذي يعلو على الخمر.
(١٠) أحتقر. (١١) تمتعي بها.
(١٢) طرقات وموارد. (١٣) بالضم؛ أشفق وأحاذر.
(١٤) رائحتها الطيبة. (١٥) المنقوص.
(١٦) يخبر. (١٧) الذي ينقل الكلام على وجه الإفساد.
(١٨) أراد به: الفساد والنقصان. (١٩) سوء العاقبة.
(٢٠) أؤتمن عليه.

السَّرَّ وَلَوْ أَحْفَظْتُهُ، فزَعَمَ أَنَّهُ يَخْزُنُ الْأَسْرَارَ، كَمَا يَخْزُنُ اللَّيْمُ الدِّينَارَ، وَأَنَّهُ لَا يَهْتِكُ^(١) الْأَسْتَارَ، وَلَوْ عُرِّضَ لَأَنْ يَلِجَ النَّارَ، فَمَا إِنْ غَبَرَ عَلَى ذَلِكَ الزَّمَانِ، إِلَّا يَوْمٌ أَوْ يَوْمَانِ، حَتَّى بَدَأَ إِلَى أَمِيرِ تِلْكَ الْمَدَرَةِ^(٢)، وَوَالِيهَا ذِي الْمَقْدَرَةِ، أَنْ يَقْصِدَ بَابَ قَيْلِهِ، مَجْدِدًا عَرْضَ خَيْلِهِ^(٣)، وَمُسْتَمْطَرًّا عَارِضَ نَيْلِهِ، وَارْتَادَ^(٤) أَنْ تَصْحَبَهُ تُحْفَةٌ تُلَاقِمُ هَوَاهُ، لِيُقَدِّمَهَا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاهُ، وَجَعَلَ يَبْذُلُ الْجَعَائِلَ^(٥) لِرُؤَادِهِ، وَيُسْنِي^(٦) الْمَرَاغِبَ لِمَنْ يُظْفِرُهُ بِمُرَادِهِ، فَاسْفَ ذَلِكَ الْجَارُ الْخِتَارُ^(٧) إِلَى بُذُولِهِ، وَعَصَى فِي أَدْرَاعِ الْعَارِ عَذْلَ عَذُولِهِ، فَاتَى الْوَالِي نَاشِرًا أذُنِيهِ، وَأَبْثَهُ مَا كُنْتُ أُسَرِّرْتُهُ إِلَيْهِ، فَمَا رَاعَنِي إِلَّا أَنْسِيَابُ^(٨) صَاغِيَتِهِ^(٩) إِلَيَّ، وَانْشِيَالُ^(١٠) حَفْدَتِهِ عَلَيَّ، يَسُومُنِي^(١١) إِثَارُهُ بِالْدَّرَةِ الْيَتِيْمَةِ، عَلَى أَنْ أَتَحَكَّمَ عَلَيْهِ فِي الْقِيَمَةِ، فَغَشِيَنِي مِنَ الْهَمِّ، مَا غَشِيَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ مِنَ الْيَمِّ، وَلَمْ أَزَلْ أَدَافِعُ عَنْهَا وَلَا يُغْنِي الدَّفَاعُ، وَأُسْتَشْفَعُ إِلَيْهِ وَلَا يُجْدِي^(١٢) الْاسْتَشْفَاعُ، وَكُلَّمَا رَأَى مِنِّي ازْدِيَادَ الْاِعْتِيَاصِ^(١٣)، وَارْتِيَادَ الْمَنَاصِ، تَجَرَّمَ^(١٤) وَتَضَرَّمَ، وَحَرَّقَ عَلَيَّ الْأُرَمَ، وَنَفْسِي مَعَ ذَلِكَ لَا تَسْمَحُ بِمُفَارَقَةٍ بَدْرِي، وَلَا بَأَنْ أَنْزِعَ قَلْبِي مِنْ صَدْرِي، حَتَّى آلَ الْوَعِيدُ إِيقَاعًا، وَالتَّقْرِيعُ قِرَاعًا، فَقَادَنِي الْإِشْفَاقُ^(١٥) مِنَ الْحَيْنِ^(١٦)، إِلَى أَنْ قَضَتْهُ سَوَادَ الْعَيْنِ،

(١) لا يخرق.

(٢) القرية والبلد من الأرض.

(٣) ليعرض عليه ما عنده من الأجناد.

(٤) ليعرض عليه ما عنده من الأجناد.

(٥) جمع جعالة، وهي: أجرة العامل.

(٦) يعظم العطاء.

(٧) الخداع والغدار.

(٨) انبعاث ودخول.

(٩) حاشيته ومن يميل إليه.

(١٠) يطلب مني.

(١١) ينفع.

(١٢) لا يمتنع.

(١٣) ادعى ذنبًا لم أفعله.

(١٤) لا يمتنع.

(١٥) بالفتح؛ الهلاك.

(١٦) بالخوف.

بَصْفَرَةِ الْعَيْنِ، وَلَمْ يَحْظَ الْوَاشِي^(١) بِغَيْرِ الْإِثْمِ وَالشَّيْنِ^(٢)، فَعَاهَدْتُ اللَّهَ
تَعَالَى مُدَّ ذَلِكَ الْعَهْدِ، أَلَا أُحَاضِرُ نَمَامًا مِنْ بَعْدُ، وَالزُّجَاجُ مَخْصُوصٌ بِهِذِهِ
الطَّبَاعِ الذَّمِيمَةِ^(٣)، وَبِهِ يُضْرَبُ الْمَثَلُ فِي النَّمِيمَةِ، فَقَدْ جَرَى عَلَيْهِ سَيْلٌ
يَمِينِي، وَلِذَلِكَ السَّبَبِ لَمْ تَمْتَدَّ إِلَيْهِ يَمِينِي:

فَلَا تَعْذِلُونِي بَعْدَ مَا قَدْ شَرَحْتُهُ

عَلَى أَنْ حُرِّمْتُمْ بِي اقْتِطَافَ^(٤) الْقِطَائِفِ

فَقَدْ بَانَ عُذْرِي^(٥) فِي صَنِيعِي وَإِنِّي

سَأَرْتُهُ^(٦) فَتَقِي^(٧) مِنْ تَلِيدِي وَطَارِفِي

عَلَى أَنْ مَا زَوَّدْتُكُمْ مِنْ فُكَاهَةٍ

أَلْذُّ مِنَ الْحُلُوى لَدَى كُلِّ عَارِفٍ

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَقَبِلْنَا اعْتِدَارَهُ، وَقَبِلْنَا عِذَارَهُ^(٨)، وَقُلْنَا لَهُ:
قَدْ مَا وَقَدْتَ النَّمِيمَةَ خَيْرَ الْبَشْرِ، حَتَّى انْتَشَرَ عَنْ حَمَالَةِ الْحُطْبِ مَا انْتَشَرَ، ثُمَّ
سَأَلْنَاهُ عَمَّا أَحْدَثَ جَارُهُ الْقَتَاتُ^(٩)، وَدَخَلَهُ الْمُفْتَاتُ^(١٠)، بَعْدَ أَنْ رَاشَ لَهُ
نَبْلَ السَّعَايَةِ^(١١)، وَجَدَمَ حَبْلَ الرِّعَايَةِ^(١٢).

فَقَالَ: أَخَذَ فِي الاسْتِخْذَاءِ^(١٣) وَالِاسْتِكَانَةِ، وَالِاسْتِشْفَاعِ إِلَيَّ بِذَوِي

(١) النَّمَامُ: الَّذِي يَسْعَى بِالنَّاسِ إِلَى الْوَالِي وَغَيْرِهِ.

(٢) الْعَيْبُ. (٣) الَّتِي يَذْمُهَا كُلُّ مَنْ سَمِعَ بِهَا.

(٤) مَا أَلْجَأَنِي إِلَى مَا فَعَلْتُهُ. (٥) مَا أَلْجَأَنِي إِلَى مَا فَعَلْتُهُ.

(٦) سَأَصْلَحُ وَأَسُدُّ. (٧) خَرَقِي وَخَلَلِي.

(٨) لَمُنَّا شَعْرَ خَدِّهِ. (٩) لَنَمَامَ.

(١٠) لِمَتَعَدِّي الَّذِي يَعْمَلُ بِرَأْيِ نَفْسِهِ. (١١) لِمَشْيِي بِالنَّمِيمَةِ.

(١٢) حَفِظَ الصَّدَاقَةَ. (١٣) الْخُضُوعَ.

المكانة، وكنتُ حَرَجْتُ عَلَى نَفْسِي، أَنْ لَا يَسْتَرْجِعَهُ أَنْسِي، أَوْ يَرْجِعَ إِلَيَّ
أَمْسِي، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنِّي سِوَى الرَّدِّ، وَالْإِصْرَارِ عَلَى الصَّدِّ، وَهُوَ لَا يَكْتَتِبُ
مِنَ النَّجْهِ ^(١)، وَلَا يَتَتَبُ مِنْ وَقَاحَةِ الْوَجْهِ، بَلْ يُلِطُّ بِالْوَسَائِلِ، وَيُلْحَقُ فِي
الْمَسَائِلِ، فَمَا أَنْقَذَنِي مِنْ إِبْرَامِهِ، وَلَا أَبْعَدَ عَلَيْهِ نَيْلَ مَرَامِهِ ^(٢)، إِلَّا آيَاتٌ نَفَثَ
بِهَا الصَّدْرُ الْمُتَوَرُّ، وَالْخَاطِرُ الْمُتَبَوِّرُ، فَإِنَّهَا كَانَتْ مَذْحَرَةً ^(٣) لَشَيْطَانِهِ،
وَمَسْجَنَةً لَهُ فِي أَوْطَانِهِ، وَعِنْدَ انْتِشَارِهَا بَتَّ طَلَّاقِ الْحُبُورِ، وَدَعَا بِالْوَيْلِ
وَالثُّبُورِ ^(٤)، وَيَسَّ مِنْ نَشْرِ وَصْلِي الْمَقْبُورِ، كَمْ يَسَّ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ
الْقُبُورِ، فَنَاشِدُنَاهُ أَنْ يُنْشِدَنَا إِيَّاهَا، وَيُنْشِقِنَا رِيَّاهَا.

فَقَالَ: أَجَلْ، خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ، ثُمَّ أَنْشَدَا لَا يَزُوِيهِ ^(٥) خَجَلٌ، وَلَا
يُثْنِيهِ وَجَلٌ:

وَنَدِيمَ مُحَضَّتُهُ ^(٦) صَدَقَ وَدِّي	إِذْ تَوَهَّمَتْهُ صَدِيقاً حَمِيماً
ثُمَّ أَوْلَيْتُهُ قَطِيعَةً قَالَ	حِينَ أَلْفَيْتُهُ صَدِيداً حَمِيماً
خَلَّتُهُ قَبْلَ أَنْ يَجْرَبَ الْإِفَاءَ ^(٧)	ذَا ذَمَامَ فَبَانَ ^(٨) جَلْفاً ذَمِيماً
وَتَخَيَّرْتُهُ كَلِيماً فَأَمْسَى	مِنْهُ قَلْبِي بِمَا جَنَاهُ كَلِيماً
وَتَظَنَّنِيَّتُهُ مُعِيناً رَحِيماً	فَتَبَيَّنَتْهُ لَعِيناً رَجِيماً
وَتَوَسَّمتُ أَنْ يَهْبَ نَسِيماً	عَنْهُ سَبْكَ ^(٩) لَهُ مَرِيداً لَثِيماً ^(١٠)
بَتُّ مِنْ لَسَعِهِ الَّذِي أَعْجَزَ الرَّأى	فَأَبَى أَنْ يَهْبَ إِلَّا سَمُوماً ^(١١)
	قِي ^(١٢) سَلِيماً وَبَاتَ مِنِّي سَلِيماً

(١) الرَّدُّ والرَّدْعُ.

(٢) بلوغ مقصوده.

(٣) مبعدة.

(٤) الهلاك.

(٥) لا يصرفه ولا يمنعه.

(٦) أخلصته.

(٧) محبباً يألّفني ويبغي رضائي.

(٨) جافياً.

(٩) اختباري.

(١٠) خسيس القدر وضع الهمّة.

(١١) ريحاً حارّة.

(١٢) الطيّب.

وَبَدَا نَهْجُهُ غَدَاةً افْتَرَقْنَا مُسْتَقِيمًا وَالْجِسْمُ مِنِّي سَقِيمَا
 لَمْ يَكُنْ رَائِعًا خَصِيبًا وَلَكِنْ كَانَ بِالْشَّرِّ رَائِعًا لِي خَصِيمَا
 قُلْتُ لَمَّا بَلَوتُهُ ^(١) لَيْتَهُ كَا نَ عَدِيمًا وَلَمْ يَكُنْ لِي نَدِيمًا ^(٢)
 بَغْضَ الصَّبْحِ حِينَ نَمَّ إِلَى قَلْبِ بِي لِأَنَّ الصَّبَاحَ يُلْفَى ^(٣) نَمُومَا
 وَدَعَانِي إِلَى هَوَى اللَّيْلِ إِذْ كَا نَ سَوَادُ الدُّجَى رَقِيبًا ^(٤) كَتُومَا
 وَكَفَى مَنْ يَشِي وَلَوْ فَاهَ ^(٥) بِالصَّدِّ قِ أَثَامًا فِيمَا أَتَاهُ وَلُومَا
 قَالَ: فَلَمَّا سَمِعَ رَبُّ الْبَيْتِ قَرِيضَهُ وَسَجْعَهُ، وَاسْتَمْلَحَ تَقْرِيطَهُ ^(٦)
 وَسَبْعَهُ، بَوَّاهُ مِهَادَ كَرَامَتِهِ، وَصَدَّرَهُ عَلَى تَكْرِمَتِهِ، ثُمَّ اسْتَحْضَرَ عَشْرَ صِحَافٍ
 مِنَ الْغَرْبِ، فِيهَا حُلُوءُ الْقَنْدِ وَالضَّرْبُ ^(٧).

وَقَالَ لَهُ: لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ، وَلَا يَسَعُ أَنْ يُجْعَلَ
 الْبَرِيُّ كَذِي الظَّنَّةِ ^(٨)، وَهَذِهِ الْآيَةُ تَنْزَلُ مَنْزِلَةَ الْأَبْرَارِ، فِي صَوْنِ
 الْأَسْرَارِ، فَلَا تَوَلَّهَا الْإِبْعَادَ، وَلَا تُلْحِقْ هُودًا بِعَادَ، ثُمَّ أَمَرَ خَادِمَهُ بِنَقْلِهَا إِلَى
 مَثْوَاهُ ^(٩)، لِيَحْكُمَ فِيهَا بِمَا يَهْوَاهُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا أَبُو زَيْدٍ، وَقَالَ: اقْرَؤُوا سُورَةَ
 الْفَتْحِ، وَأَبْشِرُوا بِأَنْدِمَالِ الْقَرْحِ، فَقَدْ جَبَرَ اللَّهُ ثُكُلَكُمْ ^(١٠)، وَسَنَى ^(١١)
 أَكْلَكُمْ، وَجَمَعَ فِي ظِلِّ الْحُلُوءِ شَمْلَكُمْ، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ
 خَيْرٌ لَكُمْ، وَلَكَّمَا هُمْ بِالْأَنْصِرَافِ، مَالَ إِلَى اسْتِهْدَاءِ الصَّحَافِ.

(١) جربته.

(٢) مجالسًا.

(٣) يوجد.

(٤) حافظًا.

(٥) نطق.

(٦) مدحه، وأصله: مدح الإنسان حيًا كما أن التأين مدحه ميتًا.

(٨) التهمة.

(٩) المنزل ومستقره.

(١٠) فقدكم وحزنكم.

(١١) سهل.

فَقَالَ لِلأَدَبِ: إِنَّ مِنْ دَلَائِلِ الظَّرْفِ، سَمَاحَةِ الْمُهْدِي بِالظَّرْفِ، فَقَالَ:
 كِلَاهُمَا لَكَ وَالْغُلَامُ، فَاحْذِفِ الْكَلَامَ، وَانْهَضْ بِسَلَامٍ، فَوُثِّبَ فِي الْجَوَابِ،
 وَشَكَرَهُ شُكْرَ الرُّوضِ لِلْسَّحَابِ، ثُمَّ اقْتَادَنَا أَبُو زَيْدٍ إِلَى حِوَاثِهِ^(١)، وَحَكَمْنَا
 فِي حُلُوثِهِ، وَجَعَلَ يَقْلِبُ الْأَوَانِي بِيَدِهِ، وَيَفُضُّ عِدَدَهَا عَلَى عِدَدِهِ^(٢)، ثُمَّ
 قَالَ: لَسْتُ أَدْرِي أَشْكُو ذَلِكَ النَّمَامَ أَمْ أَشْكُرُ، وَاتَّنَاسَى فَعَلْتُهُ الَّتِي فَعَلَهَا أُمُّ
 أَذْكُرُ؟ فَإِنَّهُ وَإِنْ كَانَ أَسْلَفَ^(٣) الْجَرِيْمَةَ، وَنَمَنَمَ النَّمِيْمَةَ^(٤)، فَمِنْ غِيْمِهِ
 انْهَلَتْ هَذِهِ الدِّيْمَةُ^(٥)، وَبَسِيفِهِ انْحَازَتْ هَذِهِ الْغَنِيْمَةُ، وَقَدْ خَطَرَ بِيَالِي، أَنْ
 أَرْجِعَ إِلَى أَشْبَالِي^(٦)، وَأَقْنَعَ بِمَا تَسْنَى لِي، وَأَلَّا أَتَعِبَ نَفْسِي وَلَا أَجْمَالِي،
 وَأَنَا أُوْدِّعُكُمْ وَدَاعَ مُحَافِظٍ، وَأَسْتُوْدِعُكُمْ خَيْرَ حَافِظٍ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى
 رَاحِلَتِهِ، رَاجِعاً فِي حَافِرَتِهِ^(٧)، وَلَاوِيّاً إِلَى زَافِرَتِهِ^(٨)، فَغَادَرْنَا بَعْدَ أَنْ
 وَخَدَتْ عَنْسُهُ^(٩)، وَزَايَلْنَا أَنْسُهُ، كَدَسَتْ غَابَ صَدْرُهُ، أَوْ لَيْلٍ أَفْلَ بَدْرُهُ.



(١) بالكسر؛ بيته الذي يحويه.

(٢) يفرّق عدد الآنية على عدد أصحابه.

(٣) قدّم.

(٤) نقش وحسن.

(٥) المطر يدوم أياماً.

(٦) أولادي.

(٧) الطريق التي جاء منها.

(٨) جماعته وعشيرته.

(٩) ناقته الصلبة.

المَقَامَةُ التَّاسِعَةُ عَشْرَةُ النَّصِيبِيَّةُ

رَوَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: أُمِّحِلَ ^(١) الْعِرَاقُ ذَاتَ الْعُوَيْمِ، لِإِخْلَافِ
أَنْوَاءِ الْعَيْمِ، وَتَحَدَّثَ الرُّكْبَانُ بِرَيْفِ نَصِيبِينَ، وَبُلْهَنِيَّةٍ ^(٢) أَهْلِهَا الْمُخَصِبِينَ،
فَاقْتَعَدْتُ مَهْرِيًّا، وَاعْتَقَلْتُ سَمَهْرِيًّا ^(٣)، وَسَرْتُ تَلْفِظُنِي أَرْضُ إِلَى أَرْضٍ،
وَيَجْذِبُنِي رَفْعٌ مِنْ خَفْضٍ، حَتَّى بَلَغْتُهَا نِقْضًا عَلَى نِقْضٍ ^(٤)، فَلَمَّا أَنْخْتُ
بِمَغْنَاهَا ^(٥) الْخَصِيبِ، وَضَرَبْتُ فِي مَرَعَاهَا بَنَصِيبٍ، نَوَيْتُ أَنْ أُلْقِيَ بِهَا
جِرَانِي، وَأَتَّخِذَ أَهْلَهَا جِيرَانِي، إِلَى أَنْ تَحْيَا السَّنَةُ الْجَمَادُ ^(٦)، وَتَتَعَهَّدُ أَرْضُ
قَوْمِي الْعِهَادُ ^(٧)، فَوَاللَّهِ مَا تَمَضُّمَضْتُ مُقْلَتِي بَنَوْمِهَا، وَلَا تَمَحَّضْتُ لَيْلَتِي
عَنْ يَوْمِهَا، دُونَ أَنْ أَلْفَيْتُ أَبَا زَيْدَ السَّرُوجِيِّ ^(٨) يَجُولُ فِي أَرْجَاءِ نَصِيبِينَ،
وَيَخِيطُ ^(٩) بِهَا خَبَطَ الْمُصَايِينِ ^(١٠) وَالْمُصِيبِينَ ^(١١)، وَهُوَ يَنْثُرُ مِنْ فِيهِ الدَّرَرَ،
وَيَحْتَلِبُ بِكَفِّهِ الدَّرَرَ، فَوَجَدْتُ بِهَا جِهَادِي ^(١٢) قَدْ حَازَ مَغْنَمًا، وَقَدَحِي الْفَذَّ

(١) أجذب.

(٢) رغد العيش والرخاء والسعة.

(٣) وضعته بين ساقِي وركابي. والسَّمَهْرِيُّ: الرَّمْحُ الصَّلْبُ، أَوْ: هُوَ نَسْبَةٌ إِلَى سَمَهْرٍ زَوْجِ رُذَيْنَةَ
وَكَانَا مَثَقِّقِينَ لِلرَّمَاكِ.

(٤) النَقْضُ - بِالْكَسْرِ - الْمَهْزُولُ مِنَ السَّيْرِ؛ أَيْ: أَنَا مَهْزُولٌ وَجَمَلِي كَذَلِكَ.

(٥) منزلها.

(٦) التي لَا مَطَرُ فِيهَا، وَكُنْتُ بِإِحْيَائِهَا عَنْ زَوَالِ الْقَحْطِ وَالْجَدْبِ.

(٧) المَطَرُ الْمَتَكَرِّرُ الَّذِي يَتَعَهَّدُ الْأَرْضُ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ. (٨) يَتَرَدَّدُ.

(٩) يَمْشِي عَلَى غَيْرِ هَدَايَةٍ.

(١٠) الْمُجَانِبِينَ.

(١١) الْمُوَاجِدِينَ لِمَا يَطْلُبُونَ.

(١٢) مُشَقِّقَتِي وَتَعَبِي.

قَدْ صَارَ تَوَّامًا، وَلَمْ أَزَلْ أَتَّبِعُ ظِلَّهُ أَيْنَمَا انْبَعَثَ، وَالتَّقَطُّ لَفْظُهُ كَلَّمَا نَفَثَ،
إِلَى أَنْ عَرَاهُ مَرَضٌ أَمَدًا^(١) مَدَاهُ، وَعَرَقَتْهُ مَدَاهُ، حَتَّى كَادَ يَسْلُبُهُ ثَوْبَ
الْمَحْيَا، وَيَسْلُمُهُ إِلَى أَبِي يَحْيَى^(٢)، فَوَجَدْتُ لَفَوْتَ لُقْيَاهُ، وَانْقِطَاعَ سُقْيَاهُ،
مَا يَجِدُهُ الْمُبْعَدُ عَنْ مَرَامِهِ، وَالْمُرْضِعُ^(٣) عِنْدَ فِطَامِهِ، ثُمَّ أَرْجَفَ بِأَنْ رَهْنَهُ
قَدْ غَلِقَ، وَمِخْلَبَ^(٤) الْحَمَامِ بِهِ قَدْ عَلِقَ، فَقَلِقَ صَحْبُهُ لِأَرْجَافِ
الْمُرْجِفِينَ^(٥)، وَانْثَالُوا إِلَى عَقَوْتِهِ مُوجِفِينَ^(٦):

حَيَارَى يَمِيدُ بِهِمْ شَجْوُهُمْ^(٧) كَأَنَّهُمْ ارْتَضَعُوا الْخُنْدَرِيسَا
أَسَالُوا الْغُرُوبَ وَعَطَّوْا الْجُيُوبَ وَصَكَّوْا الْخُدُودَ وَشَجَّوْا الرُّوُوسَا
يُودُونَ لَوْ سَالَتْهُ الْمَنُونُ وَغَالَتْ^(٨) نَفَائِسُهُمُ وَالنَّفُوسَا

قَالَ الرَّأَوِي: وَكُنْتُ فِي مَنِ التَّفَّ بِأَصْحَابِهِ، وَأَغْذَى إِلَى بَابِهِ، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا
إِلَى فَنَائِهِ، وَتَصَدَّيْنَا لِاسْتِنْشَاءِ^(٩) أَنْبَائِهِ، بَرَزَ إِلَيْنَا فَتَاهُ، مُفْتَرَّةً^(١٠) شَفَتَاهُ،
فَاسْتَظْلَعَنَاهُ طَلَعَ الشَّيْخِ^(١١) فِي شِكَايَتِهِ^(١٢)، وَكُنْهَ^(١٣) قُوَى حَرَكَاتِهِ، فَقَالَ:
قَدْ كَانَ فِي قَبْضَةِ الْمَرْضَةِ، وَعَرْكََةِ الْوَعَكَةِ، إِلَى أَنْ شَفَّهَ^(١٤) الدَّنْفَ^(١٥)،
وَاسْتَشَفَّهَ التَّلْفَ، ثُمَّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِتَقْوِيَةِ ذِمَّائِهِ، فَأَفَاقَ مِنْ إَغْمَائِهِ،
فَارْجَعُوا أَدْرَاجَكُمْ^(١٦)، وَانْضُوا انْزِعَاجَكُمْ، فَكَأَنَّ قَدْ غَدَا وَرَاحَ، وَسَاقَاكُمْ

(١) طَالَ زَمَنُهُ وَلَمْ يَشْفَ. (٢) كُنْيَةُ الْمَوْتِ، أَوْ مَلِكُ الْمَوْتِ. (٣) الرُّضِيعُ.

(٤) وَاحِدُ الْمَخَالِبِ، وَأَصْلُهَا لِلْسَّبَاعِ، اسْتُعِيرَتْ لِلْحَمَامِ.

(٥) لَخُوضُ الْخَائِضِينَ وَإِذَاعَتُهُمُ الْأَخْبَارَ الْكَاذِبَةَ. (٦) مُسْرِعِينَ.

(٧) حَزَنَهُمْ. (٨) أَهْلَكَتْ.

(٩) لِاسْتِعْلَامِ أَخْبَارِهِ. (١٠) مُبْتَسِمَةً.

(١١) حَقِيقَةُ أَمْرِهِ وَحَالِهِ. (١٢) فِي مَرَضِهِ.

(١٣) كُنْهَ الشَّيْءِ: حَقِيقَتُهُ وَغَايَةُ مُنْتَهَاهُ. (١٤) أَضْنَاهُ وَأَوْجَعَهُ وَأَضْمَرَهُ.

(١٥) الْمَرَضُ. (١٦) فِي أَدْرَاجِكُمْ، وَالدَّرَجُ: الطَّرِيقُ؛ أَيْ: ارْجِعُوا مِنْ حَيْثُ أَتَيْتُمْ.

الرَّاحَ، فَأَعْظَمْنَا بُشْرَاهُ^(١)، واقترحنا أَنْ نَرَاهُ، فدخلَ مؤذناً^(٢) بنا، ثُمَّ خَرَجَ
أَذْناً لَنَا، فَلَقِينَا مِنْهُ لَقًى، وَلِسَاناً طُلُقاً، وجلسنا مُحَدِّقِينَ بِسَرِيرِهِ، مُحَدِّقِينَ
إِلَى أُسَارِيرِهِ^(٣)، فَقَلَبَ طَرْفَهُ فِي الْجَمَاعَةِ، ثُمَّ قَالَ: اجْتَلَوْهَا بِنْتَ السَّاعَةِ،
وَأَنشُد:

عَافَانِي اللّٰهُ وَشُكْرًا لَهُ مِنْ عِلَّةٍ كَادَتْ تُعَفِّينِي
وَمَنْ بِالْبُرءِ^(٤) عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ حَتْفِ^(٥) سَيِّرِنِي^(٦)
مَا يَتَنَاسَانِي وَلَكِنَّهُ إِلَى تَقْضِي الْأَكْلِ يُنْسِينِي
إِنْ حُمَّ لَمْ يُغْنِ^(٧) حَمِيمٌ وَلَا حَمَى كُلِّيبٍ مِنْهُ يَحْمِينِي
وَمَا أَبَالِي أَذْناً يَوْمَهُ أَمْ أُخَّرَ الْحَيْنَ^(٨) إِلَى حِينٍ
فَأَيُّ فَخْرٍ فِي حَيَاةٍ أَرَى فِيهَا الْبَلَايَا ثُمَّ تُبْلِينِي^(٩)

قَالَ: فَدَعَوْنَا لَهُ بِامْتِدَادِ الْأَجَلِ، وَارْتِدَادِ الْوَجَلِ^(١٠)، ثُمَّ تَدَاعَيْنَا إِلَى
الْقِيَامِ، لَاتَّقَاءِ الْإِبْرَامِ، فَقَالَ: كَلَّا بَلِ الْبَثْوَا بِيَاضَ يَوْمِكُمْ عِنْدِي، لَتَشْفُوا
بِالْمَفَاكِهِةِ وَجَدِي، فَإِنَّ مُنَاجَاتِكُمْ قَوَتْ نَفْسِي، وَمَغْنَطِيسُ أُنْسِي، فَتَحَرَّيْنَا
مَرْضَاتَهُ، وَتَحَامَيْنَا^(١١) مُعَاصَاتَهُ^(١٢)، وَأَقْبَلْنَا عَلَى الْحَدِيثِ نَمْخُضُ
زُبْدَهُ^(١٣)، وَنُلْغِي زُبْدَهُ، إِلَى أَنْ حَانَ وَقْتُ الْمَقِيلِ^(١٤)، وَكَلَّتِ الْأَلْسُنُ مِنْ

(١) استعظمناها.

(٢) معلماً.

(٣) إلى غضون جبهته؛ أي: خطوطها.

(٤) بالشَّقاء.

(٥) الحنف: الموت والهلاك.

(٦) يهلكني ويذهب لحمي.

(٧) لم يَنْفَعْ.

(٨) بفتح الحاء؛ الهلاك.

(٩) تُخْلِقْنِي.

(١٠) زوال الخوف والفرع.

(١١) جانبنا.

(١٢) عصيانه.

(١٣) نترك رديته.

(١٤) القيلولة: وهي النَّوْمُ وقت الظُّهْرِ.

الْقَالَ وَالْقِيلِ، وَكَانَ يَوْمًا حَامِيَّ الْوَدِيقَةِ^(١)، يَانِعَ الْحَدِيقَةِ، فَقَالَ: إِنَّ النَّعَاسَ قَدْ أَمَالَ الْأَعْنَاقَ، وَرَاوَدَ الْأَمَاقَ^(٢)، وَهُوَ خَصْمٌ أَلَدٌ، وَخِطْبٌ^(٣) لَا يُرَدُّ، فَصَلُّوا حَبْلَهُ بِالْقِيلُولَةِ، وَاقْتَدُوا فِيهِ بِالْآثَارِ الْمُنْقُولَةِ.

قَالَ الرَّأوِي: فَاتَّبَعْنَا مَا قَالَ، وَقَلْنَا وَقَالَ، فَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى الْأَذَانِ، وَأَفْرَغَ السَّنَةَ فِي الْأَجْفَانِ، حَتَّى خَرَجْنَا مِنْ حُكْمِ الْوُجُودِ، وَصَرَّفْنَا بِالْهُجُودِ^(٤)، عَنِ السُّجُودِ، فَمَا اسْتَيْقَظْنَا إِلَّا وَالْحَرُّ قَدْ بَاخَ^(٥)، وَالْيَوْمُ قَدْ شَاخَ^(٦)، فَتَكَرَّرْنَا لَصَلَاةِ الْعَجَمَاوِينَ^(٧)، وَأَدِينَا مَا حَلَّ مِنَ الدِّينِ، ثُمَّ تَحَثَّنَا^(٨) لِلارْتِحَالِ، إِلَى مُلْقَى الرَّحَالِ، فَالْتَفَتَ أَبُو زَيْدٍ إِلَى شِبْلِهِ، وَكَانَ عَلَى شَاكِلَتِهِ وَشَكْلِهِ، وَقَالَ: إِنِّي لِأَخَالُ أَبَا عَمْرَةَ، قَدْ أَضْرَمَ فِي أَحْشَائِهِمُ الْجَمْرَةَ، فَاسْتَدْعَ أَبَا جَامِعٍ، فَإِنَّهُ بُشْرَى كُلِّ جَائِعٍ، وَأَرْدَفَهُ^(٩) بِأَبِي نُعَيْمٍ، الصَّابِرِ عَلَى كُلِّ ضَيْمٍ، ثُمَّ عَزَّزَ^(١٠) بِأَبِي حَيْبٍ، الْمُحِبِّ إِلَى كُلِّ لَيْبٍ، الْمُقَلَّبِ بَيْنَ إِحْرَاقٍ وَتَعْذِيبٍ، وَأَهْبَ بِأَبِي ثَقِيفٍ، فَحَبَّذَا هُوَ مِنْ أَلِيفٍ، وَهَلُمُّ^(١١) بِأَبِي عَوْنٍ، فَمَا مِثْلُهُ مِنْ عَوْنٍ، وَلَوْ اسْتَحْضَرْتَ أَبَا جَمِيلٍ، لَجَمَلَ أَيَّ تَجْمِيلٍ، وَحَيَّ هَلْ بَأَمِّ الْقِرَى، الْمَذْكُورَةَ بِكِسْرَى، وَلَا تَتَنَاسَ أُمَّ جَابِرٍ^(١٢)، فَكَمْ لَهَا مِنْ ذَاكِرٍ، وَنَادِ أُمَّ الْفَرَجِ، ثُمَّ افْتِكَ بِهَا وَلَا حَرَجَ، وَاخْتِمَ بِأَبِي رَزِينٍ^(١٣)، فَهُوَ مَسْلَاةٌ^(١٤) كُلِّ حَزِينٍ، وَإِنْ تَقَرُّنَ بِهِ أَبَا الْعَلَاءِ،

(١) الوديقة: شدة حرّ الهاجرة.

(٣) بكسر الخاء؛ الذي يخطب المرأة.

(٥) فتر وسكن.

(٧) هما الظهر والعصر.

(٩) اتبعه.

(١١) أي: أقبل.

(١٣) هو الخبيص.

(٢) جمع ماق، وهو: جانب العين.

(٤) بالنوم.

(٦) قارب الانتهاء.

(٨) تهيأنا.

(١٠) أي: قو.

(١٢) الهريسة.

(١٤) سبب السلو وهو: زوال الغم.

تَحُجُّ اسْمَكَ مِنَ الْبُخْلَاءِ، وَإِيَّاكَ وَاسْتَدْنَاءَ الْمُرْجَفِينَ، قَبْلَ اسْتِقْلَالِ حُمُولِ
الْبَيْنِ، وَإِذَا نَزَعَ الْقَوْمُ عَنِ الْمَرَّاسِ^(١)، وَصَافَحُوا أَبَا إِيَّاسٍ، فَاطْفَ عَلَيْهِمْ
أَبَا السَّرْوِ^(٢)، فَإِنَّهُ عُنْوَانُ السَّرْوِ^(٣).

قَالَ: فَقَفَّهَ ابْنُهُ لَطَائِفَ رُمُوزِهِ^(٤)، بِلَطَافَةِ تَمْيِيزِهِ، فَطَافَ عَلَيْنَا بِالطَّيِّبَاتِ
وَالطَّيِّبِ، إِلَى أَنْ أَذْنَتْ الشَّمْسُ بِالْمَغِيبِ، فَلَمَّا أَجْمَعْنَا عَلَى التَّوْدِيعِ، قُلْنَا
لَهُ: أَلَمْ تَرَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ الْبَدِيعِ؟ كَيْفَ بَدَأَ صُبْحُهُ^(٥) فَمَطَرِيرًا، وَمُسِيَّهُ
مُسْتَتِيرًا؟ فَسَجَدَ حَتَّى أَطَالَ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ:

لَا تَيْأَسَنَّ عِنْدَ النُّوبِ	مَنْ فَرَجَةَ تَجَلَّوْا الْكُرْبَ ^(٦)
فَلَكُمْ سَمُومٌ ^(٧) هَبْ	ثُمَّ جَرَى نَسِيمًا ^(٨) وَانْقَلَبْ
وَسَحَابَ مَكْرُوهِ تَنْشُ	شَا ^(٩) فَاضْمَحَلَّ ^(١٠) وَمَا سَكَبْ
وَدُخَانَ خَطْبِ خَيْفَ مَنْ	هُ فَمَا اسْتَبَانَ لَهُ لَهَبْ
وَلَطَائِلَ طَلَعِ الْأَسَى	وَعَلَى تَفِيئَتِهِ غَرَبَ ^(١١)
فَاصْبِرْ إِذَا مَا نَابَ رَوْ	عٌ فَالزَّمانُ أَبُو الْعَجَبِ ^(١٢)
وَتَرَجَّ مِنْ رَوْحِ الْإِلَـ	هِ لَطَائِفًا لَا تُحْتَسَبْ

قَالَ: فَاسْتَمَلَيْنَا مِنْهُ أَيْبَاتُهُ الْغُرَّ، وَوَالَيْنَا لِلَّهِ تَعَالَى الشُّكْرَ، وَوَدَّعْنَاهُ
مَسْرُورِينَ بِبُرَّتِهِ، مَغْمُورِينَ بِبِرِّهِ.



(١) شدة المعالجة، يريد: إذا كفوا عن تناول الطعام.

(٢) البخور.

(٣) علامة السخاء والكرم.

(٤) وقت انجاء الظلمة.

(٥) تكشف الغيوم الشديدة.

(٦) ريحا باردة طيبة.

(٧) ارتفع.

(٨) تلاشى وتفرق.

(٩) تتولد فيه العجائب.

(١٠) غاب.

(١١) إشاراته.

(١٢) ريح حارة.

تَفْسِيرُ أَلْفَاظٍ مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْمَقَامَةُ مِنْ كَلِمَاتٍ لُغَوِيَّةٍ وَكُنَى طُفِيلِيَّةٍ وَكِنَايَاتٍ صُوفِيَّةٍ

قَوْلُهُ: (ذَاتَ الْعُويْمِ) يعني به الزمان المتقدم، ومثله ذات الزمين
(وَالسَّمَهَرِيَّةُ) الرماح وفي تسميتها بذلك قولان:

أحدهما: أنها سميت لصلابتها من قولهم اسمهر الشيء إذا اشتد وقيل
أنها منسوبة إلى سمهر زوج ردينة وكانا جميعاً يقومان الرماح بسوق هجر
فنسبت إليهما .

وقَوْلُهُ: (نِقْضاً عَلَى نِقْضٍ) أي مهزولاً على مهزول، و(الْجِرَّانَ) باطن
العنق وقيل منه تعمل السياط .

وقَوْلُهُ: (فَضْرَبَ اللَّهُ عَلَى الْأَذَانِ) أي: أنامنا، ومنه قوله عز وجل:
﴿فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ﴾ [الكهف: ١١] أي نيمناهم، وقيل في تفسيره
منعناهم السمع .

وقَوْلُهُ: (فَتَكَرَّرْنَا لَصَلَاةِ الْعَجَمَاوِينَ)؛ أي غسلنا أكارعنا وهو كناية عن
الوضوء، والعجماوان صلاتا الظهر والعصر سميتا بذلك لإسرار القراءة
فيهما، وقَوْلُهُ: (هَلُمُّ) أي قل: هلم وهي تأتي بمعنى هات وبمعنى أقبل
والأفصح أن يوحد لفظها مع المذكر والمؤنث والاثنين والجمع وبه نطق القرآن
في قوله تعالى: ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: ١٨]، ومن العرب من
يقول للمذكر الواحد: هلم وللثنين هلما وللجميع هلموا، والمؤنث الواحدة
هلمي وللثنين هلما وللجمع هلمن . وقوله: (حي هل) أي عجل وأسرع

يقال حيّ هل بفلان بتسكين اللام وفتحها وتنوينها وبإثبات النون معها ومنه قول ابن مسعود في عمر رضي الله عنه إذا ذكر الصالحون فحيّ هلاًّ بعمر، وفي (حيّ هل) لغات آخر أضربنا عن ذكرها إذ ليس هَذَا موضع استيفاء شرحها، فهَذَا تفسير الألفاظ اللغوية، وأما تفسير الكنى الطفيلية والكنيات الصوفية (فأبو يحيى) كنية الموت و(أبو عمرة) كنية الجوع، ويكنى أيضاً أباً مالك و(أبو جامع) الخوان و(أبو نعيم) الخبز الحواري و(أبو حبيب) الجدي و(أبو ثقيف) الخل و(أبو عون) المُلح و(أبو جميل) البقل و(أم القرى) السكّاج و(أم جابر) الهريسة و(أم الفرج) الجوذات و(أبو رزين) الخبيص و(أبو العلاء) الفالوذق (كذا في الأصل) و(أبو إياس) الغسول و(المرجفان) الطست والإبريق و(أبو السّرّو) البخور.



المَقَامَةُ العُشْرُونَ الفَارِقِيَّةُ

حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: يَمُتُ ^(١) مَيَّافَارِقِينَ، مَعَ رُقْفَةٍ مُوَافِقِينَ، لَا يُمَارُونَ ^(٢) فِي الْمُنَاجَاةِ، وَلَا يَذَرُونَ مَا طَعِمُوا الْمُدَاجَاةَ ^(٣)، فَكُنْتُ بِهِمْ كَمَنْ لَمْ يَرَمْ عَنْ وَجَارِهِ، وَلَا ظَعْنَ ^(٤) عَنْ أَلْفِهِ وَجَارِهِ، فَلَمَّا أَنْخَنَّا بِهَا مَطَايَا التَّسْيَارِ، وَانْتَقَلْنَا عَنِ الْكُورِ، إِلَى الْأُوكَارِ ^(٥)، تَوَاصَيْنَا بِتَذْكَارِ الصُّحْبَةِ، وَتَنَاهَيْنَا ^(٦) عَنِ التَّقَاطُعِ فِي الْغُرْبَةِ، وَاتَّخَذْنَا نَادِيًا نَعْتَمِرُهُ ^(٧) طَرْفِي النَّهَارِ، وَنَتَهَادَى فِيهِ طُرْفَ الْأَخْبَارِ ^(٨)، فَبَيْنَمَا نَحْنُ بِهِ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ، وَقَدْ انْتَضَمْنَا فِي سِلْكِ الْإِلْتِمَامِ، وَقَفَ عَلَيْنَا ذُو مِقْوَلٍ ^(٩) جَرِيٍّ، وَجَرَسِ جَهْوَرِيٍّ ^(١٠)، فَحِيَّا تَحِيَّةَ نَفَاثٍ فِي الْعُقْدِ، فَنَاصِ ^(١١) لِلْأَسَدِ، وَالنَّقْدِ، ثُمَّ قَالَ:

عِنْدِي يَا قَوْمُ حَدِيثٌ عَجِيبٌ فِيهِ اعْتِبَارٌ لِلْبَيْبِ ^(١٢) الْأَرِيبِ ^(١٣)
رَأَيْتُ فِي رَيْعَانِ عُمْرِي أَخَا بَأْسَ لَهُ حَدُّ الْحُسَامِ الْقَضِيبِ
يُقَدِّمُ فِي الْمَعْرَكِ إِقْدَامَ مَنْ يَوْقِنُ بِالْفَتْكِ وَلَا يَسْتَرِيبُ ^(١٤)

(٢) لا يجادلون.

(١) قصدتُ.

(٤) رحل.

(٣) المداراة ومسايرة العداوة.

(٦) نهى بعضنا بعضاً.

(٥) البيوت.

(٨) محاسنها.

(٧) نقصده ونعمره، ومنه: عمرة الحج.

(١٠) شديد.

(٩) صاحب لسان.

(١٢) العاقل.

(١١) صياد.

(١٤) يشك.

(١٣) العالم.

حتى يرى ما كان ضنكاً^(١) رحيباً^(٢)
 عن موقف الطعن برمح خضيب
 مستغلق الباب منيعاً مهيب
 نصر من الله وفتح قريب
 يمس في برد الشباب القشيب^(٥)
 وهو لدى الكل المفدى الحبيب
 ما فيه من بطش وعود صليب
 يعافه من كان منه قريب
 به من الداء وأغيا الطبيب
 من بعد ما كان المجاب الحبيب
 ومن يعش يلق دواهي المشيب^(٩)
 يرغب في تكفين ميت غريب

ثم إنه أعلن بالنجيب، وبكى بكاء الموحب على الحبيب، وكما
 رقات^(١٠) دمعته، وانفثأت لوعته، قال: يا نجعة الرواد، وقودة الأجواد،
 والله ما نطقت ببهتان، ولا أخبرتكم إلا عن عيان، وكو كان في عصاي
 سير، ولغيمي مطير، لاستأثرت^(١١) بما دعوتكم إليه، وكما وقفت موقف

فيفرج الضيق بكراته
 ما بارز الأقران إلا انثنى^(٣)
 ولا سما يفتح مستصعباً^(٤)
 إلا ونودي حين يسموله
 هذا وكم من ليلة باتها
 يرتشف الغيد ويرشفه^(٦)
 فلم يزل يبتزه دهره
 حتى أصارته الليالي لقي
 قد أعجز الرأقي تحليل ما
 وصارم البيض^(٧) وصارمته
 وآض كالمكوس^(٨) في خلقه
 وها هو اليوم مسجى فمن

(٢) واسعاً.

(٤) حصناً.

(٦) بضم الشين وكسر ها؛ يقبلنه.

(٨) المردود من القوة إلى الضعف.

(١٠) ارتفعت وانقطعت.

(١) ضيقاً.

(٣) رجع.

(٥) الجديد.

(٧) قاطع وهجر النساء البيض.

(٩) مصائب الهرم.

(١١) لاختصت وانفردت.

الدَّالَّ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ كَيْفَ الطَّيْرَانُ بِلا جَنَاحٍ، وَهَلْ عَلَى مَنْ لَا يَجِدُ مَنْ جَنَاحٌ؟

قَالَ الرَّأوِي: فَطَفِقَ ^(١) الْقَوْمُ يَأْتِمِرُونَ ^(٢)، فِي مَا يَأْمُرُونَ، وَيتَخَفَتُونَ، فِي مَا يَأْتُونَ، فَتَوَهَّمُ أَنَّهُمْ يَتَمَالَأُونَ عَلَى صَرْفِهِ بِحَرْمَانٍ، أَوْ مُطَالَبَتِهِ بِبُرْهَانٍ، فَفَرَطَ ^(٣) مِنْهُ أَنْ قَالَ: يَا يَلَامِعَ الْقَاعِ، وَيَرَامِعَ الْبِقَاعِ، مَا هَذَا الْارْتِيَاءُ ^(٤)، الَّذِي يَأْبَاهُ الْحَيَاءُ؟ حَتَّى كَأَنَّكُمْ كَلَفْتُمْ مَشَقَّةً، لَا شَقَّةً، أَوْ اسْتَوْهَبْتُمْ بِلَدَّةً، لَا بُرْدَةً ^(٥)، أَوْ هَزَزْتُمْ لَكِسْوَةِ الْبَيْتِ، لَا لَتَكْفِينِ الْمَيْتِ؟ أَفْ لِمَنْ لَا تَنْدِي صَفَاتُهُ، وَلَا تَرْشَحُ حَصَاتُهُ! فَلَمَّا بَصُرَتْ الْجَمَاعَةُ بِذِلَالَتِهِ ^(٦)، وَمَرَارَةِ مَذَاقَتِهِ، رَفَأَهُ كُلُّ مِنْهُمْ بَنِيْلَهُ ^(٧)، وَاحْتَمَلَ طَلَّهُ خَوْفَ سَيْلِهِ ^(٨).

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: وَكَانَ هَذَا السَّائِلُ وَاقِفًا خَلْفِي، وَمُحْتَجِبًا بظَهْرِي عَنْ طَرْفِي، فَلَمَّا أَرْضَاهُ الْقَوْمُ بِسَيِّبِهِمْ، وَحَقَّ عَلَيَّ التَّأْسِي بِهِمْ، خَلَجْتُ ^(٩) خَاتَمِي مِنْ خِنْصِرِي، وَلَفْتُ ^(١٠) إِلَيْهِ بَصْرِي، فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا السَّرُوجِيُّ بِلا فَرِيَةٍ ^(١١)، وَلَا مَرِيَةٍ، فَأَيَقَنْتُ أَنَّهَا أَكْذُوبَةٌ تَكْذِبُهَا، وَأُحْبُولَةٌ ^(١٢) نَصَبَهَا، إِلَّا أَنَّنِي طَوَيْتُهُ عَلَى غَرِّهِ، وَصُنْتُ شِغَاهُ عَنْ فَرِّهِ ^(١٣)، فَحَصَبْتُهُ بِالْخَاتَمِ، وَقُلْتُ: أَرْصِدُهُ لِنَفَقَةِ الْمَأْتَمِ، فَقَالَ: وَاهَاً لَكَ، فَمَا أَضْرَمَ

(١) أخذ وجعل.

(٢) يتشاورون.

(٣) سبق.

(٤) المشاورة: افتعال من الرأي.

(٥) هي كساء يُرْتَدَى بِهِ.

(٦) فصاحة لسانه.

(٧) بعطائه.

(٨) مخافة كلامه المؤلم جداً.

(٩) جذبت ونزعت.

(١٠) ردّدت.

(١١) اسم من الافتراء وهو: اختلاق الكذب. (١٢) الحباله: الفخ والشرك.

(١٣) أي: عن فتح فيه لأعلم سنّه، ويرادُّ به هنا: أنه لم يعرف عنه.

شُعَلَّتْكَ^(١)، وَأَكْرَمَ فَعَلَّتْكَ! ثُمَّ انْطَلَقَ يَسْعَى قُدَمًا، وَيَهْرُولُ هَرُولَهُ قَدَمًا،
فَنَزَعَتْ^(٢) إِلَى عِرْفَانِ مِيَّتِهِ، وَامْتَحَانَ دَعْوَى حَمِيَّتِهِ^(٣)، فَفَرَعَتْ ظُنْبُوبِي،
وَأَلْهَبَتْ أُلْهُوبِي، حَتَّى أَدْرَكَتْهُ عَلَى غَلَوَةٍ^(٤)، وَاجْتَلَيْتُهُ فِي خَلْوَةٍ، فَأَخَذْتُ
بِجُمُعِ أَرْدَانِهِ، وَعُقَّتُهُ^(٥) عَنْ سُنَنِ مِيدَانِهِ.

وَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ مَا لَكَ مِنِّي مَلْجَأٌ وَلَا مَنَجَى، أَوْ تُرِنِي مِيَّتَكَ
الْمُسْجَى^(٦)! فَكَشَفَ عَنْ سِرَاوِيلِهِ، وَأَشَارَ إِلَى غُرْمُولِهِ^(٧).

فَقُلْتُ لَهُ: قَاتَلَكَ اللَّهُ فَمَا أَلْعَبَكَ بِالنَّهْيِ، وَأَحْيَلَكَ عَلَى اللَّهِ! ثُمَّ
عُدْتُ إِلَى أَصْحَابِي عَوْدَ الرَّائِدِ الَّذِي لَا يَكْذِبُ أَهْلُهُ، وَلَا يُرْقِشُ قَوْلُهُ،
فَأَخْبَرْتُهُمْ بِالَّذِي رَأَيْتُ، وَمَا وَرَيْتُ وَلَا رَأَيْتُ، فَقَهَقَهُوا^(٨) مِنْ كَيْتٍ^(٩)
وَكَيْتٍ، وَلَعَنُوا ذَلِكَ الْمِيَّتَ.



(١) ما أشدَّ التَّهَابِ نَارَكَ.

(٢) اشْتَقَّتْ.

(٣) أَنْفَتَهُ.

(٤) عَلَى قَدَرِ رَمِيَةِ السَّهْمِ.

(٥) وَقَفَّتَهُ وَعَطَلَتْهُ.

(٦) الْمَغْطَى.

(٧) اذْكُرْهُ.

(٨) ضَحَكُوا بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ.

(٩) حِكَايَةُ مَا مَضَى مِنَ الْحَدِيثِ.

المَقَامَةُ الْحَادِيَّةُ وَالْعَشْرُونَ الرَّازِيَّةُ

حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: عُنِيتُ مَذْأُحَكَمْتُ تَدْبِيرِي^(١)، وَعَرَفْتُ قَبِيلِي مِنْ دَبِيرِي، بَأَنْ أَصْغِي إِلَى الْعِظَاتِ، وَأُلْغِي الْكَلِمَ الْمُحْفَظَاتِ، لِأَتَحْلِيَ بِمَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ، وَأَتَخْلِيَ مِمَّا يَسِمُ^(٢) بِالْإِخْلَاقِ، وَمَا زِلْتُ أَخْذُ نَفْسِي بِهِذَا الْأَدَبِ، وَأُخَمِّدُ^(٣) بِهِ جَمْرَةَ الْغَضَبِ، حَتَّى صَارَ التَّطَبُّعُ^(٤) فِيهِ طِبَاعًا، وَالتَّكَلُّفُ لَهُ هَوًى مُطَاعًا، فَلَمَّا حَلَلْتُ بِالرِّيِّ، وَقَدْ حَلَلْتُ حَبِي الْغَيِّ، وَعَرَفْتُ الْحَيَّ^(٥) مِنَ اللَّيِّ، رَأَيْتُ بِهِ ذَاتَ بُكْرَةٍ، زُمْرَةً^(٦) فِي إِثْرِ زُمْرَةٍ، وَهُمْ مُتَشَرُّونَ انْتِشَارَ الْجَرَادِ، وَمُسْتَتَنُونَ اسْتِنَانَ الْجِيَادِ^(٧)، وَمَتَوَاصِفُونَ وَاِعْظًا يَقْصِدُونَهُ، وَيُحِلُّونَ ابْنَ سَمْعُونَ دُونَهُ، فَلَمْ يَتَكَاءَ ذَنْبِي^(٨) لِاسْتِمَاعِ الْمَوَاعِظِ، وَاخْتِبَارِ الْوَاعِظِ، أَنْ أُقَاسِيَ اللَّاعِظَ^(٩)، وَأَحْتَمَلَ الضَّاعِظَ^(١٠)، فَأَصْحَبْتُ إِصْحَابَ الْمَطْوَاعَةِ^(١١)، وَانْخَرَطْتُ فِي سِلْكِ الْجَمَاعَةِ، حَتَّى أَفْضَيْنَا إِلَى نَادٍ حَشَدَ النَّبِيِّ^(١٢) وَالْمَغْمُورِ^(١٣)، وَفِي وَسْطِ هَالَتِهِ، وَوَسْطِ أَهْلَتِهِ، شَيْخٌ قَدْ تَقَوَّسَ وَاقْعَنَسَسَ، وَتَقَلَّنَسَ^(١٤) وَتَطَلَّسَ،

(١) هو النظر في العواقب.

(٢) مما يؤثر.

(٣) أطفئ.

(٤) التَّكَلُّفُ.

(٥) الحق.

(٦) جماعة.

(٧) جري الجياد، وهي: الخيل.

(٨) يشق ويصعب علي.

(٩) الكثير الصياح واللَّغَط. واللَّغَط: أصوات مبهمه لا تُفْهَم.

(١٠) المَزَاحِم.

(١١) الناقة الذَّلُول.

(١٢) المشهور بفضلِه وقدره.

(١٣) المجهول الحامل الذُّكْر.

(١٤) لبس القلنسوة.

وَهُوَ يَصْدَعُ بَوْعَظٍ يَشْفِي الصَّدُورَ، وَيُلِينُ الصُّخُورَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ، وَقَدْ
 افْتَنَّتْ بِهِ الْعُقُولُ: ابْنُ آدَمَ مَا أَغْرَاكَ ^(١) بِمَا يَغُرُّكَ ^(٢)، وَأَضْرَاكَ بِمَا يَضُرُّكَ!
 وَالْهَجَكَ بِمَا يُطْغِيكَ ^(٣)، وَأَبْهَجَكَ بَمَنْ يُطْرِكُ! تُعْنَى بِمَا يُعْنِيكَ، وَتَهْمَلُ
 مَا يُعْنِيكَ، وَتَنْزِعُ فِي قَوْسِ تَعْدِيكَ ^(٤)، وَتَرْتَدِي الْحَرِصَ الَّذِي يُرْدِيكَ ^(٥)!
 لَا بِالْكَفَافِ تَقْتَنِعُ، وَلَا مِنَ الْحَرَامِ تَمْتَنِعُ، وَلَا لِلْعِظَاتِ تَسْتَمِعُ، وَلَا بِالْوَعِيدِ
 تَرْتَدِعُ! دَأْبُكَ أَنْ تَتَقَلَّبَ مَعَ الْأَهْوَاءِ، وَتَخْبِطَ خَبْطَ الْعَشَوَاءِ! وَهَمُّكَ ^(٦) أَنْ
 تَدَابَ فِي الْإِحْتِرَاثِ ^(٧)، وَتَجْمَعَ الثَّرَاثُ لِلْوَرَاثِ! يُعْجِبُكَ التَّكَاثُرُ بِمَا
 لَدَيْكَ، وَلَا تَذْكُرُ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ، وَتَسْعَى أَبَدًا لِغَارِيكَ ^(٨)، وَلَا تُبَالِي أَلَّا أَمَّ
 عَلَيْكَ! أَتَظُنُّ أَنْ سَتُتْرَكَ سُدًى ^(٩)، وَأَنْ لَا تُحَاسَبَ غَدًا؟ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ
 الْمَوْتَ يَقْبَلُ الرُّشَى، أَوْ يُمَيِّزُ بَيْنَ الْأَسَدِ وَالرَّشَاءِ؟ كَلَّا وَاللَّهِ لَنْ يَدْفَعَ
 الْمُنُونَ ^(١٠)، مَالٌ وَلَا بَنُونَ! وَلَا يَنْفَعُ أَهْلَ الْقُبُورِ، سِوَى الْعَمَلِ الْمُبْرُورِ!
 فَطُوبَى لِمَنْ سَمِعَ وَوَعَى، وَحَقَّقَ مَا ادَّعَى! وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، وَعَلِمَ
 أَنَّ الْفَائِزَ مِنْ أَرْعَوَى ^(١١)! وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنْ سَعْيَهُ سَوْفَ
 يَرَى، ثُمَّ أُنْشِدَ إِنْشَادَ وَجَلٍ ^(١٢)، بِصَوْتِ زَجَلٍ:

لَعَمْرُكَ مَا تُغْنِي ^(١٣) الْمَغْنَانِي وَلَا الْغَنَى

إِذَا سَكَنَ الْمُثْرَى ^(١٤) الثَّرَى وَثَوَى بِهِ

(١) أولعك .

(٣) يدخلك في الطغيان .

(٥) يهلكك .

(٧) الاكتساب .

(٩) أي: هملاً .

(١١) كفّ ورجع عن جهالته .

(١٣) ما تنفع .

(٢) يخدعك .

(٤) ظلمك .

(٦) وجّل عزمك .

(٨) الغاران هما: البطن والفرج .

(١٠) الموت .

(١٢) بكسر الجيم؛ أي: خائف .

(١٤) هو كثير المال .

فَجُدْ فِي مَرَاضِي اللَّهِ بِالْمَالِ رَاضِيَا
 بِمَا تَقْتَنِي ^(١) مَنْ أَجْرِهِ وَثَوَابِهِ
 وَبَادِرْ بِهِ صَرْفَ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ
 بِمَخْلَبِهِ الْأَشْغَى يَغُولُ ^(٢) وَنَابِهِ
 وَلَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الْخَوُّونَ ^(٣) وَمَكْرَهُ
 فَكَمْ خَامِلٌ أَخْنَى ^(٤) عَلَيْهِ وَنَابِهِ
 وَعَاصٍ هَوَى النَّفْسِ الَّذِي مَا أَطَاعَهُ
 أَخُو ضِلَّةٍ ^(٥) إِلَّا هَوَى مِنْ عِقَابِهِ
 وَحَافِظٌ عَلَى تَقْوَى الْإِلَهِ وَخَوْفِهِ
 لَنَنْجُو مِمَّا يُتَّقَى مِنْ عِقَابِهِ
 وَلَا تَلَهُ ^(٦) عَنْ تَذْكَارِ ذَنْبِكَ وَأَبْكَهِ
 بِدَمْعٍ يُضَاهِي الْمُزْنَ ^(٧) حَالَ مَصَابِهِ
 وَمَثَلُ لَعِينِكَ الْحَمَامَ وَوُقْعَهُ ^(٨)
 وَرَوْعَةَ مَلَقَاهُ وَمَطْعَمَ صَابِهِ
 وَإِنْ قُصَّارَى مَنَزَلِ الْخِيِّ حُفْرَةٌ
 سَيَنْزِلُهَا مُسْتَنْزِلًا ^(٩) عَنْ قِبَابِهِ
 فَوَاهَا لِعَبْدٍ سَاءَ سُوءُ فَعْلِهِ
 وَأَبْدَى التَّلَافِي قَبْلَ إِغْلَاقِ بَابِهِ

(١) يهلك .

(١) تَذَخَّرَ .

(٤) أَهْلَكَه وَأَفْسَدَهُ .

(٣) كَثِيرُ الْخِيَانَةِ .

(٦) لَا تَغْفَلَ وَتَعْرِضُ .

(٥) صَاحِبُ ضَلَالٍ .

(٩) مَنْحَطًا .

(٨) هَجُومُهُ .

(٧) هُوَ السَّحَابُ الْمَمَطَرُ .

قال: فَظَلَّ الْقَوْمُ بَيْنَ عَبْرَةٍ ^(١) يُذَرُّونَهَا ^(٢)، وَتَوْبَةٍ يُظْهِرُونَهَا، حَتَّى كَادَتْ الشَّمْسُ تَزُولُ، وَالْفَرِيضَةُ تَعُولُ ^(٣)، فَلَمَّا خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ، وَالتَّامَ الْإِنْصَاتُ ^(٤)، وَاسْتَكْنَتِ الْعِبَرَاتُ، وَالْعِبَارَاتُ، وَبَرَزَ الْوَاعِظُ يَتَهَادَى ^(٥) بَيْنَ رَفَقَتِهِ، وَيَتَبَاهَى بِفُوزِ صَفَقَتِهِ، وَاعْتَقَبَتْهُ أَخْطُو مُتْقَاصِرًا ^(٦)، وَأُريه لِمَحَاً بَاصِرًا، فَلَمَّا اسْتَشَفَّ مَا أُخْفِيهِ، وَفَطِنَ لَتَقْلُبِ طَرْفِي فِيهِ، قَالَ: خَيْرُ دَلِيلِكَ مِنْ أُرْشَدٍ، ثُمَّ اقْتَرَبَ مِنِّي وَأَنْشَدَ:

أَنَا الَّذِي تَعْرِفُهُ يَا حَارِثُ
 حَدَّثْتُ مُلُوكَ فَكِهِ مُنَافِثُ ^(٧)
 أَطْرِبُ مَا لَا تُطْرِبُ الْمَثَالِثُ ^(٨)
 طَوْرًا أَخُو جَدٍّ وَطَوْرًا عَابِثُ ^(٩)
 مَا غَيَّرْتَنِي بِغَدِّكَ الْحَوَادِثُ
 وَلَا التَّحَى عُودِي خَطْبُ كَارِثُ ^(١٠)
 وَلَا فَرَى ^(١١) حُدِّي نَابُ فَارِثُ
 بَلْ مِخْلَبِي بِكُلِّ صَيْدٍ ضَابِثُ ^(١٢)
 وَكُلُّ سَرْحٍ فِيهِ ذَنْبِي عَائِثُ ^(١٣)
 حَتَّى كَأَنِّي لِلْأَنَامِ وَارِثُ

(٢) يسكبونها ويتفرقونها.

(١) دمعة.

(٤) اتَّفَقَ الاستماع.

(٣) تزيد أجزاءها على جملتها.

(٦) أي: أمشي خطأً بطيئاً.

(٥) يتمايل في مشيته.

(٧) أي صاحب كلام رائق وشعر فائق.

(٨) من أوتار آلات المغاني جمع المثلث وهو ما كان على ثلاثة.

(٩) لاعب وهازل.

(١٠) الخُطْبُ: الأمر العظيم والكارث الثقيل الشاقّ المحزن.

(١١) قطع وشق.

(١٢) ناشب قابض بشدة.

(١٣) مفسد.

سَامَهُمْ وَحَامَهُمْ وَيَافِثُ

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَقُلْتُ لَهُ: تَاللَّهِ إِنَّكَ لَأَبُو زَيْدٍ، وَلَقَدْ قُتِمْتَ لِلَّهِ وَلَا عَمْرَوُ بْنُ عَبِيدٍ، فَهَشَّ (١) هَشَاشَةَ الْكَرِيمِ إِذَا أُمٌّ، وَقَالَ: اسْمَعْ يَا ابْنَ أُمٍّ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

عَلَيْكَ بِالصَّدْقِ وَلَوْ أَنَّهُ

أَحْرَقَكَ الصَّدْقُ بِنَارِ الْوَعِيدِ (٢)

وَأَبْغِ (٣) رَضَى اللَّهُ فَأَغْضَبَى الْوَرَى

مَنْ أَسْخَطَ (٤) الْمَوْلَى وَأَرْضَى الْعَبِيدَ

ثُمَّ إِنَّهُ وَدَعَ أَخْدَانَهُ (٥)، وَانْطَلَقَ يَسْحَبُ أُرْدَانَهُ (٦)، فَطَلَبْنَاهُ مِنْ بَعْدُ بِالرَّيِّ، وَاسْتَنْشَرْنَا خَبْرَهُ مِنْ مَدَارِجِ الطِّيِّ (٧)، فَمَا فِينَا مَنْ عَرَفَ قَرَارَهُ (٨)، وَلَا دَرَى أَيُّ الْجَرَادِ عَارَهُ.



(١) فرح واستبشر.

(٢) التهديد بما يُخَوِّف.

(٣) أي: اطلب.

(٤) أغضب.

(٥) أصدقاءه.

(٦) يَجْرُ أطراف ثوبه.

(٧) المدرجة: الورقة تُكْتَبُ فيها الرسالة ويُدرَجُ فيها الكتاب، وأضافها إلى الطِّيِّ؛ لَأَنَّهَا تُطَوَّى

على ما فيها.

(٨) أي: مكانه.

المقامة الثانية والعشرون الفراتية

حكى الحارث بن همام قال: أويتُ في بعضِ الفترات^(١)، إلى سقي
الفرات، فلقيتُ بها كُتّاباً أبرعَ^(٢) من بني الفرات، وأعذبَ أخلاقاً من
الماءِ الفرات، فأطفتُ بهم^(٣) لتهدّئهم، ولألذّبهم، وكأثرتهم لأدبهم،
لأمدبهم، فجالستُ منهم أضرابَ قعقاع بن شور، ووصلتُ بهم إلى
الكور^(٤)، بعد الحور^(٥)، حتّى إنهم أشركوني في المربع^(٦) والمربع،
وأحلّوني محلّ الأنملة^(٧) من الإصبع، واتخذوني ابنَ أنسهم عند الولاية
والعزل^(٨)، وخازنَ سرهم في الجدّ والهزل، فاتفقَ أن ندبوا^(٩) في بعضِ
الأوقات لاستقراء مزارع الرزداقات، فاخترأوا من الجوّاري^(١٠) المنشآت،
جاريةً حالكة الشّيات، تحسبها جامدة^(١١) وهي تمرُّ مرَّ السحاب، وتنسابُ
في الحباب كالْحَبَاب، ثمّ دعوني إلى الموافقة^(١٢)، فلبّيتُ بلسانِ
الموافقة، فلمّا تورّكنا على المطيّة الدهماء^(١٣)، وتبطّنا الوكيّة الماشية على

(١) أوقات الفراغ والخلوّ عن الأشغال.

(٢) أفصح.

(٣) لازمتهم.

(٤) الزيادة.

(٥) النُقْصَان.

(٦) المَرْعَى.

(٧) هي طرف الإصبع من أعلاه.

(٨) أنيسهم في الحاليتين.

(٩) دُعوا وطلّبوا.

(١٠) السفن لجريها مع الرّيح.

(١١) واقفة.

(١٢) أجبت دعوتهم موافقاً لهم.

(١٣) السوداء؛ لأنها مقيرة.

الْمَاءِ، أَلْفَيْنَا بِهَا شَيْخاً عَلَيْهِ سَحْقُ سِرْبَالٍ وَسِبُّ بَالٍ، فَعَافَتِ الْجَمَاعَةُ مَحْضَرَهُ، وَعَتَفَتْ مِنْ أَحْضَرَهُ، وَهَمَّتْ بِإِبْرَازِهِ مِنَ السَّفِينَةِ، لَوْلَا مَا ثَابَ إِلَيْهَا مِنَ السَّكِينَةِ، فَلَمَّا لَمَحَ مِنَّا اسْتِثْقَالَ ظَلِّهِ (١)، وَاسْتِبْرَادَ طَلِّهِ، تَعَرَّضَ لِلْمُنَافَةِ (٢)، فَصُمَّتْ وَحَمْدَلٌ بَعْدَ أَنْ عَطَسَ فَمَا شُمَّتْ، فَأُخْرِدَ يَنْظُرُ فِيمَا آلَتْ حَالُهُ إِلَيْهِ، وَيَنْتَظِرُ نُصْرَةَ الْمُبَغِيِّ عَلَيْهِ (٣)، وَجَلْنَا نَحْنُ فِي شُجُونٍ، مِنْ جِدِّ وَمُجُونٍ، إِلَى أَنْ اعْتَرَضَ ذِكْرُ الْكِتَابَتَيْنِ (٤) وَفَضْلِهِمَا، وَتَبَيَّنَ أَفْضَلُهُمَا، فَقَالَ قَائِلٌ: إِنَّ كِتَابَةَ الْإِنْشَاءِ أَتْبَلُ الْكِتَابِ، وَمَالَ مَائِلٌ إِلَى تَفْضِيلِ الْحُسَابِ، وَاحْتَدَّ الْحِجَاجُ، وَامْتَدَّ اللَّجَاجُ (٥)، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ لِلْجِدَالِ مَطْرَحٌ، وَلَا لِلْمِرَاءِ مَسْرَحٌ، قَالَ الشَّيْخُ: لَقَدْ أَكْثَرْتُمْ يَا قَوْمُ اللَّغَطَ (٦)، وَأَثَرْتُمْ الصَّوَابَ وَالْغَلَطَ، وَإِنَّ جَلِيَّةَ الْحُكْمِ عِنْدِي، فَارْتَضُوا بِنَقْدِي، وَلَا تَسْتَفْتُوا أَحَدًا بَعْدِي، اْعْلَمُوا أَنَّ صِنَاعَةَ الْإِنْشَاءِ أَرْفَعُ (٧)، وَصِنَاعَةَ الْحُسَابِ أَنْفَعُ، وَقَلَمَ الْمُكَاتَبَةِ خَاطِبٌ، وَقَلَمَ الْمُحَاسِبَةِ حَاطِبٌ، وَأَسَاطِيرَ الْبَلَاغَةِ تُنْسَخُ لِتُدْرَسَ، وَدَسَاتِيرُ (٨) الْحُسْبَانَاتِ تُنْسَخُ وَتُدْرَسُ، وَالْمُنَشِيُّ (٩) جُهَيْنَةُ الْأَخْبَارِ، وَحَقِيقَةُ الْأَسْرَارِ، وَنَجِيُّ الْعُظَمَاءِ، وَكَبِيرُ النَّدَمَاءِ (١٠)، وَقَلَمُهُ لِسَانُ الدَّوْلَةِ، وَفَارَسُ الْجَوْلَةِ، وَلُقْمَانُ الْحِكْمَةِ، وَتَرْجُمانُ الْهَمَّةِ، وَهُوَ الْبَشِيرُ وَالنَّذِيرُ، وَالشَّفِيعُ وَالسَّفِيرُ (١١)، بِهِ تُسْتَخْلَصُ الصِّيَاصِي (١٢)، وَتُمْلِكُ النِّوَاصِي، وَيُقْتَادُ

(٢) لِلتَّحَدُّثِ.

(١) شَخْصُهُ.

(٤) كِتَابَةُ الْإِنْشَاءِ وَالْحِسَابِ.

(٣) الْمَظْلُوم.

(٧) أَعْلَى رَتَبَةٍ.

(٦) كَثْرَةُ الْكَلَامِ.

(٥) طَالَ التَّرَدُّدُ وَالْخِصَامُ.

(٨) جَمْعُ دَسْتُورٍ، وَهُوَ: النُّسخَةُ الَّتِي يَقَعُ مِنْهَا التَّحْرِيرُ.

(٩) دِيْوَانُ الرِّسَالِ الَّذِي يُنْشِئُ الْكُتُبَ. (١٠) جَمْعُ نَدِيمٍ، وَهُوَ الْمَجَالِسُ عَلَى الشَّرَابِ.

(١١) الْمُتَوَسُّطُ فِي الصُّلْحِ بَيْنَ الْقَوْمِ. (١٢) الْحِصْنُ وَالْقَلْعَةُ.

العاصي، ويُسْتَدْنِي الْقَاصِي، وصَاحِبُهُ بَرِيءٌ مِنَ التَّبَعَاتِ، آمِنٌ كَيْدَ السَّعَاةِ^(١)، مُقَرَّطٌ^(٢) بَيْنَ الْجَمَاعَاتِ، غَيْرُ مُعَرَّضٍ لِنَظْمِ الْجَمَاعَاتِ، فَلَمَّا انْتَهَى فِي الْفَصْلِ إِلَى هَذَا الْفَصْلِ، لَحَظَ^(٣) مِنْ لِمَحَاتِ الْقَوْمِ أَنَّهُ أَزْدَرَعَ حَبًّا وَبُغْضًا، وَأَرْضَى بَعْضًا وَأَحْفَظَ^(٤) بَعْضًا، فَعَقَّبَ كَلَامَهُ بِأَنْ قَالَ: إِلَّا أَنَّ صِنَاعَةَ الْحِسَابِ مَوْضُوعَةٌ عَلَى التَّحْقِيقِ، وَصِنَاعَةُ الْإِنْشَاءِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى التَّلْفِيقِ، وَقَلَمُ الْحَاسِبِ ضَابِطٌ^(٥)، وَقَلَمُ الْمُنْشِئِ خَاطِطٌ^(٦)، وَبَيْنَ إِتَاوَةِ تَوْظِيفِ الْمُعَامَلَاتِ، وَتِلَاوَةِ طَوَامِيرِ السَّجَلَاتِ، بَوْنٌ^(٧) لَا يُدْرِكُهُ قِيَاسٌ، وَلَا يَعْتَوِرُهُ تَبَاسٌ، إِذِ الْإِتَاوَةُ تَمْلَأُ الْأَكْيَاسَ، وَالتَّلَاوَةُ تَفَرِّغُ الرَّأْسَ، وَخَرَاஜُ الْأَوَارِجِ يُغْنِي النَّظِيرَ، وَاسْتِخْرَاجُ الْمَدَارِجِ يُعْنِي النَّظَرَ، ثُمَّ إِنَّ الْحَسْبَةَ حَفْظَةُ الْأَمْوَالِ، وَحَمَلَةُ الْأَثْقَالِ، وَالتَّقْلَةُ الْأَثْبَاتِ، وَالسَّفَرَةُ الثَّقَاتِ^(٨)، وَأَعْلَامُ الْإِنْصَافِ، وَالِانْتِصَافِ، وَالشُّهُودُ الْمَقَانِعُ فِي الْإِخْتِلَافِ، وَمِنْهُمْ الْمُسْتَوْفِي الَّذِي هُوَ يَدُ السُّلْطَانِ، وَقُطْبُ الدِّيَّانِ^(٩)، وَقِسْطُاسُ الْأَعْمَالِ، وَالْمُهَيِّمِ^(١٠) عَلَى الْعُمَالِ، وَإِلَيْهِ الْمَابُ فِي السَّلْمِ وَالْهَرَجِ، وَعَلَيْهِ الْمَدَارُ فِي الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ، وَبِهِ مَنَاطُ^(١١) الضَّرِّ وَالنَّفْعِ، وَفِي يَدِهِ رِبَاطُ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَلَوْلَا قَلَمُ الْحِسَابِ، لَأَوْدَتَ^(١٢) ثَمَرَةُ الْاِكْتِسَابِ، وَلَا تَصَلَ التَّغَابُنُ إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ، وَلَكِنْ نِظَامُ الْمُعَامَلَاتِ مَحْلُولًا، وَجُرْحُ الظُّلَامَاتِ مَطْلُولًا، وَجِدُّ التَّنَاصُفِ مَغْلُولًا، وَسَيْفُ التَّظَالُمِ مَسْلُولًا، عَلَى أَنَّ يَرَاعَ

(١) أصحاب النيمة.

(٢) ممدوح.

(٣) فهم.

(٤) أغضب.

(٥) حافظ.

(٦) يخطئ ويصيب.

(٧) فرق بعيد.

(٨) جمع ثقة، وهو: العدل.

(٩) الذي عليه مدار الديوان.

(١٠) الأمين والشاهد والرقيب.

(١١) مربوط ومتعلق.

(١٢) لاضمحلت وضاعت.

الإنشاء متقول^(١)، ويراع الحساب متأول^(٢)، والمُحاسبُ مناقش^(٣)، والمُنشئُ أبو براقش، ولكليهما حمة حين يرقى، إلى أن يُلقي^(٤) ويرقى، وإعنات^(٥) فيما ينشأ، حتى يغشى^(٦)، ويرشى، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قليل ما هم.

قال الحارث بن همام: فلمّا أمتع الأسماع، بما راق وراع، استنسبناه^(٧) فاسترأب، وأبى الانتساب، وكو وجد منساباً لانساب، فحصلت من لبسه على غمة، حتى ادكرت بعد أمة^(٨)، فقلت: والذي سخر الفلك الدوّار، والفلك السّيار، إنني لأجد ریح أبي زيد، وإن كنت أعهدّه ذا رواء^(٩) وأيد، فتبسم ضاحكاً من قولي، وقال: أنا هو على استحالة حالي وحولي، فقلت لأصحابي: هذا الذي لا يفري فريه، ولا يبارى^(١٠) عبقریه، فخطبوا منه الودّ، وبذلوا له الوجد^(١١)، فرغب عن الألفة، ولم يرغب في التّحفة، وقال: أما بعد أن سحقتُم حقي، لأجل سحقي^(١٢)، وكسفتُم بالي، لإخلاق سربالي، فما أراكم إلا بالعين السّخينة^(١٣)، ولا لكم مني إلا صُحبة السّفينة، ثم أنشد:

اسمّع أخِي وصِيّةً من ناصح
لا تعجلن بقضيّة مَبْتوتة^(١٤)
ما شاب مخض النّصح منه بغشّه
في مدح من لم تبله أو خدشه

(١) مفتر كاذب.

(٣) تعب ومشقة وتكلف.

(٥) سألناه عن نسبه.

(٧) صاحب منظر حسن وقوة.

(٩) بالضم؛ المال الموجود.

(١١) أي الخزينة الباكية.

(٢) إلى أن يُرمى ويطرح من درجته.

(٤) يقصد.

(٦) بعد حين من الزمان.

(٨) لا يُعارض ولا يُجاري.

(١٠) بعد أن هتكتم عرضي لأجل خلق ثوبي.

(١٢) بحكم مقطوع به.

وصُفِّيهِ فِي حَالِي رِضَاهُ وَبِطُشِهِ
لِلشَّائِمِينَ ^(٢) وَوَبْلُهُ مِنْ طُشِهِ
كَرَمًا وَإِنْ تَرَمَا يَزِينُ فَأُفْشِهِ
وَمِنْ اسْتَحَطَّ فَحُطَّهُ فِي حُشِّهِ
خَافَ إِلَى أَنْ يُسْتَشَارَ ^(٥) بِنَبْشِهِ
مِنْ حُكِّهِ لَا مِنْ مَلَا حَةِ نَقْشِهِ
لِصْقَالِ مَلْبَسِهِ وَرَوْنَقِ رَقْشِهِ ^(٦)
لِدُرُوسِ بَزَّتِهِ وَرُثَّةِ فُرْشِهِ
وَمَفُوفِ الْبُرْدِينَ عِيبَ لَفْحُشِهِ
أَسْمَالُهُ إِلَّا مَرَا قِي عَرْشِهِ
خَلَقًا وَلَا الْبَازِي ^(٨) حَقَارَةُ عُشِّهِ

وَقَفَ الْقَضِيَّةَ فِيهِ حَتَّى تَجْتَلِي ^(١)
وَيَبِينَ خُلْبُ بَرْقِهِ مِنْ صَدْقِهِ
فَهُنَا كَ إِنْ تَرَمَا يَشِينُ فَوَارِهِ
وَمِنْ اسْتَحَقَّ الْارْتِقَاءَ فَرَقَهُ ^(٣)
وَاعْلَمْ بِأَنَّ التَّبَرَ ^(٤) فِي عَرَقِ الثَّرَى
وَفَضِيلَةُ الدِّينَارِ يَظْهَرُ سِرُّهَا
وَمِنْ الْغَبَاوَةِ أَنْ تَعْظَمَ جَاهِلًا
أَوْ أَنْ تُهَيَّنَ مَهْذَبًا فِي نَفْسِهِ
وَلَكُمْ أَخِي طُمْرَيْنِ هَيْبَ لِفَضْلِهِ
وَإِذَا الْفَتَى لَمْ يَغْشَ عَارًا لَمْ تَكُنْ
مَا إِنْ يَضُرُّ الْعَضْبُ ^(٧) كَوْنُ قِرَابِهِ

ثُمَّ مَا عَتَمَ أَنْ اسْتَوْقَفَ الْمَلَّاحَ، وَصَعَدَ مِنَ السَّفِينَةِ وَسَاحَ، فَندِمَ كُلُّ
مَنَا عَلَى مَا فَرَّطَ فِي ذَاتِهِ، وَأَغْضَى جَفْنَهُ عَلَى قَذَاتِهِ ^(٩)، وَتَعَاهَدْنَا عَلَى أَنْ
لَا نَحْتَقِرَ شَخْصًا لِرِثَاثَةِ بُرْدِهِ، وَأَنْ لَا نَزْدَرِي ^(١٠) سَيْفًا مَخْبُوءًا فِي غِمْدِهِ.



(٢) الناظرين الرَّاقيين.
(٤) هو الذَّهَبُ قَبْلَ أَنْ يَسْبِكَ.
(٦) حُسْنُ زِينَتِهِ.
(٨) الصَّقْرُ.
(١٠) نَحْتَقِرُ.

(١) تَكْشِفُ وَتَخْتَبِرُ.
(٣) فَارْفَعَهُ وَأَعْلَى قَدْرِهِ.
(٥) يَسْتَخْرِجُ.
(٧) السَّيْفُ.
(٩) مَا فِي جَفْنِهِ مِنْ وَسْخِ الْغُبَارِ.

المقامة الثالثة والعشرون الشعرية

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قال: نبا بي مآلفُ الوطنِ ^(١)، في شرخِ
الزمنِ، لحطْبِ ^(٢) خُشي، وخوفِ غُشي، فأرقتُ كأسَ الكرى، ونصصتُ
ركابَ السرى، وجبتُ ^(٣) في سيري وعوراً لم تُدْمِثْها ^(٤) الخُطى، ولا
اهتدتُ إليها القطا، حتّى وردتُ حمى الخلافة، والحرَمَ ^(٥) العاصمَ من
المخافة، فسروْتُ إيجاسَ ^(٦) الرّوعِ واستشعاره، وتسربلتُ لباسَ الأمنِ
وشعاره، وقصرتُ همي على لذة أجتنيها ^(٧)، وملحة أجتليها، فبرزتُ يوماً
إلى الحريمِ لأروضَ طرفي، وأجیل في طرّقه طرفي، فإذا فرسانٌ مُتّالون ^(٨)،
ورجالٌ مُتّالون، وشيخٌ طويلُ اللسانِ، قصيرُ الطيلسانِ، قد لبَّ فتى جديداً
الشبابِ، خلقَ الجلبابِ، فركضتُ في إثرِ النظّارة ^(٩)، حتّى وافينا بابَ
الإمارة، وهناك صاحبُ المعونةِ متربّعاً في دسّته ^(١٠)، ومروّعاً بسمّته ^(١١).

فقال له الشيخُ: أعزّ الله الوالي، وجعل كعبه العالي، إني كفلتُ هذا

(١) حب المنزل.

(٢) لأمرٍ عظيم.

(٣) قطعت.

(٤) لم تسهلها وتلينها.

(٥) موضع الأمن.

(٦) توهم وإحساس.

(٧) أتناولها.

(٨) متتابعون.

(٩) عقب الناظرين لما يفعل به.

(١٠) مرتبته.

(١١) هيئته ووقاره.

الْغُلَامَ فَطِيماً، وَرَبِّيْتُهُ يَتِيماً، ثُمَّ لَمْ أَلِهْ تَعْلِيماً، فَلَمَّا مَهَرَ (١) وَبَهَرَ، جَرَدَ سَيْفَ الْعُدُوَانِ وَشَهَرَ، وَلَمْ إِخْلُهُ يَلْتَوِي (٢) عَلَيَّ وَيَتَّقِحُ، حِينَ يَرْتَوِي مِنِّي وَيَلْتَقِحُ.

فَقَالَ لَهُ الْفَتَى: عَلَامَ عَثَرْتُ (٣) مِنِّي، حَتَّى تَنْشُرَ هَذَا الْخِزْيَ عَنِّي؟ فَوَاللَّهِ مَا سَتَرْتُ وَجْهَ بَرِّكَ، وَلَا هَتَكْتُ حِجَابَ سِتْرِكَ (٤)، وَلَا شَقَقْتُ عَصَا أَمْرِكَ، وَلَا أَلْغَيْتُ تِلَاوَةَ شُكْرِكَ.

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: وَيْلَكَ وَأَيُّ رَيْبٍ أَخْزَى مِنْ رَيْبِكَ، وَهَلْ عَيْبٌ أَفْحَشُ مِنْ عَيْبِكَ؟ وَقَدْ ادَّعَيْتَ سِحْرِي وَاسْتَلَحَقْتُهُ (٥)، وَانْتَحَلْتَ شِعْرِي وَاسْتَرْقَقْتُهُ؟ وَاسْتِرَاقُ الشَّعْرِ عِنْدَ الشُّعْرَاءِ أَفْظَعُ (٦) مِنْ سِرْقَةِ الْبَيْضَاءِ وَالصَّفْرَاءِ، وَغَيْرَتُهُمْ عَلَى بَنَاتِ الْأَفْكَارِ كَغَيْرَتِهِمْ عَلَى الْبَنَاتِ الْأَبْكَارِ، فَقَالَ الْوَالِي لِلشَّيْخِ: وَهَلْ حِينَ سَرَقَ سَلَخَ أَمْ مَسَخَ، أَمْ نَسَخَ؟ فَقَالَ: وَالَّذِي جَعَلَ الشَّعْرَ دِيوَانَ الْعَرَبِ، وَتَرْجُمَانَ الْأَدَبِ، مَا أَحْدَثَ سِوَى أَنْ بَتَرَ شَمْلَ سِرْحِهِ (٧)، وَأَغَارَ عَلَى ثُلْثِي سِرْحِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَنْشِدْ أَبْيَاتَكَ بِرُمَّتِهَا (٨)، لِيَتَّضِحَ مَا احْتَازَهُ مِنْ جُمْلَتِهَا، فَأَنْشَدَ:

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدُّنْيَةُ إِنَّهَا شَرَكُ الرَّدَى (٩) وَقَرَارَةُ الْأَكْدَارِ
دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكْتُ فِي يَوْمِهَا أَبْكْتُ غَدًا بُعْدًا لَهَا مِنْ دَارِ
وَإِذَا أَظْلَمَ سَحَابُهَا لَمْ يَنْتَقِعْ مِنْهُ صَدَى لَجْهَامِهِ (١٠) الْغَرَارِ

(١) صار ماهراً حاذقاً.

(٢) يستعصي.

(٣) على أي شيء وقع مني اطلعت عليه.

(٤) ما أذعت عنك مكروهاً تنتهك به حرمتك.

(٥) ادَّعَيْتَ لِنَفْسِكَ.

(٦) أفصح وأشنع.

(٧) اجتماع فرائده.

(٨) بجملتها.

(٩) الموقعة في الهلاك.

(١٠) الجَهَام: السحاب الذي هراق ماءه.

غَارَاتُهَا مَا تَنْقُضِي وَأَسِيرُهَا ^(١)
 كَمْ مُزْدَهَى بِغُرُورِهَا حَتَّى بَدَا
 قَلْبَتْ لَهُ ظَهْرَ الْمَجْنَّ ^(٢) وَأَوَلَّغَتْ
 فَارِبًا بِعُمْرِكَ أَنْ يَمُرَّ مُضِيْعًا
 وَاقْطَعْ عِلَاقَتِي ^(٣) حُبِّهَا وَطِلَابُهَا
 وَارْقُبْ إِذَا مَا سَالَتْ مِنْ كَيْدِهَا
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ خُطُوبَهَا تَفْجَأُ وَلَوْ

فَقَالَ لَهُ الْوَالِي: ثُمَّ مَاذَا صَنَعَ هَذَا؟ فَقَالَ: أَقْدَمَ لِلْوَمَةِ فِي الْجَزَاءِ عَلَى
 أَبْيَاتِي السَّدَاسِيَّةِ الْأَجْزَاءِ، فَحَذَفَ مِنْهَا جُزْأَيْنِ، وَنَقَصَ مِنْ أَوْزَانِهَا وَزْنَيْنِ،
 حَتَّى صَارَ الرُّزْءُ فِيهَا رُزْأَيْنِ، فَقَالَ لَهُ: بَيْنَ مَا أَخَذَ، وَمَنْ أَيْنَ فَلَذَ؟ فَقَالَ:
 أَرْعَنِي سَمْعَكَ، وَأَخْلِلْ لِلتَّفْهِمِ عَنِّي ذَرْعَكَ ^(٤)، حَتَّى تَبَيَّنَ كَيْفَ أَصْلَتْ ^(٥)
 عَلَيَّ، وَتَقَدَّرَ قَدْرَ اجْتِرَامِهِ إِلَيَّ، ثُمَّ أَنْشَدَ، وَأَنْفَاسُهُ تَتَّصَعَدُ ^(٦):

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّ
 دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكْتَ
 وَإِذَا أَظْلَلْ سَحَابُهَا
 غَارَاتُهَا مَا تَنْقُضِي
 كَمْ مُزْدَهَى بِغُرُورِهَا
 قَلْبَتْ لَهُ ظَهْرَ الْمَجْـ

ةٍ إِنَّهَا شَرَكُ الرَّدَى
 فِي يَوْمِهَا أَبْكَتْ غَدَا
 لَمْ يَنْتَقِعْ مِنْهُ صَدَى
 وَأَسِيرُهَا لَا يُفْتَدَى
 حَتَّى بَدَا مُتَمَرِّدًا
 نَّ وَأَوَلَّغَتْ فِيهِ الْمُدَى

(١) مملوكها وهو المتشبه بها الطامع فيها.

(٢) أي: تغيّرت عليه وساءته.

(٣) البواطن والقلوب.

(٤) جرّده وسله.

(٥) متجاوز الحدّ في الفساد.

(٦) أسباب.

(٧) صدرك وقلبك.

(٨) تعلو إلى فوق من الغيظ.

فَارْبَأُ بِعُمْرِكَ أَنْ يُرَّ
وَاقْطَعْ عَلَاتِقَ حُبِّهَا وَطَلَابَهَا
وَأَرْقُبْ إِذَا مَا سَأَلْتْ
وَاعْلَمْ بِأَنْ خُطُوبَهَا
مُضَيَّعاً فِيهَا سُدى
تَلْقَ الْهُدَى
مَنْ كَيْدَهَا حَرْبَ الْعَدَى
تَفْجَأَ وَلَوْ طَالَ الْمَدَى

فَالْتَفَتَ الْوَالِي إِلَى الْغَلَامِ وَقَالَ: تَبًّا لَكَ مِنْ خَرِيَجٍ مَارِقٍ^(١)، وَتَلْمِيزِ سَارِقٍ! فَقَالَ الْفَتَى: بَرِئْتُ^(٢) مِنَ الْأَدَبِ وَبَنِيهِ، وَلَحِقْتُ بِمَنْ يُنَاوِيهِ، وَيَقْوُضُ مَبَانِيهِ، إِنْ كَانَتْ أَيْبَاتُهُ نَمَتْ^(٣) إِلَى عِلْمِي، قَبْلَ أَنْ أَلْفَتْ نَظْمِي، وَإِنَّمَا اتَّفَقَ تَوَارِدُ الْخَوَاطِرِ^(٤)، كَمَا قَدْ يَقَعُ الْحَافِرُ عَلَى الْحَافِرِ، قَالَ: فَكَأَنَّ الْوَالِيَّ جَوَزَ صِدْقَ زَعْمِهِ^(٥)، فَنَدِمَ عَلَى بَادِرَةِ ذِمِّهِ، فَظَلَّ يُفَكِّرُ فِي مَا يَكْشِفُ لَهُ عَنِ الْحَقَائِقِ، وَيُمَيِّزُ بِهِ الْفَائِقَ^(٦)، مِنَ الْمَائِقِ^(٧)، فَلَمْ يَرَ إِلَّا أَخَذَهُمَا بِالْمُنَازَلَةِ، وَلَزَّهُمَا^(٨) فِي قَرْنِ الْمُسَاجَلَةِ، فَقَالَ لَهُمَا: إِنْ أَرَدْتُمَا افْتِضَاحَ الْعَاطِلِ، وَاتِّضَاحَ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ، فَتَرَأَسَلَا^(٩) فِي النَّظْمِ وَتَبَارَيَا، وَتَجَاوَلَا فِي حَلَبَةِ الْإِجَارَةِ وَتَجَارَيَا، لِيَهْلِكَ مِنْ هَلَكٍ عَنْ بَيْنَةٍ، وَيَحْيَا مَنْ حَيٍّ عَنْ بَيْنَةٍ، فَقَالَ بِلِسَانٍ وَاحِدٍ، وَجَوَابٍ مُتَوَارِدٍ^(١٠): قَدْ رَضِينَا بِسَبْرِكَ^(١١)، فَمَرْنَا بِأَمْرِكَ.

فَقَالَ: إِنِّي مُوَلَّعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاغَةِ بِالتَّجْنِيسِ^(١٢)، وَأَرَاهُ لَهَا كَالرَّئِيسِ،

(١) خَارِجٌ عَنِ الطَّاعَةِ.

(٢) ارْتَفَعَتْ وَبَلَّغَتْ.

(٣) قَوْلُهُ.

(٤) الْأَحْمَقُ الضَّعِيفُ التَّدْبِيرِ.

(٥) تَجَارِيَا.

(٦) بِاخْتِيَارِكَ.

(٧) تَنْحَيْتٍ وَانْفَصَلَتْ.

(٨) التَّوَارِدُ بَيْنَ الشَّاعِرِينَ.

(٩) الْفَاضِلِ.

(١٠) ضَمَّهُمَا.

(١١) مُتَتَابِعِ.

(١٢) تَنَاسُبُ اللَّفْظِ وَاخْتِلَافُ الْمَعْنَى.

فَانْظَمَا الْآنَ عَشْرَةَ آيَاتٍ تُلَحِمَانِهَا بَوْشِيهِ، وَتُرْصَعَانِهَا بِحَلِيهِ، وَضَمْنَاهَا
 شَرْحَ حَالِي^(١)، مَعَ إلفٍ لِي بِدَيْعِ الصِّفَةِ^(٢)، أَلْمَى الشِّفَةِ، مَلِيحِ التَّشْنِي،
 كَثِيرِ التِّيهِ وَالتَّجْنِي، مُغْرَى بَتْنِاسِي الْعَهْدِ^(٣)، وَإِطَالَةِ الصَّدِّ، وَإِخْلَافِ
 الْوَعْدِ، وَأَنَا لَهُ كَالْعَبْدِ.

قَالَ: فَبَرَزَ الشَّيْخُ مُجَلِّيًا، وَتَلَاهُ الْفَتَى مُصَلِّيًا، وَتَجَارِيَا^(٤) بَيْتًا فَبَيْتًا عَلَى
 هَذَا النَّسَقِ، إِلَى أَنْ كَمُلَ نَظْمُ الْآيَاتِ وَاتَّسَقَ، وَهِيَ:

وَأَحْوَى حَوَى رِقِّي ^(٥) بَرَقَّةِ ثَغْرِهِ	وَعَادَرَنِي إلفَ السُّهَادِ ^(٦) بَغْدَرِهِ
تَصَدَّى لِقَتْلِي بِالصُّدُودِ ^(٧) وَإِنِّي	لَفِي أَسْرِهِ مُذْ حَازَ قَلْبِي بِأَسْرِهِ
أَصْدَقُ مِنْهُ الزُّورَ خَوْفَ أَزْوَارِهِ ^(٨)	وَأَرْضَى اسْتِمَاعَ الْهَجْرِ خَشْيَةَ هَجْرِهِ
وَأَسْتَعْذِبُ التَّعْذِيبَ مِنْهُ وَكُلَّمَا	أَجَدَّ عَذَابِي جَدَّ بِي حُبَّ بَرِّهِ ^(٩)
تَنَاسَى ذِمَامِي وَالتَّنَاسِي مَذْمَةً	وَأَحْفَظُ قَلْبِي وَهُوَ حَافِظُ سِرِّهِ
وَأَعْجَبُ مَا فِيهِ التَّبَاهِي بِعُجْبِهِ	وَأَكْبِرُهُ عَنْ أَنْ أَفُوهَ ^(١٠) بِكِبَرِهِ
لَهُ مِنِّي الْمَدْحُ الَّذِي طَابَ نَشْرُهُ	وَلِي مِنْهُ طِيُّ الْوَدِّ مِنْ بَعْدِ نَشْرِهِ ^(١١)
وَلَوْ كَانَ عَدْلًا مَا تَجَنَّى وَقَدْ جَنَى	عَلَيَّ وَغَيْرِي يَجْتَنِي رَشْفَ ثَغْرِهِ ^(١٢)
وَلَوْ لَا تَتَنِّيهِ ثَنَيْتُ أَعْنَتِي	بِدَارًا إِلَى مَنْ أَجْتَلِي نُورَ بَدْرِهِ
وَإِنِّي عَلَى تَصْرِيفِ أَمْرِي وَأَمْرِهِ	أَرَى الْمُرَّ حُلُومًا فِي انْقِيَادِي لِأَمْرِهِ

(١) اجعلها محتوية على إظهار ما في نفسي.

(٢) غريب الوصف.

(٣) مولع بنسيان الصُّحْبَةِ.

(٤) تسابقا.

(٥) حاز ملكي واسترقني.

(٦) مصاحب السَّهْرِ.

(٧) بالإعراض عني.

(٨) انحرافه وميله عني.

(٩) أي إحسانه.

(١٠) أنطق.

(١١) أي: بسطه.

(١٢) مص ميسمه.

فَلَمَّا أُنْشِدَاهَا الْوَالِي مُتْرَاسِلِينَ (١)، بُهِتَ لَذِكَايَهُمَا الْمُتَعَادِلَيْنِ، وَقَالَ:
أَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّكُمَا فَرَقْدَا سَمَاءً، وَكَزَنْدَيْنِ فِي وَعَاءٍ، وَأَنَّ هَذَا الْخَدَثَ (٢)
لِيُنْفِقُ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ، وَيَسْتَغْنِي بِوُجْدِهِ عَمَّنْ سِوَاهُ، فَتُبُّ أَيُّهَا الشَّيْخُ مِنْ
اتِّهَامِهِ، وَتُبُّ إِلَى إِكْرَامِهِ.

فَقَالَ الشَّيْخُ: هِيَهَاتَ أَنْ تُرَاجِعَهُ مِقْتِي (٣)، أَوْ تَعْلُقَ بِهِ ثِقَتِي! وَقَدْ بَلَوْتُ
كُفْرَانَهُ لِلصَّنِيعِ، وَمُنِيتُ (٤) مِنْهُ بِالْعُقُوقِ (٥) الشَّنِيعِ.

فَاعْتَرَضَهُ الْفَتَى، وَقَالَ: يَا هَذَا إِنَّ اللَّجَاجَ شَوْمٌ، وَالْحَنَقَ لُؤْمٌ، وَتَحْقِيقَ
الظَّنَّةِ إِيْثْمٌ، وَإِعْنَاتَ الْبَرِيِّ ظُلْمٌ، وَهَبْنِي اقْتَرَفْتُ جَرِيرَةً (٦)، أَوْ اجْتَرَحْتُ
كَبِيرَةً، أَمَا تَذْكُرُ مَا أُنْشَدْتَنِي لِنَفْسِكَ، فِي إِبَّانِ أَنْسِكَ:

سَامِحْ أَخَاكَ إِذَا خَلَطُ	مِنْهُ الْإِصَابَةَ بِالْغَلَطُ
وَتَجَافَ عَنْ تَعْنِيفِهِ	إِنْ زَاغَ (٧) يَوْمًا أَوْ قَسَطُ
وَاحْفَظْ صَنِيعَكَ عِنْدَهُ	شَكَرَ الصَّنِيعَةَ أَمْ غَمَطُ (٨)
وَأَطِعْهُ إِنْ عَاصَى وَهُنُ	إِنْ عَزَّ وَادْنُ إِذَا شَحَطُ
وَاقْنِ الْوَفَاءَ وَلَوْ أَخَا	لِ بِمَا اشْتَرَطْتَ وَمَا شَرَطُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ طَلَبُ	تَ مُهَذَّبًا (٩) رُمْتَ الشُّطَطُ (١٠)
مَنْ ذَا الَّذِي مَاسَاءَ قَا	طُ وَمَنْ لَهُ الْحُسْنَى فَقَطُ

(١) متتابعين.

(٢) أي: الشاب.

(٣) محبتي.

(٤) بليت.

(٥) بالقطيعة.

(٦) اكتسبت ذنبًا.

(٧) مالَ عنكَ.

(٨) غمط النعمة: كفرها، واستحققرها وجحدتها.

(٩) مخلصًا من النَّقْصِ.

(١٠) طلبت ما لا يُنَالُ.

أَوَمَا تَرَى الْمَحْبُوبَ وَالْ
كَالشَّوْكَ يَبْدُو فِي الْغُصُو
وَلَذَاذَةُ الْعُمَرِ الطَّوْبِ
وَلَوْ اِنْتَقَدْتُ بَنِي الزَّمَا
رُضْتُ الْبَلَاغَةَ وَالْبَرَا
فَوَجَدْتُ أَحْسَنَ مَا يُرَى
مَكْرُوهَ لُزَاً ^(١) فِي نَمَطٍ
نَ مَعَ الْجَنِيِّ الْمُلْتَقَطِ ^(٢)
لِ يَشُوبُهَا نَغْصُ الشَّمَطِ ^(٣)
نَ وَجَدْتُ أَكْثَرَهُمْ سَقَطٍ
عَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْخَطَطِ ^(٤)
سَبَرَ الْعُلُومِ مَعاً فَقَطٍ

قال: فجعل الشيخ يُنْضِضُ ^(٥) نَضْضَةَ الصِّلِّ ^(٦)، ويحملُ حَمَلَةً
الْبَازِي الْمَطْلَ. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي زَيْنَ السَّمَاءَ بِالشُّهُبِ، وَأَنْزَلَ الْمَاءَ مِنَ
السُّحُبِ، مَا رُوِيَ عَنِ الْإِصْطِلَاحِ، إِلَّا لَتَوْقِي الْإِفْتِضَاحِ ^(٧)، فَإِنَّ هَذَا
الْفَتَى اعْتَادَ أَنْ أَمُونَهُ، وَأُرَاعِي شُؤُونَهُ ^(٨)، وَقَدْ كَانَ الدَّهْرُ يَسُحُّ، فَلَمْ أَكُنْ
أَشْحَ، فَأَمَّا الْآنَ فَالْوَقْتُ عُبُوسٌ، وَحَشَوُ الْعَيْشِ بُوسٌ ^(٩)، حَتَّى إِنْ بَزَّتِي
هَذِهِ عَارَةٌ ^(١٠)، وَبَيْتِي لَا تَطُورُ بِهِ فَارَةٌ. قَالَ: فَرَّقَ لِمَقَالِهِمَا قَلْبُ الْوَالِي،
وَأَوَى لَهُمَا مِنْ غَيْرِ اللَّيَالِي، وَصَبَا إِلَى اخْتِصَاصِهِمَا بِالْإِسْعَافِ، وَأَمَرَ النَّظَّارَةَ
بِالْإِنْصِرَافِ.

قَالَ الرَّأَوِي: وَكُنْتُ مَتَشَوِّفًا ^(١١) إِلَى مَرَأَى الشَّيْخِ لَعَلِّي أَعْلَمُ عِلْمَهُ، إِذَا
عَايَنْتُ وَسَمِعْتُ، وَلَمْ يَكُنِ الزَّحَامُ يَسْفِرُ عَنْهُ، وَلَا يُفْرَجُ لِي فَأَدْنُو مِنْهُ، فَلَمَّا
تَقَوَّضَتْ ^(١٢) الصُّفُوفُ، وَأَجْفَلَ الْوُقُوفُ، تَوَسَّمْتُ فَإِذَا هُوَ أَبُو زَيْدٍ وَالْفَتَى

(١) قُرْنَا وَرَبِطًا.

(٢) الْمَأْخُودُ مِنَ الْأَغْصَانِ.

(٣) هُوَ اخْتِلَاطُ بَيَاضِ الشَّيْبِ بِالسَّوَادِ.

(٤) جَمْعُ خِطَّةٍ - بِالْكَسْرِ - وَهِيَ: الطَّرِيقُ.

(٥) يَحْرُكُ لِسَانَهُ.

(٦) الْحَيَّةُ الَّتِي لَا تَقْبَلُ الرِّقِيَّةَ.

(٧) التَّحْفِظُ مِنَ الْفُضِيحَةِ.

(٨) أَحْفَظُ أَحْوَالَهُ.

(٩) ضَرٌّ وَشِدَّةٌ.

(١٠) كُنْتُ مُتَطَلِّعًا.

(١١) عَارِيَةٌ.

(١٢) فَلَمَّا تَفَرَّقَتْ.

فتاه، فعرفتُ حينئذٍ مغزاهُ في ما أتاه، وكذتُ أنقضُ^(١) عليه لأستعرفَ إليه، فزَجَرَنِي بِإِيْمَاضِ طَرْفِهِ، وَاسْتَوْقَفَنِي بِإِيْمَاءِ كَفِّهِ، فَلَزِمْتُ مَوْقِفِي، وَأَخَّرْتُ مَنْصَرَفِي، فَقَالَ الْوَالِي: مَا مَرَامُكَ، وَلَايَ سَبَبٍ مُقَامُكَ؟ فَأَبْتَدَرَهُ^(٢) الشَّيْخُ وَقَالَ: إِنَّهُ أُنَيْسِي، وَصَاحِبُ مَلْبُوسِي، فَتَسَمَّحْ عِنْدَ هَذَا الْقَوْلِ بِتَأْنِيْسِي^(٣)، وَرَخَّصْ^(٤) فِي جُلُوسِي، ثُمَّ أَفَاضْ عَلَيْهِمَا خَلْعَتَيْنِ^(٥)، وَوَصَلْهُمَا بِنِصَابِ مِنَ الْعَيْنِ، وَاسْتَعْهَدْهُمَا أَنْ يَتَعَاشِرَا بِالْمَعْرُوفِ، إِلَى إِظْلَالِ الْيَوْمِ الْمَخُوفِ^(٦)، فَهَضَا مِنْ نَادِيهِ، مُنْشِدِينَ بِشُكْرِ أَيْادِيهِ، وَتَبِعْتُهُمَا لِأَعْرِفَ مَثْوَاهُمَا، وَأَتَزَوَّدَ مِنْ نَجْوَاهُمَا^(٧)، فَلَمَّا أَجَزْنَا حِمَى الْوَالِي، وَأَفْضَيْنَا إِلَى الْفَضَاءِ الْخَالِي، أَدْرَكَنِي أَحَدُ جَلَاوِزَتِهِ، مُهَيِّبًا بِي إِلَى حَوْزَتِهِ^(٨)، فَقُلْتُ لِأَبِي زَيْدٍ: مَا أَظَنَّهُ اسْتَحْضَرَنِي، إِلَّا لِيَسْتَخْبِرَنِي، فَمَاذَا أَقُولُ، وَفِي أَيِّ وَادٍ مَعَهُ أَجُولُ؟ فَقَالَ: بَيْنَ لَهُ غِبَاوَةٌ قَلْبِهِ، وَتَلْعَابِي بَلْبِهِ، لِيَعْلَمَ أَنَّ رِيحَهُ لَا قَتَ إِعْصَارًا^(٩)، وَجَدُولُهُ صَادَفَ تَيَّارًا، فَقُلْتُ: أَخَافُ أَنْ يَتَّقَدَّ غَضَبُهُ، فَيُلْفَحَكَ لَهْبُهُ، أَوْ يَسْتَشْرِىَ طِيْشُهُ^(١٠)، فَيَسْرِىَ إِلَيْكَ بَطْشُهُ^(١١)، فَقَالَ: إِنِّي أَرْحَلُ الْآنَ إِلَى الرَّهَى، وَأَنْتَى يَلْتَقِي سُهَيْلٌ وَالسُّهَى؟ فَلَمَّا حَضَرْتُ الْوَالِيَّ وَقَدْ خَلَا مَجْلِسُهُ، وَانْجَلَى^(١٢) تَعَبُهُ، أَخَذَ يَصِفُ أَبَا زَيْدٍ وَفَضْلَهُ، وَيَذَمُّ الدَّهْرَ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: نَشَدْتُكَ^(١٣) اللَّهُ أَلَسْتَ الَّذِي أَعَارَهُ الدَّسْتُ؟ فَقُلْتُ: لَا وَالَّذِي

(١) أنزل وأسقط.

(٢) فسقه.

(٣) بموانستي وهي ضد الوحشة.

(٤) وسع.

(٥) ثوبين.

(٦) حلول يوم الموت.

(٧) حديثهما سرًا.

(٨) ناحيته.

(٩) الإعصار: ريح شديدة تثير الغبار الذي يستدير كالعمود.

(١٠) خفته.

(١١) سطوته.

(١٢) زال تقطّب وجهه.

(١٣) سألتك بالله.

أَحَلَّكَ فِي هَذَا الدَّسْتِ، مَا أَنَا بِصَاحِبِ ذَلِكَ الدَّسْتِ، بَلْ أَنْتَ الَّذِي تَمَّ عَلَيْهِ الدَّسْتُ، فَازُورْتُ مُقَلَّتَاهُ ^(١)، وَاحْمَرَّتْ وَجَّتَاهُ، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَعْجَزَنِي قَطُّ فَضْحُ مُرِيبٍ، وَلَا تَكْشِيفُ مَعِيبٍ، وَلَكِنْ مَا سَمِعْتُ بِأَنْ شَيْخاً دَلَّسَ، بَعْدَ مَا تَطَلَّسَ ^(٢) وَتَقَلَّسَ، فَبِهَذَا تَمَّ لَهُ أَنْ لَبَسَ، أَفْتَدِرِي أَيْنَ سَكَعَ ^(٣)، ذَلِكَ اللَّكْعُ ^(٤)؟ قُلْتُ: أَشْفَقَ مِنْكَ لَتَعْدِي طَوْرَهُ ^(٥)، فَظَعَنَ عَنْ بَغْدَادَ مِنْ فَوْرِهِ، فَقَالَ: لَا قَرَّبَ اللَّهُ لَهُ نَوَى، وَلَا كَلَاهُ ^(٦) أَيْنَ ثَوَى، فَمَا زَاوَلْتُ أَشَدَّ مِنْ نُكْرِهِ، وَلَا ذُقْتُ أَمْرَ مَنْ مَكْرِهِ، وَلَوْ لَا حُرْمَةُ أَدْبِهِ، لَاوْغَلْتُ فِي طَلْبِهِ، إِلَى أَنْ يَقَعَ فِي يَدِي فَأَوْقَعَ بِهِ، وَإِنِّي لَأَكْرَهُ أَنْ تَشِيعَ فَعَلْتُهُ بِمَدِينَةِ السَّلَامِ، فَأَفْتَضِحَ بَيْنَ الْأَنَامِ، وَتَحَبَّطَ ^(٧) مَكَانَتِي عِنْدَ الْإِمَامِ، وَأَصِيرَ ضُحْكَةً بَيْنَ الْخَاصِّ وَالْعَامِّ، فَعَاهَدَنِي عَلَى أَنْ لَا أَفُوهَ ^(٨) بِمَا اعْتَمَدَ، مَا دُمْتُ حَيًّا بِهَذَا الْبَلَدِ.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَعَاهَدْتُهُ مُعَاهِدَةً مِنْ لَا يَتَأَوَّلُ ^(٩)، وَوَفَّيْتُ لَهُ كَمَا وَفَى السَّمَوَالُ.



(٢) لبس الطيلسان وهو: لباس الخواص.

(٤) اللثيم الدنيء القدر.

(٦) حفظه.

(٨) أنفوه وأتكلم.

(١) انقلبت ومالت عيناه.

(٣) ذهب وتوجه وسار.

(٥) أي لتجاوز حده.

(٧) تبطل وتفسد.

(٩) يطلب التأويل في نقض العهد.

المَقَامَةُ الرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ الْقَطِيعِيَّةُ

حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: عَاشَرْتُ بِقَطِيعَةِ الرَّبِيعِ، فِي إِبَانِ الرَّبِيعِ،
فَتِيَّةً وَجُوهُهُمْ أَبْلَجُ مِنْ أَنْوَارِهِ ^(١)، وَأَخْلَاقُهُمْ أَبْهَجُ مِنْ أَزْهَارِهِ، وَالْفَاضِلُ
أَرْقُ مِنْ نَسِيمِ أَسْحَارِهِ ^(٢)، فَاجْتَلَيْتُ مِنْهُمْ مَا يُزِرِّي ^(٣) عَلَى الرَّبِيعِ الزَّاهِرِ،
وَيُغْنِي عَنْ رَنَاتِ الْمَزَاهِرِ، وَكُنَّا تَقَاسَمُنَا ^(٤) عَلَى حِفْظِ الْوَدَادِ، وَحَظَرِ
الاسْتِبْدَادِ، وَأَنْ لَا يَتَفَرَّدَ أَحَدُنَا بِالتَّدَاذِ، وَلَا يَسْتَأْثِرَ وَلَوْ بَرْدَاذٍ، فَأَجْمَعْنَا فِي
يَوْمٍ سَمَاءَ دَجَنَّهُ ^(٥)، وَنَمَّا ^(٦) حُسْنُهُ، وَحَكَمَ بِالْأَصْطَبَاحِ مُزْنُهُ، عَلَى أَنْ نَلْتَهِيَ
بِالْخُرُوجِ إِلَى بَعْضِ الْمَرْوَجِ، لِنُسْرَحَ النَّوَظِرَ ^(٧) فِي الرِّيَاضِ النَّوَاصِرِ،
وَنَصْقُلَ ^(٨) الْخَوَاطِرَ بِشَيْمِ الْمَوَاطِرِ، فَبَرَزْنَا وَنَحْنُ كَالشُّهُورِ عِدَّةً ^(٩)،
وَكُنْدَمَانِي جَذِيمَةً مَوْدَّةً، إِلَى حَدِيقَةٍ أَخَذَتْ زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَتْ، وَتَنَوَّعَتْ
أَزَاهِيرُهَا وَتَلَوَّنَتْ، وَمَعَنَا الْكُمَيْتُ الشَّمُوسُ، وَالسُّقَاةُ الشَّمُوسُ،
وَالشَّادِي ^(١٠) الَّذِي يُطَرِّبُ السَّامِعَ وَيُلْهِمُهُ، وَيَقْرِي كُلَّ سَمْعٍ مَا يَشْتَهِيهِ، فَلَمَّا
اطْمَأَنَّ بِنَا الْجُلُوسُ، وَدَارَتْ عَلَيْنَا الْكُؤُوسُ، وَغَلَّ عَلَيْنَا ذِمْرٌ ^(١١) عَلَيْهِ

(١) أضوأ من أزهار الربيع.

(٣) أزرى عليه: عابه.

(٥) ارتفع غيمه.

(٧) لنزّه العيون.

(٩) أي خرجنا ونحن اثنا عشر شخصاً.

(١١) بكسر الهمزة؛ أي: الشجاع.

(٢) جمع سحر - بالتحريك - وهو آخر الليل.

(٤) تحالفنا.

(٦) زاد.

(٨) نجلو.

(١٠) المغني.

طَمْرٌ، فَتَجَهَّمْنَاهُ ^(١) تَجَهَّمُ الْغَيْدِ الشَّيْبَ، وَوَجَدْنَا صَفْوَ يَوْمِنَا قَدْ شَيْبَ ^(٢)،
إِلَّا أَنَّهُ سَلَّمَ تَسْلِيمَ أُولِي الْفَهْمِ، وَجَلَسَ يَفُضُّ لَطَائِمَ النَّشْرِ وَالنَّظْمِ، وَنَحْنُ
نَنْزَوِي ^(٣) مِنْ انْبِسَاطِهِ، وَنَنْبِرِي لَطِيَّ بَسَاطِهِ، إِلَى أَنَّ غَنَى شَادِينَا الْمَغْرِبِ،
وَمَغْرَدُنَا الْمُطْرِبِ:

إِلَامَ سُعَادٍ لَا تَصْلِينَ حَبْلِي وَلَا تَأْوِينَ ^(٤) لِي مِمَّا أُلَاقِي
صَبَرْتُ عَلَيْكَ حَتَّى عِيلَ صَبْرِي وَكَادَتْ تَبْلُغُ الرُّوحُ التَّرَاقِي
وَهَا أَنَا قَدْ عَزَمْتُ عَلَى انْتِصَافِ ^(٥) أُسَاقِي فِيهِ خَلِي مَا يُسَاقِي
فَإِنْ وَصَلًا أَلَذُّ بِهِ فَوَصِّلْ وَإِنْ صَرَمًا ^(٦) فَصَرِّمْ كَالطَّلَاقِ

قَالَ: فَاسْتَفْهَمْنَا الْعَابِثَ بِالْمَثَانِي ^(٧)، لَمْ نَصَبِ الْوَصْلَ الْأَوَّلَ وَرَفَعَ
الثَّانِي؟ فَأَقْسَمَ بِتُرْبَةِ أَبِيهِ، لَقَدْ نَطَقَ بِمَا اخْتَارَهُ سَيُويِهِ، فَتَشَعَّبَتْ ^(٨) حَيْثُ
أَرَأَ الْجَمْعَ، فِي تَجْوِيزِ النَّصْبِ وَالرَّفْعِ. فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: رَفَعُهُمَا هُوَ الصَّوَابُ.
وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: لَا يَجُوزُ فِيهِمَا إِلَّا الْإِنْتِصَابُ، وَاسْتَبْهَمَ عَلَى آخَرِينَ
الْجَوَابُ، وَاسْتَعَرَّ ^(٩) بَيْنَهُمُ الْإِصْطِحَابُ، وَذَلِكَ الْوَاغِلُ ^(١٠) يُبْدِي ابْتِسَامَ
ذِي مَعْرِفَةٍ، وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ بِنْتِ شَفَةِ، حَتَّى إِذَا سَكَنْتِ الزَّمَا جَرُّ، وَصَمَتِ
الْمَزْجُورُ وَالزَّاجِرُ. قَالَ: يَا قَوْمُ أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ، وَأَمِيزُ صَحِيحَ الْقَوْلِ مِنْ
عَلِيلِهِ، إِنَّهُ لَيَجُوزُ رَفْعُ الْوَصْلَيْنِ وَنَصْبُهُمَا، وَالْمُغَايَرَةُ فِي الْإِعْرَابِ بَيْنَهُمَا،

(٢) قد خُلِطَ بِالْكَدَرِ.

(١) استقبلناه بوجه كَرِيهِ.

(٤) ترأفين بي وترحميني.

(٣) نَقَبِضُ.

(٦) قطعاً وهَجْراً.

(٥) انتصار للحق.

(٧) أي: اللاعب بها والمحرك لها، وهي أوتار العود؛ لكونها مَثْنَى.

(٩) التَّهَبَّ واشْتَدَّ.

(٨) اُفْرَقَتْ واخْتَلَفَتْ.

(١٠) الدَّخْلُ بِلَا دَعْوَةٍ.

وذلك بحسب اختلاف الإضمار، وتقدير المحذوف في هذا المضمار^(١).
 قَالَ: ففَرَطَ مِنَ الْجَمَاعَةِ إِفْرَاطٌ فِي مُمَارَاتِهِ^(٢)، وَأَنْخِرَاطٌ إِلَى مُبَارَاتِهِ،
 فَقَالَ: أَمَا إِذَا دَعَوْتُمْ نَزَالَ، وَتَلَبَّيْتُمْ لِلنِّضَالِ، فَمَا كَلِمَةٌ هِيَ إِنْ شِئْتُمْ حَرْفٌ
 مَحْبُوبٌ، أَوْ اسْمٌ لِمَا فِيهِ حَرْفٌ حَلُوبٌ؟ وَأَيُّ اسْمٍ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ فَرْدٍ حَازِمٍ^(٣)،
 وَجَمْعٍ مُلَازِمٍ؟ وَآيَةٌ هَاءٌ إِذَا التَّحَقَّتْ أَمَاطَتْ^(٤) الثَّقَلَ، وَأَطْلَقَتْ الْمُعْتَقْلَ؟
 وَأَيْنَ تَدْخُلُ السَّيْنُ فَتَعْزِلُ الْعَامِلَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُجَامِلَ؟ وَمَا مِنْصُوبٌ أَبَدًا عَلَى
 الظَّرْفِ، لَا يَخْفُضُهُ سِوَى حَرْفٍ؟ وَأَيُّ مُضَافٍ أَخْلَ مِنْ عُرَى الْإِضَافَةِ
 بِعُرْوَةٍ، وَاخْتَلَفَ حُكْمُهُ بَيْنَ مَسَاءٍ وَغُدْوَةٍ^(٥)؟ وَمَا الْعَامِلُ الَّذِي يَتَّصِلُ آخِرُهُ
 بِأَوَّلِهِ، وَيَعْمَلُ مَعَكُوسُهُ مِثْلَ عَمَلِهِ؟ وَأَيُّ عَمَلٍ نَائِبُهُ أَرْحَبُ مِنْهُ وَكْرَأُ،
 وَأَعْظَمُ مَكْرَأُ، وَأَكْثَرُ لِلَّهِ تَعَالَى ذِكْرًا؟ وَفِي أَيِّ مَوْطِنٍ تَلَبَّسَ الذُّكْرَانُ بِرَاقِعِ
 النِّسْوَانِ، وَتَبَرَّزُوا رِبَّاتُ الْحِجَالِ بِعَمَائِمِ الرِّجَالِ؟ وَأَيْنَ يَجِبُ حِفْظُ الْمَرَاتِبِ
 عَلَى الْمَضْرُوبِ وَالضَّارِبِ؟ وَمَا اسْمٌ لَا يُعْرَفُ إِلَّا بِاسْتِضَافَةٍ كَلِمَتَيْنِ، أَوْ
 الْاِقْتِصَارِ مِنْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، وَفِي وَضْعِهِ الْأَوَّلِ التَّزَامُ، وَفِي الثَّانِي الْإِزَامُ؟ وَمَا
 وَصَفٌ إِذَا أُرْدِفَ بِالنُّونِ، نَقَصَ صَاحِبُهُ فِي الْعُيُونِ، وَقُومَ بِالْدُّونِ، وَخَرَجَ
 مِنَ الزَّبُونِ، وَتَعَرَّضَ لِلْهُونِ؟ فَهَذِهِ ثِنْتَا عَشْرَةَ مَسْأَلَةً وَفَقَّ عَدَدِكُمْ، وَزِنَةَ
 لَدَدِكُمْ^(٦)، وَلَوْ زِدْتُمْ زِدْنَا، وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا، قَالَ الْمُخْبِرُ بِهَذِهِ الْحِكَايَةِ:
 فَوَرَدَ عَلَيْنَا مِنْ أَحَاجِيهِ اللَّاتِي هَالَتْ^(٧)، لَمَّا انْهَالَتْ، مَا حَارَتْ لَهُ الْأَفْكَارُ
 وَحَالَتْ، فَلَمَّا أَعْجَزَنَا الْعَوْمُ فِي بَحْرِهِ، وَاسْتَسَلَّمَتْ تَمَائِمُنَا^(٨) لِسِحْرِهِ،

(١) الميدان، وهو في الأصل: محل الحرب. (٢) مجادلته.

(٣) ضابط. (٤) أزالته.

(٥) بكرة النهار. (٦) وزن خصومتكم الشديدة.

(٧) من الهول، وهو ما يروع. (٨) جمع تيممة، وهي: العوذة.

عدلنا من استثقال الرؤية له إلى استنزال الرواية عنه، ومن بغى التبرم^(١) به إلى ابتغاء^(٢) التعلم منه، فقال: والذي نزل النحو في الكلام، منزلة الملح في الطعام، وحجبه عن بصائر الطعام^(٣)، لا أنلتكم مراماً^(٤)، ولا شفيت لكم غراماً، أو تخولني كل يد، ويختصني كل منكم بيد، فلم يبق في الجماعة إلا من أذعن لحكمه، ونبد إليه خبأة كمه، فلمّا حصلت تحت وكائه^(٥)، أضرم شعله ذكائه، فكشف حينئذ عن أسرار الغازه، وبدائع إعجازه، ما جلا^(٦) به صدأ الأذهان^(٧)، وجلى مطلعته بنور البرهان^(٨).

قال الراوي: فهمنا، حين فهمنا، وعجبنا، إذ أجبنا، وندمنا على ما ندّمنا^(٩)، وأخذنا نعتذر إليه اعتذار الأكياس، ونعرض عليه ارتضاع الكاس، فقال: مارب لا حفاوة، ومشرب لم يبق له عندي حلاوة، فأطلنا مرادته، ووالينا معاودته، فشمخ^(١٠) بأنفه صلفاً، ونأى بجانبه أنفاً^(١١)، وأنشد:

نهاني الشيبُ عما فيه أفرّاحي
فكيف أجمع بين الراح والراح
وهل يجوز اصطباحي من معتقة^(١٢)
وقد أنار مشيب الرأسِ إصباحي

(١) الضجر منه.

(٢) طلب.

(٣) السفلة الأرذال من الناس.

(٤) مطلباً.

(٥) الوكاء: خيط يُربطُ به.

(٦) صقل.

(٧) دنس العقول والصدأ، في الأصل: ما يركب الحديد.

(٨) الحجة.

(٩) ما فرط وانفلت منا من غير تأمل.

(١٠) رفع أنفه تكبراً.

(١١) استنكافاً وحميةً.

(١٢) من خمر قديمة.

آلَيْتُ لَا خَامِرَتْنِي ^(١) الْخُمْرُ مَا عَلَقْتُ
 رُوحِي بِجَسَمِي وَالْفَاطِي بِإِفْصَاحِي
 وَلَا اِكْتَسَتْ لِي بِكَاسَاتِ السُّلَافِ ^(٢) يَدٌ
 وَلَا أَجَلْتُ قَدَاحِي بَيْنَ أَقْدَاحِ
 وَلَا صَرَفْتُ إِلَى صَرَفِ ^(٣) مُشْعَشَعَةٍ
 هَمِّي ^(٤) وَلَا رُحْتُ مُرْتَا حَا إِلَى رَاحِ
 وَلَا نَظَّمْتُ عَلَى مَشْمُولَةٍ أَبَدًا
 شَمْلِي وَلَا اخْتَرْتُ نَدْمَانًا سِوَى الصَّاحِي ^(٥)
 مَحَا الْمَشِيبُ مِرَاحِي حِينَ خَطَّ عَلَى
 رَأْسِي فَأَبْغَضَ بِهِ مِنْ كَاتِبٍ مَاحِ
 وَلَا حَ يَلْحَى ^(٦) عَلَى جَرِي الْعَنَانِ إِلَى
 مَلْهَى فَسُحْقًا لَهُ مِنْ لَائِحِ لَاحِ ^(٧)
 وَلَوْ لَهَوْتُ وَفَوْدِي شَائِبٌ لَحَبَا ^(٨)
 بَيْنَ الْمَصَابِيحِ مِنْ غَسَّانِ مِصْبَاحِي
 قَوْمٌ سَجَايَاهُمْ تَوْقِيرُ ضَيْفِهِمْ
 وَالشَّيْبُ ضَيْفٌ لَهُ التَّوْقِيرُ يَا صَاحِ
 ثُمَّ إِنَّهُ أَنْسَابَ أَنْسِيَابِ الْأَيْمِ ^(٩) ، وَأَجْفَلَ ^(١٠) إِنْجِفَالَ الْغَيْمِ ^(١١) ، فَعَلِمْتُ

(١) لَا خَالِطَتْنِي وَسْتَرَتْ عَقْلِي .

(٢) هِيَ الْخَالِصَةُ غَيْرُ الْمَشْوَبَةِ .

(٣) النَّدْمَانُ .

(٤) يَلُومُ .

(٥) ظَاهِرٌ لَائِمٌ .

(٦) لَحَمَدٌ وَطَفَى .

(٧) الْحَيَّةُ .

(٨) جَرَى وَأَسْرَعَ .

(٩) آخِرُ أَمْرِنَا وَغَايَتِنَا .

أَنَّهُ سِرَاجٌ سَرُوجٌ، وَبَذَرُ الْأَدَبِ الَّذِي يَجْتَابُ الْبُرُوجَ، وَكَانَ قُصَارَانَا التَّحَرُّقَ
لِبُعْدِهِ، وَالتَّفَرُّقَ مِنْ بَعْدِهِ.



تفسير ما أودع هذه المقامة من النكت العربية والأحاجي النحوية

أَمَّا صَدْرُ الْبَيْتِ الْأَخِيرِ مِنَ الْأُغْنِيَةِ الَّذِي هُوَ (فإن وصلاً أَلذُّ به فوصل) فإنه نظير قولهم: المرء مجزيّ بعمله أَنْ خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ وهذه المسألة أودعها سيبويه كتابه وجوز في إعرابها أربعة أوجه أحدها وهو أجودها أَنْ تنصب خبراً الأول وترفع الثاني وتنصب شراً الأول وترفع الثاني ويكون تقديره إن كَانَ عمله خيراً فجزاؤه خير وإن كَانَ عمله شراً فجزاؤه شر فتنصب الأول عَلَى أَنَّهُ خبر كَانَ وترفع الثاني عَلَى أَنَّهُ خبر مبتدأ محذوف، وَقَدْ حذفت فِي هَذَا الوجه كَانَ واسمها لدلالة حَرْفِ الشرط الَّذِي هُوَ أَنْ عَلَى تقديرهما وحذفت أيضاً المبتدأ لدلالة الفاء الَّتِي هي جواب الشرط عليه لأنه كثيراً مَا يقع بعدها، والوجه الثاني أَنْ تنصبهما جميعاً ويكون تقدير الكلام إن كَانَ عمله خيراً فهو يجزي خيراً وإن كَانَ عمله شراً فهو يجزي شراً فيتنصب الأول عَلَى أَنَّهُ خبر كَانَ وينتصب الثاني انتصاب المفعول به، والوجه الثالث أَنْ ترفعهما جميعاً ويكون تقدير الكلام إن كَانَ فِي عمله خير فجزاؤه خير فيرتفع خير الأول عَلَى أَنَّهُ اسم كان، ويرتفع خير الثاني على ما بَيَّنَّ في شرح الوجه الأول، وقد يجوز أن يرتفع خير الأول على أَنَّهُ فاعل كَانَ وتجعل كَانَ المقدرة ههنا هي التامة الَّتِي تأتي بمعنى حدث ووقع فلا تحتاج إِلَى خبر كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]، ويكون التقدير فِي الْمَسْأَلَةِ: إن كَانَ خير فجزاؤه خير

أي إن حدث خير فجزاؤه خير، والوجه الرَّابِعُ - وهو أضعفها - أن ترفع الأول على ما تقدم شرحه في الوجه الثالث وتنصب الثاني على ما بين ذكره في الوجه الثاني ويكون التقدير إن كَانَ في عمله خير فهو يجزي خيراً وعلى حَسَبِ هَذَا التقدير والمقدرات المحذوفات فيه يجرى إعراب البيت الَّذِي غنى به، ومما ينتظم في هَذَا السلك قولهم المرء مقتول بما قتل به إن سيفاً فسيفٌ وإن خنجراً فخنجر. (وإما الكلمة الَّتِي هي حَرْفٌ محبوب أو اسم لما فيه حَرْفٌ حلوب: فهي نعم إن أردت بها تصديق الأخبار أو العدة عند السؤال فهي حرف، وإن عנית بها الإبل فهي اسم، والنعم تذكر وتؤنث وتطلق على الإبل وعلى كل ماشية فيها إبل، وفي الإبل الحَرْف وهي الناقة الضامرة، سميت حرفاً تشبيهاً لها بحرف السيف، وقيل إنه الضخمة تشبيهاً بحرف الجبل.

وأما الاسمُ الْمُتَرَدَّدُ بَيْنَ فرد حازم وجمع ملازم: فهي سراويل، قَالَ بَعْضُهُمْ: هو واحد وجمعه سراويلات، فعلى هَذَا القول هو فرد، وكنى عن ضمه الخُصْرُ بأنه حازم، وَقَالَ آخَرُونَ: بل هو جمع واحده سراويل مثل شمالل وشماليل وسربال وسراويل، فهو على هَذَا القول جمع، ومعنى قوله ملازم أي لا ينصرف، وإنَّما لم ينصرف هَذَا النوع من الجمع وهو كل جمع ثالثه ألف وبعدها حَرْفٌ مشدد أو حرفان أو ثلاثة أوسطها ساكن لثقله وتفرد دون غيره من المجموع بأن لا نظير له في الأسماء الآحاد، وَقَدْ كُنِيَ في هذه الأحجية عما لا ينصرف بالملازم كَمَا كُنِيَ في الَّتِي قبلها عما ينصرف باللازم.

وَأَمَّا الهَاءُ الَّتِي إِذَا التحقت أَمَاطَت الثقل وأَطْلَقَت المعتقل: فهي الهاء

اللاحقة بالجمع المقدم ذكره كقولك: صيارفة وصياقلة، فينصرف هذا الجمع عند التحاق الهاء بها لأنها قد أصارته إلى أمثال الآحاد نحو رفاهية وكراهية، فخف بهذا السبب وصرف لهذه العلة، وقد كنى في هذه الأحجية عما لا ينصرف بالمعتقل كما كنى في التي قبلها عما لا ينصرف بالملازم.

وأما السين التي تعزل العامل من غير أن تجامل: فهي التي تدخل على الفعل المستقبل وتفصل بينه وبين أن التي كانت قبل دخولها من أدوات النصب فيرتفع حينئذ الفعل وتنتقل أن عن كونها الناصبة للفعل إلى أن تصوير المخففة من الثقيلة، وذلك كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى﴾، وتقديره: علم أنه سيكون.

وأما المنصوب على الظرف الذي لا يخفضه سوى حرف: فهو عند إذ لا يجره غير «من» خاصة، وقول العامة: ذهبت إلى عنده لحن.

وأما المضاف الذي أخل من عرى الإضافة بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدوة: فهو لدن، ولدن من الأسماء الملازمة للإضافة وكل ما يأتي بعدها مجرور به إلا غدوة فإن العرب نصبته بلدن لكثرة استعمالهم إياها في الكلام، ثم نونتها أيضاً ليتبين بذلك أنها منصوبة لا أنها من نوع المجرورات التي لا تنصرف، وعند بعض النحويين أن لدن بمعنى عند، والصحيح أن بينهما فرقاً لطيفاً وهو أن عند يشتمل معناها على ما هو في ملكك ومكتك مما دنا منك وبعد عنك، ولدن يختص معناها بما حضرك وقرب منك.

وأما العامل الذي يتصل آخره بأوله ويعمل معكوسه مثل عمله: فهو

يا، ومعكوسه أي، وكلتاهما من حروف النداء وعملهما في الاسم المنادى سيان وإن كانت يَ أجول في الكلام وأكثر في الاستعمال، وقد اختار بعضهم أن ينادى بأي القريب فقط كالهمزة.

وأما العامل الذي نأثبه أرحب منه وكرأ وأعظم مكرأ وأكثر لله تعالى ذكراً: فهو باء القسم، وهذه الباء هي أصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم في قولك: أقسم بالله، ولدخولها أيضاً على المضمر كقولك: بك لأفعلن، وإنما أبدلت الواو منها في القسم لأنهما جميعاً من حروف الشفة ثم لتقارب معنيهما لأن الواو تفيد الجمع والباء تفيد الإلصاق وكلاهما متفق والمعنيان متقاربان، ثم صارت الواو المبدلة من الباء أدور في الكلام وأعلق بالأقسام ولهذا الغز بأنه أكثر لله تعالى ذكراً، ثم إن الواو أكثر موطناً من الباء لأن الباء لا تدخل إلا على الاسم ولا تعمل غير الجر، والواو تدخل على الاسم والفعل والحرف وتجبر تارة بالقسم وتارة بإضمار رب وتتنظم أيضاً مع نواصب الفعل وأدوات العطف فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المكر.

وأما الموطن الذي يلبس فيه الذكران براقع النسوان وتبرز فيه ربات الحجال بعمائم الرجال: فهو أول مراتب العدد المضاف وذلك ما بين الثلاثة إلى العشرة فإنه يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها، كقوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾، والهاء في هذا الموطن من خصائص المؤنث كقولك: قائم وقائمة وعالم وعالمة، فقد رأيت كيف انعكس في هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث حتى انقلب كل منهما في ضد قلبه وبرز في بزة صاحبه.

وأما الموضع الَّذِي يجب فيه حفظ المراتب عَلَى المضروب والضارب: فهو حيث يشته الفاعل بالمفعول لتعذر ظهور علامة الإعراب فيهما أَوْ في أحدهما، وذلك إِذَا كانا مقصورين مثل موسى وعيسى، أَوْ من أَسْمَاء الإشارة نحو ذاك وهذا، فيجب حينئذ لإزالة اللبس إقرار كل منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقديمه والمفعول بتأخره.

وأما الاسمُ الَّذِي لا يفهم إلا باستضافة كلمتين أَوْ الاقتصار منه عَلَى حرفين: فهو مهما، وفيها قولان: أحدهما أنها مركبة من «مه» الَّتِي هي بمعنى اكفف ومن ما، والقول الثاني، وهو الصَّحِيح، إن الأصل فِيهَا «ما» فزيدت عليها مَا أخرى كَمَا تزداد عَلَى أن، فصار لفظها مَا ما فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد فأبدلوا من ألف «مَا» الأولى هاء فصارتا «مهما»، ومهما من أدوات الشرط والجزاء ومتى لفظت بها لم يتم الكلام وَلَا عقل المعنى إلا بإيراد كلمتين بعدها كقولك: مهما تفعل افعل، وتكون حينئذ ملتزماً للفعل، وإن اقتصرت منها عَلَى حرفين وهما «مه» الَّتِي بمعنى اكفف فهم المعنى وكنت مُلْزِماً من خاطبته أَنْ يكف.

وأما الوصف الَّذِي إِذَا أردف بالنون نقص صاحبه فِي العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون وتعرض للهون: فهو ضيف إِذَا لحقته النون استحال إِلَى ضيفن، وهو الَّذِي يتبع الضيف، وينزل فِي النقد منزلة الزيف.



المَقَامَةُ الْخَامِسَةُ وَالْعِشْرُونَ الْكَرْجِيَّةُ

حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: شَتَوْتُ بِالْكَرْجِ (١) لِدَيْنٍ أَقْتَضِيهِ، وَأَرَبَ أَقْضِيهِ، فَبَلَوْتُ (٢) مِنْ شِتَائِهَا الْكَالِحَ (٣)، وَصِرُّهَا النَّافِحَ، مَا عَرَّفَنِي جَهْدُ الْبَلَاءِ، وَعَكَفَ بِي عَلَى الْإِصْطِلَاءِ، فَلَمْ أَكُنْ أَزَايِلُ (٤) وَجَارِي، وَلَا مُسْتَوْقِدَ نَارِي، إِلَّا لِمُضْرَرَّةٍ أُدْفَعُ إِلَيْهَا، أَوْ إِقَامَةِ جَمَاعَةٍ أَحَافِظُ عَلَيْهَا، فَاضْطُرْتُ فِي يَوْمٍ جَوْهُ مُزْمَهَرٍّ (٥)، وَدَجْنُهُ مُكْفَهَرٍّ (٦)، إِلَى أَنْ بَرَزْتُ مِنْ كَنَانِي، لِمُهِمِّ عَنَانِي (٧)، فَإِذَا شَيْخٌ عَارِي الْجِلْدَةِ، بَادِي الْجُرْدَةِ (٨)، وَقَدْ اعْتَمَّ (٩) بَرِيْطَةً، وَاسْتَفْرَفُ بِفُؤَيْطَةٍ، وَحَوَالِيهِ جَمْعٌ كَثِيفٌ الْحَوَاشِي (١٠)، وَهُوَ يُنْشِدُ وَلَا يُحَاشِي:

يَا قَوْمٍ لَا يُنْبِئُكُمْ عَنْ فَقْرِي
فَاعْتَبِرُوا بِمَا بَدَأَ مِنْ ضُرِّي
وَحَازِرُوا انْقِلَابَ سِلْمِ الدَّهْرِ (١١)
أَصْدَقُ مِنْ عُرْيِي أَوَانَ الْقُرِّ
بَاطِنَ حَالِي وَخَفِيَّ أَمْرِي
فَإِنِّي كُنْتُ نَبِيَهُ الْقَدْرِ

(١) أقمت مدة الشتاء بها، وهي بلدة بين أذربيجان وهمذان.

(٢) جربت.

(٣) الشديد.

(٤) الشديد، ومنه: الزمهرير.

(٥) أفارق.

(٦) أهمني.

(٧) متراكم.

(٨) لبس العمامة.

(٩) ظاهر البشرة.

(١٠) جماعة ملتصمون من كثرتهم منضم بعضهم إلى بعض.

(١١) احذروا تغير الدهر من الخير إلى الشر.

تُفِيدُ صُفْرِي وَتُبِيدُ سُمْرِي
فَجَرَدَ الدَّهْرُ سَيُوفَ الْغَدْرِ
وَلَمْ يَزَلْ يَسْحَتُنِي وَيَبْرِي
وَبَارَ^(٥) سَعْرِي فِي الْوَرَى وَشَعْرِي
عَارِي الْمَطَا مُجَرِّدًا مِنْ قَشْرِي^(٧)
لَا دَفْءَ^(٨) لِي فِي الصَّنِّ وَالصَّبْرِ
فَهَلْ خَضَمْتُ دُوْرَدَاءَ غَمْرِ
طَلَابَ وَجْهِ اللَّهِ لَا لِشُكْرِي
ثُمَّ قَالَ: يَا أَرْبَابَ الثَّرَاءِ الرَّافِلِينَ^(١٠) فِي الْفَرَاءِ، مَنْ أَوْتِيَ خَيْرًا فَلْيُنْفِقْ،
وَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُرْفِقَ^(١١) فَلْيُرْفِقْ، فَإِنَّ الدُّنْيَا غَدُورٌ، وَالدَّهْرُ عَثُورٌ، وَالْمُكْنَةُ
زَوْرَةٌ طَيْفٌ^(١٢)، وَالْفُرْصَةُ مَزْنَةٌ صَيْفٌ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَطَالَمَا تَلَقَّيْتُ الشِّتَاءَ
بِكَافَاتِهِ، وَأَعَدَدْتُ الْأُهْبَ^(١٣) لَهُ قَبْلَ مُوَاظَاتِهِ، وَهَا أَنَا الْيَوْمَ يَا سَادَتِي،
سَاعِدِي وَسَادَتِي، وَجَلَدَتِي بُرْدَتِي، وَحَفْنَتِي جَفْنَتِي، فَلْيَعْتَبِرِ الْعَاقِلُ بِحَالِي،
وَلْيُبَادِرْ صَرْفَ اللَّيَالِي^(١٤)، فَإِنَّ السَّعِيدَ مِنْ اتَّعَظَ بِسَوَاهُ، وَاسْتَعَدَّ لِمَسْرَاهُ^(١٥)،
فَقِيلَ لَهُ: قَدْ جَلَوْتَ عَلَيْنَا أَدَبَكَ، فَاجْلُ لَنَا نَسَبَكَ، فَقَالَ: تَبًّا لِمُفْتَخِرٍ، بَعْظُمٍ

(١) سلاح يقطع.

(٣) المصائب الشَّدَاد.

(٥) كسد.

(٧) ثيابي.

(٩) البروز للشمس.

(١١) الإرفاق النفع.

(١٣) جمع الأهبة، كالعدة.

(١٥) لثواه.

(٢) الكوم: جمع كوماء، وهي: الناقة العظيمة السنَام.

(٤) خلت أو درست.

(٦) مهزولاً من الفقر والضيقة.

(٨) ليس لي ما يدفعني.

(١٠) المتبخترين.

(١٢) كزيارة خيال في المنام.

(١٤) حوادثها وتغيراتها.

نخر^(١)! إِنَّمَا الْفَخْرُ بِالتَّقَى، وَالْأَدَبُ الْمُتَّقَى، ثُمَّ أَنْشَدَ:
لَعَمْرُكَ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا ابْنُ يَوْمِهِ عَلَى مَا تَجَلَّى^(٢) يَوْمُهُ لَا ابْنَ أَمْسِهِ
وَمَا الْفَخْرُ بِالْعَظَمِ الرَّمِيمِ وَإِنَّمَا فَخَارُ الَّذِي يَبْنِي الْفَخَارَ بِنَفْسِهِ
ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ مُحَقِّقًا^(٣)، وَاجْرَنَثَمَ^(٤) مُقَفِّفًا، وَقَالَ: اللَّهُمَّ يَا مَنْ
غَمَرَ بِنَوَالِهِ، وَأَمَرَ بِسُؤَالِهِ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعِنِّي عَلَى الْبَرْدِ
وَأَهْوَالِهِ، وَاتَّخِ لِي حُرًّا يُؤَثِّرُ مِنْ خِصَاصَةٍ، وَيُوَاسِي وَكُوْ بِقُصَاصَةٍ^(٥).

قَالَ الرَّأَوِي: فَلَمَّا جَلَّى عَنِ النَّفْسِ الْعِصَامِيَّةِ^(٦)، وَالْمُلْحِ الْأَصْمَعِيَّةِ،
جَعَلَتْ مَلَامِحُ عَيْنِي تَعْجُمُهُ، وَمَرَامِي لِحْظِي تَرْجُمُهُ، حَتَّى اسْتَبْنْتُ^(٧) أَنَّهُ
أَبُو زَيْدٍ، وَأَنْ تَعْرِيه أُحْبُولُهُ صَيْدٍ، وَلَمَحَ هُوَ أَنَّ عِرْفَانِي قَدْ أَدْرَكَهُ، وَكَمْ
يَأْمَنُ أَنْ يَهْتَكُهُ، فَقَالَ: أَقْسَمُ بِالسَّمَرِ وَالْقَمَرِ، وَالزُّهْرِ وَالزَّهَرِ، إِنَّهُ لَنْ
يَسْتُرَنِي إِلَّا مَنْ طَابَ خِيَمُهُ^(٨)، وَأَشْرَبَ مَاءَ الْمُرْوَةِ^(٩) أَدِيمُهُ^(١٠)،
فَعَقَلْتُ مَا عَنَاهُ، وَإِنْ لَمْ يَذِرِ الْقَوْمُ مَعْنَاهُ، وَسَاءَ لِي مَا يُعَانِيهِ مِنَ الرَّعْدَةِ^(١١)،
وَاقْشِعْرَارِ الْجِلْدَةِ^(١٢)، فَعَمَدْتُ لِفَرْوَةٍ هِيَ بِالنَّهَارِ رِيَاشِي^(١٣)، وَفِي اللَّيْلِ
فِرَاشِي، فَضَوَّتُهَا^(١٤) عَنِّي، وَقُلْتُ لَهُ: اقْبَلْهَا مِنِّي، فَمَا كَذَبَ أَنْ افْتَرَاهَا،
وَعَيْنِي تَرَاهَا، ثُمَّ أَنْشَدَ:

- (١) أي: بال. (٢) ظهر.
(٣) منحنيًا معوجًا. (٤) انقبض بعضه إلى بعض.
(٥) القصاصة: ما أخذه المقص من الشعر، والمراد: القليل من العطاء.
(٦) أي: الكريمة. (٧) علمت وتحققت.
(٨) الخيم - بالكسر - الطبيعة والكرم. (٩) الفعل الجميل.
(١٠) وجهه. (١١) اضطراب الأعضاء من البرد.
(١٢) تقبض جلده. (١٣) لباسي الحسن.
(١٤) نزعتها.

لِلَّهِ مَنْ أَلْبَسَنِي فَرَوْهُ أَضْحَتْ مِنَ الرُّعْدَةِ لِي جُنَّةُ
 أَلْبَسَنِهَا وَأَقِيأُ مُهْجَتِي (١) وَقِي شَرَّ الْإِنْسِ وَالْجِنَّةِ
 سَيَكْتَسِي الْيَوْمَ ثَنَائِي وَفِي غَدٍ سِيُكْسِي سُنْدُسَ (٢) الْجَنَّةِ

قال: فَلَمَّا فَتَنَ قُلُوبَ الْجَمَاعَةِ، بِافْتِنَانِهِ فِي الْبَرَاعَةِ، أَلْقَوْا عَلَيْهِ مِنَ
 الْفَرَاءِ الْمَغْشَاةَ، وَالْجِبَابِ الْمُوشَّاةَ (٣)، مَا آدَهُ ثَقْلُهُ، وَلَمْ يَكْذُ يَقْلُهُ،
 فَانْطَلَقَ مُسْتَبْشِرًا بِالْفَرَجِ، مُسْتَسْقِيًا لِلْكَرَجِ، وَتَبِعْتُهُ إِلَى حَيْثُ ارْتَفَعَتِ التَّقِيَّةُ،
 وَبَدَّتِ السَّمَاءُ نَقِيَّةً، فَقُلْتُ لَهُ: لَشَدِّ (٤) مَا قَرَسَكَ الْبَرْدُ، فَلَا تَتَعَرَّ مِنْ بَعْدُ!
 فَقَالَ: وَيْكَ لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ، سُرْعَةُ الْعَذْلِ (٥)! فَلَا تَعْجَلْ بِلَوْمٍ هُوَ ظَلَمٌ،
 وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، فَوَالَّذِي نَوَّرَ الشَّيْبَةَ (٦)، وَطَيَّبَ تُرْبَةَ طَيْبَةٍ،
 لَوْ لَمْ أَنْعَرَّ لِرُحْتُ بِالْخِيَّةِ (٧)، وَصَفَرَ الْعَيْبَةَ، ثُمَّ نَزَعَ إِلَى الْفِرَارِ، وَتَبَرَّقَعَ
 بِالْأَكْفَهَرَارِ (٨).

وَقَالَ: أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ شِنْشِتِي (٩) الْإِنْتِقَالَ مِنْ صَيْدٍ إِلَى صَيْدٍ، وَالْإِنْعِطَافُ
 مِنْ عَمْرٍو إِلَى زَيْدٍ؟ وَأَرَاكَ قَدْ عُقْتَنِي (١٠) وَعَقَقْتَنِي (١١)، وَأَفْتَنِي أَضْعَافَ مَا
 أَفْدَتَنِي، فَأَعْفَنِي عَافَاكَ اللَّهُ مِنْ لَعْنِكَ، وَاسْدُدْ دُونِي بَابَ جِدِّكَ وَلَهْوِكَ،
 فَجَبَذْتُهُ جَبْذَ التَّلْعَابَةِ (١٢)، وَجَعَجَعْتُ بِهِ لِلدُّعَابَةِ.

(١) صائناً وحافظاً نفسي.

(٢) السُّنْدُسُ: الدِّيَاجِ الرقيق والإستبرق الغليظ.

(٣) المنقوشة المزينة.

(٤) أي: لعظم وما في لشد ما نكرة منصوبة واللام للقسمة.

(٥) المبادرة باللوم.

(٦) جعل الشيب نوراً.

(٧) بالحرمان.

(٨) العبوس.

(٩) طبعتي وخلقي وعادتي.

(١٠) منعنتي.

(١١) عصيتني.

(١٢) هو الماخن اللاعب؛ أي: الكثير اللعب. والهاء للمبالغة.

وَقُلْتُ لَهُ: وَاللَّهِ لَوْ لَمْ أُؤَارِكَ، وَأُغَطَّ عَلَى عَوَارِكَ، لَمَا وَصَلْتُ إِلَى
صَلَّةٍ، وَلَا انْقَلَبْتَ أَكْسَى مِنْ بَصَلَةٍ، فَجَازَنِي ^(١) عَنْ إِحْسَانِي إِلَيْكَ، وَسَتَرِي
لَكَ وَعَلَيْكَ، بِأَنْ تَسْمَحَ لِي بِرَدِّ الْفَرَوَةِ، أَوْ تُعَرِّفَنِي كَافَاتِ الشَّتْوَةِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ
نَظَرَ الْمُتَعَجِّبِ، وَازْمَهَرَ ^(٢) اَزْمِهْرَارَ الْمُتَغَضِّبِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا رَدُّ الْفَرَوَةِ فَأُبْعَدُ
مِنْ رَدِّ أَمْسِ الدَّائِرِ ^(٣)، وَالْمَيِّتِ الْغَايِرِ، وَأَمَّا كَافَاتُ الشَّتْوَةِ فَسُبْحَانَ مَنْ
طَبَعَ عَلَى ذَهْنِكَ، وَأَوْهَى وَعَاءَ خَزْنِكَ ^(٤)، حَتَّى أَنْسَيْتَ مَا أَنْشَدْتُكَ
بِالدَّسْكَرَةِ ^(٥)، لَا بِنِ سُكْرَةٍ:

جَاءَ الشَّتَاءُ وَعِنْدِي مِنْ حَوَائِجِهِ ^(٦)

سَبْعٌ إِذَا الْقَطْرُ ^(٧) عَنْ حَاجَاتِنَا حَبَسَا

كُنَّ ^(٨) وَكِيسٌ وَكَانُونٌ ^(٩) وَكَاسٌ ^(١٠) طَلَأَ

بَعْدَ الْكَبَابِ ^(١١) وَكَفَّ نَاعِمٌ وَكَسَا

ثُمَّ قَالَ: لَجَوَابٍ يَشْفِي، خَيْرٌ مِنْ جَلْبَابٍ يُدْفِي، فَكَتَفَ بِمَا وَعَيْتَ
وَانْكَفَى، فَفَارَقْتُهُ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَرَوَتِي لِشَقَوَتِي ^(١٢)، وَحَصَلْتُ عَلَى الرَّعْدَةِ
طُولَ شَتَوَتِي.



(٢) توقدت عيناه غضباً.

(٤) حفظك.

(٦) مصالحه ومرافقه المحتاج إليها فيه.

(٨) بيت.

(٩) مستوقد صغير، وهو ما يعدّه الناس للطبخ.

(١٠) إناءٌ تُسْقَى به الخُمْر، والمراد: أن عنده الخمر وكأسها.

(١١) اللحم المشوي على الخُمْر. (١٢) لشقائِي وسوءِ حظِّي.

(١) قابلني.

(٣) الماضي.

(٥) بَيْتُ الْخُمَارِ.

(٧) المطر.

المَقَامَةُ السَّادِسَةُ وَالْعَشْرُونَ وَتُعْرَفُ بِالرَّقِطَاءِ

حَدَّثَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: حَلَلْتُ سُوقِي الْأَهْوَازِ، لَابِسًا حُلَّةَ
الْإِعْوَازِ (١)، فَلَبِثْتُ فِيهَا مُدَّةً، أَكَابِدُ (٢) شِدَّةً، وَأُزْجِي (٣) أَيَّامًا مُسَوَّدَةً، إِلَى
أَنْ رَأَيْتُ تَمَادِي الْمَقَامِ مِنْ عَوَادِي الْإِنْتِقَامِ، فَرَمَقْتُهَا (٤) بَعَيْنِ الْقَالِي،
وَفَارَقْتُهَا مُفَارَقَةَ الطَّلَلِ الْبَالِي، فَطَعَنْتُ (٥) عَنْ وَشْلِهَا، كَمِيشِ الْإِزَارِ،
رَاكِضًا (٦) إِلَى الْمِيَاهِ الْغِزَارِ (٧)، حَتَّى إِذَا سِرْتُ مِنْهَا مَرَحِلَتَيْنِ (٨)، وَبَعُدْتُ
سُرَى (٩) لَيْلَتَيْنِ، تَرَاءَتْ لِي خِيْمَةٌ مَضْرُوبَةٌ، وَنَارٌ مَشْبُوبَةٌ (١٠)، فَقُلْتُ:
أَتِيهِمَا لَعَلِّي أَنْقَعُ صَدْيَ، أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى، فَلَمَّا انْتَهَيْتُ إِلَى ظِلِّ
الْخِيْمَةِ رَأَيْتُ غَلَمَةً رُوقَةً، وَشَارَةً (١١) مَرْمُوقَةً، وَشَيْخًا عَلَيْهِ بَزَّةٌ (١٢) سَنِيَّةٌ،
وَلَدَيْهِ فَاكِهَةٌ جَنِيَّةٌ، فَحَيَّيْتُهُ، ثُمَّ تَحَامَيْتُهُ (١٣)، فَضَحَكَ إِلَيَّ، وَأَحْسَنَ الرَّدَّ
عَلَيَّ، وَقَالَ: أَلَا تَجْلِسُ إِلَى مَنْ تَرُوقُ فَاكِهَتُهُ، وَتَشُوقُ مُفَاكِهَتُهُ؟ فَجَلَسْتُ
لَاغْتِنَامِ مُحَاضَرَتِهِ، لَا لِالْتِهَامِ مَا بِحَضْرَتِهِ، فَحِينَ سَفَرَ عَنْ آدَابِهِ، وَكَشَرَ عَنْ

(١) لباس العدم والفقر والحاجة، والمراد: أنه فقير لا شيء له.

(٢) أقاسي.

(٣) أدفع وأسوق.

(٤) نظرتها.

(٥) رحلت.

(٦) مسرعًا.

(٧) الكثيرة كناية عن كثرة الخير.

(٨) مسافة مرحلتين.

(٩) هو المشي بالليل.

(١٠) موقدة.

(١١) هيئة حسنة.

(١٢) خلعة.

(١٣) تباعدت عنه.

أَنبَاهِهِ، عَرَفْتُ أَنَّهُ أَبُو زَيْدٌ بِحُسْنِ مُلَحِهِ ^(١)، وَقُبِحَ قَلْحُهُ ^(٢)، فَتَعَارَفْنَا حِينَئِذٍ، وَحَفَّتْ بِي فَرَحَتَانِ سَاعَتَيْنِ، وَلَكَمْ أَدْرِ بِأَيِّهِمَا أَنَا أَضْفَى ^(٣) فَرَحًا، وَأَوْفَى مَرَحًا: أَيْسْفَارِهِ، مِنْ دُجْنَةِ ^(٤) أَسْفَارِهِ؟ أَمْ بِخَصْبِ رَحَالِهِ، بَعْدَ إِمْحَالِهِ ^(٥)؟ وَتَأَقَّتْ ^(٦) نَفْسِي إِلَى أَنْ أَفْضَ خْتَمَ سِرِّهِ، وَأَبْطَنَ دَاعِيَةَ يُسْرِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ أَيْنَ إِيَابُكَ، وَإِلَى أَيْنَ انْسِيَابُكَ ^(٧)، وَبِمَ امْتَلَأْتَ عِيَابُكَ؟ فَقَالَ: أَمَّا الْمَقْدَمُ فَمِنْ طَوْسٍ، وَأَمَّا الْمَقْصِدُ ^(٨) فإِلَى السَّوْسِ، وَأَمَّا الْجَدَةُ ^(٩) الَّتِي أَصَبْتُهَا فَمِنْ رِسَالَةٍ اقْتَضَبْتُهَا ^(١٠)، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَفْرُشَنِي دَخْلَتُهُ ^(١١)، وَيَسْرُدَ عَلَيَّ رِسَالَتَهُ، فَقَالَ: دُونَ مَرَامِكَ حَرْبُ الْبَسُوسِ، أَوْ تَصْحَبَنِي إِلَى السَّوْسِ، فَصَاحَبَتُهُ إِلَيْهَا قَهْرًا، وَعَكَفْتُ عَلَيْهِ بِهَا شَهْرًا، وَهُوَ يَعْلُنِي ^(١٢) كَاسَاتِ التَّغْلِيلِ، وَيُجَرِّنِي ^(١٣) أَعْنَةَ التَّامِيلِ، حَتَّى إِذَا حَرَجَ صَدْرِي، وَعِيلَ صَبْرِي، قُلْتُ لَهُ: إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَكَ عِلَّةٌ، وَلَا لِي فِي الْمَقَامِ تَعَلَّةٌ ^(١٤)، وَفِي غَدٍ أَزْجُرُ غُرَابَ الْبَيْنِ، وَأَرْحَلُ عَنْكَ بِخُفِّي حَيْنٍ، فَقَالَ: حَاشَا لِلَّهِ أَنْ أُخْلِفَكَ، أَوْ أُخَالِفَكَ، وَمَا أَرْجَأْتُ أَنْ أُحْدِثَكَ، إِلَّا لِأَلْبَثِكَ ^(١٥)، وَإِذَا كُنْتُ قَدْ اسْتَرَبْتُ بَعْدَتِي، وَأَغْرَاكَ ظَنُّ السَّوِّءِ بِمُبَاعَدَتِي ^(١٦)، فَأَصِخْ لِقَصَصِ سِيرَتِي الْمُمْتَدَّةِ،

(١) طُرْقَهُ وَالْفَازِظَهُ الْحُسْنَ.

(٣) أَكْثَرَ وَأَسْبَغَ.

(٥) جَدَبَهُ.

(٧) ذَهَابَكَ.

(٩) السَّعَّةُ وَالْغَنَى.

(١١) بَاطِنُ أَمْرِهِ وَحَقِيقَتِهِ.

(١٣) يَحْمِلُنِي عَلَى أَنْ أَجْرَّ.

(١٤) هِيَ فِي الْأَصْلِ: مَا يَعْطَلُ بِهِ الصَّبِيُّ وَقْتُ الْفُطَامِ.

(١٥) أَيُّ: لِأَجْلِ أَنْ تَلْبَثَ عِنْدِي وَتَمُكَّثَ. (١٦) رَغْبَكَ ظَنُّكَ السَّيِّئِ فِي الْبُعْدِ عَنِّي.

(٢) صَفْرَةُ أَسْنَانِهِ.

(٤) ظَلَمَةُ وَسَوَادٍ.

(٦) اشْتَأَقْتُ.

(٨) الْمَتَوَجِّهَ إِلَيْهِ.

(١٠) أَنْشَاتُهَا وَارْتَجَلْتُهَا.

(١٢) يَسْقِينِي مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى.

وأضفها إلى أخبار الفرج بعد الشدة، فقلتُ له: هاتِ فما أطولَ طيلك، وأهولَ حيلك^(١)! فقال: اعلمُ أنَّ الدهرَ العَبَسَ^(٢)، ألقاني إلى طوس، وأنا يومئذٍ فقيرٌ وقيرٌ، لا فتيلَ لي ولا نَفير، فألجاني^(٣) صفرُ اليدين، إلى التطوق^(٤) بالدين، فادنتُ لسوء الاتفاق، ممن هو عسرُ الأخلاق، وتوهمتُ تسنيَ النفاق، فتوسعتُ في الإنفاق، فما أفقتُ حتى بهظني^(٥) دينٌ لزماني حقه، ولازماني مُستحقُّه، فحرْتُ^(٦) في أمري، وأطلعتُ غريمي على عسري، فلم يصدقْ إملاقي^(٧)، ولا نزَعَ عن إرهاقي، بل جدَّ في التقاضي، ولجَّ في اقتيادي^(٨) إلى القاضي، وكلَّمَا خضعتُ له في الكلام، واستنزكتُ منه رفقَ الكرام، ورغبتهُ في أن ينظرَ لي بمياسرة^(٩)، أو ينظرَني إلى ميسرة، قال: لا تطمعُ في الإنظار، واحتجَّانِ النصار، فوحقَّك ما ترى مسالك^(١٠) الخلاص، أو تُريني سبائكِ الخلاص! فلمَّا رأيتُ احتدادَ لدِّه^(١١)، وأن لا مناصَ لي من يده، شاغبتهُ، ثم وأثبتهُ^(١٢)، ليرافعني إلى والي الجرائم، لا إلى الحاكم في المظالم، لما كان بلغني من إفضالِ الوالي وفضله، وتشددِ القاضي وبُخله، فلمَّا حضرنا بابَ أميرِ طوس، آنستُ أن لا بأسَ ولا بؤسَ^(١٣)، فاستدعيتُ دواةً وبيضاءً، وأنشأتُ رسالةً رقطاءَ، وهي:

(٢) المقطب وجهه، كناية عن شدته.

(١) مكرك وخداك.

(٤) التلبس، وأصله لبس الطوق في العنق.

(٣) أحوجني.

(٦) فتحيَّرت.

(٥) أثقلني.

(٨) قاده واقتاده سحبه وجرة.

(٧) فقري.

(١٠) جمع مسلك، بمعنى: الطريق.

(٩) بمساهلة.

(١٢) نازعته وغالبته.

(١١) شدة خصومته.

(١٣) لا ضرر ولا داهية.

أَخْلَاقُ سَيِّدِنَا تُحَبُّ، وَبِعَقَوْتِهِ ^(١) يُلَبُّ، وَقُرْبُهُ تُحَفُّ، وَنَأْيُهُ ^(٢) تَلَفُّ،
وُخْلَتُهُ نَسَبٌ، وَقَطِيعَتُهُ نَصَبٌ، وَغَرْبُهُ ذَلَقٌ، وَشُهْبُهُ تَأْتَلَقُ، وَظَلْفُهُ زَانَ ^(٣)،
وَقَوِيمٌ نَهْجُهُ بَانَ، وَذَهْنُهُ ^(٤) قَلَبٌ وَجَرَبٌ، وَنَعْتُهُ شَرَقٌ وَغَرَبٌ:

سَيِّدُ قَلْبٍ سَبُوقٌ ^(٥) مُبَرٌّ فِطْنٌ مُغْرِبٌ عَزُوفٌ عَيُوفٌ
مُخْلَفٌ مُتْلَفٌ أَغْرُفَرِيدٌ نَابَةٌ ^(٦) فَاضِلٌ ذَكِيٌّ أَنْوَفٌ
مُفْلَقٌ إِنْ أَبَانَ طَبٌّ إِذَا نَا بَ ^(٧) هِيَاجٌ وَجَلَّ خَطْبٌ مَخُوفٌ

مَنَاظِمُ شَرْفِهِ تَأْتَلَفُ ^(٨)، وَشَوْبُوبُ حَيَاتِهِ يَكْفُ ^(٩)، وَنَائِلُ يَدَيْهِ فَاضٌ،
وَشُحُّ قَلْبِهِ غَاضٌ ^(١٠)، وَخَلْفُ سَخَائِهِ يُحْتَلَبُ، وَذَهَبُ عِيَابِهِ يُحْتَرَبُ ^(١١)،
مَنْ لَفَّ لَفَّهُ فَلَجَ وَغَلَبَ، وَتَاجِرُ بَابِهِ جَلَبَ وَخَلَبَ ^(١٢)، كَفَّ عَنْ هَضْمِ
بَزِيٍّ ^(١٣)، وَبَرَى مِنْ دَنْسٍ غَوِيٍّ ^(١٤)، وَقَرْنَ لِيَانَهُ بَعِزٍّ، وَنَكَبَ عَنْ مَذْهَبِ
كَزٍّ، لَيْسَ بَوْتَابَ عِنْدَ نَهْزَةِ شَرٍّ، بَلْ يَعْفُ عَفَّةً بَرٍّ:
فَلِذَا يُحِبُّ وَيُسْتَحَقُّ عَفَافُهُ

شَغَفَاءُ بِهِ فَلُبَابُهُ خَلَابٌ ^(١٥)

أَخْلَاقُهُ غُرَّتَرَفٌ وَفُوقُهُ

فُوقٌ إِذَا نَاضَلْتَهُ غَلَابٌ

(١) بفنائته .

(٢) بعده من نأى عنه إذا بُعد .

(٣) زانه ، بمعنى : زينه .

(٤) عقله وذكاؤه .

(٥) كثير السبق في المعالي .

(٦) أي : رفيع القدر .

(٧) حدث .

(٨) تتناسق .

(٩) يقطر ويسيل .

(١٠) امتنع .

(١١) يستلب .

(١٢) جلب الشيء : قطفه وأماله لنفسه .

(١٣) امتنع عن ظلم من ليس بظالم .

(١٤) خداع .

(١٥) ضال .

سُجَّحٌ يَهْشُ^(١) وَذُو تَلَافٍ إِنْ هَفَا
 خَلُّ فُلَيْسَ بِحَقِّهِ يُرْتَابُ
 لَا بَاخِلٌ بَلْ بَاذِلٌ خَرَقُ^(٢) إِذَا
 يُعْتَرَبَرْزُ لَا يَلِيهِ بَابُ
 إِنْ عَضَّ أَزَلُّ فَلْ غَرَبَ عَضَاضُهُ^(٣)
 بِمَنَابِهِ^(٤) فَانْحَتَ مِنْهُ نَابُ

وَجَدِيرٌ بِمَنْ لَبَّ وَفَطَنَ، وَقَرُبَ وَشَطَنَ، أَنْ أَدْعَنَ لَقَرِيحَ زَمَنِ، وَجَابِرُ
 زَمَنِ^(٥)، مُدُّ رَضِيعَ ثَدْيٍ لِبَانِهِ، خُصَّ بِإِقَاضَةِ تَهْتَانِهِ^(٦)، نَعَشَ وَفَرَجَ،
 وَضَافَرَ فَأُبْهَجَ، وَنَافَرَ فَأَزْعَجَ، وَفَاءَ بِحَقِّ أَبْلَجَ، أَتَعَبَ مَنْ سَيَلِي، وَقَرَّطَ^(٧)
 إِذْ هَزُّ وَبُلْيَ، وَتَوَجَّ صِفَاتِهِ، بِحُبِّ عُقَاتِهِ^(٨)؛

فَلَا خَلَا ذَا بَهْجَةٍ يَمْتَدُّ ظِلُّ خُصْبِهِ
 فَإِنَّهُ بَرِّبَمَنْ أَنْسَ ضَوْءَ شُهْبِهِ^(٩)
 زَانَ مَزَايَا ظَرْفِهِ بِلُبْسِ خَوْفِ رَبِّهِ

فَلْيَهْنِ سَيِّدَنَا فَوْزُهُ بِمَفَاخِرِ تَأَثَّلَتْ وَجَلَّتْ، وَفَوْتُهُ بِصَنَائِعِ تَمَّتْ وَنَمَّتْ،
 وَيُلَائِمُ قُرْبَ حَضْرَتِهِ، غَوْثُ رِقَّةٍ بِحِظِّ^(١٠) مِنْ حُظُوتِهِ، فَإِنَّهُ تَلِيدٌ نَدْبٍ،
 وَشَرِيدٌ جَدْبٍ^(١١)، وَجَرِيحٌ نَوْبٍ أَثَّرَتْ، وَنَاطِمٌ قَلَائِدَ^(١٢) تَسِيرَتْ، إِذَا جَاشَ

(١) يبتسم.

(٢) بالكسر - سخي.

(٣) شدة.

(٤) لقيامته مقامه ونيابته عنه.

(٥) بفتح الميم؛ أي: لسيد مختار في زمنه.

(٦) مصدر هتنت السماء إذا هطلت.

(٧) مُدَح.

(٨) يحبه سائليه.

(٩) رأى نور صفاته.

(١٠) بنصيب.

(١١) طريد قحط.

(١٢) جمع قلادة، المراد بها: مُلَحَّ الكلام المنظور والمنثور.

لِخُطْبَةٍ فَلَا يُوْجَدُ قَائِلٌ، ثُمَّ قُسُّ ثُمَّ بَاقِلٌ، فَإِنْ حَبَرَ (١) قُلْتُ: حَبْرٌ
نُمِنَتْ (٢)، وَخَلَّتْ رِيَاضًا قَدْ نَمَتْ، هَذَا ثُمَّ شَرِبُهُ بَرُضٌ (٣)، وَقُوْتُهُ
قَرُضٌ، وَفَلَقُهُ غَسَقٌ، وَجَلْبَابُهُ خَلَقٌ، وَقَدْ قَلِقَ لَتَوَغَّرَ غَرِيمٌ (٤) غَاشِمٌ،
يَسْتَحْتُهُ بِحَقٍّ لَازِمٌ، فَإِنْ مِنْ سَيِّدُنَا بِكَفِّهِ، بِهَبَاتٍ كَفِّهِ، تَوْشَحَ بِمَجْدٍ (٥) فَاقٌ،
وَبَاءٌ بِأَجْرٍ فَكِّيٍّ مِنْ وَثَاقٍ، لَا خَلَّتْ سَجَايَا (٦) خُلْفُهُ، تَرَفَّدُ شَائِمَ بَرْقِهِ، بِمَنْ
رَبٌّ أَزْكِيٌّ، حَيٌّ أَبَدِيٌّ، قَالَ: فَلَمَّا اسْتَشَفَّ الْأَمِيرُ لِأَلِيهَا، وَلَمَحَ السَّرَّ الْمُوْدَعَ
فِيهَا، أَوْعَزَ فِي الْحَالِ بِقَضَاءِ دَيْنِي، وَفَصَلَ بَيْنَ خَصْمِي وَبَيْنِي، ثُمَّ
اسْتَخْلَصَنِي لِمُكَائِرَتِهِ (٧)، وَاخْتَصَنِي بِأَثَرَتِهِ (٨)، فَلَبِثْتُ بَضْعَ سِنِينَ أَنْعَمُ فِي
ضِيَافَتِهِ، وَأَرْتَعُ (٩) فِي رَيْفِ رَافَتِهِ، حَتَّى إِذَا غَمَرْتَنِي مُوَاهِبُهُ (١٠)، وَأَطَالَ
ذَيْلِي ذَهَبُهُ، تَلَطَّفْتُ فِي الْارْتِحَالِ، عَلَى مَا تَرَى مِنْ حُسْنِ الْحَالِ، قَالَ:
فَقُلْتُ لَهُ شُكْرًا لِمَنْ أَتَاهَ لَكَ لُقْيَانُ السَّمْحِ الْكَرِيمِ، وَأَنْقَذَكَ بِهِ مِنْ ضَغْطَةِ
الْغَرِيمِ! فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى سَعَادَةِ الْجَدِّ، وَالْخُلُوصِ مِنَ الْخَصْمِ
الْأَلَدِّ (١١) ثُمَّ قَالَ: أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أُحْذِيكَ (١٢) مِنَ الْعَطَاءِ، أَمْ أُتَحَفِّكَ
بِالرَّسَالَةِ الرَّقْطَاءِ؟ فَقُلْتُ: إِمْلَأْ الرِّسَالَةَ أَحَبُّ إِلَيَّ! فَقَالَ: وَهُوَ وَحَقُّكَ
أَخْفُ عَلَيَّ، فَإِنَّ نِحْلَةَ مَا يَلِجُ فِي الْأَذَانِ، أَهْوَنُ مِنْ نِحْلَةِ مَا يَخْرُجُ مِنْ

(١) إِنْ كَتَبَ وَأَنْشَأَ.

(٢) نَقَشَتْ.

(٣) قَلِيلٌ.

(٤) شِدَّةُ الْحَرِّ، وَالْغَرِيمُ: هُوَ رَبُّ الدِّينِ.

(٥) بِرَفْعَةٍ قَدْرَ رَائِدَةٍ.

(٦) جَمْعُ سَجِيَّةٍ، بِمَعْنَى الطَّبِيعَةِ.

(٧) لِمُفَاخَرَتِهِ بِكَثْرَةِ الْعِدَدِ.

(٨) بِفَضِيلَتِهِ وَتَقَدُّمِهِ.

(٩) أَرَعَى.

(١٠) جَمْعُ مُوَاهِبَةٍ، بِمَعْنَى: الْهَبَةِ وَالْعَطِيَّةِ.

(١١) أَعْطَيْكَ.

(١٢) الشَّدِيدُ الْخُصُومَةِ.

الأردان ، ثُمَّ كَأَنَّهُ أَنْفَ (١) وَاسْتَحْيَا ، فَجَمَعَ لِي بَيْنَ الرِّسَالَةِ وَالْحُذْيَا (٢) ،
فَفَزْتُ مِنْهُ بِسَهْمَيْنِ (٣) ، وَفَصَلْتُ عَنْهُ بِغْنَمَيْنِ ، وَأُبْتُ إِلَى وَطَنِي قَرِيرَ (٤)
الْعَيْنِ ، بِمَا حَزْتُ مِنَ الرِّسَالَةِ وَالْعَيْنِ .



(١) استنكف .

(٢) العطية .

(٣) بنصيين .

(٤) مسروراً .

المقامة السابعة والعشرون الوبرية

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قال: ملْتُ في ريقِ زَمَانِي الَّذِي غَبَرَ (١)، إلى
مجاورةِ أهلِ الوبرِ (٢)، لَأَخْذِ إِخْذِ نُفُوسِهِمِ الأَبِيَّةِ، وَالسِّنْتِهِمِ العَرَبِيَّةِ،
فَشَمَرْتُ تَشْمِيرَ مَنْ لَا يَأْلُو (٣) جُهْدًا، وَجَعَلْتُ أَضْرِبُ فِي الأَرْضِ غَوْرًا
وَنَجْدًا، إِلَى أَنْ اقْتَنَيْتُ هَجْمَةً مِنَ الرَّأغِيَةِ (٤)، وَثَلَّةً مِنَ الشَّاعِيَةِ (٥)، ثُمَّ
أَوَيْتُ إِلَى عَرَبٍ أَرْدَافَ أَقْيَالٍ، وَأَبْنَاءِ أَقْوَالٍ، فَأَوْطَنْونِي (٦) أَمْنَعَ جَنَابٍ،
وَفَلُّوا (٧) عَنِّي حَدَّ كُلِّ نَابٍ، فَمَا تَأَوَّبَنِي عِنْدَهُمْ هَمٌّ، وَلَا قَرَعَ صَفَاتِي
سَهْمٌ، إِلَى أَنْ أَضَلَلْتُ (٨) فِي لَيْلَةٍ مُنِيرَةِ البَدْرِ، لَقْحَةً غَزِيرَةَ الدَّرِّ (٩)، فَلَمْ
أَطْبُ نَفْسًا بِالْغَاءِ طَلَبَهَا، وَإِلْقَاءِ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبَهَا، فَتَدَثَّرْتُ فَرَسًا
مَحْضَارًا (١٠)، وَاعْتَقَلْتُ لَدُنَا خَطَّارًا، وَسَرَيْتُ لَيْلَتِي جَمْعَاءَ أَجُوبِ
الْبَيْدَاءِ، وَأَقْتَرِي (١١) كُلَّ شَجَرَاءٍ وَمَرْدَاءٍ، إِلَى أَنْ نَشَرَ الصُّبْحُ رَايَاتِهِ،
وَحَيَّعَلَ الدَّاعِي إِلَى صَلَاتِهِ، فَتَزَلْتُ عَنْ مَتْنِ الرِّكُوبَةِ، لِأَدَاءِ الْمُكْتُوبَةِ، ثُمَّ
حُلْتُ فِي صَهْوَتِهَا (١٢)، وَفَرَرْتُ عَنْ شَحْوَتِهَا، وَسِرْتُ لَا أَرَى أَثَرًا إِلَّا

(١) مضى وتقدم.

(٢) هم أهل البدو.

(٣) يقصر.

(٤) الإبل.

(٥) الغنم.

(٦) أحلوني وأنزلوني.

(٧) كسروا.

(٨) ذهبت لي ضالة.

(٩) كثير اللبن.

(١٠) كثير الحضر، وهو العدو والسُرعة.

(١١) أتبع.

(١٢) الصهوة: مقعد الفارس من الفرس.

قَفَوْتُهُ، وَلَا نَشْرًا (١) إِلَّا عَلَوْتُهُ، وَلَا وَادِيًا إِلَّا جَزَعْتُهُ، وَلَا رَاكِبًا إِلَّا
 اسْتَطَلَعْتُهُ، وَجِدِّي مَعَ ذَلِكَ يَذْهَبُ هَدْرًا، وَلَا يَجِدُ وَرْدَهُ صَدْرًا، إِلَى أَنْ
 حَانَتْ صَكَّةٌ عُمِيٌّ، وَلَفْحُ (٢) هَجِيرٍ يُذْهِلُ غِيلَانَ (٣) عَنْ مِيٍّ، وَكَانَ يَوْمًا
 أَطُولَ مِنْ ظِلِّ الْقَنَاةِ، وَأَحَرَّ مِنْ دَمْعِ الْمِقْلَاتِ، فَأَيَقَنْتُ أَنِّي إِنْ لَمْ أَسْتَكِنْ مِنْ
 الْوَقْدَةِ (٤)، وَأَسْتَجِمَّ بِالرَّقْدَةِ، أَدْنَفَنِي اللَّغُوبُ، وَعَلَقْتُ بِي شُعُوبُ، فَعُجْتُ
 إِلَى سَرْحَةٍ كَثِيفَةِ الْأَغْصَانِ، وَرِيقَةٍ (٥) الْأَفْنَانِ، لِأَغُورَ تَحْتَهَا إِلَى الْمُغِيرِيَانِ،
 فَوَاللَّهِ مَا اسْتَرَوْحَ نَفْسِي، وَلَا اسْتَرَاخَ فَرْسِي، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى سَانِحٍ، فِي
 هَيْئَةٍ سَائِحٍ (٦)، وَهُوَ يَنْتَجِعُ نُجْعَتِي (٧)، وَيَشْتَدُّ إِلَى بُقْعَتِي، فَكْرِهْتُ
 انْعِيَاجَهُ (٨) إِلَى مَعَاجِي، فَاسْتَعَذْتُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ مُفَاجِيٍّ، ثُمَّ تَرَجَّيْتُ أَنْ
 يَتَّصِدِّي مُنْشِدًا (٩)، أَوْ يَتَبَدَّى مُرْشِدًا، فَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ سَرْحَتِي (١٠)، وَكَادَ
 يَحِلُّ بِسَاحَتِي، أَلْفَيْتُهُ شَيْخَنَا السَّرُوجِيَّ مُتَشِحًا بِجِرَابِهِ، وَمُضْطَغِنًا أُهْبَةً
 تَجَوَابِهِ (١١)، فَانْسَنِي إِذْ وَرَدَ، وَأَنْسَانِي مَا شَرَدَ، ثُمَّ اسْتَوْضَحْتُهُ مِنْ أَيْنَ
 أَثَرُهُ، وَكَيْفَ عَجْرَهُ وَبَجْرَهُ (١٢)؟ فَأَنْشَدَ بَدِيهَا، وَلَمْ يَقُلْ إِيهَا:

قُلْ لِمُسْتَطْلِعِ دَخِيلَةٍ أَمْرِي
 لَكَ عِنْدِي كَرَامَةٌ وَعَزَازَةٌ

(١) اللّفح: إصابة حرّ الشمس والنّار.

(٢) اللّفح: إصابة حرّ الشمس والنّار.

(٣) اللّفح: إصابة حرّ الشمس والنّار.

(٤) اللّفح: إصابة حرّ الشمس والنّار.

(٥) اللّفح: إصابة حرّ الشمس والنّار.

(٦) اللّفح: إصابة حرّ الشمس والنّار.

(٧) اللّفح: إصابة حرّ الشمس والنّار.

(٨) اللّفح: إصابة حرّ الشمس والنّار.

(٩) اللّفح: إصابة حرّ الشمس والنّار.

(١٠) اللّفح: إصابة حرّ الشمس والنّار.

(١١) اللّفح: إصابة حرّ الشمس والنّار.

(١٢) اللّفح: إصابة حرّ الشمس والنّار.

(١) هو المكان المرتفع.

(٢) اسم ذي الرّمة الشّاعر.

(٣) كثيرة الأوراق.

(٤) يقصد جهتي.

(٥) معرفًا للضّالة.

(٦) سيرة في الأرض وقطعه لها.

(٧) حاله باطنًا وظاهرًا.

(٨) حاله باطنًا وظاهرًا.

(٩) حاله باطنًا وظاهرًا.

(١٠) حاله باطنًا وظاهرًا.

(١١) حاله باطنًا وظاهرًا.

(١٢) حاله باطنًا وظاهرًا.

أَنَا مَا بَيْنَ جَوْبِ أَرْضٍ فَأَرْضٍ
 وَسُرِّي فِي مَفَازَةٍ فَمَفَازَةٍ
 زَادِي الصَّيْدُ وَالْمَطِيَّةُ نَغْلِي
 وَجَهَازِي الْجِرَابُ وَالْعُكَّازَةُ
 فَإِذَا مَا هَبَطْتُ مَضْرَأً فَبَيْتِي
 غُرْفَةُ الْخَانَ وَالنَّدِيمُ جُزَازَةُ
 لَيْسَ لِي مَا أَسَاءُ ^(١) إِنْ فَاتَ أَوْ أَحْزَنَ
 زَنْ إِنْ جَاوَلَ الزَّمَانَ ابْتِزَازَةُ ^(٢)
 غَيْرَ أَنِّي أَبَيْتُ خِلْوًا مِنَ الْهَمِّ
 هَمٌّ وَنَفْسِي عَنِ الْأَسَى مُنْحَازَةُ ^(٣)
 أَرْقُدُ اللَّيْلَ مِلءَ جَفْنِي وَقَلْبِي
 بَارِدٌ مِنْ حَرَارَةٍ وَحَازَةُ ^(٤)
 لَا أَبَالِي مِنْ أَيِّ كَأْسٍ تَفَوَّقُ
 سَتُ وَلَا مَا حَلَاوَةٌ مِنْ مَزَازَةُ ^(٥)
 لَا وَلَا أَسْتَجِيزُ أَنْ أَجْعَلَ الذُّ
 لَّ مَجَازًا إِلَى تَسَنِّي إِجَازَةٍ
 وَإِذَا مَطْلَبٌ كَسَا حُلَّةَ الْعَا
 رِفْبُغْدًا لِمَنْ يَرُومُ نَجَازَةَ

(٢) استلابه.

(١) بضم الهمزة؛ أي: أحزن عليه.

(٤) هي وجع يعتري القلب من الحزن والهم.

(٣) بعيدة منزلة.

(٥) هي طعم بين الحلاوة والحُموضة.

وَمَتَى اهْتَزَّ لِلدَّاءِ (١) نَكْسٌ
عَافَ طَبْعِي طِبَاعَهُ وَاهْتِزَّازَهُ (٢)
فَالْمَنَايَا وَلَا الدَّنَايَا وَخَيْرٌ
مِنْ رُكُوبِ الْخَنَا (٣) رُكُوبُ الْجَنَازَةِ (٤)

ثُمَّ رَفَعَ إِلَيَّ طَرْفَهُ، وَقَالَ: لِأَمْرِ مَا جَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفُهُ، فَأَخْبَرْتُهُ خَيْرَ نَاقَتِي
السَّارِحَةِ، وَمَا عَانِيَتْهُ فِي يَوْمِي وَالْبَارِحَةِ، فَقَالَ: دَعِ الْإِلْتِفَاتَ إِلَى مَا فَاتَ،
وَالطَّمَّاحَ (٥) إِلَى مَا طَاحَ، وَلَا تَأْسَ (٦) عَلَى مَا ذَهَبَ، وَكَلِّمْ أَنَّهُ وَادٍ مِنْ
ذَهَبٍ، وَلَا تَسْتَمِلْ مَنْ مَالَ عَنْ رِيحِكَ (٧)، وَأَضْرِمَ نَارَ تَبَارِيحِكَ، وَكَلِّمْ كَانَ
ابْنُ بُوحِكَ (٨)، أَوْ شَقِيقَ رُوحِكَ، ثُمَّ قَالَ: هَلْ لَكَ فِي أَنْ تَقِيلَ وَتَتَحَامَى
الْقَالَ وَالْقِيلَ؟ فَإِنَّ الْأَبْدَانَ أَنْضَاءُ تَعَبٍ، وَالْهَاجِرَةَ (٩) ذَاتُ لَهَبٍ، وَلَكِنْ
يَصْقُلُ الْخَاطِرَ، وَيُشِطُّ الْفَاتِرَ (١٠) كَقَائِلَةِ الْهَوَاجِرِ، وَخُصُوصاً فِي شَهْرِي
نَاجِرٍ، فَقُلْتُ: ذَاكَ إِلَيْكَ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ، فَافْتَرَشَ التُّرْبَ (١١)
وَأَضْطَجَعَ، وَأَظْهَرَ أَنْ قَدْ هَجَعَ، وَارْتَفَقْتُ عَلَى أَنْ أُحْرُسَ، وَلَا أَنْعَسَ،
فَأَخَذَتْنِي السَّنَةُ، إِذْ زُمْتُ الْأَلْسِنَةُ (١٢)، فَلَمْ أَفِقْ إِلَّا وَاللَّيْلُ قَدْ تَوَلَّجَ،

(١) الحساسة.

(٢) فرحه واشتياقه.

(٣) الفحش.

(٤) بالكسر؛ النعش يُحْمَلُ عَلَيْهِ الْمَيِّتُ، وَبِالْفَتْحِ؛ الْمَيِّتُ نَفْسُهُ.

(٥) رفع البصر إلى الشيء.

(٦) لا تأسف وتحزن.

(٧) جهتك وجانبك.

(٨) ابن نفسك.

(٩) شدة الحر.

(١٠) يقوي الضعيف.

(١١) جعل التراب فرشه.

(١٢) كفت عن الكلام.

وَالنَّجْمُ قَدْ تَبَلَّجَ ، وَلَا السَّرُوجِيَّ وَلَا الْمُسْرَجَ ^(١) ، فَبِتُّ بَلِيلَةَ نَابِغِيَّةٍ ،
 وَأَحْزَانَ يَعْقُوبِيَّةٍ ، أُسَاوِرُ الْوُجُومَ ، وَأُسَاهِرُ النُّجُومَ ، أَفَكَّرْتُ تَارَةً فِي رُجُلَتِي ،
 وَأَخْرَى فِي رَجْعَتِي ، إِلَى أَنْ وَضَحَ لِي عِنْدَ افْتِرَارِ ثَغْرِ الضَّوِّ فِي وَجْهِ الْجَوِّ ،
 رَاكِبٌ يَخْدُ فِي الدَّوِّ ، فَأَلْمَعْتُ إِلَيْهِ بِثَوْبِي ، وَرَجَوْتُ أَنْ يُعَرِّجَ إِلَى صَوْبِي ،
 فَلَمْ يَعْبا بِالْمَاعِي ، وَلَا أَوَى ^(٢) لِأَلْتِيَاعِي ^(٣) ، بَلْ سَارَ عَلَى هَيْتِهِ ، وَأَصْمَانِي
 بِسَهْمِ إِهَاتِنِهِ ، فَأَوْفَضْتُ ^(٤) إِلَيْهِ لِأَسْتَرْدِفَهُ ^(٥) ، وَأَحْتَمِلَ تَغَطُّفَهُ ^(٦) ، فَلَمَّا
 أَدْرَكْتُهُ بَعْدَ الْأَيْنِ ، وَأَجَلْتُ فِيهِ مَسْرَحَ الْعَيْنِ ، وَجَدْتُ نَاقَتِي مَطِيَّتَهُ ، وَضَالَّتِي
 لُقُطَتَهُ ، فَمَا كَذَّبْتُ أَنْ أَذْرِيْتُهُ ^(٧) عَنْ سَنَامِهَا ، وَجَاذَبْتُهُ طَرْفَ زِمَامِهَا ، وَقُلْتُ
 لَهُ : أَنَا صَاحِبُهَا وَمُضِلُّهَا ^(٨) ، وَلِي رِسْلُهَا وَنَسْلُهَا ، فَلَا تَكُنْ كَأَشْعَبَ ،
 فَتُتْعَبَ وَتَتْعَبَ ، فَأَخَذَ يَلْدَغُ ^(٩) وَيَصْنِي ^(١٠) ، وَيَتَّقِحُ ^(١١) وَلَا يَسْتَحْيِي ،
 وَبَيْنَا هُوَ يَنْزُو ^(١٢) وَيَلِينُ ، وَيَسْتَأْسِدُ ^(١٣) وَيَسْتَكِينُ ، إِذْ غَشِينَا أَبُو زَيْدٍ لَابِسًا
 جِلْدَ النَّمْرِ ، وَهَاجِمًا هُجُومَ السَّيْلِ الْمُنْهَمِرِ ، فَخِفْتُ وَاللَّهِ أَنْ يَكُونَ يَوْمُهُ
 كَأَمْسِهِ ، وَبَدَرُهُ مِثْلَ شَمْسِهِ ، فَأَلْحَقَ بِالْقَارِظِينَ ، وَأَصِيرَ خَبْرًا بَعْدَ عَيْنٍ ، فَلَمْ أَرِ
 إِلَّا أَنْ أَذْكُرْتُهُ الْعُهُودَ الْمُنْسِيَّةَ ، وَالْفَعْلَةَ الْإِمْسِيَّةَ ، وَنَاشَدْتُهُ اللَّهَ ^(١٤) ، أَوْافَى

(١) لم يجد أبا زيد ولا فرسه .

(٢) حرقة قلبي ؛ لأنَّ الالتِياعَ حرقة القلب .

(٣) ليحملني خلفه .

(٤) ألقىته .

(٥) يؤذي بلسانه .

(٦) يشد ويثب .

(٧) يفعل الوقاحة وعدم الحياء .

(٨) يقوى كالأسد .

(٩) أقسمت عليه بالله .

(١٠) أقسمت عليه بالله .

(١١) أقسمت عليه بالله .

للتَّلَافِي، أَمْ لِمَا فِيهِ إِتْلَافِي، فَقَالَ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أُجْهَزَ عَلَى مَكْلُومِي، أَوْ
أَصِلَ حُرُورِي بِسَمُومِي^(١)! بَلْ وَأَفَيْتُكَ لِأَخْبَرَ كُنْهَ حَالِكَ، وَأَكُونُ يَمِينًا
لشِمَالِكَ، فَسَكَنَ عِنْدَ ذَلِكَ جَاشِي^(٢)، وَانْجَابَ اسْتِيحَاشِي^(٣)، وَأَطْلَعَتْهُ
طَلْعَ اللَّقْحَةِ، وَتَبَرَّقَعَ صَاحِبِي بِالْقِحَّةِ^(٤)، فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ لَيْثِ الْعَرِيسَةِ إِلَى
الْفَرِيسَةِ، ثُمَّ أَشْرَعَ قِبْلَهُ الرُّمَحَ، وَأَقْسَمَ لَهُ بِمَنْ أَنْارَ الصُّبْحَ، لَنْ لَمْ يَنْجُ مَنْجَى
الذُّبَابِ، وَيَرْضَ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ، لِيُورِدَنَّ سِنَانَهُ وَرِيدَهُ، وَلَيَفْجَعَنَّ بِهِ وَكِيدَهُ
وَوَدِيدَهُ^(٥)، فَبَنَدَ زَمَامَ النَّاقَةِ وَحَاصَ، وَأَفْلَتَ وَلَهُ حُصَااصُ^(٦)، فَقَالَ لِي أَبُو
زَيْدٍ: تَسَلَّمَهَا وَتَسَنَّهَا، فَإِنَّهَا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ، وَوَيْلٌ أَهْوَنُ مِنْ وَيْلَيْنِ.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَحِرْتُ بَيْنَ لَوْمِ أَبِي زَيْدٍ وَشُكْرِهِ، وَزِنَةَ نَفْعِهِ
بِضُرِّهِ، فَكَأَنَّهُ نُوجِي بِذَاتِ صَدْرِي، أَوْ تَكْهَنُ مَا خَامَرَ سِرِّي^(٧)، فَقَابَلَنِي
بِوَجْهِ طَلِيقٍ، وَأَنْشَدَ بِلِسَانِ ذَلِيقٍ^(٨):

يَا أَخِي الْحَامِلَ ضَيْمِي دُونَ إِخْوَانِي وَقَوْمِي
إِنْ يَكُنْ سَاءَكَ أَمْسِي فَلَقَدْ سَرَّكَ يَوْمِي
فَاغْتَفِرْ ذَاكَ لِهَذَا وَأَطْرَحْ شُكْرِي وَلَوْمِي

ثُمَّ قَالَ: أَنَا تَقُّ^(٩)، وَأَنْتَ مَتَّقُ، فَكَيْفَ نَتَّفَقُ؟ وَوَلَّى يَفْرِي أُدِيمِ
الْأَرْضِ، وَيَرْكُضُ طِرْفُهُ أَيْمًا رَكْضٍ، فَمَا عَدَوْتُ^(١٠) أَنْ اقْتَعَدْتُ مَطِيَّتِي،

(٢) الجأش: روع القلب واضطرابه عند الفزع.

(٤) تلبسه بالوقاحة وصلابة الوجه.

(٦) هو العدو والضراط.

(٨) الذليق والذلق: الحاد.

(١٠) انصرفت.

(١) السَّمُوم: ريح حارة نهاراً.

(٣) توحشي، وهو ضد الأتس.

(٥) محبة وصديقه.

(٧) ما خالط قلبي.

(٩) مغتاض.

وَعُدْتُ لَطِيبَتِي ^(١)، حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى حِلَّتِي، بَعْدَ اللَّتْيَا ^(٢) وَالَّتِي.



تفسير ما أدوع هذه المقامة

من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قوله: (ريق زماني) ورائقه يعني أوله وَقَدْ يخفف فيقال: ريق، وَقَوْلُهُ: (أخذ أخذ نفوسهم الأبية) يعني اقتدي بهم يُقَالُ مِنْهُ أَخَذَ إِخْذَهُ وَأَخْذَهُ بِكسر الهمزة وفتحها، (وَالهَجْمَة) نحو الْمَاءَة من الإبل، (وَالثَّلَة) القطيع من الغنم، (وَالرَّاغِيَة) الإبل، (وَالثَّاغِيَة) الشاة.

ومنه قولهم: مَا لَهُ رَاغِيَة وَلَا ثَاغِيَة أَي لَا نَاقَة وَلَا شَاة، وَقَوْلُهُ: (أرداف أقيال) أَي يَخْلِفُونَ الْمُلُوكَ إِذَا غَابُوا، وَقَوْلُهُ: (أبناء أقوال) أَي فصحاء، يُقَالُ لِلْمُنْطِقِ: إِنَّهُ ابْنُ أَقْوَالِهِ، وَقَوْلُهُ: (فتدثرت فرساً محاضراً) التدثر الوثوب عَلَى ظَهْرِ الْفَرَسِ، وَالْمَحْضَارُ وَالْمَحْضِيرُ الشَّدِيدُ الْعَدُو مَأْخُوذٌ مِنَ الْحُضَرِ وَهُوَ الْعَدُو، وَقَوْلُهُ: (اقتَرَى كُلَّ شَجَرَاءٍ وَمَرْدَاءٍ) الاقتراء تتبع الأرض وَالشَّجَرَاءُ ذَاتُ الشَّجَرِ، وَالْمَرْدَاءُ الْخَالِيَة مِنَ النَّبَاتِ وَمِنْهُ اسْتِقَاقُ الْأَمْرَدِ لَخُلُوِّ وَجْهِهِ مِنَ الشَّعْرِ، وَقَوْلُهُ: (حِيعَلُ الدَّاعِي إِلَى صَلَاتِهِ) يَعْنِي بِهِ قَوْلُ الْمُؤَذِّنِ حِي عَلَى الصَّلَاةِ حِي عَلَى الْفَلَاحِ، وَالْمُصْدَرُ مِنْهُ الْحِيعَلَة وَمِثْلُهُ مِنَ الْمُصَادِرِ الْهَيْلَلَة وَالْحَمْدَلَة وَالْحَوْقَلَة وَالْبَسْمَلَة وَالْحَسْبَلَة وَالسَّيْحَلَة وَالْجَعْفَلَة فَالْهَيْلَلَة حِكَايَة قَوْلٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَالْحَمْدَلَة حِكَايَة قَوْلِ الْحَمْدِ لِلَّهِ، وَالْحَوْقَلَة حِكَايَة قَوْلٍ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَالْبَسْمَلَة حِكَايَة قَوْلِ بِسْمِ اللَّهِ، وَالْحَسْبَلَة

(٢) أَي: بَعْدَ مَقَاسَاةِ الدَّوَاهِي الصَّغِيرَةِ وَالْعَظِيمَةِ.

(١) لِقَصْدِي وَجْهَتِي.

حكاية قول حسبنا الله، والسبحلة حكاية قول سبحان الله، والجعفلة حكاية قول جعلت فداك، وقولُهُ: (فنزلت عن متن الركوبة) يعني الركوبة يُقَالُ: ناقة ركوب وركوبة وحلوب وحلوبة وَقَدْ قرئ (فمنها ركوبتهم) (والصهوة) مقعد الفارس (والشحوة) الخطوة (والجزع) قطع الوادي عرضاً، وقولُهُ: (صكة عمي) يعني به قائم الظهيرة، وَقَدْ اختلف في أصله فقيل كَانَ عُمَيَّ رجلاً مغواراً فغزا أقواماً عند قائم الظهيرة وصكهم صكة شديدة فصار مثلاً لكل من جاء ذلك الوقت، وقيل المراد به الطيبي لأنه يسدر في الهواجر ويذهب بصره فيصطك وكذلك الحية وأصطكاك الطيبي بما يستقبله كاصطكاك الأعمى ثُمَّ صغر الأعمى تصغير الترخيم فقيل عمي كَمَا صغروا أسود وأزهر فَقَالُوا سويد وزهير، وقولُهُ: (وكان يوم أطول من ظل القناة) يوصف اليوم الطويل بظل القناة كَمَا يوصف اليوم القصير بإيهام القطاة، والعرب تزعم أَنَّ ظل الرمح أطول ظل. ومنه قول شبرمة بن الطفيل:

ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا وأصطفاف المزاهر

وقولُهُ: (أحرّ من دمع المقلات) المقلاة هي المرأة التي لا يعيش لها ولد فدمعها أبدا حار لحزنها لأنه يُقَالُ: إن دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة ولهذا قيل للمدعو له أقر الله عينه مأخوذ من القر وهو البرد، وقيل للمدعو عليه اسخن الله عينه مأخوذ من السخنة وهي الحرارة وقيل أَنَّ إقرار العين مأخوذ من القرار فكأنه دعا له أَنَّ يرزق ما يقر عينه حتّى لا تطيح إلى ما لغيره، وكانت الجاهلية تزعم أَنَّ المقلات إذا وطئت على قتيل شريف عاش ولدها وإلى هذا أشار بشر بن أبي حازم في قوله:

تظل مقاليت النساء يطانة

يقلن ألا يلقي على المرء مئزر

وقوله: (علقت بي شعوب) يعني المنية ولا يدخل هذا الاسم أداة التعريف مثل دجلة وعرفة وقوله: (لا غور تحتها إلى المغيربان) التغوير النزول للقائلة كما أن التعريس النزول آخر الليل للتهويم أو الاستراحة، والمغيربان تصغير المغرب وكان قياس تصغيره المغيرب إلا أن العرب ألحقت آخره ألفاً ونوناً على طريق الشذوذ وقوله: (مضطغناً أهبة تجوابه) الاضطغان أن يحمل الشيء تحت حضنه والاضطبان أن يحمله تحت ضبنه والضبن ما بين الإبط والكشح وكلاهما متقارب ويُقال أول مراتب الحمل الإبط ثم الضبن وهو أسفل الإبط ثم الحُضن وهو عند الجنب، والتجواب مصدر جاب، وجميع المصادر التي جاءت على تفعال هي بفتح التاء إلا قولهم تبيان وتلقاه لا غير وزاد بعضهم تيصال، وقوله: (عجري وبجري) يريد به جميع أمري الظاهر والباطن، وأصل العجر العقد الناتئة في العصب والبجر العقد الناتئة في البطن، وقوله: (ولم يقل إيه) أي لم يأمرني بالكف، يُقال للمستزاد إيه وللمستكف إيه، وقوله: (لأمر ما جدع قصير أنفه) قصير هذا هو مولى جذيمة الإبرش وكان جدع أنفه بيده حين قتلت الزباء مولاه ثم أتاها وأوهمها أن عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة هو الذي جدع أنفه اتهاماً له بأنه غش خاله جذيمة إذ أشار عليه بقصدها، فحظي بهذا القول عندها حتى جهزته مراراً إلى العراق فكان يأتيها بالطرف منه إلى أن استصحب في آخر نوبة الرجال في الصناديق وتوصل إلى قتلها والأخذ بشأ مولاه منها، وقصته مشهورة، وقوله: (ولو كان ابن بوحك) يعني ولد الصلب إشارة إلى

أَنَّهُ وَلَدٌ فِي بَاحَةِ الدَّارِ وَهِيَ عَرَصَتُهَا وَجَمَعَهَا بُوْحٌ، وَقِيلَ: أَنَّ الْبُوْحَ مِنْ أَسْمَاءِ الذَّكَرِ، وَقَوْلُهُ: (فِي شَهْرِي نَاجِرٍ) هَمَّا شَهْرَا الْحَرِّ، وَقِيلَ: إِنَّهُمَا حَزِيرَانٌ وَتَمُوزٌ، وَأَنْكَرَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ دَرِيدٍ هَذَا الْقَوْلَ وَقَالَ هَمَّا طُلُوعُ نَجْمَيْنِ، وَقَوْلُهُ: (بِتْ بَلِيلَةٌ نَابِغِيَّةٌ) أَوْمَأَ بِهِ إِلَى قَوْلِ النَّابِغَةِ:

فَبِتْ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْلَةٌ مِنْ الرَّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السَّمِ نَاقِعٌ

وَقَوْلُهُ: (فَأَلَمَعْتُ إِلَيْهِ بِثُوبِي) يَعْنِي أَشْرَأَ إِلَيْهِ يُقَالُ مِنْهُ الْمَعُ وَلَمَعَ بِمَعْنَى، وَقَوْلُهُ: (يَلْدَغُ وَيَصِي) هَذَا مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ يَظْلَمُ وَيَشْكُو يُقَالُ صَاتَ الْعَقْرَبُ تَصَيَّ صَيًّا وَصَيًّا بَفَتْحِ الصَّادِ وَكَسَرِهَا إِذَا صَوَّتَ وَكَذَلِكَ الْفَرَخُ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ ابْنِ الرُّومِيِّ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

تَشْكِي الْمَحْبُوبِ وَتَشْكُو وَهِيَ ظَالِمَةٌ كَالْقَوْسِ تَصْمِي الرَّمَايَا وَهِيَ مَرْنَانٌ
وَقَوْلُهُ: (يَنْزُو وَيَلِينُ) هَذَا الْمِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ يَتَعَزَّزُ ثُمَّ يَذَلُّ وَيُقَالُ: إِنَّ أَصْلَهُ الْجُدْيُ يَنْزُو وَهُوَ صَغِيرٌ فَإِذَا كَبُرَ لَانَ، وَقَوْلُهُ: (لَا بَسًّا جِلْدَ النَّمْرِ) هَذَا مِثْلُ يَضْرِبُ لِلْمَتَقِّحِ الْجُرِيِّ لِأَنَّ النَّمْرَ أَجْرًا سَبْعٌ وَأَقْلَهُ احْتِمَالًا لِلضَّيْمِ وَمِنْ هَذَا اشْتِقَاقُ قَوْلِهِمْ تَنْمَرُ أَيُّ صَارَ مِثْلَ النَّمْرِ، وَقَوْلُهُ: (فَالْحَقُّ بِالْقَارِظِينَ) الْأَصْلُ فِي الْقَارِظِ أَنَّهُ الَّذِي يَجْنِي الْقَرْظَ وَهُوَ النَّبَاتُ الْمُدْبُوغُ بِهِ، وَالْقَارِظَانِ الْمَشَارُ إِلَيْهِمَا أَحَدُهُمَا مِنْ عَنَزَةٍ وَالْآخَرُ مِنَ النَّمْرِ بِنِ قَاسِطٍ وَكَانَا خَرَجَا يَجْنِيَانِ الْقَرْظَ فَلَمْ يَرْجِعَا وَلَا عَرَفَ لَهُمَا خَبَرَ فَضْرَبَ بِهِمَا الْمِثْلَ لِكُلِّ غَائِبٍ لَا يَرْجَى إِيَابَهُ وَإِلَيْهِمَا أَشَارَ أَبُو ذُؤَيْبٍ فِي قَوْلِهِ:

وَحَتَّى يَأْتِيَ الْقَارِظَانِ كِلَاهُمَا وَيَنْشُرُ فِي الْقَتْلِ كَلِيبُ لَوَائِلُ

وَقَوْلُهُ: (حَرُورِي بِسُمُومِي) الْحَرُورُ الرِّيحُ الْحَارَةُ لَيْلًا وَالسُّمُومُ الرِّيحُ

الحارة نهاراً وَقَدْ يُقَالُ إِحْدَاهُمَا مَقَامُ الْآخَرَىٰ مَجَازاً، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْحُرُورُ يَكُونُ لَيْلاً وَنَهَاراً وَالسَّمُومُ يَخْتَصُّ بِالنَّهَارِ، وَقَوْلُهُ: (لَيْثُ الْعَرِيسَةِ) يَعْنِي مَاوَى السَّبْعِ وَيُقَالُ فِيهِ عَرِيسٌ وَعَرِيسَةٌ بِإِثْبَاتِ الْهَاءِ وَحَذْفِهَا كَمَا يُقَالُ غَابَ وَغَابَةٌ وَعَرِينٌ وَعَرِينَةٌ، فَأَمَّا الْغِيلُ وَالْخَيْسُ فَلَمْ يَلْحَقُوا بِهِمَا الْهَاءُ، وَقَوْلُهُ: (أَفْلَتَ وَلَهُ حِصَاصٌ) هَذَا الْمَثَلُ يَضْرِبُ لِمَنْ نَجَا مِنْ هَلَكَةِ أَشْفَىٰ عَلَيْهَا بَعْدَ مَا كَادَ يَهْوِي فِيهَا وَالْحِصَاصُ الْعَدُوُّ وَقِيلَ أَنَّهُ الضَّرَاطُ، وَقَوْلُهُ: (وَيْلٌ أَهَوْنَ مِنْ وَيْلِينَ) هَذَا مَثَلٌ يَضْرِبُ تَسْلِيَةً لِمَنْ نَابَهُ بَعْضُ الْمَكْرُوهِ وَمِثْلُهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ:

أَبَا مَنْدَرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضُنَا حَنَّانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهَوْنَ مِنْ بَعْضِ

وَقَوْلُهُ: (أَنَا تَتَّقُ وَأَنْتَ مَتَّقٌ فَكَيْفَ نَتَّقُ) هَذَا الْمَثَلُ يَضْرِبُ لِلْمُتَنَافِيَيْنِ فِي الْخُلُقِ فَإِنَّ التَّتَّقُ هُوَ الْمُتَمَلِّئُ غَيْظاً مَأْخُوضٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: أَتَأْتَقُ الْإِنَاءَ إِذَا مَلَأْتَهُ، وَالتَّتَّقُ هُوَ الْبَاكِي فَكَأَنَّ التَّتَّقُ يَنْزِعُ إِلَى الشَّرِّ لَغِيظِهِ وَالتَّتَّقُ يَضِيقُ ذَرْعاً بِاحْتِمَالِهِ وَمِثْلُهُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ أَنَا كَلَفٌ وَأَنْتَ صَلَفٌ، فَكَيْفَ نَأْتَلِفُ، وَقَوْلُهُ: (لَطِيتِي) يَعْنِي لِقْصَدِي وَوَجْهَتِي وَقَدْ يُقَالُ فِيهَا: طِيَةٌ بِالتَّخْفِيفِ، وَقَوْلُهُ: (بَعْدَ اللَّتِي وَالَّتِي) اللَّتِي تَصْغِيرُ اللَّتِي وَهُوَ عَلَى غَيْرِ قِيَاسِ التَّصْغِيرِ الْمَطْرُودِ لِأَنَّ الْقِيَاسَ أَنَّ يَضُمُّ أَوَّلَ الْأَسْمَاءِ إِذَا صَغُرَ وَقَدْ أَقْرَ هَذَا الْأَسْمَاءَ عَلَى الْفَتْحَةِ الْأَصْلِيَّةِ عِنْدَ تَصْغِيرِهَا إِلَّا أَنَّ الْعَرَبَ عَوَّضَتْهُ عَنْ ضَمِّ أَوَّلِهِ بِأَنْ زَادَتْ أَلْفاً فِي آخِرِهِ وَأَجْرَتْ أَسْمَاءَ الْإِشَارَةِ عِنْدَ تَصْغِيرِهَا عَلَى حَكْمِهِ فَقَالَتْ فِي تَصْغِيرِ الَّذِي وَالَّتِي اللَّذِيَّ وَاللَّتِيَّ، وَفِي تَصْغِيرِ ذَا وَذَاكَ ذِيَا وَذِيَاكَ، وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِمْ: بَعْدَ اللَّتِي وَالَّتِي فَقِيلَ: هُمَا مِنْ أَسْمَاءِ الدَّاهِيَةِ وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِمَا بَعْدَ صَغِيرِ الْمَكْرُوهِ وَكَبِيرِهِ.

المَقَامَةُ الثَّامِنَةُ وَالْعَشْرُونَ السَّمَرَقَنْدِيَّةُ

أخبرَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: اسْتَبْضَعْتُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِي الْقَنْدَ (١)، وَقَصَدْتُ سَمَرَقَنْدَ، وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ قَوِيمَ الشَّطَاطِ (٢)، جَمُومَ النَّشَاطِ، أُرْمِي عَنْ قَوْسِ الْمِرَاحِ إِلَى غَرَضِ الْأَفْرَاحِ، وَأَسْتَعِينُ بِمَاءِ الشَّبَابِ عَلَى مَلَامِحِ السَّرَّابِ، فَوَافَيْتُهَا بِكُرَّةٍ عَرُوبَةٍ (٣)، بَعْدَ أَنْ كَابَدْتُ الصُّعُوبَةَ، فَسَعَيْتُ وَمَا وَنَيْتُ (٤)، إِلَى أَنْ حَصَلَ الْبَيْتُ، فَلَمَّا نَقَلْتُ إِلَيْهِ قَنْدِي، وَمَلَكْتُ قَوْلَ عِنْدِي، عَجَبْتُ (٥) إِلَى الْحَمَّامِ عَلَى الْأَثَرِ، فَأَمْطَتُ عَنِّي وَعَثَاءَ السَّفَرِ، وَأَخَذْتُ فِي غُسْلِ الْجُمُعَةِ (٦) بِالْأَثَرِ، ثُمَّ بَادَرْتُ فِي هَيْئَةِ الْخَاشِعِ إِلَى مَسْجِدِهَا الْجَامِعِ، لِأَلْحَقَ بِمَنْ يَقْرُبُ مِنَ الْإِمَامِ، وَيَقْرُبُ أَفْضَلَ الْأَنْعَامِ، فَحَظَيْتُ بِأَنْ جَلَيْتُ فِي الْحَلْبَةِ، وَتَخَيَّرْتُ الْمَرْكَزَ (٧) لَاسْتِمَاعِ الْخُطْبَةِ، وَلَكَمْ يَزَلِ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، وَيَرِدُونَ فُرَادَى وَأَزْوَاجًا، حَتَّى إِذَا اكْتَبَطَ الْجَامِعُ بِحَفْلِهِ (٨)، وَأَظْلَّ تَسَاوِي الشَّخْصِ وَظَلَّهُ، بَرَزَ الْخَطِيبُ فِي أُهْبَتِهِ، مُتَهَادِيًا خَلْفَ عُصْبَتِهِ، فَارْتَقَى فِي مَنَبَرِ الدَّعْوَةِ، إِلَى أَنْ مَثَلَ (٩)

(١) عقيد ماء قصب السكر.

(٢) معتدل القامة.

(٣) هو يوم الجمعة.

(٤) ما تراخيت.

(٥) انعطفت.

(٦) بالخبر المأثور في غسل الجمعة.

(٧) أراد موضع الجلوس، وأصله: وسط الدائرة.

(٨) بجمعه.

(٩) انتصب قائمًا.

بالذروة، فسَلَّمَ مُشِيرًا بِالْيَمِينِ، ثُمَّ جَلَسَ حَتَّى خَتَمَ نَظْمَ التَّأْذِينِ، ثُمَّ قَامَ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُنْدُوحِ الْأَسْمَاءِ، الْمُحْمُودِ الْآلَاءِ، الْوَاسِعِ الْعَطَاءِ، الْمَدْعُوِّ لِحَسَنِ اللَّأْوَاءِ ^(١)، مَالِكِ الْأُمَمِ، وَمُصَوِّرِ الرَّمَمِ ^(٢)، وَأَهْلِي السَّمَّاحِ وَالْكَرَمِ، وَمُهْلِكِ عَادٍ وَإِرَمَ، أَدْرَكَ كُلَّ سِرِّ عِلْمِهِ، وَوَسَّعَ كُلَّ مُصِرِّ حِلْمِهِ، وَعَمَّ كُلَّ عَالَمٍ طَوْلُهُ، وَهَدَّ ^(٣) كُلَّ مَارِدٍ حَوْلُهُ ^(٤)، أَحْمَدُهُ حَمْدَ مُوَحِّدٍ مُسْلِمٍ، وَأَدْعُوهُ دُعَاءَ مُؤَمِّلٍ مُسَلِّمٍ، وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ، الْعَادِلُ الصَّمَدُ، لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ، وَلَا رِدْءَ مَعَهُ ^(٥) وَلَا مُسَاعِدَ، أَرْسَلَ مُحَمَّدًا لِلْإِسْلَامِ مُمَهِّدًا، وَلِلْمِلَّةِ مُوْطِدًا، وَلِلدِّلَةِ الرُّسُلِ مُؤَكِّدًا، وَلِلْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ مُسَدِّدًا ^(٦)، وَصَلَ الْأَرْحَامَ، وَعَلَّمَ الْأَحْكَامَ، وَوَسَّمَ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَرَسَمَ الْإِحْلَالَ وَالْإِحْرَامَ، كَرَّمَ اللَّهُ مُحَلَّهُ، وَكَمَّلَ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ لَهُ، وَرَحِمَ آلَهُ الْكَرَمَاءَ، وَأَهْلَهُ الرُّحَمَاءَ، مَا هَمَرَ رُكَامٌ، وَهَدَرَ ^(٧) حَمَامٌ، وَسَرَحَ سَوَامٌ، وَسَطَا حُسَامٌ ^(٨)، اْعْمَلُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَمَلَ الصُّلَحَاءِ، وَانْكَدَحُوا لِمَعَادِكُمْ كَذَحَ الْأَصِحَّاءِ، وَارْدَعُوا أَهْبَاءَكُمْ رَدْعَ الْأَعْدَاءِ، وَأَعْدُوا لِلرَّحْلَةِ ^(٩) إِعْدَادَ السُّعْدَاءِ، وَادَّرِعُوا حُلُلَ الْوَرَعِ، وَدَاوُوا عِلَلَ الطَّمَعِ، وَسَوُّوا ^(١٠) أَوْدَ الْعَمَلِ، وَعَاصُوا وَسَاوِسَ الْأَمَلِ، وَصَوَّرُوا لِأَوْهَامِكُمْ حُؤُولَ الْأَحْوَالِ ^(١١)، وَحُلُولَ الْأَهْوَالِ، وَمُسُورَةَ الْأَعْلَالِ ^(١٢)، وَمُصَارِمَةَ

(١) لقطع الشدة.

(٢) معيد العظام البالية.

(٣) كسر وهدم.

(٤) قوته.

(٥) ليس معه معين.

(٦) مصلحاً ومرشداً.

(٧) صوت وصاح.

(٨) أي: صال سيف قاطع.

(٩) المراد بها الانتقال من الدنيا بالموت.

(١٠) قوموا وعدلوا.

(١١) تغيير الحالات.

(١٢) مواثبة العلل.

الْمَالِ وَالْآلِ، وَأَذْكُرُوا الْحِمَامَ (١) وَسَكْرَةَ مَصْرَعِهِ، وَالرَّمْسَ (٢) وَهَوْلَ
مُطْلَعِهِ، وَاللَّحْدَ وَوَحْدَةَ مُودِعِهِ، وَالْمَلِكَ وَرَوْعَةَ سُؤَالِهِ وَمُطْلَعِهِ، وَالْمَحْوَا
الدَّهْرَ وَلُؤْمَ كَرِّهِ، وَسُوءَ مَحَالِهِ وَمَكْرِهِ، كَمْ طَمَسَ مَعْلَمًا، وَأَمَرَ مَطْعَمًا،
وَطَحَّطَحَ عَرْمَرَمًا (٣)، وَدَمَّرَ مَلِكًا مُكْرَمًا، هَمُّهُ سَكُّ الْمَسَامِعِ، وَسَحُّ
الْمَدَامِعِ (٤)، وَإِكْدَاءُ الْمَطَامِعِ، وَإِرْدَاءُ الْمُسْمِعِ وَالسَّامِعِ، عَمَّ حُكْمُهُ
الْمُلُوكَ وَالرَّعَاعَ (٥)، وَالْمَسُودَ وَالْمُطَاعَ، وَالْمَحْسُودَ وَالْحُسَّادَ،
وَالْأَسَاوِدَ وَالْأَسَادَ (٦)، مَا مَوْلَ إِلَّا مَالٌ، وَعَكْسَ الْأَمَالِ، وَمَا وَصَلَ إِلَّا
وَصَالَ، وَكَلَّمَ الْأَوْصَالَ (٧)، وَلَا سِرًّا إِلَّا وَسَاءَ، وَلُؤْمَ (٨) وَأَسَاءَ، وَلَا أَصَحَّ
إِلَّا وَلَدَ الدَّاءَ، وَرَوَعَ الْأَوْدَاءَ (٩)، اللَّهُ اللَّهُ، رَعَاكُمُ اللَّهُ! إِلَّا مَ مَدَاوِمَةُ اللَّهِوِ،
وَمُواصِلَةُ السَّهْوِ؟ وَطُولُ الْإِصْرَارِ، وَحَمْلُ الْأَصَارِ؟ وَأَطْرَاحُ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ،
وَمُعَاصَاةُ إِلَهِ السَّمَاءِ؟ أَمَّا الْهَرَمُ حَصَادُكُمْ، وَالْمَدَرُ مِهَادُكُمْ! أَمَّا الْحِمَامُ
مُدْرِكُكُمْ، وَالصِّرَاطُ مَسْلِكُكُمْ! أَمَّا السَّاعَةُ مَوْعِدُكُمْ، وَالسَّاهِرَةُ مَوْرِدُكُمْ! أَمَّا
أَهْوَالُ الطَّامَةِ (١٠) لَكُمْ مُرْصَدَةٌ (١١)، أَمَّا دَارُ الْعُصَاةِ الْحُطْمَةُ الْمُؤْصَدَةُ!
حَارِسُهُمْ مَالِكٌ، وَرَوَاؤُهُمْ (١٢) حَالِكٌ، وَطَعَامُهُمُ السُّمُومُ، وَهَوَاؤُهُمُ
السُّمُومُ، لَا مَالَ أَسْعَدَهُمْ وَلَا وَلَدَ، وَلَا عِدَدَ حَمَاهُمْ وَلَا عُدَدَ، أَلَا رَحِمَ

(١) اذكروا الموت.

(٢) القبر.

(٣) العرمرم: الجيش الكثير لا يقاومه شيء.

(٤) سيلها وصبها.

(٥) الأردال.

(٦) جمع الأسد.

(٧) جرح وقطع الأوصال.

(٨) قبح.

(٩) الأحباب.

(١٠) من أسماء القيامة.

(١١) مُعَدَّةٌ منتظرة.

(١٢) منظرهم الحسن.

اللَّهُ أَمْرًا مَلِكًا هَوَاهُ^(١) ، وَأَمَّ مَسَالِكَ هُدَاهُ ، وَأَحْكَمَ طَاعَةَ مَوْلَاهُ ، وَكَدَحَ لِرَوْحِ مَأْوَاهُ^(٢) ، وَعَمِلَ مَا دَامَ الْعُمْرُ مُطَاوِعًا ، وَالذَّهْرُ مُوَادِعًا ، وَالصَّحَّةُ كَامِلَةً ، وَالسَّلَامَةُ حَاصِلَةً ، وَإِلَّا دَهَمَهُ عَدَمُ الْمَرَامِ ، وَحَصَرَ الْكَلَامُ ، وَالْمَامُ الْآلَامُ ، وَحُمُومُ الْحِمَامِ ، وَهُدُوءُ الْحَوَاسِ ، وَمِرَاسُ^(٣) الْأَرْمَاسِ ، آهًا لَهَا حَسْرَةً أَلْهَمَهَا مُؤَكَّدٌ ، وَأَمَدُهَا سَرْمَدٌ^(٤) ، وَمُمَارِسُهَا مُكَمَّدٌ ! مَا لَوْلَكِ حَاسِمٌ ، وَلَا لَسَدَمِهِ رَاحِمٌ ، وَلَا لَهُ مِمَّا عَرَاهُ^(٥) عَاصِمٌ ! أَلْهَمَكُمُ اللَّهُ أَحْمَدَ الْإِلَهَامِ ، وَرَدَّاكُمُ رِدَاءَ الْإِكْرَامِ ، وَأَحْلَكُمُ^(٦) دَارَ السَّلَامِ ! وَأَسْأَلُهُ الرَّحْمَةَ لَكُمْ وَلِأَهْلِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ ، وَهُوَ أَسْمَحُ الْكِرَامِ ، وَالْمُسْلِمِ وَالسَّلَامِ .

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَلَمَّا رَأَيْتُ الْخُطْبَةَ نُخْبَةً بَلَا سَقَطٍ^(٧) ، وَعَرُوسًا بَغِيرِ نَقْطٍ^(٨) ، دَعَانِي الْإِعْجَابُ بِنَمَطِهَا الْعَجِيبِ ، إِلَى اسْتِجْلَاءِ وَجْهِ الْخَطِيبِ ، فَأَخَذْتُ أَتَوَسَّمُهُ جِدًّا ، وَأَقْلَبُ الطَّرْفَ فِيهِ مُجِدًّا ، إِلَى أَنْ وَضَحَ لِي بِصِدْقِ الْعِلَامَاتِ ، أَنَّهُ شَيْخُنَا صَاحِبُ الْمَقَامَاتِ ، وَلَمْ يَكُنْ بُدًّا مِنْ الصَّمْتِ ، فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، فَأَمْسَكْتُ حَتَّى تَحُلَّ مِنْ الْفَرَضِ ، وَحَلَّ الْإِنْتِشَارُ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ وَاجَهْتُ تَلْقَاءَهُ ، وَابْتَدَرْتُ^(٩) لِقَاءَهُ ، فَلَمَّا لَحَظَنِي^(١٠) خَفَّ فِي الْقِيَامِ ، وَأَحْفَى فِي الْإِكْرَامِ ، ثُمَّ اسْتَصْحَبَنِي إِلَى دَارِهِ ، وَأَوْدَعَنِي خَصَائِصَ أَسْرَارِهِ ، وَحِينَ انْتَشَرَ جَنَاحُ الظَّلَامِ^(١١) ، وَحَانَ مِيقَاتُ الْمَنَامِ

(١) خالف نفسه الأمارة .

(٢) لأجل نسيم منزله ومقره .

(٣) علاج .

(٤) مدتها دائمة لا تنتهي .

(٥) اعتراه وحل به .

(٦) أنزلكم .

(٧) لا عيب فيها .

(٨) ليست منقشة .

(٩) أسرع .

(١٠) نظرنى .

(١١) كناية عن دخول الليل .

(١)، أَحْضَرَ أَبَارِيقَ الْمُدَامِ (٢)، مَعْكُومَةً (٣) بِالْفِدَامِ.

فَقُلْتُ: أَتَحْسُوهَا أَمَامَ النَّوْمِ، وَأَنْتَ إِمَامُ الْقَوْمِ؟ فَقَالَ: مَهْ أَنَا بِالنَّهَارِ
خَطِيبٌ، وَبِاللَّيْلِ أَطِيبٌ (٤)! فَقُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَأَعْجَبُ مِنْ تَسْلِيكَ عَنْ
أُنَاسِكَ، وَمَسْقَطِ رَاسِكَ (٥)، أَمْ مِنْ خِطَابَتِكَ مَعَ أَدْنَا سِكَ، وَمَدَارِ كَاسِكَ؟
فَأَشَاحَ (٦) بِوَجْهِهِ عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: اسْمَعْ مِنِّي:

لَا تَبْكْ إِلْفًا (٧) نَأَى وَلَا دَارًا وَدُرِّمَعَ الدَّهْرِ كَيْفَمَا دَارًا
وَاتَّخِذِ النَّاسَ كُلَّهُمْ سَكَنًا وَمِثْلُ الْأَرْضِ كُلِّهَا دَارًا
وَأَصْبِرْ عَلَى خُلُقِ مَنْ تُعَاشِرُهُ وَدَارِهِ (٨) فَالْلَّبِيبُ مِنْ دَارِي
وَلَا تُضِعْ فُرْصَةَ السَّرُورِ فَمَا تَدْرِي أَيَوْمًا تَعِيشُ أَمْ دَارًا
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ الْمَنُونَ جَائِلَةٌ (٩) وَقَدْ أَدَارَتْ عَلَى الْوَرَى (١٠) دَارًا
وَأَقْسَمَتْ لَا تَزَالُ قَانِصَةً مَا كَرَّ عَصْرَا الْمَحْيَا (١١) وَمَا دَارًا
فَكَيْفَ تُرْجَى النِّجَاةُ مِنْ شَرِّكَ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ كِسْرَى وَلَا دَارًا
قَالَ: فَلَمَّا اعْتَوَرْتَنَا (١٢) الْكُؤُوسُ، وَطَرِبَتِ النُّفُوسُ، جَرَّعَنِي الْيَمِينِ
الْغَمُوسَ، عَلَى أَنْ أَحْفَظَ عَلَيْهِ النَّامُوسَ، فَاتَّبَعْتُ مَرَامَهُ، وَرَعَيْتُ
ذِمَامَهُ (١٣)، وَنَزَلَتْهُ بَيْنَ الْمَلَأِ (١٤) مَنْزِلَةُ الْفُضَيْلِ، وَسَدَلْتُ الذَّيْلَ عَلَى

(١) آن وقت النوم.

(٢) الخمر.

(٣) مشدودة.

(٤) أطرب.

(٥) بلدك التي ولدت بها.

(٦) أعرض متكرها.

(٧) الإلف والأليف: الصاحبُ الموافق.

(٨) من المداراة، وهي الملاطفة.

(٩) دائرة ومتردة.

(١٠) المخلوقات.

(١١) هما: الغداة والعشي، وقيل: الليل والنهار.

(١٢) تداولت علينا.

(١٣) عهده.

(١٤) أشرف الناس.

مَخَازِي اللَّيْلِ (١)، وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَابَّهُ (٢) ودَابِّي، إِلَى أَنْ تَهَيَّأَ إِيَّايَ (٣)،
فَوَدَّعْتَهُ وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى التَّدْلِيسِ، وَمُسِرٌّ حَسَوَ الْخُنْدَرِيسِ.



(١) فضائحه .

(٢) عادته .

(٣) آن وأمكن رجوعي وعودي .

المقامة التاسعة والعشرون الواسطية

حكى الحارث بن همام قال: ألجاني حُكم دهرٍ فاسطٍ^(١)، إلى أن
انتجع أرضَ واسط، فقصدتها وأنا لا أعرفُ بها سَكناً، ولا أملكُ فيها
مَسْكناً، وكما حللتها حلُول الحوت^(٢) بالبيداء، والشعرة البيضاء في اللمة
السوداء، قاذي الحظ الناقص، وأجد الناكص^(٣)، إلى خان^(٤) ينزله
شذاذ الآفاق، وأخلط^(٥) الرفاق، وهو لنظافة مكانه، وظرافة سكانه،
يرغب الغريب في إيطانه، وينسيه هوى أوطانه، فاستفردت منه بحجرة^(٦)،
ولم أنافس في أجرة، فما كان إلا كلمح طرف، أو خط حرف، حتى
سمعت جاري بيت بيت^(٧)، يقول لنزله في البيت: قم يا بني لا قعد
جدك، ولا قام ضدك^(٨)، واستصحب^(٩) ذا الوجه البدرى، واللون
الدري، والأصل النقي^(١٠)، والجسم الشقي، الذي قبض ونشر، وسجن
وشهر^(١١)، وسقي وفطم، وأدخل النار بعدما لطم، ثم اركض به إلى
السوق، ركض المشوق^(١٢)، فقايض به اللاقح الملقح، المفسد

- | | |
|---|-----------------------------|
| (١) جائر ومائل. | (٢) السمك. |
| (٣) السعد الراجع إلى خلف. | (٤) هو الفندق. |
| (٥) جمع خليط، وهم: المجتمعون من نواح شتى. | (٦) بيت صغير. |
| (٧) الذي منزله ملاصق لمنزلي. | (٨) عدوك ومبغضك. |
| (٩) خذ معك. | (١٠) أراد به الحنطة الجيدة. |
| (١١) أخرج منها. | (١٢) المشتاق. |

المُصْلِحَ، الْمُكْمَدَ^(١) الْمُفْرَحَ، الْمُعْنَى المُرُوحَ، ذَا الزَّفِيرِ^(٢)
 الْمُحْرِقَ، وَالْجَنِينَ الْمُشْرِقَ، وَاللَّفْظَ الْمُقْنِعَ، وَالنَّيْلَ^(٣) الْمُمْتِعَ، الَّذِي
 إِذَا طُرِقَ، رَعَدَ وَبَرَقَ، وَبَاحَ بِالْحُرْقِ^(٤)، وَنَفَثَ فِي الْخُرْقِ.

قَالَ: فَلَمَّا قَرَّتْ شِقْشِقَةُ الْهَادِرِ^(٥)، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَدْرُ الصَّادِرِ، بَرَزَ فَتًى
 يَمِيسُ^(٦)، وَمَا مَعَهُ أَنْيْسٌ، فَرَأَيْتُهَا عُضْلَةً تَلْعَبُ بِالْعُقُولِ، وَتُغْرِي بِالذُّخُولِ
 فِي الْفُضُولِ، فَانْطَلَقْتُ فِي أَثَرِ الْغُلَامِ، لِأَخْبَرَ فَحَوَى^(٧) الْكَلَامَ، فَلَمْ يَزَلْ
 يَسْعَى سَعَى الْعَقَارِيثِ، وَيَتَفَقَّدُ نَضَائِدَ الْحَوَانِثِ، حَتَّى انْتَهَى عِنْدَ الرُّوَّاحِ
 إِلَى حِجَارَةِ الْقَدَّاحِ، فَنَآوَلَ بَائِعَهَا رَغِيفًا، وَتَنَآوَلَ مِنْهُ حَجْرًا لَطِيفًا، فَعَجِبْتُ
 مِنْ فُطَانَةِ الْمُرْسَلِ وَالْمُرْسَلِ، وَعَلِمْتُ أَنَّهَا سَرُوجِيَّةٌ وَإِنْ لَمْ أَسْأَلْ، وَمَا
 كَذَبْتُ^(٨) أَنْ بَادَرْتُ إِلَى الْخَانَ، مَنْطَلِقَ الْعِنَانِ^(٩)، لِأَنْظُرَ كُنْهَ فَهْمِي،
 وَهَلْ قَرُطَسَ فِي التَّكْهَنِ^(١٠) سَهْمِي، فَإِذَا أَنَا فِي الْفِرَاسَةِ فَارِسٌ، وَأَبُو زَيْدٍ
 بَوْصِيدِ الْخَانَ جَالِسٌ، فَتَهَادَيْنَا بُشْرَى الْإِلْتِقَاءِ، وَتَقَارَضْنَا تَحِيَّةَ الْأَصْدِقَاءِ، ثُمَّ
 قَالَ: مَا الَّذِي نَابَكَ^(١١)، حَتَّى زَايَلْتَ جَنَابَكَ^(١٢)؟ فَقُلْتُ: دَهْرٌ هَاضُ،
 وَجَوْرٌ^(١٣) فَاضٌ! فَقَالَ: وَالَّذِي أَنْزَلَ الْمَطَرَ مِنَ الْغَمَامِ، وَأَخْرَجَ الشَّمَرَ مِنَ
 الْأَكْمَامِ^(١٤)، لَقَدْ فَسَدَ الزَّمَانُ، وَعَمَّ الْعُدُونُ، وَعُدِمَ الْمَعْوَانُ^(١٥)، وَاللَّهُ

(١) المحزن.

(٣) العطاء.

(٥) صوت المتكلم.

(٧) معناه.

(٩) مسرعًا من غير توانٍ.

(١١) أصابك.

(١٣) ظلم كثير.

(٢) ما يخرج من النار عند قدحه.

(٤) أظهر ناره.

(٦) يتمايل ويتبخر.

(٨) ما تأخرت في الحال.

(١٠) هو الحكم على الغيب بالتخمين.

(١٢) فارقت ناحيتك.

(١٤) أوعية الثمر.

(١٥) المعين.

المُسْتَعَانُ، فَكَيْفَ أَفْلَتَ، وَعَلَى أَيِّ وَصْفَيْكَ أَجْفَلْتَ؟ فَقُلْتُ: اتَّخَذْتُ
 اللَّيْلَ قَمِيصاً (١)، وَأَدْجَلْتُ فِيهِ خَمِيصاً، فَأَطْرَقَ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، وَيفَكِّرُ
 فِي ارْتِيَادِ الْقَرْضِ وَالْفَرْضِ، ثُمَّ اهْتَزَّ هِزَّةً مَن أَكْثَبَهُ قَنْصٌ، أَوْ بَدَتْ لَهُ
 فُرْصٌ، وَقَالَ: قَدْ عَلِقَ بِقَلْبِي أَنْ تُصَاهِرَ مِنْ يَأْسُو جِرَاحَكَ (٢)، وَيَرِيشُ
 جَنَاحَكَ، فَقُلْتُ: وَكَيْفَ أَجْمَعُ بَيْنَ غُلٍّ وَقُلٍّ، وَمَنِ الَّذِي يَرْعَبُ فِي ضُلِّ
 بَنِ ضُلٍّ؟ فَقَالَ: أَنَا الْمُشِيرُ بِكَ وَإِلَيْكَ، وَالْوَكِيلُ لَكَ وَعَلَيْكَ، مَعَ أَنَّ دِينَ
 الْقَوْمِ (٣) جَبْرُ الْكَسِيرِ، وَفَكُّ الْأَسِيرِ، وَاحْتِرَامُ الْعَشِيرِ (٤)، وَاسْتِنْصَاحُ
 الْمُشِيرِ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَوْ خَطَبَ إِلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ، أَوْ جَبَلَةُ بْنُ الْأَيْهَمِ، لَمَا
 زَوَّجُوهُ إِلَّا عَلَى خَمْسِمِائَةِ دِرْهَمٍ، اقْتِدَاءً بِمَا مَهَرَ الرَّسُولُ ﷺ زَوْجَاتِهِ،
 وَعَقَدَ بِهِ أَنْكَحَةَ بَنَاتِهِ، عَلَى أَنَّكَ لَنْ تُطَالِبَ بِصَدَاقٍ، وَلَا تُتْلَجَأُ إِلَى طَلَاقٍ،
 ثُمَّ إِنِّي سَأَخْطُبُ فِي مَوْقِفِ عَقْدِكَ، وَمَجْمَعِ حَشْدِكَ (٥)، خُطْبَةً لَمْ تَفْتُقْ
 رَتَقَ سَمْعٍ، وَلَا خُطِبَ بِمِثْلِهَا فِي جَمْعٍ.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَازْدَهَانِي (٦) بِوَصْفِ الْخُطْبَةِ الْمَتْلُوءَةِ (٧) دُونَ
 الْخُطْبَةِ الْمَجْلُوءَةِ، حَتَّى قُلْتُ لَهُ: قَدْ وَكَلْتُ إِلَيْكَ هَذَا الْخُطْبَ (٨)، فَدَبَّرَهُ
 تَدْبِيرَ مَنْ طَبَّ لِمَنْ حَبَّ، فَنَهَضَ مُهْرُولاً، ثُمَّ عَادَ مَتَهَلِّلاً (٩)، وَقَالَ: أَبْشِرْ
 بِإِعْتَابِ الدَّهْرِ، وَاحْتِلَابِ الدُّرِّ! فَقَدْ وَلَّيْتُ الْعَقْدَ (١٠)، وَأُكْفِلْتُ النِّقْدَ،

(١) أَنَّهُ عَارِي الْجَسَدِ.

(٢) يَدَاوِيهَا وَيَطْبُهَا.

(٣) عَادَتُهُمْ.

(٤) الْمَعَاشِرُ وَالزُّوْجُ.

(٥) مَنْ اجْتَمَعَ مِنَ النَّاسِ لِحُضُورِ الْعَقْدِ.

(٦) اسْتَخَفَّنِي وَاسْتَفْزَنِي.

(٧) الَّتِي سَتَلَى وَتُقْرَأُ.

(٨) أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ أَمْرَ هَذَا الْمَهْمِ.

(٩) تَلَاً مِنَ الْفَرَحِ.

(١٠) تَوَلَّيْتُهُ بِأَنْ صَرْتُ وَكِيلاً.

وكانَ قَدْ، ثُمَّ أَخَذَ فِي مَوَاعِدَةِ أَهْلِ الْخَانِ، وَإِعْدَادِ حُلُوءِ الْخَوَانِ (١)، فَلَمَّا
 مَدَّ اللَّيْلُ أَطْنَابَهُ، وَأَغْلَقَ كُلُّ ذِي بَابٍ بَابَهُ، أَذَّنَ فِي الْجَمَاعَةِ: أَلَا احْضَرُوا
 فِي هَذِهِ السَّاعَةِ! فَلَمْ يَبْقَ فِيهِمْ إِلَّا مِنْ لَبَيِّ صَوْتُهُ، وَحَضَرَ بَيْتَهُ،
 فَلَمَّا اصْطَفَوْا لَدَيْهِ (٢)، وَاجْتَمَعَ الشَّاهِدُ وَالْمَشْهُودُ عَلَيْهِ، جَعَلَ يَرْفَعُ
 الْأَصْطِرْلَابَ (٣) وَيَضَعُهُ، وَيَلْحَظُ التَّقْوِيمَ وَيَدْعُهُ، إِلَى أَنْ نَعَسَ الْقَوْمُ،
 وَغَشِيَ النَّوْمُ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا هَذَا ضَعِ الْفَاسَ فِي الرَّأْسِ، وَخَلِّصِ النَّاسَ مِنَ
 النَّعَاسِ، فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ، ثُمَّ انْتَشَطَ (٤) مِنْ عُقْلَةِ الْوُجُومِ (٥)،
 وَأَقْسَمَ بِالطُّورِ، وَالْكِتَابِ الْمُسْطُورِ، لِيَنْكَشِفَنَّ سِرَّ هَذَا الْأَمْرِ الْمُسْتُورِ،
 وَلِيَتَّشِرْنَ ذِكْرُهُ إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ (٦)، ثُمَّ إِنَّهُ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، وَاسْتَرَعَى
 الْأَسْمَاعَ لِحُطْبَتِهِ، وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِكِ الْحَمِيدِ، الْمَالِكِ الْوَدُودِ، مُصَوِّرِ
 كُلِّ مَوْلُودٍ، وَمَالِكِ كُلِّ مَطْرُودٍ (٧)، سَاطِعِ الْمِهَادِ (٨)، وَمَوْطِدِ الْأَطْوَادِ (٩)،
 وَمُرْسِلِ الْأَمْطَارِ، وَمُسَهِّلِ الْأَوْطَارِ (١٠)، وَعَالِمِ الْأَسْرَارِ وَمُدْرِكِهَا، وَمُدْمِرِ
 الْأَمْلَاقِ وَمُهْلِكِهَا، وَمُكَوِّرِ الدُّهُورِ وَمُكَرِّرِهَا، وَمُورِدِ الْأُمُورِ وَمُصْدِرِهَا، عَمَّ
 سَمَاحُهُ وَكَمَلُ، وَهَاطَلَ رُكَامُهُ وَهَمَلَ، وَطَاوَعَ (١١) السُّؤْلَ وَالْأَمَلَ، وَأَوْسَعَ
 الْمُرْمِلَ وَالْأَرْمَلَ، أَحْمَدُهُ حَمْدًا مَمْدُودًا مَدَاهُ (١٢)، وَأَوْحَدُهُ كَمَا وَحَدَهُ
 الْأَوَاهُ، وَهُوَ اللَّاهُ لَا إِلَهَ لِلْأَمَمِ سِوَاهُ، وَلَا صَادِعَ لِمَا عَدَلَهُ وَسِوَاهُ، أَرْسَلَ

- (١) هو ما يوضع عليه الطعام، ويسمى: بالمائدة.
 (٢) ترصصوا مجتمعين عنده.
 (٣) هو ميزان الشمس وهي كلمة يونانية.
 (٤) انحل وأطلق.
 (٥) العقلة: داء السكوت، الوجوم: الحزن المكثوم.
 (٦) هو يوم القيامة والبعث.
 (٧) هو من طرده أمر مهم.
 (٨) باسط الفراش، والمراد به الأرض.
 (٩) جمع الطود، وهو الجبل.
 (١٠) جمع الوطر، وهو الحاجة.
 (١١) أجاب.
 (١٢) غايته.

مُحَمَّدًا عَلَمًا لِلإِسْلَامِ ، وَإِمَامًا لِلْحُكَّامِ ، وَمُسَدِّدًا^(١) لِلرَّعَاعِ^(٢) ،
وَمُعْطِلًا^(٣) أَحْكَامَ وُدٍّ وَسَوَاعٍ ، أَعْلَمَ وَعَلَّمَ^(٤) ، وَحَكَمَ وَأَحْكَمَ ، وَأَصَلَ
الْأَصُولَ وَمَهَّدَ ، وَآكَّدَ الْوَعُودَ وَأَوْعَدَ ، وَأَصَلَ اللَّهَ لَهُ الْإِكْرَامَ ، وَأَوْدَعَ رَوْحَهُ
دَارَ السَّلَامِ ، وَرَحِمَ آلَهُ وَأَهْلَهُ الْكِرَامِ ، مَا لَمَعَ آلٌ ، وَمَلَعَ^(٥) رَالٌ ، وَطَلَعَ
هِلَالٌ ، وَسُمِعَ إِهْلَالٌ^(٦) .

اعْمَلُوا - رَعَاكُمْ اللَّهُ - أَصْلَحَ الْأَعْمَالِ ، وَاسْلُكُوا مَسَالِكَ الْخِلَالِ ،
وَاطَّرِحُوا الْحَرَامَ وَدَعُوهُ ، وَاسْمَعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَعُوهُ^(٧) ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ
وَرَاعُوهَا ، وَعَاصُوا الْأَهْوَاءَ وَارْدَعُوهَا ، وَصَاهِرُوا^(٨) لَحْمَ الصَّلَاحِ وَالْوَرَعِ ،
وَصَارِمُوا رَهْطَ الْلَهْوِ وَالطَّمَعِ ، وَمُصَاهِرُكُمْ أَطْهَرُ الْأَحْرَارِ مَوْلِدًا ،
وَأَسْرَاهُمْ^(٩) سُودَدًا^(١٠) ، وَأَخْلَاهُمْ مَوْرِدًا ، وَأَصَحَّهِمْ مَوْعِدًا^(١١) ، وَهِيَ
هُوَ أَمْكُمُ ، وَحَلَّ حَرَمَكُمْ^(١٢) ، مُمْلِكًا عَرُوسَكُمْ الْمُكْرَمَةَ ، وَمَاهِرًا لَهَا كَمَا
مَهَرَ الرَّسُولُ أُمَّ سَلَمَةَ ، وَهُوَ أَكْرَمُ صِهْرٍ أَوْدَعَ الْأَوْلَادَ ، وَمُلْكٌ مَنْ أَرَادَ ، وَمَا
سَهَا مُمْلِكُهُ وَلَا وَهْمٌ^(١٣) ، وَلَا وَكْسٌ^(١٤) مُلَاحِمُهُ وَلَا وُصِمَ ، أَسْأَلُ اللَّهَ
لَكُمْ إِحْمَادَ وَصَالَهُ وَدَوَامَ إِسْعَادِهِ ، وَأَلْهَمَ كُلَّ إِصْلَاحِ حَالِهِ وَالْإِعْدَادَ لِمَعَادِهِ ،
وَلَهُ الْحَمْدُ السَّرْمَدُ^(١٥) ، وَالْمَدْحُ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ خُطْبَتِهِ الْبَدِيعَةِ

(١) مُرْشِدًا .

(٢) هم سفلة الناس وجهالهم .

(٣) مبطلًا ومدمرًا .

(٤) أخبر وعرف .

(٥) أسرع وعدًا .

(٦) هو رفع الصوت عند رؤية الهلال .

(٧) أمر من الوعي بمعنى : الحفظ .

(٨) صاهر القوم : تزوج منهم .

(٩) أشرفهم .

(١٠) شرقًا وسيادة .

(١١) أصدقهم في الوفاء بالوعد .

(١٢) نزل ساحتكم وبلدكم .

(١٣) أي : ما غلط .

(١٤) ما نقص .

(١٥) الدائم .

النَّظَامِ، الْعَرِيَّةِ مِنَ الْإِعْجَامِ، عَقَدَ الْعَقْدَ عَلَى الْخُمْسِ الْمِثْنِ، وَقَالَ لِي:
 بِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ، ثُمَّ أَحْضَرَ الْحُلُوءَ الَّتِي كَانَ أَعْدَهَا، وَأَبْدَى الْآبِدَةَ (١)
 عِنْدَهَا، فَأَقْبَلْتُ إِقْبَالَ الْجَمَاعَةِ عَلَيْهَا، وَكَدْتُ أَهْوِي بِيَدِي إِلَيْهَا، فَزَجَرَنِي
 عَنِ الْمَوَاكَلَةِ، وَأَنْهَضَنِي (٢) لِلْمُنَاوَلَةِ، فَوَاللَّهِ مَا كَانَ بِأَسْرَعَ مِنْ تَصَافُحِ (٣)
 الْأَجْفَانِ، حَتَّى خَرَّ الْقَوْمُ لِلْأَذْقَانِ، فَلَمَّا رَأَيْتَهُمْ كَاعْجَازٍ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٤)، أَوْ
 كَصِرْعَى بِنْتِ خَايِيَةٍ، عَلِمْتُ أَنَّهَا لِاحْدَى الْكُبَرِ، وَأُمُّ الْعَبْرِ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا
 عُدِّي نَفْسَهُ، وَعُيَيْدَ فَلْسِهِ! أَعَدَدْتَ لِلْقَوْمِ حُلُوِي، أَمْ بَلُوِي؟ فَقَالَ: لَمْ أَعُدْ
 خَبِيصَ الْبَنَجِ، فِي صِحَافِ الْخَلْنَجِ! فَقُلْتُ: أَقْسِمُ بِمَنْ أَطْلَعَهُ زُهْرًا، وَهَدَى
 بِهَا السَّارِينَ طُرًّا (٥)، لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا نَكْرًا، وَأَبْقَيْتُ لَكَ فِي الْمُخْزِيَّاتِ (٦)
 ذِكْرًا، ثُمَّ حَرْتُ فِكْرَةً فِي صَيُورِ أَمْرِهِ (٧)، وَخِيفَةً مِنْ عَدُوِي عَرَّةً، حَتَّى
 طَارَتْ نَفْسِي شِعَاعًا، وَأُرْعِدَتْ (٨) فَرَائِصِي ارْتِبَاعًا (٩)، فَلَمَّا رَأَى اسْتِطَارَةَ
 فَرَقِي، وَاسْتِشْاطَةَ قَلْقِي، قَالَ: مَا هَذَا الْفِكْرُ الْمَرْمِضُ (١٠)، وَالرَّوْعُ
 الْمَوْمِضُ (١١)؟ فَإِنْ يَكُنْ فِكْرُكَ فِي أَجْلِي، مِنْ أَجْلِي، فَأَنَا الْآنَ أَرْتَعُ
 وَأُطْفِرُ، وَأَقْوِي هَذِهِ الْبُقْعَةَ مِنِّي وَأُقْفِرُ، وَكَمْ مِثْلُهَا فَارَقْتُهَا وَهِيَ تَصْفِرُ،
 وَإِنْ يَكُنْ نَظْرًا لِنَفْسِكَ، وَحَذَرًا مِنْ حَبْسِكَ، فَتَنَاولَ فُضَالَةَ الْخَبِيصِ (١٢)،
 وَطَبَّ نَفْسًا عَنِ الْقَمِيصِ، حَتَّى تَأْمَنَ الْمُسْتَعْدِي وَالْمُعْدِي (١٣)، وَيَتَمَهَّدَ

(١) الفعللة التي يبقى ذكرها أبدأ؛ لغرابتها.

(٢) أخذ بيدي وأقامني.

(٣) تلاقيها.

(٤) كأصول نخل ساقطة من مغارسها.

(٥) جميعًا.

(٦) النقائص المخزية.

(٧) عاقبته ومآله.

(٨) ارتعدت واهتزت.

(٩) فزعًا وخوفًا.

(١٠) المحرق.

(١١) اللامع الظاهر.

(١٢) ما فضل وبقي من الحلواء.

(١٣) صاحب العدو وهو المستعان به.

لَكَ الْمَقَامُ (١) بَعْدِي، وَإِلَّا فَالْمَفَرَّ الْمَفَرَّ، قَبْلَ أَنْ تُسْحَبَ وَتُجَرَّ، ثُمَّ
 عَمَدَ لاسْتِخْرَاجِ مَا فِي الْبُيُوتِ، مِنْ الْأَكْيَاسِ (٢) وَالتُّخُوتِ (٣)، وَجَعَلَ
 يَسْتَخْلَصُ خَالِصَةَ كُلِّ مَخْزُونٍ، وَنُخْبَةَ كُلِّ مَذْرُوعٍ وَمُوزُونٍ، حَتَّى غَادَرَ مَا
 أَلْغَاهُ فَخُهُ (٤)، كَعَظْمٍ اسْتُخْرِجَ مِنْهُ، فَلَمَّا هَمَّنَ مَا اصْطَفَاهُ وَرَزَمَ، وَشَمَّرَ
 عَنْ ذِرَاعِيهِ وَتَحَزَّمَ، أَقْبَلَ عَلَيَّ إِقْبَالَ مَنْ لِبَسَ الصَّفَاقَةَ (٥)، وَخَلَعَ الصَّدَاقَةَ،
 وَقَالَ: هَلْ لَكَ فِي الْمُصَاحَبَةِ إِلَى الْبَطِيحَةِ، لِأَزُوجَكَ بِأُخْرَى مَلِيحَةٍ؟
 فَأَقْسَمْتُ لَهُ بِالَّذِي جَعَلَهُ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كَانَ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مِمَّنْ خَانَ فِي خَانٍ،
 إِنَّهُ لَا قَبْلَ لِي (٦) بِنِكَاحِ حُرَّتَيْنِ، وَمُعَاشَرَةِ ضَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ قَوْلَ الْمُتَطَبِّعِ
 بِطِبَاعِهِ، الْكَائِلِ لَهُ بِصَاعِهِ: قَدْ كَفَّتْنِي الْأُولَى فُخْرًا، فَاطْلُبْ آخَرَ لِلْأُخْرَى،
 فَتَبَسَّمَ مِنْ كَلَامِي، وَدَلَفَ (٧) لَالْتِزَامِي، فَلَوَيْتُ عَنْهُ عِذَارِي، وَأَبْدَيْتُ لَهُ
 اِزْوَارِي (٨)، فَلَمَّا بَصُرَ بَانْقِبَاضِي، وَتَجَلَّى لَهُ إِعْرَاضِي، أَنْشَدَ:

يَا صَارِفًا عَنِّي الْمَوَدَّةَ وَالزَّمَانَ لَهُ صُرُوفُ (٩)
 وَمُعَنِّفِي (١٠) فِي فَضْخٍ مَنْ جَاوَرْتُ تَعْنِيفَ الْعَسُوفِ
 لَا تَلْحَنِي فِيمَا أَتَيْتُ فَأَيْنَنِي بِهِمْ عَرُوفُ
 وَلَقَدْ نَزَلْتُ بِهِمْ فَلَمْ أَرَهُمْ يُرَاعُونَ الضُّيُوفُ
 وَبَلَوْتُهُمْ (١١) فَوَجَدْتُهُمْ لَمَّا سَبَكْتُهُمْ زُيُوفُ

(١) الإقامة.

(٣) أوعية الدراهم.

(٥) الوقاحة.

(٧) مشى مسرعًا وتقدم.

(٩) تقلبات.

(١١) اختبرتهم وجربتهم.

(٢) الصناديق.

(٤) الفخ: ما يصطاد به الصيد.

(٦) لا طاقة لي ولا قدرة.

(٨) إعراضي عنه.

(١٠) موبخي ولائمي.

مَا فِيهِمْ إِلَّا مُخِي
لَا بِالصَّفَى^(١) وَلَا الْوَفَى
فَوُثِبَتْ فِيهِمْ وَثْبَةً الـ
وَتَرَكْتُهُمْ صَرَغَى^(٢) كَأَنَّهُ
وَتَحَكَّمْتُ فِي مَا اقْتَنَوْ
ثُمَّ أَنْشَنْيْتُ بِمَنْغَمٍ
وَلَطَالَمَا خَلَفْتُ مَكْـ
وَوَتَرْتُ أَرْبَابَ الْأَرَا
وَلَكُمْ بَلَّغْتُ بِحِيلَتِي
وَوَقَفْتُ فِي هَوْلٍ تُرَا
وَلَكُمْ سَفَكْتُ وَكَمْ فَتَكْتُ^(٦)
وَكَمْ ارْتِكَاضَ^(٧) مَوْبِقٍ
لَكُنِّي أَعْدَدْتُ حُسْـ

فَإِنْ تَمَكَّنَ أَوْ مَخَوْفُ
وَلَا الْحَفَى وَلَا الْعَطَوْفُ
ذُئِبَ الضَّرِي عَلَى الْخُرُوفِ
مَنْ سَقُوا كَأْسَ الْخُتُوفِ^(٣)
هَ يَدِي وَهُمْ رَغْمُ الْأُنُوفِ^(٤)
حُلُو الْمَجَانِي وَالْقُطُوفِ
لُومَ الْحَشَى^(٥) خَلْفِي يَطُوفُ
تُكْ وَالِدَرَانُكَ وَالسَّجُوفُ
مَا لَيْسَ يُبَلِّغُ بِالسُّيُوفِ
عُ الْأُسْدُ فِيهِ مِنَ الْوُقُوفِ
وَكَمْ هَتَكْتُ حِمَى أَنْوَفِ
لِي فِي الذُّنُوبِ وَكَمْ خُفُوفِ^(٨)
نَ الظَّنِّ بِالْمَوْلَى الرَّؤُوفِ^(٩)

قَالَ: فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى هَذَا الْبَيْتِ لَجَّ فِي الاسْتِعْبَارِ^(١٠)، وَأَلْظَّ^(١١)
بِالاسْتِغْفَارِ، حَتَّى اسْتَمَالَ هَوَى قَلْبِي الْمُنْحَرِفِ^(١٢)، وَرَجَوْتُ لَهُ مَا يُرْجَى

(١) المختار.

(٢) جمع صريع، بمعنى: مصروع؛ أي: مطروح لا يعي.

(٣) جمع الحنف، وهو: الموت والمينة.

(٤) قهراً عنهم.

(٦) فتك به: قتله على غرة.

(٥) مجروح الأمعاء.

(٨) شدة الإسراع.

(٧) من الركض، وهو: المشي دون الجري.

(١٠) زاد في البكاء.

(٩) كثير الرأفة والرحمة.

(١٢) المغتاط منه.

(١١) داوم وتابع.

للمُقْتَرِفِ الْمُعْتَرِفِ، ثُمَّ إِنَّهُ غِيَضَ دَمْعَهُ الْمُنْهَلَّ، وَتَأَبَّطَ جِرَابَهُ وَأَنْسَلَ،
وَقَالَ لِابْنِهِ: احْتَمِلِ الْبَاقِي، وَاللَّهُ الْوَاقِي، قَالَ الْمُخْبِرُ بِهِذِهِ الْحِكَايَةِ: فَلَمَّا
رَأَيْتُ أَنْسِيَابَ (١) الْحَيَّةِ وَالْحَيَّةِ، وَانْتِهَاءَ الدَّاءِ إِلَى الْكِيَّةِ (٢)، عَلِمْتُ أَنَّ
تَرِيثِي (٣) بِالْخَانَ، مَجْلَبَةٌ لِلْهُوَآنِ (٤)، فَضَمَمْتُ رُحَيْلِي، وَجَمَعْتُ لِلرَّحْلَةِ
ذَيْلِي، وَبَتُّ لَيْلَتِي أَسْرِي إِلَى الطَّيِّبِ، وَأَحْتَسِبُ اللَّهُ عَلَى الْخَطِيبِ.



(١) أي: جري.

(٢) إلى آخره وأصله من قولهم: آخر الطب الكي.

(٣) تمكثي وإقامتي.

(٤) جالب لذلي وإهانتني.

المَقَامَةُ الثَّلَاثُونَ الصُّورِيَّةُ

حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: ارْتَحَلْتُ مِنْ مَدِينَةِ الْمَنْصُورِ، إِلَى بَلَدَةِ
صُورَ، فَلَمَّا حَصَلْتُ بِهَا ذَا رِفْعَةٍ وَخَفْضٍ ^(١)، وَمَالِكٍ رَفَعَ وَخَفَضَ،
تُقْتُ ^(٢) إِلَى مِصْرَ تَوْقَانَ السَّقِيمِ إِلَى الْأُسَاةِ، وَالْكَرِيمِ إِلَى الْمُوَاسَاةِ ^(٣)،
فَرَفَضْتُ عِلَاقَ الْإِسْقَامَةِ، وَنَفَضْتُ عَوَائِقَ الْإِقَامَةِ، وَاعْرَوْرَيْتُ ظَهَرَ ابْنِ
النَّعَامَةِ، وَأَجْفَلْتُ نَحْوَهَا إِجْفَالَ ^(٤) النَّعَامَةِ، فَلَمَّا دَخَلْتُهُ بَعْدَ مُعَانَاةِ
الْأَيْنِ ^(٥)، وَمُدَانَاةِ الْحَيْنِ ^(٦)، كَلَفْتُ بِهِ كَلْفَ النَّشْوَانِ ^(٧) بِالْإِصْطِبَاحِ،
وَالْحَيْرَانِ بِتَنْفُسِ الصَّبَاحِ، فَبَيْنَمَا أَنَا يَوْمًا بِهَا أَطُوفُ، وَتَحْتِي فَرَسٌ قَطُوفٌ،
إِذْ رَأَيْتُ عَلَى جُرْدٍ ^(٨) مِنَ الْخَيْلِ، عُصْبَةً ^(٩) كَمَصَابِيحِ اللَّيْلِ، فَسَأَلْتُ
لَا نَتِجَاعِ النَّزْهَةِ، عَنِ الْعُصْبَةِ وَالْوَجْهَةِ، فَقِيلَ: أَمَّا الْقَوْمُ فَشُهُودٌ، وَأَمَّا
الْمُقْصِدُ فِإِمْلَاكٌ ^(١٠) مَشْهُودٌ، فَحَدَّثَنِي مَيْعَةُ النَّشَاطِ، عَلَى أَنْ سِرْتُ مَعَ
الْفُرَاطِ، لِأَفُوزَ بِحَلَاوَةِ اللَّقَاطِ، وَأَحُوزَ حُلُوءَ السَّمَاطِ، فَأَفْضِينَا بَعْدَ
مُكَابَدَةِ الْعَنَاءِ، إِلَى دَارٍ رَفِيعَةِ الْبِنَاءِ، وَسِيعَةِ الْفِنَاءِ، تَشْهَدُ لِبَانِيهَا بِالثَّرَاءِ

(١) صاحب حشمة ونعمة.

(٢) اشتقت.

(٣) الإعطاء.

(٤) أجفلت أسرع.

(٥) مقاساة العناء والإعياء.

(٦) مقارنة الهلاك.

(٧) السَّكْرَانِ.

(٨) جمع أجرد، وهو: قصير الشعر.

(٩) جماعة ما بين العشر إلى الأربعين.

(١٠) تزويج.

والسَّاءُ^(١)، فَلَمَّا نَزَلْنَا عَنْ صَهَوَاتِ الْخُيُولِ، وَقَدَمْنَا الْأَقْدَامَ لِلدَّخُولِ،
رَأَيْتُ دَهْلِيزَهَا مُجَلَّلًا^(٢) بِأَطْمَارٍ مُخْرَقَةٍ، وَمُكَلَّلًا بِمَخَارِفٍ مَعْلَقَةٍ، وَهَنَّاكَ
شَخْصٌ عَلَى قَطِيفَةٍ، فَوْقَ دَكَّةٍ لَطِيفَةٍ، فَرَابَنِي عُنْوَانُ الصَّحِيفَةِ، وَمَرَأَى هَذِهِ
الطَّرِيفَةَ، وَدَعَانِي التَّطْيِيرُ بِتِلْكَ الْمَنَاحِسِ^(٣)، إِلَى أَنْ عَمَدْتُ لَذَلِكَ
الْجَالِسِ، فَعَزَمْتُ عَلَيْهِ بِمُصَرِّفِ الْأَقْدَارِ، لِيُعَرِّفَنِي مَنْ رَبُّ هَذِهِ الدَّارِ، فَقَالَ:
لَيْسَ لَهَا مَالِكٌ مُعَيَّنٌ، وَلَا صَاحِبٌ مُبَيَّنٌ، إِنَّمَا هِيَ مَصْطَبَةُ الْمُقَيِّفِينَ
وَالْمَدْرُوزِينَ^(٤)، وَوَكِيحَةُ الْمُشَقِّقِينَ وَالْمُجْلُوزِينَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنَّا لِلَّهِ
عَلَى ضِلَّةٍ الْمُسْعَى، وَإِمْحَالِ الْمُرْعَى، وَهَمَمْتُ فِي الْحَالِ بِالرُّجْعَى^(٥)، لَكِنِّي
اسْتَهْجَنْتُ^(٦) الْعُودَ مِنْ فُورِي، وَالْقَهْقَرَةَ^(٧) دُونَ غَيْرِي، فَوَلَجْتُ الدَّارَ
مَتَجَرِّعًا الْغُصَصَ^(٨)، كَمَا يَلِجُ الْعُصْفُورُ الْقَفْصَ، فَإِذَا فِيهِ أَرَائِكُ مَنْقُوشَةٌ،
وَطَنَافِسُ مَفْرُوشَةٌ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَسُجُوفُ مَرْصُوفَةٌ وَقَدْ أَقْبَلَ الْمُمْلِكُ^(٩)
يَمِيسُ فِي بُرْدَتِهِ، وَيَتَبَهَّنَسُ بَيْنَ حَفْدَتِهِ^(١٠)، فَحِينَ جَلَسَ كَأَنَّهُ ابْنُ مَاءِ
السَّمَاءِ، نَادَى مُنَادٍ مِنْ قَبْلِ الْأَحْمَاءِ: وَحُرْمَةَ سَاسَانَ أَسْتَاذِ الْأُسْتَازِينَ،
وَقُدُوةَ الشَّحَّازِينَ^(١١)، لَا عَقْدَ هَذَا الْعَقْدِ الْمُبْجَلِّ، فِي هَذَا الْيَوْمِ
الْأَغْرُ^(١٢) الْمُحَجَّلِ^(١٣)، إِلَّا الَّذِي جَالَ وَجَابَ، وَشَبَّ فِي الْكُدِيَّةِ

-
- (١) العلو والرُّفْعَةُ.
(٢) المستورًا ومُعْطَى.
(٣) الصفات المنحوسة.
(٤) المدروز الذي يتعرَّض للصنائع الخسيسة.
(٥) بالرجوع.
(٦) الهجنة: العيب والعار.
(٧) الرجوع إلى الخُلْفِ.
(٨) شاربيًا ما يُغْصُ بِهِ.
(٩) العروس.
(١٠) خدمه وأعوانه.
(١١) الملحين في الطُّلُبِ.
(١٢) أبيض الأطراف.
(١٣) أبيض الوجه.

وشاب! فأعجبَ رهطَ الصَّهْرِ مَا أشاروا إليه، وأذِنُوا فِي إِحْضَارِ الْمُنْصُوصِ عَلَيْهِ (١)، فَبَرَزَ حِينَتِ شَيْخٍ قَدْ أَمَالَ الْمُلُوكَ قَامَتَهُ، وَنَوَّرَ الْفَتَيَانَ ثَغَامَتَهُ، فَتَبَاشَرَتِ الْجَمَاعَةُ بِإِقْبَالِهِ، وَتَبَادَرَتْ إِلَى اسْتِقْبَالِهِ، فَلَمَّا جَلَسَ عَلَى زُرِّيَّتِهِ، وَسَكَنَتِ الضُّوْضَاءُ لَهَيْبَتِهِ، اَزْدَلَفَ (٢) إِلَى مَسْنَدِهِ، وَمَسَحَ سَبْلَتَهُ (٣) بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُبْتَدِي بِالْإِفْضَالِ، الْمُبْتَدِعِ لِلنَّوَالِ، الْمُتَقَرِّبِ إِلَيْهِ بِالسُّؤَالِ، الْمُؤَمِّلِ لِتَحْقِيقِ الْآمَالِ، الَّذِي شَرَعَ الزَّكَاةَ فِي الْأَمْوَالِ، وَزَجَرَ عَنْ نَهْرِ السُّؤَالِ وَنَدَبَ (٤) إِلَى مُوَأَسَاةِ الْمُضْطَرِّ، وَأَمَرَ بِإِطْعَامِ الْقَانِعِ وَالْمُعْتَرِّ، وَوَصَفَ عِبَادَهُ الْمُقَرَّبِينَ، فِي كِتَابِهِ الْأَمِينِ، فَقَالَ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥] ، أَحْمَدُهُ عَلَى مَا رَزَقَ مِنْ طُعْمَةٍ هَنِئَةٍ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنْ اسْتِمَاعِ دَعْوَةِ بِلَانِيَّةٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِلَهًا يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ، وَيَمْحَقُ (٥) الرِّبَا وَيُرِيي الصَّدَقَاتِ (٦)، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الرَّحِيمُ، وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ، ابْتَعَثَهُ لِيَنْسَخَ الظُّلْمَةَ بِالضِّيَاءِ (٧)، وَيَنْتَصِفَ لِلْفُقَرَاءِ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ، فَرَفَقَ ﷺ بِالْمُسْكِينِ (٨)، وَخَفَضَ جَنَاحَهُ لِلْمُسْتَكِينِ (٩)، وَفَرَضَ الْحُقُوقَ فِي أَمْوَالِ الْمُثْرِينَ (١٠)، وَبَيَّنَ مَا يَجِبُ لِلْمُقْلِينَ عَلَى الْمُكْثَرِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ صَلَاةً تُحْظِيهِ بِالزُّلْفَةِ، وَعَلَى أَصْفِيَائِهِ (١١) أَهْلِ الصُّفَّةِ. أَمَّا

(١) المحكوم عليه.

(٢) اقترب.

(٣) السبلة: اللحية.

(٤) حب وحرص.

(٥) يذهب بركته.

(٦) يزيد في ثوابها وينمي.

(٧) ليمحو الضلال بالهدى.

(٨) هو الذي لا شيء له.

(٩) الخاضع.

(١٠) جمع المثري، وهو: كثير المال.

(١١) جمع صفي، وهو: المختار.

بَعْدُ: فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَعَ النِّكَاحَ لَتَتَعَفَّفُوا، وَسَنَ التَّنَاسُلَ لِكَي تَتَضَاعَفُوا، فَقَالَ سُبْحَانَهُ لَتَعْرِفُوا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣] ، وَهَذَا أَبُو الدَّرَّاجِ، وَلَاجُ بْنُ خَرَّاجٍ، ذُو الْوَجْهِ الْوَقَاحِ (١)، وَالْإِفْكُ الصُّرَاحُ (٢)، وَالْهَرِيرُ وَالصِّيَاحُ، وَالْإِبْرَامُ (٣) وَالْإِلْحَاحُ، يَخْطُبُ سَلِيْطَةُ أَهْلِهَا، وَشَرِيْطَةُ (٤) بَعْلِهَا، قَبَسَ بِنْتُ أَبِي الْعَنْبَسِ، لَمَّا بَلَغَهُ مِنَ التَّحَافِهَا، بِالْحَافِهَا، وَإِسْرَافِهَا، فِي إِسْفَافِهَا، وَأَنْكِمَاشِهَا (٥) عَلَى مَعَاشِهَا، وَانْتِعَاشِهَا (٦) عِنْدَ هِرَاشِهَا (٧)، وَقَدْ بَذَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ شَلَاقًا وَعُكَازًا (٨)، وَصِقَاعًا وَكَرَّازًا، فَأَنْكِحُوهُ إِنْكَاحَ مِثْلِهِ، وَصِلُوا جَبَلَكُمْ بِجَبَلِهِ، وَإِنْ خِفْتُمْ عِيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، أَقُولُ قَوْلِي وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَكْثِرَ فِي الْمَصَاطِبِ نَسْلَكُمْ، وَيُخْرِسَ مِنَ الْمَعَاطِبِ شَمْلَكُمْ، فَلَمَّا فَرَّغَ الشَّيْخُ مِنْ خُطْبَتِهِ، وَأَبْرَمَ (٩) لِلخَتَنِ عَقْدَ خُطْبَتِهِ، تَسَاقَطَ مِنَ النَّشَارِ مَا اسْتَغْرَقَ حَدَّ الْإِكْثَارِ، وَأَغْرَى الشَّحِيحَ بِالْإِيثَارِ، ثُمَّ نَهَضَ الشَّيْخُ يَسْحَبُ ذِلَازِلَهُ، وَيَقْدُمُ أَرَاذِلَهُ (١٠).

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَتَبِعْتُهُ لِأَنْظُرَ عُرْجَةَ الْقَوْمِ، وَأُكْمِلَ بِهِجَةَ الْيَوْمِ، فَعَاجَ (١١) بِهِمْ إِلَى سِمَاطٍ (١٢). زَيْتُهُ طُهَاتُهُ، وَتَنَاصَفَتْ (١٣) فِي الْحُسْنِ

(١) البارد الصَّلْبُ الذي لا يستحيي من الملام.

(٢) الكذب الواضح.

(٣) الإضجار والإثقال.

(٤) الموافقة لزوجها.

(٥) إسراعها.

(٦) تهيجها واضطرابها.

(٧) مخاصمتها.

(٨) عصا في أسفلها حديدة.

(٩) أي: أحكم.

(١٠) يتقدم على قومه الأردال.

(١١) عطف ومأل.

(١٢) ما صُفِّ من الأطعمة.

(١٣) تساوت.

جَهَاتُهُ، فَحِينَ رُبَعَ كُلُّ شَخْصٍ فِي رِبْضَتِهِ، وَطَفِقَ يَرْتَعُ (١) فِي رَوْضَتِهِ،
 انْسَلَلْتُ (٢) مِنَ الصَّفِّ، وَفَرَرْتُ مِنَ الزَّحْفِ، فَحَانَتْ (٣) مِنَ الشَّيْخِ لَفْتَةٌ
 إِلَيَّ، وَنَظْرَةٌ هَجَمَ بِهِ طَرْفُهُ (٤) عَلَيَّ.

فَقَالَ: إِلَى أَيْنَ يَا بُرْمُ (٥)، هَلَّا عَاشَرْتَ مُعَاشِرَةً مِّنْ فِيهِ كَرَمٌ؟

فَقُلْتُ: وَالَّذِي خَلَقَهَا طَبَاقًا، وَطَبَقَهَا إِشْرَاقًا، لَا ذُقْتُ لِمَاقًا (٦)، وَلَا
 لُسْتُ رُقَاقًا، أَوْ تُخِيرَنِي أَيْنَ مَدَبٌ صَبَاكَ (٧)، وَمِنْ أَيْنَ مَهَبٌ صَبَاكَ؟
 فَتَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ (٨) مِرَارًا، وَأَرْسَلَ الْبُكَاءُ مَدْرَارًا، حَتَّى إِذَا اسْتَنْزَفَ الدَّمْعُ،
 اسْتَنْصَتَ الْجَمْعُ، وَقَالَ لِي: أُرْعِنِي السَّمْعُ:

وَبِهَآ كُنْتُ أَمْوَجُ (٩)	مَسْقَطُ الرَّأْسِ سَرُوجُ
كُلُّ شَيْءٍ وَيَرْوُجُ (١٠)	بَلَدَةٌ يَوْجَدُ فِيهَا
وَصَحَارِيهَا مُرُوجُ (١١)	وَرَدَهَا مِنْ سَلْسَبِيلِ
هَمْ نُجُومٌ وَبُرُوجُ	وَبَنُوها وَمَغَانِي
هَا وَمَرَّآهَا الْبَهِيْجُ (١٢)	حَبَّاذَا نَفْحَةً رِيَّا
حِينَ تَنْجَابُ الثُّلُوجُ	وَأَزَاهِيَرُ رُبَاهَا (١٣)

(١) جعل يأكل.

(٢) خرجت منسلًا برفق.

(٣) اتفقت.

(٤) بصره.

(٥) يا بخيل، أو: يا لئيم.

(٦) قليلًا من مأكول أو مشروب.

(٧) أين ولدت وربيت.

(٨) تنفسًا شديدًا.

(٩) أتردد.

(١٠) يتيسر ويتسهل.

(١١) بساتين.

(١٢) الحسن الذي يعجب من يراه ويسره.

(١٣) ما ارتفع من الأرض.

مَن رَأَاهَا قَالَ مَرَسَى
 وَلَمَنْ يَنْزَاحُ عَنْهَا
 مِثْلُ مَا لَاقَيْتُ مُذْ زَحَى
 عَبْرَةً ^(٢) تَهْمِي ^(٣) وَشَجْوُ ^(٤)
 وَهُمْ يَوْمٌ كُلُّ يَوْمٍ
 وَمَسَاعٍ فِي التَّرَجِّي ^(٥)
 لَيْتَ يَوْمِي حُمَّ ^(٨) لَمَّا
 جَنَّةُ الدُّنْيَا سَرُوجُ
 زَفَرَاتٍ ^(١) وَنَشِيْجُ
 زَحَنِي عَنْهَا الْعُلُوجُ
 كُلَّمَا قَرَّ يَهِيْجُ ^(٥)
 خَطْبُهَا خَطْبٌ مَرِيْجُ
 قَاصِرَاتُ الْخَطُوطِ ^(٧) عَوِجُ
 حُمَّ لِي مِنْهَا الْخُرُوجُ

قَالَ: فَلَمَّا بَيْنَ بَلَدَهُ، وَوَعَيْتُ ^(٩) مَا أَنْشَدَهُ، أَيْقَنْتُ أَنَّهُ عَلَامَتُنَا أَبُو زَيْدٍ،
 وَإِنْ كَانَ الْهَرَمُ قَدْ أَوْثَقَهُ بِقَيْدٍ، فَبَادَرْتُ إِلَى مُصَافَحَتِهِ، وَاغْتَنَمْتُ
 مُؤَاكَلَتَهُ ^(١٠) مِنْ صَحْفَتِهِ، وَظَلَمْتُ مُدَّةَ مَقَامِي بِمِصْرَ أَعَشُو ^(١١) إِلَى
 شَوَاطِلِهِ ^(١٢)، وَأَحْشَوُ صَدَقَتِي مِنْ دُرَرِ أَلْفَاظِهِ، إِلَى أَنْ نَعَبَ بَيْنَنَا غُرَابُ
 الْبَيْنِ، فَفَارَقْتُهُ مُفَارَقَةَ الْجَفْنِ لِلْعَيْنِ.



- (١) جمع زفرة، وهي: إخراج النفس بشدة.
 (٢) دمعة.
 (٣) تنسكب.
 (٤) حزن.
 (٥) ينبعث ويزداد.
 (٦) التأمل.
 (٧) جمع خطوة، أي: خطاهن قصيرة.
 (٨) قضى.
 (٩) عقلت وعرفت.
 (١٠) الأكل معه.
 (١١) أقصد.
 (١٢) لهب ونار.

المقامة الحادية والثلاثون الرمليّة

حكى الحارث بن همام قال: كنتُ في عنفوان^(١) الشباب، وريعانِ
العيشِ اللُّبابِ^(٢)، أَقْلِي^(٣) الاكْتِنانَ بالغاب، وأهوى الاندلاقَ^(٤) من
القَرابِ، لعلمي أَنَّ السَّفرَ ينفِجُ السُّفرَ، ويُنْجِ الظُّفرَ^(٥)، ومُعَاقرَةَ الوَطَنِ،
تَعْقِرُ الفُطْنَ، وَتَحْقِرُ مَنْ قَطَنَ^(٦)، فَأَجَلْتُ قَدَاحَ الاسْتِشَارَةِ، واقتدحتُ
زِنَادَ الاسْتِخَارَةِ^(٧)، ثُمَّ اسْتَجَشْتُ جَاشًا^(٨) أَثْبَتَ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَأَصْعَدْتُ
إِلَى سَاحِلِ الشَّامِ لِلتَّجَارَةِ، فَلَمَّا خَيَّمْتُ^(٩) بِالرَّمْلَةِ، وَأَلْقَيْتُ بِهَا عَصَا
الرَّحْلَةِ، صَادَفْتُ^(١٠) بِهَا رِكَابًا تُعَدُّ لِلسُّرَى^(١١)، وَرِحَالًا تُشَدُّ إِلَى أُمِّ
الْقُرَى، فَعَصَفْتُ بِرِيحِ الْغَرَامِ، وَاهْتَجَجْتُ لِي شَوْقٌ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ،
فَزَمَمْتُ نَاقَتِي^(١٢)، وَبَذْتُ عُلْقِي وَعِلَاقَتِي^(١٣).

وَقُلْتُ لِلْإِمَامِي أَقْصِرْ فَإِنِّي
وَأَنْفِقُ مَا جَمَعْتُ بِأَرْضِ جَمْعٍ
سَاخْتَارُ الْمَقَامَ عَلَى الْمَقَامِ
وَأَسْأَلُو بِالْحَطِيمِ عَنِ الْحُطَامِ^(١٤)

(٢) هو من كل شيء خالصة.

(٤) سرعة الخروج.

(٦) أي: أقام.

(٨) جمعت قلبًا وعزمًا.

(١٠) وجدت ولاقيت.

(١٢) جعلت زمامها فيها.

(١٤) متاع الدنيا.

(١) أوله.

(٣) أبغض.

(٥) يولد الفوز.

(٧) طلب الخيرة.

(٩) أقمت.

(١١) تهيأ لسير الليل.

(١٣) ما يتعلق بي.

ثُمَّ انْتَضَمَتْ مَعَ رُفْقَةٍ كَنُجُومِ اللَّيْلِ، لَهُمْ فِي السَّيْرِ جَرِيَةُ السَّيْلِ، وَإِلَى
 الْخَيْرِ جَرِيُ الْخَيْلِ، فَلَمْ نَزَلْ بَيْنَ إِدْلَاجٍ وَتَأْوِيلٍ (١)، وَإِجَافٍ وَتَقْرِيبٍ،
 إِلَى أَنْ حَبَبْنَا (٢) أَيْدِي الْمَطَايَا بِالتُّحْفَةِ فِي إِصْبَالِنَا إِلَى الْجُحْفَةِ، فَحَلَلْنَاهَا
 مُتَاهِبِينَ (٣) لِلْإِحْرَامِ، مُتَبَاشِرِينَ بِإِدْرَاكِ الْمَرَامِ، فَلَمْ يَكُ إِلَّا أَنْ أَنْخَا بِهَا
 الرُّكَائِبَ، وَحَطَطْنَا الْحَقَائِبَ، حَتَّى طَلَعَ عَلَيْنَا مِنْ بَيْنِ الْهَضَابِ شَخْصٌ
 ضَاحِي الْإِهَابِ، وَهُوَ يُنَادِي: يَا أَهْلَ ذَا النَّادِي (٤)، هَلُمَّ إِلَى مَا يُنْجِي يَوْمَ
 التَّنَادِي (٥)! فَانْخَرَطَ إِلَيْهِ الْحَجِيجُ وَانْصَلَّتُوا، وَاحْتَفُوا بِهِ وَأَنْصَتُوا، فَلَمَّا
 رَأَى تَأْتِفَهُمْ (٦) حَوْلَهُ، وَاسْتَعْظَمَهُمْ قَوْلَهُ تَسَنَّمَ إِحْدَى الْأَكَامِ (٧)، ثُمَّ تَنَحَّحَ
 مُسْتَفْتِحًا لِلْكَلامِ، وَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْحُجَّاجِ النَّاسِلِينَ (٨) مِنَ الْفَجَاجِ،
 أَتَعْلَمُونَ مَا تُوَاجِهُونَ، وَإِلَى مَنْ تَتَوَجَّهُونَ؟ أَمْ تَدْرُونَ عَلَى مَنْ تَقْدَمُونَ،
 وَعِلَامَ تُقْدَمُونَ؟ أَتَخَالُونَ (٩) أَنَّ الْحَجَّ هُوَ اخْتِيَارُ الرُّوَاحِلِ (١٠)، وَقَطْعُ
 الْمَرَاحِلِ، وَاتِّخَاذُ الْمَحَامِلِ، وَإِيقَارُ الزَّوَامِلِ (١١)؟ أَمْ تَظُنُّونَ أَنَّ النُّسْكَ هُوَ
 نَضْوُ الْأَرْدَانِ، وَإِنْضَاءُ الْأَبْدَانِ (١٢)، وَمُفَارَقَةُ الْوِلْدَانِ، وَالتَّنَائِي (١٣) عَنِ
 الْبُلْدَانِ؟ كَلَّا وَاللَّهِ بَلْ هُوَ اجْتِنَابُ الْخَطِيئَةِ (١٤)، قَبْلَ اجْتِلَابِ الْمَطِيئَةِ،
 وَإِخْلَاصُ النِّيَّةِ فِي قَصْدِ تِلْكَ الْبَنِيَّةِ (١٥)، وَإِمْحَاضُ الطَّاعَةِ عِنْدَ وَجْدَانِ

(١) السير في النهار.

(٢) أعطتنا.

(٣) مستعدين.

(٤) المجلس.

(٥) يوم القيامة.

(٦) تجمعهم كتجمع الأثافي.

(٧) جمع أكمة، وهي: المحل المرتفع.

(٨) المسرعين.

(٩) أي: أتحسبون.

(١٠) هي الإبل الهجان.

(١١) تثقيلها بالأحمال والزوامل: الإبل التي يحمل عليها.

(١٢) إهزالها من الإتعاب.

(١٣) البُعْد.

(١٤) ترك الإثم.

(١٥) الكعبة.

الاستطاعة، وإصلاح المعاملات، أمام أعمال اليعملات، فوالذي شرع
 المناسك للناسك، وأرشد السالك في الليل الحالك، ما ينقي الغسل
 بالذنوب من الأنغماس في الذنوب ! ولا تعدل تعرية الأجسام بتعبية
 الأجرام^(١)، ولا تغني لبسة الإحرام^(٢) عن المتلبس بالحرام، ولا ينفع
 الاضطباع بالإزار مع الاضطلاع بالأوزار^(٣)، ولا يجدي التقرب بالخلق
 مع التقلب في ظلم الخلق، ولا يرحض^(٤) التمسك في التقصير درن
 التمسك بالتقصير، ولا يسعد بعرفة، غير أهل المعرفة، ولا يزكو بالخيف
 من يرغب في الحيف^(٥)، ولا يشهد المقام، إلا من استقام، ولا يحظى
 بقبول الحجة، من زاع^(٦) عن المحجة^(٧)، فرحم الله امرأ صفاً، قبل
 مسعاه إلى الصفا، وورد شريعة الرضى، قبل شروعه على الأضا^(٨)، ونزع
 عن تلبسه، قبل نزع ملبوسه، وقاض بمعروفه^(٩)، قبل الإفاضة من
 تعريفه، ثم رفع عقيرته بصوت أسمع الصم، وكاد يززع الجبال الشم،
 وأنشد:

مَا الْحَجَّ سِيرُكَ تَأْوِيباً^(١٠) وَإِذَا جَا

وَلَا اعْتِيَامُكَ^(١١) أَجْمَالاً وَأَحْدَا جَا

الْحَجُّ أَنْ تَقْصِدَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ عَلَى

تَجْرِيدِكَ الْحَجَّ لَا تَقْضِي بِهِ حَاجَا

(١) بحمل الآثام.

(٢) ما يستتر به الحاج بعد تجرده للإحرام.

(٣) جمع الوزر، بمعنى: الذنب.

(٤) يغسل.

(٥) الجور والتعدي.

(٦) من مال وحاد.

(٧) أي: عن طريق الحق.

(٨) جمع أضاة، وهي: الغدير، وأراد به: زمزم.

(٩) أحسن برة وتفضل بخيره.

(١٠) سير النهار وسير الليل.

(١١) اختيارك.

وَتَمْتَطِي كَاهِلَ الْإِنصَافِ مَتَّخِذًا
 رَدْعَ الْهَوَىٰ هَادِيَا وَالْحَقَّ مِنْهَا جَا
 وَأَنْ تُؤَاسِيَ ^(١) مَا أُوتِيَتْ مَقْدُرَةً
 مَنْ مَدَّ كَفًّا إِلَىٰ جَدْوَاكَ مُحْتَاجَا
 فَهَذِهِ إِنْ حَوَّتْهَا حِجَّةٌ كَمَلْتَ
 وَإِنْ خَلَا الْحُجُّ مِنْهَا كَانَ إِخْدَاجَا ^(٢)
 حَسْبُ الْمُرَائِينَ غَبْنًا ^(٣) أَنَّهُمْ غَرَسُوا
 وَمَا جَنَوْا وَلَقُّوا كَدًّا وَإِزْعَاجَا ^(٤)
 وَأَنَّهُمْ حُرِّمُوا أَجْرًا وَمَحْمَدَةً
 وَالْحُمُومَ عَرَضَهُمْ مَنْ عَابَ أَوْ هَاجَىٰ
 أُخِيَّ فَاْبَغِ بِمَا تُبْدِيهِ مِنْ قُرْبِ
 وَجْهِ الْمُهَيِّمِنِ وَلَا جَأَ وَخَرَّاجَا ^(٥)
 فَلَيْسَ تَخْفَىٰ عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ
 إِنْ أَخْلَصَ الْعَبْدُ فِي الطَّاعَاتِ أَوْ دَاجَىٰ ^(٦)
 وَبَادِرِ الْمَوْتِ بِالْحُسْنَىٰ تُقَدِّمُهَا
 فَمَا يُنْهَنَّهُ ^(٧) دَاعِي الْمَوْتِ إِنْ فَاجَا ^(٨)
 وَاقِنِ التَّوَاضُّعَ ^(٩) خُلُقًا لَا تُزَايِلُهُ
 عَنْكَ اللَّيَالِي وَلَوْ أَلْبَسَنَكَ التَّاجَا

(١) تتكرَّم.

(٢) نقصانًا.

(٣) الغُبْنُ: الخديعة في البيع.

(٤) الإزعاج: مفارقة الوطن.

(٥) داخلًا وخارجًا.

(٦) من المداجاة، وهي هنا بمعنى: التفق.

(٧) فما يؤخر ولا يمنع من نهنته.

(٨) إن أتى بغتة.

(٩) ألزمه وأمسكه.

وَلَا تَشِمُ كُلَّ خَالٍ لَاحَ بَارِقُهُ ^(١)
وَلَوْ تَرَأَى هَتُونَ السَّكْبِ ^(٢) ثَجَّاجَا
مَا كُلَّ دَاعٍ بِأَهْلٍ أَنْ يُصَاخَ ^(٣) لَهُ
كَمْ قَدْ أَصَمَّ بِنَعْيٍ بَعْضُ مَنْ نَاجَى
وَمَا اللَّيْبُ سِوَى مَنْ بَاتَ مُقْتَنِعًا
بِبُلْغَةِ تَدْرِجِ الْأَيَّامِ ^(٤) إِدْرَاجَا
فَكُلُّ كُثْرٍ إِلَى قُلٍّ مَغْبَتِهِ
وَكُلُّ نَازٍ ^(٥) إِلَى لِينٍ وَإِنْ هَاجَا

قَالَ الرَّأَوِي: فَلَمَّا أُلْقِيَ عَقَمَ الْأَفْهَامِ بِسِحْرِ الْكَلَامِ، اسْتَرَوَحَتْ رِيحَ أَبِي زَيْدٍ، وَمَادَّ بِي الْأَرْتِيَاخُ إِلَيْهِ أَيَّ مَيْدٍ، فَمَكُتُ حَتَّى اسْتَوْعَبَ ^(٦) نَثَّ حَكَمَتَهُ، وَانْحَدَرَ مِنْ أَكْمَتِهِ، ثُمَّ دَلَفْتُ ^(٧) إِلَيْهِ لِأَتَصَفَّحَ صَفَحَاتِ مُحْيَاهُ، وَأَسْتَشْفَ ^(٨) جَوْهَرَ حِلَاهُ، فَإِذَا هُوَ الضَّالَّةُ الَّتِي أَنْشُدَهَا، وَنَازِمُ الْقَلَائِدِ اللَّاتِي أَنْشُدَهَا، فَعَانَقْتُهُ عُنَاقَ اللَّامِ لِلْأَلْفِ، وَنَزَلْتُهُ مَنْزِلَةَ الْبُرِّ ^(٩) عِنْدَ الدَّنْفِ ^(١٠)، وَسَأَلْتُهُ أَنْ يُلَازِمَنِي فَأَبَى، أَوْ يُزَامِلَنِي فَنَبَا ^(١١)، وَقَالَ: أَلَيْتَ فِي حِجَّتِي هَذِهِ أَنْ لَا أَحْتَقِبَ وَلَا أَعْتَقِبَ ^(١٢)، وَلَا أَكْتَسِبَ وَلَا أَنْتَسِبَ، وَلَا أُرْتَفِقَ ^(١٣)، وَلَا أُرَافِقَ، وَلَا أُوَافِقَ مِنْ يُنَافِقُ، ثُمَّ ذَهَبَ يَهْرُولُ،

(١) لا تنظر إلى كل غيم برق.

(٣) يسمع له.

(٥) نهاية كل متشدد إلى الارتخاء.

(٧) الدلف: المشي رويدًا.

(٩) الخلاص من الداء والشقاء منه.

(١١) فامتنع وانفصل.

(٢) متتابع القطر.

(٤) تسوقها وتمضيها.

(٦) استوفى.

(٨) أبصر وأتحقق.

(١٠) المريض.

(١٢) المناوبة في السير.

(١٣) أمتنع.

وَعَادَرَنِي أُولَؤُلُ، فَلَمْ أَزَلْ أَقْرِبِهِ نَظْرِي، وَأَوْدُ لَوْ يَمْشِي عَلَى نَظْرِي، حَتَّى تَوَقَّلَ (١) أَحَدَ الْأَطْوَادِ (٢)، وَوَقَّفَ لِلْحَجِيجِ بِالْمَرْصَادِ، فَلَمَّا شَاهَدَ إِيْضَاعَ الرُّكْبَانِ فِي الْكُثْبَانِ، وَقَعَ بِالْبَنَانِ عَلَى الْبَنَانِ، وَأَنْدَفَعَ يُنْشِدُ:

لَيْسَ مِنْ زَارٍ رَاكِبًا مِثْلَ سَاعٍ عَلَى الْقَدَمِ
لَا وَلَا خَادِمٌ أَطَا عَ كَعَاصٍ مِنَ الْخَدَمِ
كَيْفَ يَا قَوْمٍ يَسْتَوِي سَعْيُ بَانٍ وَمَنْ هَدَمَ
سَيُقِيمُ الْمُفْرَطُو نَ غَدًا مَاتُومَ النَّدَمِ
وَيَقُولُ الَّذِي تَقَرَّ بَ طُوبَى لِمَنْ خَدَمَ
وَيْكَ يَا نَفْسُ قَدَمِي صَالِحًا عِنْدَ ذِي الْقَدَمِ
وَأَزْدَرِي (٣) زُخْرُفَ الْحَيَا ةَ فَوُجْدَانُهُ عَدَمِ
وَأَذْكَرِي مَضْرَعَ الْحَمَا مَ إِذَا خَطْبُهُ (٤) صَدَمِ
وَأَنْدُبِي فَعَلَكَ الْقَبِي حَ وَسُحِّي (٥) لَهُ بَدَمِ
وَأَذْبُغِيهِ بِتَوْبَةٍ قَبْلَ أَنْ يَحْلَمَ الْأَدَمِ
فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَقِي لَكَ السَّعِيرَ الَّذِي اخْتَدَمَ (٦)
يَوْمَ لَا عَثْرَةٌ تُقَا لُ وَلَا يَنْفَعُ السَّدَمُ (٧)

ثُمَّ إِنَّهُ أَغْمَضَ عَضْبَ لِسَانِهِ، وَأَنْطَلَقَ لِسَانَهُ (٨)، فَمَا زِلْتُ فِي كُلِّ مَوْرِدٍ (٩) نَرِدَهُ، وَمَعْرَسٍ (١٠) نَتَوَسَّدُهُ، أَنْفَقْتُهُ فَا فَقَدْتُهُ،

(١) صعد وعلا.

(٢) جمع الطود وهو الجبل.

(٣) احتقري.

(٤) أمره العظيم الهائل.

(٥) سبلي.

(٦) التهب واضطرم وأشتد حرة.

(٧) الندم.

(٨) أي: لحاله.

(٩) هو محل ورود الماء.

(١٠) موضع النزول آخر الليل.

وَأَسْتَنْجِدُ^(١) بِمَنْ يَنْشُدُهُ فَلَا يَجِدُهُ، حَتَّى خَلْتُ أَنَّ الْجِنَّ اخْتَطَفَتْهُ^(٢)، أَوْ
الْأَرْضَ اقْتَطَفَتْهُ، فَمَا كَابَدْتُ^(٣) فِي الْغُرْبَةِ، كَهَذِهِ الْكُرْبَةِ^(٤)، وَلَا مُنِيتُ
فِي سَفَرَةٍ، بِمِثْلِهَا مِنْ زَفَرَةٍ.



(١) أطلب من ينجدني ويساعدني على طلبه.

(٢) أخذته بسرعة.

(٣) قاسيت.

(٤) الضيق.

المَقَامَةُ الثَّانِيَّةُ وَالثَّلَاثُونَ الطَّبِيبَةُ

حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: أَجْمَعْتُ^(١) حِينَ قَضَيْتُ مَنَاسِكَ الْحَجِّ،
وَأَقَمْتُ وَظَائِفَ الْعَجِّ^(٢) وَالشَّجِّ، أَنْ أَقْصِدَ طَبِيبَةً^(٣)، مَعَ رُفْقَةٍ مِنْ بَنِي
شَيْبَةَ، لِأَزُورَ قَبْرَ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى، وَأَخْرُجَ مِنْ قَبِيلٍ مِنْ حِجٍّ وَجَفَا،
فَأَرْجِفَ بِأَنَّ الْمَسَالِكَ شَاغِرَةٌ^(٤)، وَعَرَبَ الْحَرَمَيْنِ مُتَشَاكِرَةٌ^(٥)، فَحَرْتُ
بَيْنَ إِشْفَاقٍ يُبْطِئُ^(٦)، وَأَشْوَاقٍ تُنْشِطُنِي^(٧)، إِلَى أَنْ أُلْقِيَ فِي رَوْعِي
الِاسْتِسْلَامُ، وَتَغْلِبُ زِيَارَةُ قَبْرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَعْتَمْتُ الْقُعْدَةَ، وَأَعْدَدْتُ
الْعُدَّةَ، وَسِرْتُ وَالرُّفْقَةَ لَا نُلَوِي عَلَى عُرْجَةٍ^(٨)، وَلَا نَنِي فِي تَأْوِيبٍ وَلَا
دُلْجَةٍ، حَتَّى وَافَيْنَا بَنِي حَرْبٍ، وَقَدْ آبَوْا مِنْ حَرْبٍ، فَأَزْمَعْنَا^(٩) أَنْ نُقْضِيَ
ظِلَّ الْيَوْمِ^(١٠) فِي حِلَّةِ الْقَوْمِ، وَبَيْنَمَا نَحْنُ نَتَخَيَّرُ الْمُنَآخَ، وَنَرُودُ الْوَرْدَ
النَّقَاحَ^(١١)، إِذْ رَأَيْنَاهُمْ يَرْكُضُونَ^(١٢)، كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصْبٍ يَوْفِضُونَ، فَرَأَيْنَا
أَنْثِيَائَهُمْ، وَسَأَلْنَا: مَا بَالُهُمْ^(١٣)؟ فَقِيلَ قَدْ حَضَرَ نَادِيَهُمْ فَقِيهِ الْعَرَبِ،
فَاهْرَأَعَهُمْ^(١٤) لِهَذَا السَّبَبِ، فَقُلْتُ لِرُفْقَتِي: أَلَنْ نَشْهَدُ مَجْمَعَ الْحَيِّ، لِنَتَبَيَّنَ

(١) عَظَمْتُ.

(٣) هِيَ مَدِينَةُ الرَّسُولِ ﷺ.

(٥) مُخْتَلِفَةٌ بَيْنَهَا حَرْبٌ.

(٧) تَسْتَوْفِزُنِي وَتَذْهَبُ بِي.

(٩) عَظَمْنَا.

(١١) الْعَذَابُ الْبَارِدُ.

(١٣) مَا الَّذِي أَصَابَهُمْ؟

(٢) رَفَعَ الصَّوْتَ بِالتَّلْبِيَةِ.

(٤) أَيُّ: مَخُوفَةٌ.

(٦) يَقْعِدُنِي وَيَعُوقُنِي.

(٨) لَا نَمِيلُ إِلَى تَعْرِيجٍ، أَيُّ: إِقَامَةٍ.

(١٠) أَيُّ: طَوْلُهُ.

(١٢) يَسْرِعُونَ.

(١٤) الْإِسْرَاعُ فِي فِرْعٍ وَرَعْدَةٍ.

الرُّشْدَ مِنَ الْغَيِّ؟ فَقَالُوا: لَقَدْ أَسْمَعْتَ إِذْ دَعَوْتَ، وَنَصَحْتَ وَمَا أَلَوْتَ^(١)،
 ثُمَّ نَهَضْنَا نَتَّبِعُ الْهَادِيَ^(٢)، وَنَوْمُ النَّادِي^(٣)، حَتَّى إِذَا أَظْلَلْنَا عَلَيْهِ،
 وَاسْتَشْرَفْنَا الْفَقِيهَ الْمَنُهَوْدَ إِلَيْهِ، أَلْفَيْتُهُ أَبَا زَيْدَ ذَا الشُّقْرِ وَالْبُقْرِ، وَالْفَوَاقِرِ
 وَالْفَقْرِ، وَقَدْ اعْتَمَّ الْقَفْدَاءُ، وَاشْتَمَلَ الصَّمَاءُ، وَقَعَدَ الْقَرْفَصَاءُ^(٤)،
 وَأَعْيَانُ الْحَيِّ بِهِ مُحْتَفُونَ^(٥)، وَأَخْلَاطُهُمْ عَلَيْهِ مُلْتَفُونَ، وَهُوَ يَقُولُ:
 سَلُونِي عَنِ الْمُعْضَلَاتِ^(٦)، وَاسْتَوْضِحُوا مِنِّي الْمَشْكَلَاتِ، فَوَالَّذِي فَطَرَ
 السَّمَاءَ، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ، إِنِّي لَفَقِيهُ الْعَرَبِ الْعَرَبَاءُ، وَأَعْلَمُ مِنْ تَحْتَ
 الْجَرْبَاءِ، فَصَمَدَ لَهُ فَتَى فَتِيقُ اللِّسَانِ، جَرِيءُ الْجَنَانِ، وَقَالَ: إِنِّي حَاضِرْتُ
 فَقُهَاءَ الدُّنْيَا، حَتَّى انْتَخَلْتُ مِنْهُمْ مَائَةً فَتِيًّا^(٧)، فَإِنْ كُنْتُ مِمَّنْ يَرْغَبُ عَنْ
 بَنَاتٍ غَيْرِ، وَيَرْغَبُ مِنَّا فِي مِيرٍ، فَاسْتَمِعْ وَأَجِبْ، لَتُقَابَلَ^(٨) بِمَا يَجِبُ،
 فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، سَيِّينُ^(٩) الْمَخْبِرُ^(١٠)، وَيُنْكَشِفُ الْمُضْمِرُ^(١١)،
 فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِيمَنْ تَوْضَأُ ثُمَّ لَمَسَ ظَهْرَ نَعْلِهِ؟ قَالَ:
 انْتَقَضَ وَضُوءُهُ بِفَعْلِهِ، قَالَ: فَإِنْ تَوْضَأُ ثُمَّ أَتَكَاهُ الْبَرْدُ^(١٢)؟ قَالَ: يُجَدِّدُ
 الْوُضُوءَ مِنْ بَعْدِ، قَالَ: أَيْمَسَحُ الْمُتَوَضَّئُ أَثْنِيهِ^(١٣)؟ قَالَ: قَدْ نُدِبَ إِلَيْهِ،
 وَلَمْ يَوْجِبْ عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْجُوزُ الْوُضُوءَ مِمَّا يَقْدِفُهُ الثَّعْبَانُ؟ قَالَ: وَهَلْ
 أَنْظَفُ مِنْهُ لِلْعُرْبَانِ؟ قَالَ: أَيْسْتَبَاحُ مَاءِ الضَّرِيرِ^(١٤)؟ قَالَ: نَعَمْ وَيُجْتَنَبُ

(١) ما أخرت عنا نصحاء.

(٢) الدليل.

(٣) نقصد المجلس.

(٤) جلسة المحتبي.

(٥) مستديرون حوله.

(٦) المشكلات التي تعجز العلماء.

(٧) المسائل التي يفتي بها.

(٨) لتجازى.

(٩) سيظهر.

(١٠) باطن الأمر وحقيقته.

(١١) المستور.

(١٢) أضجعه على صورة التكي.

(١٣) الاذنان.

(١٤) المتبادر أنه الأعمى.

ماء البَصِير، قَالَ: أَيَحُلُّ التَّطَوُّفُ^(١) فِي الرَّبِيعِ؟ قَالَ: يُكْرَهُ ذَلِكَ لِلْحَدَثِ الشَّيْخِ، قَالَ: أَيَجِبُ الْغُسْلُ عَلَى مَنْ أُمِنَى^(٢)؟ قَالَ: لَا وَلَوْ ثَنَى، قَالَ: فَهَلْ يَجِبُ عَلَى الْجَنْبِ غَسْلُ فَرْوَتِهِ؟ قَالَ: أَجَلٌ وَغَسْلُ إِبْرَتِهِ، قَالَ: أَيَجِبُ عَلَيْهِ غَسْلُ صَحِيفَتِهِ^(٣)؟ قَالَ: نَعَمْ كَغَسْلِ شَفْتِهِ، قَالَ: فَإِنْ أَخْلَى بِغَسْلٍ فَأَسْه؟ قَالَ: هُوَ كَمَا لَوْ أُلْغِيَ غَسْلُ رَأْسِهِ، قَالَ: أَيَجُوزُ الْغُسْلُ فِي الْجِرَابِ^(٤)؟ قَالَ: هُوَ كَالْغُسْلِ فِي الْجَبَابِ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِيمَنْ تَيَمَّمَ ثُمَّ رَأَى رَوْضًا؟ قَالَ: بَطُلَ تَيَمُّمُهُ فَلْيَتَوَضَّأْ، قَالَ: أَيَجُوزُ أَنْ يَسْجُدَ الرَّجُلُ فِي الْعَدْرَةِ^(٥)؟ قَالَ: نَعَمْ وَلِيُجَانِبَ الْقَذْرَةَ، قَالَ: فَهَلْ لَهُ السُّجُودُ عَلَى الْخِلَافِ؟ قَالَ: لَا وَلَا عَلَى أَحَدِ الْأَطْرَافِ، قَالَ: فَإِنْ سَجَدَ عَلَى شِمَالِهِ^(٦)؟ قَالَ: لَا بِأَسَرِّهِ، قَالَ: فَهَلْ يَجُوزُ السُّجُودُ عَلَى الْكُرَاعِ^(٧)؟ قَالَ: نَعَمْ دُونَ الذَّرَاعِ، قَالَ: أَيُصَلِّي عَلَى رَأْسِ الْكَلْبِ؟ قَالَ: نَعَمْ كَسَائِرِ الْهَضْبِ^(٨)، قَالَ: أَيَجُوزُ لِلدَّارِسِ^(٩) حَمْلُ الْمَصَاحِفِ؟ قَالَ: لَا وَلَا حَمْلُهَا فِي الْمَلَاخِفِ^(١٠)، قَالَ: مَا تَقُولُ فِيمَنْ صَلَّى وَعَانَتْهُ بَارِزَةٌ؟ قَالَ: صَلَاتُهُ جَائِزَةٌ، قَالَ: فَإِنْ صَلَّى وَعَلَيْهِ صَوْمٌ؟ قَالَ: يُعِيدُ وَلَوْ صَلَّى مِائَةَ يَوْمٍ، قَالَ: فَإِنْ حَمَلَ جِرَؤًا^(١١) وَصَلَّى؟ قَالَ: هُوَ كَمَا لَوْ حَمَلَ بِأَقْلَى، قَالَ: أَتَصِحُّ صَلَاةُ حَامِلِ الْقَرْوَةِ^(١٢)؟ قَالَ: لَا وَلَوْ صَلَّى فَوْقَ الْمَرَوَةِ، قَالَ: فَإِنْ

(١) الطواف والدوران حول الشيء.

(٢) نزل منى.

(٣) الصحيفة: الكتاب.

(٤) جوف البئر.

(٥) فناء الدار.

(٦) الشمال: جمع شملة، وهي مخالفة للقبيلة.

(٧) ما استطال من الحرة وهي أرض ذات حجارة سود.

(٨) جمع هضبة، وهي: الصخرة العظيمة، أو الكُدَيْة الصغيرة.

(٩) الحائض.

(١٠) الملاءات.

(١١) ولد الكلب، فحمله مبطل للصلاة.

(١٢) جلدة الخصيتين إذا عظمت وانتفخت.

قَطَرَ عَلَى ثَوْبِ الْمُصَلِّي نَجْوً؟ قَالَ: يَمْضِي فِي صَلَاتِهِ وَلَا غَرَوْ، قَالَ: أَيْجُوزُ أَنْ يَوْمَ الرَّجَالِ مَقْنَعٌ؟ قَالَ: نَعَمْ وَيَوْمُهُمْ مُدْرَعٌ^(١)، قَالَ: فَإِنْ أَمَّهُمْ مَنْ فِي يَدِهِ وَقْفٌ؟ قَالَ: يُعِيدُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَلْفٌ. قَالَ: فَإِنْ أَمَّهُمْ مِنْ فَخْذِهِ بَادِيَةٌ؟ قَالَ: صَلَاتُهُ وَصَلَاتُهُمْ مَاضِيَةٌ، قَالَ: فَإِنْ أَمَّهُمُ الثَّورُ الْأَجَمُ^(٢)؟ قَالَ: صَلِّ وَخَلَاكَ ذَمٌّ، قَالَ: أَيْدْخُلُ الْقَصْرُ^(٣) فِي صَلَاةِ الشَّاهِدِ؟ قَالَ: لَا وَالْغَائِبِ الشَّاهِدِ، قَالَ: أَيْجُوزُ لِلْمَعْدُورِ^(٤) أَنْ يُفْطِرَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؟ قَالَ: مَا رُخِّصَ إِلَّا لِلصَّبِيَّانِ، قَالَ: فَهَلْ لِلْمُعَرَّسِ^(٥) أَنْ يَأْكُلَ فِيهِ؟ قَالَ: نَعَمْ بِمِلءٍ فِيهِ. قَالَ: فَإِنْ أَفْطَرَ فِيهِ الْعُرَاةُ^(٦)؟ قَالَ: لَا تُنْكِرُ عَلَيْهِمُ الْوَلَاةُ^(٧)، قَالَ: فَإِنْ أَكَلَ الصَّائِمُ بَعْدَ مَا أَصْبَحَ؟ قَالَ: هُوَ أَحْوْطُ^(٨) لَهُ وَأَصْلَحُ، قَالَ: فَإِنْ عَمَدَ لَأَنْ أَكَلَ لَيْلًا؟ قَالَ: لِيُشْمَرَ لِلْقَضَاءِ ذَيْلًا، قَالَ: فَإِنْ أَكَلَ قَبْلَ أَنْ تَتَوَارَى الْبَيْضَاءُ^(٩)؟ قَالَ: يَلْزَمُهُ - وَاللَّهِ - الْقَضَاءُ، قَالَ: فَإِنْ اسْتَشَارَ^(١٠) الصَّائِمُ الْكَيْدَ^(١١)؟ قَالَ: أَفْطَرَ وَمَنْ أَحَلَّ الصَّيْدَ، قَالَ: أَلَهُ أَنْ يُفْطِرَ بِالْحَاحِ الطَّابِخِ؟ قَالَ: نَعَمْ لَا بِطَاهِي الْمَطَابِخِ، قَالَ: فَإِنْ ضَحَكَتِ الْمَرْأَةُ فِي صَوْمِهَا؟ قَالَ: بَطَلَ صَوْمُ يَوْمِهَا، قَالَ: فَإِنْ ظَهَرَ الْجُدْرِيُّ عَلَى ضَرْتِهَا^(١٢)؟ قَالَ: تُفْطِرُ إِنْ آذَنَ بِمَضَرَّتِهَا، قَالَ: مَا يَجِبُ فِي مِائَةِ

(٢) الذي لا قرن له وهو حيوان لا يعقل فضلاً.

(١) درع الحديد، وهو من شأن الرجل.

(٤) من أصابه عذر يوجب له الفطر.

(٣) هو قَصْرُ الصَّلَاةِ الرَّبَاعِيَّةِ.

(٦) جمع عارٍ، وهو: ضد المُكْتَسِي.

(٥) أعرس: إذا دَخَلَ بِالْعُرُوسِ.

(٨) الاحتياط: هو الأخذ بالحزم في الأمور.

(٧) وجع وال، قاضيا كان أو غيره.

(٩) تغيب وتستتر، والبيضاء: المورى بها المرأة. (١٠) استدعى.

(١٢) المرأة المجتمعة معها تحت عصمة زوجها.

(١١) هو الغيظ واستشارته لا تفطر.

مُصْبَاح؟ قَالَ: حَقَّتَانِ ^(١) يَا صَاح، قَالَ: فَإِنْ مَلَكَ عَشْرَ خَنَاجِرٍ ^(٢)؟ قَالَ: يُخْرِجُ شَاتَيْنِ وَلَا يُشَاجِرُ، قَالَ: فَإِنْ سَمَحَ لِلسَّاعِي بِحَمِيمَتِهِ ^(٣)؟ قَالَ: يَا بُشْرَى لَهُ يَوْمَ قِيَامَتِهِ! قَالَ: أَيْسَحَقُ حَمَلَةُ الْأَوْزَارِ ^(٤) مِنَ الزَّكَاةِ جُزْأً؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا كَانُوا غَزًى، قَالَ: أَيْجُوزُ لِلْحَاجِّ أَنْ يَعْتَمِرَ ^(٥)؟ قَالَ: لَا وَلَا أَنْ يَخْتَمِرَ، قَالَ: فَهَلْ لَهُ أَنْ يَقْتُلَ الشُّجَاعَ؟ قَالَ: نَعَمْ كَمَا يَقْتُلُ السَّبَاعَ، قَالَ: فَإِنْ قَتَلَ زَمَرَةً فِي الْحَرَمِ؟ قَالَ: عَلَيْهِ بَدَنَةٌ مِنَ النَّعَمِ، قَالَ: فَإِنْ رَمَى سَاقَ حُرٍّ فَجَدَلَهُ؟ قَالَ: يُخْرِجُ شَاةً بَدَلَهُ، قَالَ: فَإِنْ قَتَلَ أُمَّ عَوْفٍ بَعْدَ الْإِحْرَامِ؟ قَالَ: يَتَصَدَّقُ بِقَبْضَةٍ مِنْ طَعَامٍ، قَالَ: أَيْجِبُ عَلَى الْحَاجِّ اسْتِصْحَابُ الْقَارِبِ ^(٦)؟ قَالَ: نَعَمْ لَيْسَوْفَهُمْ إِلَى الْمَشَارِبِ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي الْحَرَامِ بَعْدَ السَّبْتِ؟ قَالَ: قَدْ حُلَّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي بَيْعِ الْكُمَيْتِ ^(٧)؟ قَالَ: حَرَامٌ كَبَيْعِ الْمَيْتِ، قَالَ: أَيْجُوزُ بَيْعُ الْخُلِّ بِلَحْمِ الْجَمَلِ؟ قَالَ: وَلَا بِلَحْمِ الْحَمَلِ، قَالَ: أَيْحُلُّ بَيْعُ الْهَدِيَّةِ ^(٨)؟ قَالَ: لَا وَلَا بَيْعُ السَّبْيَةِ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي بَيْعِ الْعَقِيقَةِ ^(٩)؟ قَالَ: مَحْظُورٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ، قَالَ: أَيْجُوزُ بَيْعُ الدَّاعِي ^(١٠)، عَلَى الرَّاعِي؟ قَالَ: لَا وَلَا عَلَى السَّاعِي، قَالَ: أَيْبَاعُ الصَّقَرِ ^(١١)

(١) التي مضى عليها ثلاث سنوات ودخلت في الرابعة؛ لأنها استحققت طرق الفحل.

(٢) السكين المعروفة التي توضع في الحزام للزينة.

(٣) أعزّ الأهل والأقارب. (٤) المرتكبون للذنوب.

(٥) الإتيان بالعمرة، وهي عبادة أركانها: الإحرام، والطواف، والسعي.

(٦) هو ضرب من السفن صغير يستعمله أصحاب السفن في قضاء مصالحهم.

(٧) الفرس الذي اسودَّ عرْفُه وذنبه من الكُمَيْتة وهي لون يُضْرَبُ إِلَى السَّوَادِ.

(٨) المهداة من الأحباب.

(٩) ما يُدْبَحُ عَنْ الْمَوْلُودِ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ وَلَادَتِهِ.

(١٠) هي بقية اللَّبَنِ فِي الدَّرْعِ. (١١) الطائر المعروف من جوارح الطير.

بالتَّمَر؟ قَالَ: لَا وَمَالِكُ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، قَالَ: أَيَشْتَرِي الْمُسْلِمُ سَلَبَ (١)
 الْمُسْلِمَاتِ؟ قَالَ: نَعَمْ وَيُورَثُ عَنْهُ إِذَا مَاتَ، قَالَ: فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُبْتَاعَ
 الشَّافِعُ (٢)، قَالَ: مَا لَجَوَازِهِ مِنْ دَافِعٍ، قَالَ: أَيُّبَاعُ الْإِبْرِيقِ عَلَى بَنِي
 الْأَصْفَرِ (٣)؟ قَالَ: يُكْرَهُ كَبَيْعُ الْمُغْفَرِ، قَالَ: أَيَجُوزُ أَنْ يَبِيعَ الرَّجُلُ صَفِيَّهُ؟
 قَالَ: لَا وَلَكِنْ لِيَبِيعَ صَفِيَّهُ، قَالَ: فَإِنْ اشْتَرَى عَبْدًا فَبَانَ بِأَمِّهِ جِرَاحٌ (٤)؟
 قَالَ: مَا فِي رَدِّهِ مِنْ جُنَاحٍ، قَالَ: أَتَثَبَّتُ الشُّفْعَةُ لِلشَّرِيكِ فِي الصَّحْرَاءِ؟
 قَالَ: لَا وَلَا لِلشَّرِيكِ فِي الصَّفْرَاءِ، قَالَ: أَيَحِلُّ أَنْ يُحْمَى مَاءُ الْبِئْرِ وَالْخَلَا؟
 قَالَ: إِنْ كَانَ فِي الْفَلَا فَلَا، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي مَيْتَةِ الْكَافِرِ (٥)؟ قَالَ: حِلٌّ
 لِلْمُقِيمِ وَالْمُسَافِرِ، قَالَ: أَيَجُوزُ أَنْ يُضْحَى بِالْحَوْلِ (٦)؟ قَالَ: هُوَ أَجْدَرُ
 بِالْقَبُولِ، قَالَ: فَهَلْ يُضْحَى بِالطَّلَقِ (٧)؟ قَالَ: نَعَمْ وَيُقْرَى (٨) مِنْهَا
 الطَّارِقُ، قَالَ: فَإِنْ ضَحَّى قَبْلَ ظُهُورِ الْغَزَالَةِ؟ قَالَ: شَاءَ لَحْمٍ (٩) بِلَا مَحَالَةٍ،
 قَالَ: أَيَحِلُّ التَّكْسَبُ بِالطَّرْقِ (١٠)؟ قَالَ: هُوَ كَالْقِمَارِ بِلَا فَرْقٍ، قَالَ: أَيُسَلَّمُ
 الْقَائِمُ عَلَى الْقَاعِدِ؟ قَالَ: مَحْظُورٌ فِيمَا بَيْنَ الْأَبَاعِدِ، قَالَ: أَيْنَامُ الْعَاقِلُ تَحْتَ
 الرَّقِيعِ؟ قَالَ: أَحَبُّ بِهِ فِي الْبَقِيعِ (١١)، قَالَ: أَيْمَنُ الدِّمِيِّ مِنْ قَتْلِ الْعَجُوزِ؟
 قَالَ: مُعَارَضَتُهُ فِي الْعَجُوزِ لَا تَجُوزُ، قَالَ: أَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَقِلَ الرَّجُلُ عَنْ

(١) مَا يُؤْخَذُ مِنَ النِّسَاءِ مِنَ السَّلَبِ كَالْحُلِيِّ وَالنِّيَابِ.

(٢) الشَّافِعُ: أَيِ ذُو الشَّفَاعَةِ. (٣) بنو الأصفر: الروم.

(٤) أُمُّهُ: وَالِدَتُهُ، وَلَا دَخَلَ لْجِرَاحِ أُمِّهِ. (٥) الْأَدَمِيُّ الْكَافِرُ، الْمُقَابِلُ لِلْمُؤْمِنِ.

(٦) جَمْعُ الْأَحْوَالِ، وَهُوَ الَّذِي يَمِيلُ سَوَادُ عَيْنِهِ عَنْ مَوْضِعِهِ.

(٧) الَّتِي طَلَّقَهَا زَوْجَهَا. (٨) مَا يَقْدَمُ لِلضَّيْفِ مِنَ الطَّعَامِ.

(٩) لَا تَقَعُ أَضْحِيَّةٌ بِلَاحْمٍ يُبَاعُ وَيُؤْكَلُ.

(١٠) طَرَقَ الصَّوْفَ؛ أَيِ: ضَرَبَهُ بِنَحْوِ قَضِيبٍ.

(١١) مَقْبَرَةُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.

عِمَارَةَ أَبِيهِ (١)؟ قَالَ: مَا جُوزَ لَخَامِلٍ وَلَا نَبِيٍّ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي الْيَهُودِ (٢)؟ قَالَ: هُوَ مِفْتَاحُ التَّزَهُدِ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي صَبْرِ الْبَلِيَّةِ (٣)؟ قَالَ: أَعْظَمُ بِهِ مِنْ خَطِيئَةٍ، قَالَ: أَيَحِلُّ ضَرْبُ السَّفِيرِ (٤)؟ قَالَ: نَعَمْ وَالْحَمْلُ عَلَى الْمُسْتَشِيرِ (٥)، قَالَ: أَيُعَزُّزُ الرَّجُلُ أَبَاهُ؟ قَالَ: يَفْعَلُهُ الْبَرُّ وَلَا يَأْبَاهُ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِيمَنْ أَفْقَرَ أَخَاهُ (٦)؟ قَالَ: حَبْدًا مَا تَوَخَّاهُ! قَالَ: فَإِنْ أَعْرَى وَلَدَهُ؟ قَالَ: يَا حُسْنَ مَا اعْتَمَدَهُ! قَالَ: فَإِنْ أَصْلَى مَمْلُوكَهُ النَّارَ (٧)؟ قَالَ: لَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَلَا عَارٌ، قَالَ: أَيَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصْرِمَ بَعْلَهَا (٨)؟ قَالَ: مَا حَظَرَ (٩) أَحَدٌ فَعْلَهَا، قَالَ: فَهَلْ تَوَدَّبُ الْمَرْأَةُ عَلَى الْخُجَلِ (١٠)؟ قَالَ: أَجَلٌ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِيمَنْ نَحَتَ أَثْلَةً أَخِيهِ؟ قَالَ: إِثْمٌ وَلَوْ أَدْنَى لَهُ فِيهِ، قَالَ: أَيُخْجَرُ الْحَاكِمُ عَلَى صَاحِبِ الثَّوْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ لِيَأْمَنَ غَائِلَةُ الْجَوْرِ (١١)، قَالَ: فَهَلْ لَهُ أَنْ يَضْرِبَ عَلَى يَدِ الْيَتِيمِ؟ قَالَ: نَعَمْ إِلَى أَنْ يَسْتَقِيمَ، قَالَ: فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَتَّخِذَ لَهُ رِبْضًا (١٢)؟ قَالَ: لَا وَلَوْ كَانَ لَهُ رِضْيٌ، قَالَ: فَمَتَى يَبِيعُ بَدَنَ السَّفِينَةِ (١٣)؟ قَالَ: حِينَ يَرَى لَهُ الْحَظَّ فِيهِ، قَالَ: فَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَبْتَاعَ لَهُ حَشَا؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُغَشًى، قَالَ:

(١) ما كان يعمره أبوه من دار وغيرها.

(٢) صبر الإنسان وعدم جزعه على ما يصيبه من البلاء.

(٣) الرسول المصلح بين القوم.

(٤) الذي يطلب إرشاد المشير له إلى أحسن الأحوال.

(٥) الفقار والفقرات: محرقة خرزات سلسلة الظهر.

(٦) البعل: هو الزوج وصرمها له كناية عن عدم موافقتها له.

(٧) الحظر: المنع.

(٨) الاستحياء.

(٩) غائلة الإنسان: شره وانحرافه عن الحق.

(١٠) ما كان خارجاً عن سور المدينة من الأبنية.

(١١) جسد السفينة.

(١٢) الدخول في ملّة اليهود.

أَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْحَاكِمُ ظَالِمًا ^(١)؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا كَانَ عَالِمًا، قَالَ: أَيْسْتَقْضَى مِنْ لَيْسَتْ لَهُ بِصِيرَةٌ ^(٢)؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا حَسُنَتْ مِنْهُ السَّيْرَةُ، قَالَ: فَإِنْ تَعَرَّى مِنَ الْعَقْلِ؟ قَالَ: ذَلِكَ عَنْوَانُ الْفَضْلِ، قَالَ: فَإِنْ كَانَ لَهُ زَهُوٌّ جَبَّارٍ؟ قَالَ: لَا إِنْكَارَ عَلَيْهِ وَلَا إِكْبَارَ، قَالَ: أَيْجُوزُ أَنْ يَكُونَ الشَّاهِدُ مُرِيبًا ^(٣)؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا كَانَ أَرِيبًا ^(٤)، قَالَ: فَإِنْ بَانَ أَنَّهُ لَا طَ؟ قَالَ: هُوَ كَمَا لَوْ خَاطَ، قَالَ: فَإِنْ عَثَرَ عَلَى أَنَّهُ غَرِبَلٌ؟ قَالَ: تُرَدُّ شَهَادَتُهُ وَلَا تُقْبَلُ، قَالَ: فَإِنْ وَضَحَ ^(٥) أَنَّهُ مَائِنٌ؟ قَالَ: هُوَ لَهُ وَصْفُ زَائِنٍ، قَالَ: مَا يَجِبُ عَلَى عَابِدِ الْحَقِّ؟ قَالَ: يُحْلَفُ بِإِلَهِ الْخَلْقِ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي مَنْ فَقَأَ عَيْنَ بُلْبُلٍ ^(٦) عَامِدًا؟ قَالَ: تُفَقِّأُ عَيْنُهُ قَوْلًا وَاحِدًا، قَالَ: فَإِنْ جَرَحَ قِطَاعَ امْرَأَةٍ ^(٧) فَمَاتَتْ؟ قَالَ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ إِذَا فَاتَتْ، قَالَ: فَإِنْ أَلْقَتِ الْحَامِلُ حَشِيشًا ^(٨) مِنْ ضَرْبِهِ؟ قَالَ: لِيُكْفَرَ بِالْإِعْتَاقِ عَنْ ذَنْبِهِ، قَالَ: مَا يَجِبُ عَلَى الْمُخْتَفِي ^(٩) فِي الشَّرْعِ؟ قَالَ: الْقَطْعُ لِإِقَامَةِ الرَّدْعِ، قَالَ: فَمَا يُصْنَعُ بِمَنْ سَرَقَ أَسَاوِدَ الدَّارِ؟ قَالَ: يُقَطَّعُ إِنْ سَاوَيْنَ رُبْعَ دِينَارٍ، قَالَ: فَإِنْ سَرَقَ ثَمِينًا مَنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لَا قَطْعَ كَمَا لَوْ غَضَبَ، قَالَ: فَإِنْ بَانَ عَلَى الْمَرْأَةِ السَّرَقُ؟ قَالَ: لَا حَرَجَ عَلَيْهَا وَلَا فَرْقَ، قَالَ: أَيْنَعَقْدُ نِكَاحٌ لَمْ يَشْهَدَهُ الْقَوَارِي ^(١٠)؟ قَالَ: لَا وَالْخَالِقِ الْبَارِي، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي عَرُوسٍ بَاتَتْ بِلَيْلَةٍ حُرَّةٍ، ثُمَّ رُدَّتْ فِي حَافِرَتِهَا

(١) الظالم ضد العادل، والحاكم لا يجوز له الظلم.

(٢) لا يتبصر في أمور مصالح الخصوم. (٣) العيب والشك.

(٤) عاقلًا. (٥) تبين وظهر.

(٦) النوع المعروف من العصافير. (٧) القطة: واحدة القطا، وهي: الطير المعروف.

(٨) ما ينبت من الكلاء. (٩) المستكن في محل لا يخرج منه.

(١٠) جمع قارية، وهو نوع من الطير يتيمن به الأعراب.

بِسُحْرَةٍ^(١)؟ قَالَ: يَجِبُ لَهَا نِصْفُ الصَّدَاقِ، وَلَا تَلْزِمُهَا عِدَّةُ الطَّلَاقِ، فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ بَحْرِ لَا يُغَضِّضُهُ الْمَاتِحُ^(٢)، وَحَبِيرٌ لَا يَبْلُغُ مَدْحَهُ الْمَادِحُ! ثُمَّ أَطْرَقَ^(٣) إِطْرَاقَ الْحَيِّ^(٤)، وَأَرَمَ^(٥) إِرْمَامَ الْعِيِّ^(٦)، فَقَالَ لَهُ أَبُو زَيْدٍ: إِيْهِ يَا فَتَى! فَإِلَى مَتَى وَإِلَى مَتَى؟ فَقَالَ لَهُ: لَمْ يَبْقَ فِي كِنَانَتِي مِرْمَاةٌ، وَلَا بَعْدَ إِشْرَاقِ صُبْحِكَ مُمَارَاةٌ^(٧)، فَبِاللَّهِ أَيُّ ابْنِ أَرْضٍ أَنْتَ، فَمَا أَحْسَنَ مَا أَبْنَتَ، فَأَنْشَدَ بِلِسَانِ ذَلِكَ^(٨)، وَصَوْتَ صَهْصَلَقٍ^(٩):

أَنَا فِي الْعَالَمِ مُثَلَّةٌ وَلَأَهْلُ الْعِلْمِ قَبْلَهُ^(١٠)
 غَيْرَ أَنِّي كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ تَغْرِيسٍ^(١١) وَرَحْلَةٍ
 وَالْغَرِيبُ الدَّارَ لَوْ حَا لَ بِطُوبَى لَمْ تَطِبْ لَهُ

ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ كَمَا جَعَلْتَنَا مِمَّنْ هُدِيَ وَيَهْدِي، فَاجْعَلْهُمْ مِمَّنْ يَهْتَدِي^(١٢) وَيُهْدِي^(١٣)، فَسَاقَ إِلَيْهِ الْقَوْمُ ذَوْدًا مَعَ قَيْنَةٍ^(١٤)، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَزُورَهُمُ الْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ^(١٥)، فَتَهَضَّ يَمْنِيهِمُ الْعُودَ^(١٦)، وَيزَجِّي^(١٧) الْأَمَّةَ وَالذَّوْدَ.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَأَعْتَرَضْتُهُ^(١٨) وَقُلْتُ لَهُ: عَهْدِي بِكَ سَفِيهَاً،

-
- | | |
|------------------------|--|
| (١) هي آخر الليل. | (٢) الذي يسقي فوق البئر. |
| (٣) سكت. | (٤) المستحي. |
| (٥) صمت وسكت. | (٦) كسكوت المتَّصف بعدم القدرة على التَّكَلُّمِ. |
| (٧) مجادلة. | (٨) حادّ فصيح. |
| (٩) شديد. | (١٠) يتوجهون إليّ. |
| (١١) النزول آخر الليل. | (١٢) يستدلّ. |
| (١٣) يعطي الهدية. | (١٤) جارية تعمل جيداً، وقيل: هي الجميلة المغنية. |
| (١٥) الحين بعد الحين. | (١٦) الرجوع إليهم. |
| (١٧) يسوق. | (١٨) وقفت له في الطريق وحالت بينه وبين السير. |

فمَتَى صرْتَ فَقِيها؟ فَظَلَّ هُنِيهَةً (١) يَجُولُ، ثُمَّ أَشَدَّ يَقُولُ:

لَبَسْتُ لِكُلِّ زَمَانٍ لَبُوسًا
وَعَاشَرْتُ كُلَّ جَلِيسٍ بِمَا
فَعِنْدَ الرُّوَاةِ أَدِيرُ الْكَلَامَ
وَطَوْرًا بَوَعْظِي أُسِيلُ الدُّمُوعَ
وَأُقْرِئُ الْمَسَامِعَ إِمَّا نَطَقْتُ
وَأِنْ شِئْتُ أَرَعَفَ (٥) كَفِّي الْيَرَاعَ (٦)
وَكَمْ مُشْكَلَاتٍ حَكِينَ السُّهَى
وَكَمْ مُلَحٍّ لِي خَلْبِنَ الْعُقُولَ (٩)
وَعَذْرَاءُ فَهَتْ بِهَا فَاثْنَى
عَلَى أَنَّي مِنْ زَمَانٍ خُصِصْتُ
يَسَعَّرُ (١٠) لِي كُلَّ يَوْمٍ وَغَى
وَيَطْرُقُنِي بِالْخَطُوبِ (١١) الَّتِي
وَيُدْنِي إِلَيَّ الْبَعِيدَ الْبَغِيضَ
وَلَوْ لَا خَسَاسَةُ أَخْلَاقِهِ (١٢)

فَقُلْتُ لَهُ: خَفِّضِ الْأَحْزَانَ، وَلَا تَلَمْ الزَّمَانَ، وَاشْكُرْ لِمَنْ نَقَلَكَ عَنْ

(١) برهة أو ساعة وقطعة من الزمان.

(٢) تصريفية.

(٣) يوافقه.

(٤) فصاحة كالسحر.

(٥) أسأل.

(٦) القلم.

(٧) يزين الكتب.

(٨) بياني وإيضاحي.

(٩) خدعنها.

(١٠) يشعل ويلهب.

(١١) المصائب.

(١٢) أخلاق الزمان.

مَذْهَبَ إِبْلِيسَ، إِلَى مَذْهَبِ ابْنِ إِدْرِيسَ، فَقَالَ: دَعِ الْهَيْتَارَ (١)، وَلَا تَهْتِكِ
 الْأُسْتَارَ! وَأَنْهَضُ بَنًا لِنَضْرِبَ إِلَى مَسْجِدِ يَثْرِبَ، فَعَسَى أَنْ نَرْحُضَ (٢)
 بِالْمَزَارِ (٣) دَرْنَ الْأَوْزَارِ، فَقُلْتُ: هَيْهَاتَ أَنْ أَسِيرَ، أَوْ أَفْقَهَ (٤) التَّفْسِيرَ!
 فَقَالَ: تَاللَّهِ لَقَدْ أُوجِبْتَ ذِمًّا (٥)، وَطَلَبْتَ إِذْ طَلَبْتَ أَمَمًا (٦)، فَهَكَذَا مَا
 يَشْفِي النَّفْسَ، وَيَنْفِي اللَّبْسَ (٧)، قَالَ: فَلَمَّا أَوْضَحَ لِي الْمُعَمَّى (٨)،
 وَكَشَفَ عَنِّي الْغُمَى، شَدَدْنَا الْأَكْوَارَ (٩)، وَسَرْتُ وَسَارَ، وَلَمْ أَزَلْ مِنْ
 مُسَامَرَتِهِ، مُدَّةَ مُسَايَرَتِهِ، فِي مَا أَنْسَانِي طَعْمَ الْمَشَقَّةِ، وَوَدِدْتُ مَعَهُ بَعْدَ
 الشُّقَّةِ (١٠)، حَتَّى إِذَا دَخَلْنَا مَدِينَةَ الرَّسُولِ، وَفَزْنَا مِنَ الزِّيَارَةِ بِالرَّسُولِ (١١)،
 أَشْنَامَ وَأَعْرَفْتُ (١٢)، وَغَرَبَ (١٣) وَشَرَقْتُ (١٤).



- | | |
|--|---|
| (١) الْفُحْشُ أَوْ الدَّاهِيَةُ. | (٢) نَغْسِلُ وَنَطْهَرُ. |
| (٣) الزِّيَارَةُ. | (٤) حَتَّى أَعْلَمَ وَأَفْهَمَ. |
| (٥) جَمْعُ ذِمَّةٍ، وَهِيَ: الْعَهْدُ. | (٦) شَيْئًا هَيِّئًا قَرِيبًا. |
| (٧) التَّخْلِيْطُ. | (٨) هُوَ الْكَلَامُ الْمَلْغُزُ بِهِ. |
| (٩) الرُّحَالُ. | (١٠) طَوْلُ مَسَافَةِ السَّفَرِ. |
| (١١) يَبْلُوْغُ الْأَمَلَ. | (١٢) قَصَدْتُ. |
| (١٣) تَوَجَّهَ إِلَى الْمَغْرَبِ. | (١٤) وَسَرْتُ إِلَى جِهَةِ الْمَشْرِقِ. |

المَقَامَةُ الثَّالِثَةُ وَالثَّلَاثُونَ التَّضْلِيسِيَّةُ

حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: عَاهَدْتُ اللَّهَ تَعَالَى مُذْ يَفَعْتُ، أَنْ لَا أُؤْخِرَ الصَّلَاةَ مَا اسْتَطَعْتُ، فَكُنْتُ مَعَ جَوْبِ الْفَلَوَاتِ ^(١)، وَلَهُوَ الْخَلَوَاتِ ^(٢) أُرَاعِي أَوْقَاتَ الصَّلَاةِ، وَأُحَازِرُ مِنْ مَأْتَمِ الْفَوَاتِ ^(٣)، وَإِذَا رَافَقْتُ فِي رَحْلَةٍ، أَوْ حَلَلْتُ بِحِلَّةٍ ^(٤)، مَرَحَبْتُ بِصَوْتِ الدَّاعِي إِلَيْهَا، وَأَقْتَدَيْتُ بِمَنْ يُحَافِظُ عَلَيْهَا، فَاتَّفَقَ حِينَ دَخَلْتُ تَقْلِيسَ، أَنْ صَلَّيْتُ مَعَ زُمْرَةِ مَفَالِيسَ ^(٥)، فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ، وَأَزْمَعْنَا الْإِنْفِلَاتَ، بَرَزَ شَيْخٌ بَادِي ^(٦) اللَّفْقَةِ، بِأَلِي الْكُسُوفَةِ وَالْقُوَّةِ، فَقَالَ: عَزَمْتُ عَلَى مَنْ خَلِقَ مِنْ طِينَةِ الْحُرِّيَّةِ، وَتَفُوقَ دَرِّ الْعَصَبِيَّةِ ^(٧)، إِلَّا مَا تَكَلَّفَ لِي لُبَّةٌ ^(٨)، وَاسْتَمَعَ مِنِّي نَفْثَةً، ثُمَّ لَهُ الْخِيَارُ مِنْ بَعْدُ، وَبِيَدِهِ الْبَذْلُ وَالرَّدُّ ^(٩)، فَعَقَدَ لَهُ الْقَوْمُ الْحَبِي، وَرَسَوْا ^(١٠) أَمْثَالَ الرَّبِيِّ، فَلَمَّا آنَسَ ^(١١) حُسْنَ إِنْصَاتِهِمْ، وَرَزَانَةَ حَصَاتِهِمْ، قَالَ: يَا أُولِي الْأَبْصَارِ الرَّامِقَةِ ^(١٢)، وَالْبَصَائِرِ الرَّائِقَةِ ^(١٣)، أَمَّا يُغْنِي عَنِ الْخَبَرِ الْعِيَانُ، وَيُنْبِئُ عَنِ النَّارِ الدُّخَانُ؟ شَيْبٌ لَائِحٌ ^(١٤)، وَوَهْنٌ

(٢) لعب أوقات الفراغ.

(١) قطع القفار.

(٤) نزلت بقوم أو ببلدة.

(٣) إثم فوات وقت الصلاة.

(٦) ظاهر.

(٥) فقراء.

(٩) المنع والحرمان.

(٨) وقفة.

(٧) أن يدعو إلى نصره عصبته.

(١٢) الناضرة.

(١١) أحسَّ وعلم ورأى.

(١٠) ثبتوا وسكنوا.

(١٤) أي: ظاهر.

(١٣) الصافية المعجبة.

فَادِحٌ، وَدَاءٌ وَأَصِيحٌ، وَالْبَاطِنُ فَاضِحٌ، وَلَقَدْ كُنْتُ وَاللَّهِ مِمَّنْ مَلَكَ وَمَالَ،
وَوَكِيَّ وَآلَ، وَرَفَدَ وَأَنَالَ، وَوَصَلَ وَصَالَ، فَلَمْ تَزَلِ الْجَوَائِحُ تُسَحَّتُ،
وَالنَّوَائِبُ (١) تُنَحَّتُ، حَتَّى الْوَكْرُ (٢) قَفَرُ، وَالْكَفُّ صَفَرُ (٣)، وَالشَّعَارُ
ضُرٌّ، وَالْعَيْشُ مُرٌّ، وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ (٤) مِنَ الطَّوَى، وَيَتَمَنُّونَ مُصَاصَةَ
النَّوَى، وَلَمْ أَقُمْ هَذَا الْمَقَامَ الشَّائِنَ، وَأَكْشِفُ لَكُمْ الدَّفَائِنَ (٥)، إِلَّا بَعْدَمَا
شَقِيتُ وَلَقِيتُ، وَشَبِتُ مِمَّا لَقِيتُ، فَلَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ بِقِيَّتُ، ثُمَّ تَأَوَّهَ تَأَوَّهَ
الْأَسِيفِ، وَأَنْشَدَ بِصَوْتٍ ضَعِيفٍ:

أَشْكُو إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَهُ
وَحَادِثَاتٍ قَرَعَتْ مَرُوتِي
وَاهْتَصَرَتْ عُودِي (٧) وَيَا وَيْلَ مَنْ
وَأَمَحَلَّتْ رَبْعِي حَتَّى جَلَّتْ
وَعَادَرْتَنِي (٩) حَائِرًا بَائِرًا
مَنْ بَعْدَ مَا كُنْتُ أَخَا ثَرَوَةٍ
يَخْتَبِطُ الْعَافُونَ أَوْرَاقَهُ
فَأَصْبَحَ الْيَوْمَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ
وَأَزُورَ (١٢) مَنْ كَانَ لَهُ زَائِرًا
فَهَلْ فَتَى يَحْزَنُهُ مَا يَرَى

تَقَلَّبَ الدَّهْرُ وَعُدُونَاهُ (٦)
وَقَوَّضَتْ مَجْدِي وَبُنْيَانَهُ
تَهْتَصِرُ الْأَحْدَاثُ (٨) أَغْصَانَهُ
مَنْ رَبْعِي الْمُمَحَّلِ جِرْدَانَهُ
أُكَابِدُ الْفَقْرِ وَأَشْجَانَهُ
يَسْحَبُ فِي النِّعْمَةِ أُرْدَانَهُ
وَيَحْمَدُ السَّارُونَ (١٠) نِيرَانَهُ
أَعَانَهُ الدَّهْرُ الَّذِي عَانَهُ (١١)
وَعَافَ عَافِي الْعُرْفِ عُرْفَانَهُ
مَنْ ضُرَّ شَيْخُ دَهْرِهِ خَانَهُ

(١) الدَّوَاهِي.

(٣) فارغ من الدراهم وغيرها.

(٥) الأمور المستورة.

(٧) أملت ظهري.

(٩) تركتني.

(١١) الذي أصابه بالعين.

(٢) البيت.

(٤) يكون بصياح.

(٦) ظلمه.

(٨) الخطوب والمصائب.

(١٠) المسافرين ليلاً.

(١٢) مال وأعرض وامتنع من مواجهته.

فَيَفْرِجَ الِّهِمَّ الَّذِي هَمَّهُ وَيُصْلِحَ الشَّانَ الَّذِي شَانُهُ ^(١)
 قَالَ الرَّأْيِي: فَصَبَتِ الْجُمَاعَةُ إِلَى أَنْ تَسْتَبِيثَهُ ^(٢)، لَتَسْتَنْجِشَ خُبَاتَهُ،
 وَتَسْتَنْفِضَ حَقِيقَتَهُ، فَقَالَتْ لَهُ: قَدْ عَرَفْنَا قَدْرَ رُبَّتِكَ، وَرَأَيْنَا دَرَّ مُرْنَتِكَ،
 فَعَرَفْنَا دَوْحَةَ شُعْبَتِكَ ^(٣)، وَاحْشِرِ اللَّثَامَ ^(٤) عَنْ نَسْبَتِكَ، فَأَعْرَضَ إِعْرَاضَ
 مَنْ مُنِيَ بِالْإِعْنَاتِ ^(٥)، أَوْ بُشِّرَ بِالْبَنَاتِ، وَجَعَلَ يَلْعَنُ الضَّرُورَاتِ،
 وَيَتَأَفَّفُ ^(٦) مِنْ تَغْيِضِ الْمُرُوءَاتِ، ثُمَّ أَنْشَدَ بَلَفْظَ صَادِعٍ ^(٧)، وَجَرَسٍ خَادِعٍ:
 لَعَمْرُكَ مَا كُلُّ فَرْعٍ يَدُلُّ جَنَاهُ ^(٨) اللَّذِيذُ عَلَى أَصْلِهِ
 فَكُلُّ مَا حَلَا حِينَ تُؤْتَى بِهِ وَلَا تَسْأَلُ الشَّهْدَ ^(٩) عَنْ نَحْلِهِ
 وَمَيِّزْ إِذَا مَا اعْتَصَرْتَ الْكُرُومَ سُلَافَةَ عَصْرِكَ مَنْ خَلَّهُ ^(١٠)
 لَتُغْلِي وَتُرْخِصَ عَنْ خَبْرَةٍ وَتَشْرِي كَلًّا شَرَى مَثْلِهِ
 فَعَارٌ عَلَى الْفَطَنِ اللَّوْدَعِي دُخُولُ الْغَمِيزَةِ فِي عَقْلِهِ
 قَالَ: فَازْدَهَى الْقَوْمُ بِذِكَايِهِ وَدَهَائِهِ، وَاخْتَلَبَهُمْ بِحُسْنِ أَدَائِهِ مَعَ دَائِهِ،
 حَتَّى جَمَعُوا لَهُ خُبَايَا الْخُبْنِ، وَخَفَايَا الثُّبْنِ، وَقَالُوا لَهُ: يَا هَذَا إِنَّكَ
 حُمْتَ ^(١١) عَلَى رَكِيَّةٍ ^(١٢) بِكِيَّةٍ ^(١٣)، وَتَعَرَّضْتَ لِحَلِيَّةٍ خَلِيَّةٍ، فَخُذْ هَذِهِ
 الصُّبَابَةَ ^(١٤)، وَهَبْهَا لَا خَطَأَ وَلَا إِصَابَةَ، فَنَزَلَ قَلْبُهُمْ مَنَزَلَةَ الْكَثْرِ، وَوَصَلَ

(١) عابه. (٢) تعرّفه حتى وقف على حقيقته.

(٣) أراد أصله ونسبه، والدوحة في الأصل: الشجرة العظيمة.

(٤) اكشفه وازله؛ أي: بين وأظهر لنا.

(٥) بتكلف المشقة.

(٦) أي: يقول أف أف.

(٧) ظاهر مكشوف.

(٨) ثمره.

(٩) من فاسله.

(١٠) هي البثر.

(١١) قليلة الماء.

(١٢) الشيء اليسير. وأصلها: بقية الماء في الإناء.

قَبُولُهُ بِالشُّكْرِ، ثُمَّ تَوَلَّى يَجْرُ شِقَّةً، وَيَنْهَبُ بِالْخَبْطِ طُرْقَهُ (١)، قَالَ الْمُخْبِرُ
 بِهَذِهِ الْحِكَايَةِ، فَصَوَّرَ لِي أَنَّهُ مُحِيلٌ (٢) لِحَلَّتِيهِ، مُتَصَنِّعٌ فِي مَشِيَّتِهِ، فَتَهَضَّتْ
 أَنْهَجُ مِنْهَا جَهً، وَأَقْفُو أَدْرَاجَهُ (٣)، وَهُوَ يَلْحَظُنِي شَزْرًا، وَيُوسِعُنِي هَجْرًا،
 حَتَّى إِذَا خَلَا الطَّرِيقُ، وَأَمَكْنَ التَّحْقِيقُ، نَظَرَ إِلَيَّ نَظَرَ مَنْ هَشَّ وَبَشَّ،
 وَمَا حَضَ (٤) بَعْدَمَا غَشَّ، وَقَالَ: إِنِّي لِإِخَالُكَ أَخَا غُرْبَةٍ، وَرَائِدَ صُحْبَةٍ،
 فَهَلْ لَكَ فِي رَفِيقِي يَرْفُقُ بِكَ وَيُرْفُقُ (٥)، وَيَنْفُقُ عَلَيْكَ وَيُنْفُقُ (٦)؟ فَقُلْتُ لَهُ:
 لَوْ أَنَّنِي هَذَا الرَّفِيقُ، لَوَاتَانِي التَّوْفِيقُ، فَقَالَ لِي: قَدْ وَجَدْتَ فَاغْتَبِطُ (٧)،
 وَاسْتَكْرَمْتَ فَارْتَبِطُ، ثُمَّ ضَحِكَ مَلِيًّا (٨)، وَتَمَثَّلَ لِي بَشْرًا سَوِيًّا، فَإِذَا هُوَ
 شَيْخُنَا السَّرُوجِيُّ لَا قَلْبَةَ بِجِسْمِهِ، وَلَا شُبْهَةَ فِي وَسْمِهِ، فَفَرِحْتُ بِلُقْيَتِهِ،
 وَكَذَبَ لِقَوْتَهُ (٩)، وَهَمَمْتُ بِمَلَامَتِهِ، عَلَى سُوءِ مَقَامَتِهِ، فَشَحَا (١٠) فَاهُ،
 وَأَنْشَدَ قَبْلَ أَنْ أَلْحَاهُ:

ظَهَرْتُ بَرْتُ لَكَيْمًا يُقَالَ فَفَقِيرٌ يُزَجِّي (١١) الزَّمَانَ الْمَزَجِيَّ
 وَأَظْهَرْتُ لِلنَّاسِ أَنَّ قَدْ فُلَجْتُ (١٢) فَكَمْ نَالَ قَلْبِي بِهِ مَا تَرَجَّى
 وَلَوْ لَا الرِّثَائَةُ لَمْ يُرْثَ لِي وَلَوْ لَا التَّفَالُجُ لَمْ أَلْقَ فُلَجَا
 ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ لِي بِهَذِهِ الْأَرْضِ مَرْتَعٌ (١٣)، وَلَا فِي أَهْلِهَا مَطْمَعٌ،

(١) يقطع الأرض ويطويها بالخط، وهو: السير على غير معرفة.

(٢) مغير. (٣) آثاره.

(٤) أخلص وده. (٥) بضم أوله؛ أي: يعين.

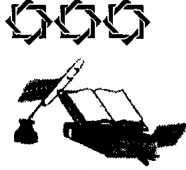
(٦) يعطيك النفقة. (٧) فافرح بما وجدت.

(٨) طويلاً. (٩) فالجه.

(١٠) ففتح فمه. (١١) يسوق.

(١٢) أصابني الفالج. (١٣) مأكلاً، وأصله محل رعي الدواب.

فَإِنْ كُنْتَ الرَّفِيقَ، فَالطَّرِيقَ الطَّرِيقَ، فَسِرْنَا مِنْهَا مَتَجَرِّدِينَ (١)، وَرَافَقْتُهُ
 عَامِينَ أَجْرَدِينَ (٢)، وَكُنْتُ عَلَى أَنْ أَصْحَبَهُ مَا عِشْتُ، فَأَبَى الدَّهْرُ
 الْمُسْتُ (٣).



(١) منفردين عن الناس.

(٢) تامين.

(٣) الزمان المفرق.

المقامة الرابعة والثلاثون الزبيدية

أَخْبَرَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: لَمَّا جُبْتُ (١) الْبَيْدَ إِلَى زَبِيدَ صَحَبَنِي غُلَامٌ
قَدْ كُنْتُ رِيَّتُهُ إِلَى أَنْ بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَثَقَّفْتُهُ (٢) حَتَّى أَكْمَلَ رُشْدَهُ، وَكَانَ قَدْ
أَنْسَ بِأَخْلَاقِي، وَخَبَرَ مَجَالِبَ وَفَاقِي، فَلَمْ يَكُنْ يَتَخَطَّى مَرَامِي (٣)، وَلَا
يُخْطِئُ فِي الْمَرَامِي، لَا جَرَمَ (٤) أَنْ قُرْبَهُ التَّاطُتُ (٥) بِصَفَرِي (٦)،
وَأَخْلَصْتُهُ لِحَضْرِي وَسَفَرِي، فَالَوَى (٧) بِهِ الدَّهْرُ الْمِيْدُ، حِينَ ضَمَمْتَنَّا زَبِيدُ،
فَلَمَّا شَالَتْ نَعَامَتُهُ (٨)، وَسَكَنْتْ نَامَتُهُ، بَقِيَتْ عَامًا، لَا أُسَيِّغُ طَعَامًا،
وَلَا أُرِيغُ (٩) غُلَامًا، حَتَّى أَلْجَأَنِي شَوَائِبُ الْوَحْدَةِ، وَمَتَاعِبُ الْقَوْمَةِ
وَالْقَعْدَةِ (١٠)، إِلَى أَنْ أَعْتَاضَ (١١) عَنِ الدَّرِّ الْخَرَزَ، وَأَرْتَادَ (١٢) مَنْ هُوَ
سِدَادٌ مِنْ عَوْزٍ، فَقَصَدْتُ مِنْ يَبِيعُ الْعَبِيدَ بِسُوقِ زَبِيدَ، فَقُلْتُ: أَرِيدُ غُلَامًا
يُعْجِبُ إِذَا قُلِّبَ، وَيُحْمَدُ إِذَا جَرَّبَ، وَلَيْكُنْ مِمَّنْ خَرَجَهُ الْاِكْيَاسُ (١٣)،

- | | |
|---------------------------------------|----------------------|
| (١) قطعت. | (٢) قومه وأدبته. |
| (٣) مقاصدي. | (٤) حقًا ولا محالة. |
| (٥) التصقت. | (٦) بقلبي. |
| (٧) أملكه. | (٨) أي: مات. |
| (٩) أطلب وأريد. | (١٠) القيام والقعود. |
| (١١) أستبدل. | (١٢) أطلب. |
| (١٣) العقلاء ذوو الكياسة، وهي: العقل. | |

وَأَخْرَجَهُ إِلَى السُّوقِ الْإِفْلَاسُ، فَاهْتَزَّ كُلُّ مِنْهُمْ لِمَطْلَبِي وَوُثْبَ، وَبَذَلَ
تَحْصِيلَهُ عَنْ كَثَبٍ ^(١)، ثُمَّ دَارَتْ الْأَهْلَةُ دَوْرَهَا، وَتَقَلَّبَتْ كَوْرَهَا
وَحَوْرَهَا ^(٢)، وَمَا نَجَزَ مِنْ وَعُودِهِمْ وَعَدٍّ، وَلَا سَحَّ لَهَا رَعْدٌ، فَلَمَّا رَأَيْتُ
النَّحَّاسِينَ ^(٣) نَاسِينَ أَوْ مُتَنَاسِينَ، عَلِمْتُ أَنَّ لَيْسَ كُلُّ مَنْ خُلِقَ يَفْرِي، وَأَنَّ
لَنْ يَحُكَّ جِلْدِي مِثْلُ ظُفْرِي، فَرَفَضْتُ مَذْهَبَ التَّفْوِيضِ، وَبَرَزْتُ إِلَى
السُّوقِ بِالصُّفْرِ وَالْبَيْضِ ^(٤)، فَإِنِّي لَأَسْتَعْرِضُ الْغُلَمَانَ، وَأَسْتَعْرِفُ الْأَثْمَانَ،
إِذْ عَارِضَنِي رَجُلٌ قَدْ اخْتَطَمَ بِلِثَامٍ، وَقَبِضَ عَلَى زَنْدٍ ^(٥) غُلَامٍ، وَقَالَ:

مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي غُلَامًا صَنَعًا مِنْ يَشْتَرِي مِنِّي غُلَامًا صَنَعًا
بِكُلِّ مَا نَطُتْ بِهِ مُضْطَلَعًا بِكُلِّ مَا نَطُتْ بِهِ مُضْطَلَعًا
وَإِنْ تُصَبِّكَ عَثْرَةٌ يَقُلْ لَعَا وَإِنْ تُصَبِّكَ عَثْرَةٌ يَقُلْ لَعَا
وَإِنْ تُصَاحِبَهُ وَلَوْ يَوْمًا رَعَى وَإِنْ تُصَاحِبَهُ وَلَوْ يَوْمًا رَعَى
وَهُوَ عَلَى الْكَيْسِ ^(٦) الَّذِي قَدْ جَمَعَا وَهُوَ عَلَى الْكَيْسِ ^(٦) الَّذِي قَدْ جَمَعَا
وَلَا أَجَابَ مَطْمَعًا حِينَ دَعَا وَلَا أَجَابَ مَطْمَعًا حِينَ دَعَا
وَطَالَمَا أَبْدَعَ فِي مَا صَنَعَا وَطَالَمَا أَبْدَعَ فِي مَا صَنَعَا
وَاللَّهِ لَوْ لَا ضَنْكُ عَيْشٍ صَدَعَا ^(١٠) وَاللَّهِ لَوْ لَا ضَنْكُ عَيْشٍ صَدَعَا

مَا بَعْتُهُ بِمُلْكٍ كَسَرَى أَجْمَعَا

(١) تمامها ونقصانها.
(٢) الدنانير والدراهم.
(٣) فاق غيره.
(٤) استحل.
(٥) شق القلب وكسره.

(١) عن قرب.
(٢) الدلائل في الرقيق.
(٣) هو السَّاعِدُ مِنَ الْيَدِ.
(٤) الحَذَقُ وَالْعَقْلُ.
(٥) أَوْثَمَنَ عَلَيْهِ وَاسْتَحْفَظَهُ.

قَالَ: فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ خَلْقَهُ الْقَوِيمَ ^(١)، وَحُسْنَهُ الصَّمِيمَ ^(٢)، خِلْتُهُ مِنْ وَلَدَانِ جَنَّةِ النَّعِيمِ، وَقُلْتُ: مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ! ثُمَّ اسْتَطَقَّتْهُ عَنْ اسْمِهِ، لَا لِرَغْبَةٍ فِي عِلْمِهِ، بَلْ لِأَنْظَرُ أَيْنَ فَصَاحَتُهُ مِنْ صَبَاحَتِهِ ^(٣)، وَكَيْفَ لَهْجَتُهُ مِنْ بَهْجَتِهِ، فَلَمْ يَنْطِقْ بِحُلُوةٍ وَلَا مُرَّةٍ ^(٤)، وَلَا فَاهُ فَوْهَةً ابْنِ أُمَةٍ وَلَا حُرَّةٍ، فَضَرَبْتُ عَنْهُ صَفْحًا، وَقُلْتُ لَهُ: قُبْحًا لِعَيْكَ وَشَقْحًا! فَغَارَ فِي الضَّحْكَ وَأُنْجَدَ، ثُمَّ أَنْغَضَ رَأْسَهُ ^(٥) إِلَيَّ وَأَنْشَدَ:

يَا مَنْ تَلَهَّبَ غَيْظُهُ إِذْ لَمْ أُبْحِ بِاسْمِي لَهُ مَا هَكَذَا مَنْ يُنْصَفُ
إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا كَشْفُهُ فَأَصِخْ ^(٦) لَهُ أَنَا يُوسُفُ أَنَا يُوسُفُ
وَلَقَدْ كَشَفْتُ لَكَ الْغِطَاءَ فَإِنْ تَكُنْ فَطِنًا عَرَفْتَ وَمَا إِخَالُكَ تَعْرِفُ

قَالَ: فَسَرَى عَتَبِي بِشِعْرِهِ، وَاسْتَبَى لُبِّي ^(٧) بِسِحْرِهِ، حَتَّى شُدَّهْتُ عَنْ التَّحْقِيقِ، وَأُنْسِيتُ قِصَّةَ يُوسُفَ الصَّدِيقِ، وَلَمْ يَكُنْ لِي هَمٌّ إِلَّا مُسَاوَمَةُ مَوْلَاهُ فِيهِ، وَاسْتَطْلَاعُ طَلْعِ الثَّمَنِ ^(٨) لِأَوْفِيهِ، وَكُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُ سَيَنْظُرُ شَرْرًا إِلَيَّ، وَيُغْلِي السِّيمَةَ ^(٩) عَلَيَّ، فَمَا حَلَّقَ إِلَيَّ حَيْثُ حَلَّقْتُ، وَلَا اعْتَلَقَ بِمَا بِهِ اعْتَلَقْتُ بَلْ قَالَ: إِنَّ الْغُلَامَ إِذَا نَزَرَ ^(١٠) ثَمْنُهُ، وَخَفَّتْ مُؤْنُهُ ^(١١)، تَبَرَّكَ بِهِ مَوْلَاهُ، وَالتَّحَفَ ^(١٢) عَلَيْهِ هَوَاهُ، وَإِنِّي

(١) المستقيم الحسن.

(٢) الخالص.

(٣) حسن وجهه.

(٤) بكلمة حسنة ولا قبيحة.

(٥) حركه متعجباً على سبيل الاستهزاء، ومنه قوله تعالى: ﴿فَسَيَنْغُضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥١].

(٦) استمع.

(٧) ملك قلبي وأسره.

(٨) قدره.

(٩) القيمة.

(١٠) قل.

(١١) كلفه.

(١٢) اشتمل.

لَأَوْثَرُ^(١) تَحْيِيبَ هَذَا الْغُلَامِ إِلَيْكَ، بَأْنَ أُخَفِّفَ ثَمَنُهُ عَلَيْكَ، فَرِنْ مَائَتِي^(٢) دَرَاهِمَ إِنْ شِيتَ، وَاشْكُرْ لِي مَا حَيَّتَ! فَفَقَدْتُهُ الْمُبْلَغَ فِي الْحَالِ، كَمَا يُنْقَدُ فِي الرِّخِيصِ الْحَلَالُ، وَلَمْ يَخْطُرْ لِي بِيَالٍ، أَنَّ كُلَّ مُرْخَصٍ غَالٍ، فَلَمَّا تَحَقَّقَتْ الصَّفَقَةُ، وَحَقَّتِ الْفُرْقَةُ، هَمَلْتُ عَيْنَا الْغُلَامِ، وَلَا هُمُولَ دَمَعَ الْغَمَامِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى صَاحِبِهِ وَقَالَ:

لَحَاكَ اللَّهُ هَلْ مِثْلِي يُبَاعُ
وَهَلْ فِي شِرْعَةِ الْإِنْصَافِ أَنِّي
وَأَنْ أُبْلَى بِرُفُوعِ بَعْدَ رُفُوعٍ
أَمَّا جَرَّبَتْنِي فَخَبَرْتُ مَنِّي
وَكَمْ أَرَصَدْتَنِي^(٥) شَرَكًا لَصِيدٍ
وَنُطْتُ^(٧) بِي الْمَصَاعِبِ فَاسْتَقَادْتُ
وَأَيُّ كَرِبَهَةٍ^(٨) لَمْ أُبْلِ فِيهَا
وَمَا أَبَدْتُ لِي الْإِيَّامُ جُرْمًا
وَلَمْ تَعْثُرْ بِحَمْدِ اللَّهِ مَنِّي
فَأَتَى سَاغَ عِنْدَكَ نَبْذُ عَهْدِي
وَلَمْ سَمَحْتَ قَرُونُكَ بِامْتِهَانِي^(١١)

لَكَيْمَا تَشْبَعَ الْكَرْشُ الْجِيَاعُ
أُكَلِّفُ^(٢) خُطَّةً لَا تُسْتَطَاعُ
وَمِثْلِي حِينَ يُبْلَى لَا يُرَاعُ
نَصَائِحَ لَمْ يُمَازَجْهَا^(٣) خَدَاعُ^(٤)
فَعُدْتُ وَفِي حَبَائِلِي^(٦) السَّبَاعُ
مُطَاوَعَةً وَكَانَ بِهَا امْتِنَاعُ
وَعُنْمٌ لَمْ يَكُنْ لِي فِيهِ بَاعُ
فِيُكْشَفُ فِي مُصَارَمَتِي^(٩) الْقَنَاعُ
عَلَى عَيْنٍ يَكْتُمُ أَوْ يَذَاعُ
كَمَا نَبَذْتُ بُرَايَتَهَا الصَّنَاعُ^(١٠)
وَأَنْ أُشْرَى كَمَا يُشْرَى الْمَتَاعُ

(١) أقدم.

(٢) مشقة.

(٣) لم يخالطها.

(٤) مكر وحيلة.

(٥) أعددتني ونصبتني.

(٦) أشراكي.

(٧) وعلقت.

(٨) حرب.

(٩) مقاطعتي.

(١٠) المرأة الحاذقة بالصنعة.

(١١) ياذلالي.

وَهَلَّا صُنْتُ عَرْضِي عَنْهُ صَوْنِي حَدِيثُكَ يَوْمَ جَدِّ بَنَّا الْوَدَاعُ
وَقُلْتُ لِمَنْ يُسَاوِمُ فِي هَذَا سَكَابَ فَمَا يُعَارُ وَلَا يُبَاعُ
فَمَا أَنَا دُونَ ذَاكَ الطَّرْفِ لَكِنْ طَبَاعُكَ فَوْقَهَا تِلْكَ الطَّبَاعُ
عَلَى أَنِّي سَأُنْشِدُ عِنْدَ بَيْعِي أَضَاعُونِي ^(١) وَأَيَّ فَتًى أَضَاعُوا

قَالَ: فَلَمَّا وَعَى الشَّيْخُ أَبْيَاتَهُ، وَعَقَلَ مُنَاغَاتَهُ ^(٢)، تَنَفَّسَ الضُّعْدَاءُ،
وَبَكَى حَتَّى أَبْكَى الْبُعْدَاءُ، ثُمَّ قَالَ لِي: إِنِّي أُحِلُّ هَذَا الْغُلَامَ مَحَلًّا وَلَدِي،
وَلَا أَمِيزُهُ عَنْ أَفْلَازِ كِبْدِي، وَلَوْ لَا خُلُوُّ مُرَاحِي ^(٣)، وَخُبُوُّ مَصْبَاحِي ^(٤)، لَمَا
دَرَجَ عَنْ عُشِّي، إِلَى أَنْ يُشَيِّعَ نَعْشِي، وَقَدْ رَأَيْتَ مَا نَزَلَ بِهِ مِنْ لَوْعَةِ الْبَيْنِ،
وَالْمُؤْمِنُ هَيْنَ لَيْنٌ، فَهَلْ لَكَ فِي تَسْلِيَةِ قَلْبِهِ، وَتَسْرِيَةِ ^(٥) كَرْبِهِ، بِأَنْ
تُعَاهِدَنِي عَلَى الْإِقَالَةِ فِيهِ مَتَى اسْتَقَلْتُ، وَأَنْ لَا تَسْتَقْلِنِي إِذَا ثَقُلْتُ ^(٦)؟ فَفِي
الْآثَارِ الْمُتَنَقَّاةِ، الْمَرْوِيَّةِ عَنِ الثَّقَاتِ: مَنْ أَقَالَ نَادِمًا بَيْعَتَهُ، أَقَالَهُ اللَّهُ عَثْرَتَهُ.
قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَوَعَدْتُهُ وَعْدًا أَبْرَزَهُ الْحَيَاءُ، وَفِي الْقَلْبِ أَشْيَاءُ،
فَاسْتَدْنِي حِينَئِذٍ الْغُلَامَ إِلَيْهِ، وَقَبَّلَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَأَنْشَدَ وَالِدَمْعُ يَرْفُضُ ^(٧)
مِنْ جَفْنِيهِ:

خَفُضْ فَدَتَكَ النَّفْسُ مَا تُلَاقِي مِنْ بُرْحَاءِ ^(٨) الْوَجْدِ وَالْإِشْفَاقِ ^(٩)
فَمَا تَطُولُ مُدَّةُ الْفِرَاقِ وَلَا تَنِي ^(١٠) رَكَائِبُ التَّلَاقِ
بِحُسْنِ عَوْنِ الْقَادِرِ الْخَلَاقِ

(١) لَمْ يَعْرِفُوا قَدْرِي.

(٢) مَنَزَلِي.

(٣) إِزَالَتِهِ.

(٤) يَتَرَشَّشُ وَيَتَفَرَّقُ.

(٥) لَخُوفٍ.

(٦) كَلَامُهُ.

(٧) خَمُودٌ سَرَاجِي.

(٨) أَكْثَرْتُ الْكَلَامَ عَلَيْكَ فِي ذَلِكَ.

(٩) شِدَّةٌ.

(١٠) تَفْتَرُ وَتَضَعُفُ.

ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَسْتَوْدِعُكَ مِنْ هُوَ نَعْمَ الْمُوَلَّى، وَشَمَّرَ ذَيْلَهُ وَوَلَّى، فَلَبِثَ
الْغُلَامُ فِي زَفِيرٍ ^(١) وَعَوِيلٍ ^(٢)، رِيثِمًا ^(٣) يَقْطَعُ مَدَى مِيلٍ، فَلَمَّا اسْتَفَاقَ،
وَكَفَكَفَ دَمْعَهُ الْمُهْرَاقَ ^(٤)، قَالَ: أَتَدْرِي لِمَ أَعَوَّلْتُ، وَعَلَامَ عَوَّلْتُ؟
فَقُلْتُ: أَظُنُّ فِرَاقَ مَوْلَاكَ، هُوَ الَّذِي أَبْكَاكُ! فَقَالَ: إِنَّكَ لَفِي وَادٍ وَأَنَا فِي
وَادٍ، وَلَكُمْ بَيْنَ مُرِيدٍ وَمُرَادٍ، ثُمَّ أَنْشَدَ:

لَمْ أَبْكِ وَاللَّهِ عَلَى إِلْفٍ نَزَحَ ^(٥) وَلَا عَلَى فَوْتٍ نَعِيمٍ وَفَرَحَ
وَإِنَّمَا مَدَمْعُ أَجْفَانِي سَفَحَ عَلَى غَيْبٍ ^(٦) لَحْظُهُ ^(٧) حِينَ طَمَحَ
وَرَطَّهُ حَتَّى تَعْنَى وَافْتَضَحَ وَضِيعَ الْمُنْقُوشَةِ الْبَيْضِ الْوَضَحَ
وَيْكَ أَمَا نَاجَتْكَ هَاتِيكَ الْمَلْحَ ^(٨) بِأَنْتِي حُرٌّ وَيَّعِي لَمْ يُبَحَ ^(٩)

إِذْ كَانَ فِي يُوسُفَ مَعْنَى قَدْ وَضَحَ

قَالَ: فَتَمَثَّلْتُ ^(١٠) مَقَالَهُ فِي مِرَاةِ الْمُدَاعِبِ ^(١١)، وَمَعْرِضِ
الْمُلَاعِبِ. فَتَصَلَّبَ ^(١٢) تَصَلَّبَ الْمُحَقُّ، وَتَبَرَّأَ مِنْ طِينَةِ ^(١٣) الرِّقِّ، فَجَلُنَا
فِي مُخَاصِمَةٍ، اتَّصَلْتُ بِمُلَاكِمَةٍ، وَأَفْضُتُ ^(١٤) إِلَى مُحَاكِمَةٍ، فَلَمَّا أَوْضَحْنَا
لِلْقَاضِي الصُّورَةَ، وَتَلَوْنَا عَلَيْهِ السُّورَةَ، قَالَ: أَلَا إِنَّ مِنْ أَنْذَرَ فَقَدْ أَعْذَرَ،
وَمِنْ حَذَرٍ كَمَنْ بَشَّرَ، وَمِنْ بَصَرٍ ^(١٥) فَمَا قَصَّرَ، وَإِنْ فِيمَا شَرَحْتُمَاهُ لَدَلِيلًا.

(١) هو إخراج النَّفْسِ بِشِدَّةٍ.

(٢) بكاء بصياح.

(٣) مقدار ما.

(٤) المنصب.

(٥) صاحب بَعْدَ.

(٦) جاهل.

(٧) نظره.

(٨) الكلمات المستحسنة.

(٩) لم يحلَّ.

(١٠) تصورت.

(١١) الممازح.

(١٢) توقف.

(١٥) عرف حقيقة الحال.

(١٤) وصلت.

(١٣) تخلص وتنحَّى عن كونه رقًا.

عَلَى أَنَّ هَذَا الْغُلَامَ قَدْ نَبِهَكَ فَمَا ارْعَوَيْتَ ^(١)، وَنَصَحَ لَكَ فَمَا وَعَيْتَ،
 فَاسْتُرْ دَاءَ بَلَهِكَ وَآكُتْمَهُ، وَلَمْ نَفْسِكَ وَلَا تَلْمَهُ، وَحَذَارِ مِنْ اعْتِلَاقِهِ ^(٢)،
 وَالطَّمَعِ فِي اسْتِرْقَاقِهِ، فَإِنَّهُ حُرٌّ الْأَدِيمِ، غَيْرُ مَعْرَضٍ لِلتَّقْوِيمِ، وَقَدْ كَانَ
 أَبُوهُ أَحْضَرَهُ أَمْسٍ، قُبِيلَ أَقْصُولِ الشَّمْسِ، وَاعْتَرَفَ بِأَنَّهُ فَرَعُهُ الَّذِي
 أَنْشَأَهُ، وَأَنْ لَا وَارِثَ لَهُ سِوَاهُ، فَقُلْتُ لِلْقَاضِي: أَوْتَعَرَفُ أَبَاهُ، أَخْزَاهُ اللَّهُ؟
 فَقَالَ: وَهَلْ يُجْهَلُ أَبُو زَيْدٍ الَّذِي جَرَحُهُ جُبَارٌ، وَعِنْدَ كُلِّ قَاضٍ لَهُ أَخْبَارٌ
 وَإِخْبَارٌ؟ فَتَحَرَّقْتُ حَيْثُذُ وَحَوَّقْتُ ^(٣)، وَأَفَقْتُ وَلَكِنْ حِينَ فَاتَ الْوَقْتُ!
 وَأَيَقَنْتُ أَنَّ لثَامَهُ كَانَ شَرَكٌ مَكِيدَتِهِ، وَبَيْتٌ قَصِيدَتِهِ، فَنَكَّسَ طَرْفِي ^(٤) مَا
 لَقَيْتُ، وَآلَيْتُ ^(٥) أَنَّ لَا أَعَامِلَ مِثْلَهُمَا مَا بَقَيْتُ، وَلَمْ أَزَلْ أَتَاوَهُ الْخُسْرَ
 صَفَقَتِي، وَافْتِضَّاحِي بَيْنَ رُفَقَتِي، فَقَالَ لِي الْقَاضِي، حِينَ رَأَى امْتِعَاضِي ^(٦)،
 وَتَبَيَّنَ حَرَّ ارْتِمَاضِي ^(٧): يَا هَذَا مَا ذَهَبَ مِنْ مَالِكَ مَا وَعْظُكَ، وَلَا أَجْرَمَ
 إِلَيْكَ مَنْ أَيْقَظَكَ ^(٨)، فَاتَّعَظُ بِمَا نَابَكَ، وَكَاتِمِ أَصْحَابَكَ مَا أَصَابَكَ، وَتَذَكَّرْ
 أَبَدًا مَا دَهَمَكَ ^(٩)، لَتَقِيَ الذِّكْرَى دِرَاهِمَكَ، وَتَخْلُقْ بِخُلُقٍ مِنْ ابْتُلِيَ فَصَبَرَ،
 وَتَجَلَّتْ لَهُ الْعِبَرُ فَاعْتَبَرَ، قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَوَدَّعْتُهُ لِإِسَاءِ ثَوْبِ الْخُجَلِ
 وَالْحَزَنِ، سَاحِبًا ذَيْلِي الْغَبَنِ وَالْغَبَنِ، وَنَوَيْتُ مُكَاشَفَةَ ^(١٠) أَبِي زَيْدٍ بِالْهَجْرِ،
 وَمُصَارَمَتَهُ ^(١١) يَدَ الدَّهْرِ، فَجَعَلْتُ أَتُنَكِّبُ عَنْ ذَرَاهُ ^(١٢)، وَأَتَجَنَّبُ أَنْ

(١) فما انتهت ولا انكفت.

(٢) قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(٣) أمار عيني إلى أسفل.

(٤) أمار عيني إلى أسفل.

(٥) حلفت.

(٦) الامتعاض: القلق والتوجع والتحرق، وقيل: الغضب.

(٧) حرقه توجعي.

(٨) غشيك.

(٩) إظهار عداوته.

(١٠) أعدل وأتباعه عن بيته.

(١١) مقاطعته.

أَرَاهُ، إِلَى أَنْ غَشِيَنِي ^(١) فِي طَرِيقِ ضَيْقٍ، فَحَيَّانِي تَحِيَّةَ شَيْقٍ، فَمَا زِدْتُ عَلَى أَنْ عَبَسْتُ، وَمَا نَبَسْتُ ^(٢)، فَقَالَ: مَا بِالْكَ شَمَخْتَ بِأَنْفِكَ، عَلَى إِنْفِكَ؟ ^(٣) فَقُلْتُ: أَنْسَيْتَ أَنَّكَ احْتَلْتَ وَخَتَلْتَ ^(٤)، وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ؟ فَأَضْرَطَّ بِي ^(٥) مُتَهَازِيًا، ثُمَّ أَنْشَدَ مُتَلَاَفِيًا:

يَا مَنْ بَدَأَ مِنْهُ صُدُو	دُّ مُوَحِّشٌ وَتَجَاهُهُ ^(٦)
وَعَدَا يَرِيشٌ مَلَاوِمًا ^(٧)	مَنْ دُونَهُنَّ الْأَسْهُمُ
وَيَقُولُ هَلْ حُرِّيْبَا	عُ كَمَا يُبَاعُ الْأَذْهَمُ
أَقْصِرْ فَمَا أَنَا فِيهِ بِدُ	عَا مَثَلَمَا تَتَوَهَّمُ
قَدْ بَاعَتْ الْأَسْبَاطُ قُبُ	لِي يَوْسُفًا وَهُمْ هُمُ
هَذَا وَأُقْسِمُ بِالَّتِي	يَسْرِي إِلَيْهَا الْمُتْهَمُ
وَالطَّائِفِينَ بِهَا وَهُمْ	شُعْتُ النَّوَاصِي ^(٨) سُهُمُ
مَا قُمْتُ ذَاكَ الْمَوْقِفَ الـ	مُخْزِي ^(٩) وَعِنْدِي دَرْهَمُ
فَاعْذِرْ أَخَاكَ وَكُفَّ عَنُ	هُ مَلَامٌ مَنْ لَا يَفْهَمُ

ثُمَّ قَالَ: أَمَّا مَعْدِرَتِي فَقَدْ لَاحَتْ، وَأَمَّا دِرَاهِمُكَ فَقَدْ طَاحَتْ ^(١٠)، فَإِنْ كَانَ أَقْشَعْرَارُكَ ^(١١) مِنِّي، وَازْوَرَارُكَ عَنِّي، لِفِرْطٍ شَفَقَتِكَ ^(١٢)، عَلَى غَيْرِ

(١) لقيني وقابلني.

(٢) تكلمت.

(٣) رفعت أنفك تكبراً على صاحبك.

(٤) خدعت.

(٥) سخر مني.

(٦) عبوس.

(٧) جمع ملامة، بمعنى: اللؤم.

(٨) غبر الرؤوس.

(٩) الذي يورث الخزي.

(١٠) وقعت وفنيت.

(١١) انقباضك.

(١٢) لكثرة خوفك.

نَفَقَتَكَ، فَلَسْتُ مِمَّنْ يَلْسَعُ مَرَّتَيْنِ، وَيُوطِئُ عَلَى جَمْرَتَيْنِ، وَإِنْ كُنْتَ طَوَيْتَ
كَشْحَكَ، وَأَطَعْتَ شُحَّكَ، لَتَسْتَنْقِذَ مَا عَلِقَ بِأَشْرَاكِ، فَلَتَبِكَ عَلَى عَقْلِكَ
البواكي.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَاضْطَرَّنِي بِلَفْظِهِ الْخَالِبِ (١)، وَسِحْرِهِ
الْغَالِبِ (٢)، إِلَى أَنْ عُدْتُ لَهُ صَفِيًّا، وَبِهِ حَفِيًّا، وَنَبَذْتُ فَعَلَّتَهُ ظَهْرِيًّا، وَإِنْ
كَانَتْ شَيْئًا فَرِيًّا (٣).



(١) الخادع.

(٢) القوي.

(٣) أمراً عظيماً.

المَقَامَةُ الْخَامِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ الشِّيرَازِيَّةُ

حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: مَرَرْتُ فِي تَطَوَافِي (١) بِشِيرَازَ عَلَى نَادٍ
يَسْتَوْقِفُ الْمُجْتَازَ (٢)، وَلَوْ كَانَ عَلَى أَوْفَازٍ، فَلَمْ أَسْتَطِعْ تَعَدِّيهِ، وَلَا خَطَّتْ
قَدَمِي فِي تَخَطِّيهِ (٣)، فَعَجْتُ إِلَيْهِ لِأَسْبُكَ سِرَّ جَوْهَرِهِ (٤)، وَأَنْظُرَ كَيْفَ
ثَمَرُهُ مِنْ زَهْرِهِ، فَإِذَا أَهْلُهُ أَفْرَادٌ، وَالْعَائِجُ (٥) إِلَيْهِمْ مُفَادٌ، وَبَيْنَمَا نَحْنُ فِي
فُكَاهَةِ أَطْرَبَ مِنَ الْأَغَارِيدِ، وَأَطْيَبَ مِنْ حَلَبِ الْعَنَاقِيدِ (٦)، إِذِ احْتَفَّ بِنَا (٧)
ذُو طَمْرَيْنِ (٨)، قَدْ كَادَ يُنَاهِزُ الْعُمَرَيْنِ، فَحَيَّا بِلِسَانٍ طَلِيقٍ، وَأَبَانَ إِبَانَةً
مَنْطِيقٍ (٩)، ثُمَّ احْتَبَى حُبُوبَةَ الْمُتَتَدِينِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُتَهْتَدِينَ،
فَازْدَرَاهُ الْقَوْمُ لَطَمْرِيهِ، وَنَسُوا أَنَّ الْمَرْءَ بِأَصْغَرِيهِ (١٠)، وَأَخَذُوا يَتَدَاعَوْنَ (١١)
فَصَلَ الْخُطَّابُ، وَيَعْتَدُونَ عَوْدَهُ مِنَ الْأَحْطَابِ، وَهُوَ لَا يُفِيصُ (١٢) بِكَلِمَةٍ،
وَلَا يُبَيِّنُ عَنْ سِمَةٍ، إِلَى أَنْ سَبَرَ قَرَائِحَهُمْ (١٣)، وَخَبَرَ شَائِلَهُمْ
وَرَاجِحَهُمْ (١٤)، فَحِينَ اسْتَخْرَجَ دَفَائِنَهُمْ، وَاسْتَثْلَلَ كَنَائِهِمْ، قَالَ: يَا قَوْمُ لَوْ

(١) دوراني.

(٢) المار.

(٣) مفارقه.

(٤) باطن أمره.

(٥) العاطف المائل.

(٦) كناية عن الخمر.

(٧) توسطنا.

(٨) ثوبين باليين.

(٩) ذي نطق فصيح.

(١٠) قلبه ولسانه.

(١١) يدعون بمعنى: يتفاوضون.

(١٢) بالصاد المهملة؛ أي: لا يبين.

(١٣) اختبر أفهامهم.

(١٤) عاطلهم وفاضلهم أو ناقصهم وكاملهم.

عَلِمْتُمْ أَنَّ وِرَاءَ الْفَدَامِ، صَفْوَ الْمُدَامِ، لَمَّا احْتَقَرْتُمْ ذَا أَخْلَاقٍ، وَقُلْتُمْ : مَا لَهُ مِنْ خَلَقٍ ! ثُمَّ فَجَّرَ مِنْ يَنَابِيعِ الْأَدَبِ وَالنُّكْتِ النَّخْبَ ^(١)، مَا جَلَبَ بِهِ بَدَائِعَ الْعَجَبِ، وَاسْتَوْجَبَ أَنْ يُكْتَبَ بِذَوْبِ الذَّهَبِ، فَلَمَّا خَلَبَ ^(٢) كُلَّ خَلَبٍ، وَقَلَبَ إِلَيْهِ كُلَّ قَلْبٍ، تَحْلَحَلَ، لِيرَحَلَ، وَتَاهَبَ، لِيَذْهَبَ، فَعَلَقَتِ الْجَمَاعَةُ بِذِيلِهِ ^(٣)، وَعَاقَتِ مَسْرَبَ سَيْلِهِ، وَقَالَتْ لَهُ : قَدْ أَرَيْتَنَا وَسَمَ قَدْحَكَ، فَخَبَرْنَا عَنْ قَيْضِكَ وَمُحْكِكَ، فَصَمَتَ صُمُوتَ مَنْ أَفْحَمَ ^(٤)، ثُمَّ أَعْوَلَ حَتَّى رُحِمَ.

قَالَ الرَّأَوِي : فَلَمَّا رَأَيْتُ شَوْبَ أَبِي زَيْدٍ وَرَوْبَهُ، وَأُسْلُوبَهُ ^(٥) الْمَأْلُوفَ وَصُوبَهُ، تَأَمَّلْتُ الشَّيْخَ عَلَى سُهُومَةٍ مُحَيَّاهُ ^(٦)، وَسُهُوكَةِ رِيَّاهُ، فَإِذَا هُوَ إِيَّاهُ، فَكَتَمْتُ سِرَّهُ كَمَا يُكْتَمُ الدَّاءُ الدَّخِيلُ، وَسَتَرْتُ مَكْرَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يُخِيلُ ^(٧)، حَتَّى إِذَا نَزَعَ عَنْ إِعْوَالِهِ، وَقَدْ عَرَفَ عُثُورِي ^(٨) عَلَى حَالِهِ، رَمَقَنِي بَعَيْنٍ مُضْحَاكٍ، ثُمَّ طَفَقَ يُنْشِدُ بِلِسَانٍ مُتَبَاكِ ^(٩) :

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَعْنُو لَهُ ^(١٠) مِنْ فَرَطَاتٍ أَثْقَلَتْ ظَهْرِيهِ
يَا قَوْمُ كَمْ مِنْ عَاتِقٍ عَانَسَ مَمْدُوحَةَ الْأَوْصَافِ فِي الْأَنْدِيهِ
قَتَلْتُهَا ^(١١) لَا أَتَّقِي وَارِثًا يَطْلُبُ مِنِّي قَوْدًا أَوْ دِيهِ
وَكُلَّمَا اسْتَذْنَبْتُ فِي قَتْلِهَا أَحَلَّتْ بِالذَّنْبِ عَلَى الْأَقْضِيهِ ^(١٢)

(١) هي النوادر المختارة من الكلام.

(٢) خدع.

(٣) أطراف ثيابه.

(٤) أسكت لانقطاع حجته.

(٥) فنه.

(٦) تغير وجهه من وعشاء السفر.

(٧) يتلبس ويشتهبه.

(٨) اطلاعي.

(٩) هو الذي يظهر أنه يبكي ولم يبكي.

(١٠) أخضع له.

(١١) أراد بالقتل هنا: مزجها بالماء.

(١٢) جمع القضاء؛ أي: أقول هذا بالقضاء والقدر.

وَلَمْ تَزَلْ نَفْسِي فِي غِيَّهَا
 حَتَّى نَهَانِي الشَّيْبُ لَمَّا بَدَا
 فَلَمْ أُرَقْ مِذَّ شَابِ فَوْدِي ^(٣) دَمًا
 وَهَا أَنَا الْآنَ عَلَى مَا يُرَى
 أَرُبُّ بِكُرًّا طَالَ تَعْنِيسُهَا
 وَهِيَ عَلَى التَّعْنِيسِ مَخْطُوبَةٌ
 وَلَيْسَ يَكْفِينِي لِتَجْهِيْزِهَا
 وَالْيَدُ لَا تُوكِي ^(٨) عَلَى دِرْهِمٍ
 فَهَلْ مُعِينٌ لِي عَلَى نَقْلِهَا
 فَيَغْسِلَ الْهَمُّ بَصَابُونَهُ
 وَيَقْتَنِي مِنِّي الثَّنَاءُ الَّذِي
 قَالَ الرَّأْيِي: فَلَمْ يَبْقَ فِي الْجَمَاعَةِ إِلَّا مِنْ نَدَيْتَ لَهُ ^(١٢) كَفُّهُ، وَأَنْبَاعَ
 إِلَيْهِ عُرْفُهُ ^(١٣)، فَلَمَّا نَجَحَتْ بُغْيَتُهُ، وَكَمَلَتْ مِثَّتُهُ، أَخَذَ يُثْنِي عَلَيْهِمْ
 بِصَالِحٍ، وَيُشَمِّرُ عَنْ سَاقٍ سَارِحٍ، فَتَبِعَتْهُ لِأَسْتَعْرِفَ رَبِيَّةَ خِدْرِهِ، وَمَنْ قَتَلَ

(١) مزجها أنواع الخمر.

(٣) جانب رأسي من أعلى الصدغ.

(٥) هي المرأة الجميلة التي غنيت عن التزين لجمالها.

(٦) الكافية عن غيرها.

(٨) لا تقبض، والوكاء: خيط يشدُّ به فم السقاء.

(٩) الجميلة المغنية.

(١١) نفوح رائحته الذكيَّة.

(١٣) العُرف: المعروف.

(٢) متمادية.

(٤) ذات صبية؛ أي: كبيرة.

(٥) هي المرأة الجميلة التي غنيت عن التزين لجمالها.

(٦) الكافية عن غيرها.

(٨) لا تقبض، والوكاء: خيط يشدُّ به فم السقاء.

(٩) الجميلة المغنية.

(١١) نفوح رائحته الذكيَّة.

(١٣) العُرف: المعروف.

فِي حَدَّثَانِ أَمْرِهِ، فَكَأَنَّ وَشُكَّ قِيَامِي (١)، مَثَلٌ لَهُ مَرَامِي (٢)، فَازْدَلَفَ مِنِّي (٣)، وَقَالَ: أَفْقَهُ (٤) عَنِّي:

قَتْلُ مِثْلِي يَا صَاحِبَ مَزْجِ الْمُدَامِ لَيْسَ قَتْلِي بِلَهْذَمٍ (٥) أَوْ حُسَامِ
وَالَّتِي عُنَسَتْ هِيَ الْبَكْرُ بِنْتُ الْـ كَرَمٍ لَا الْبَكْرُ مِنْ بَنَاتِ الْكِرَامِ
وَلِتَجْهِيْزَهَا إِلَى الْكَاسِ وَالطَّاءِ سِ قِيَامِي الَّذِي تَرَى وَمُقَامِي (٦)
فَتَفْهَمَ مَا قُلْتُهُ وَتَحْكَمْ فِي التَّغَاضِي (٧) إِنْ شِئْتَ أَوْ فِي الْمَلَامِ
ثُمَّ قَالَ: أَنَا عَرِيدٌ، وَأَنْتَ رَعِيدٌ (٨)، وَبَيْنَنَا بَوْنٌ بَعِيدٌ، ثُمَّ وَدَّعَنِي وَانْطَلَقَ، وَزَوَّدَنِي نَظْرَةً مِنْ ذِي عَلَقِي.



-
- (١) سرعة قيامي .
(٢) صور له مطلوبي .
(٣) قرب مني .
(٤) افهم واحفظ .
(٥) اللهزم: سنان حاد، والحسام: القاطع .
(٦) إقامتي ومكثي .
(٧) الاحتمال .
(٨) جبان .

المقامة السادسة والثلاثون الملطية

أَخْبَرَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ قَالَ: أَنْخْتُ بِمَلْطِيَّةَ مَطِيَّةَ الْبَيْنِ (١)، وَحَقِيقَتِي
مَلَأَى مِنَ الْعَيْنِ، فَجَعَلْتُ هَجِيرَايَ (٢)، مُذْ أَلْقَيْتُ بِهَا عَصَايَ، أَنْ أَنْوَرَدَ (٣)
مَوَارِدَ الْمَرْحِ، وَأَتَصِيدُ شَوَارِدَ الْمُلْحِ (٤)، فَلَمْ يَفْتَنِي بِهَا مَنْظَرٌ وَلَا مَسْمَعٌ،
وَلَا خَلَا مِنِّي مَلْعَبٌ وَلَا مَرْتَعٌ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ لِي فِيهَا مَأْرَبٌ (٥)، وَلَا فِي
الثَّوَاءِ بِهَا مَرْغَبٌ، عَمَدْتُ لِإِنْفَاقِ الذَّهَبِ فِي ابْتِيَاعِ الْأُهْبِ (٦)، فَلَمَّا أَكْمَلْتُ
الْإِعْدَادَ، وَتَهَيَّأَ الظَّعْنُ (٧) مِنْهَا أَوْ كَادَ، رَأَيْتُ تِسْعَةَ رَهْطٍ قَدْ سَبَّوْا قَهْوَةً،
وَارْتَبَّوْا (٨) رِبْوَةً، وَدَمَائَتْهُمْ (٩) قَيْدُ الْأَلْحَاطِ، وَفُكَاھَتْهُمْ (١٠) حُلُوءُ
الْأَلْفَافِ، فَنَحَوْتُهُمْ طَلَبًا لِمُنَادِمَتِهِمْ (١١)، لَا لِمُدَامَتِهِمْ، وَشَغَفًا بِمُمَازَجَتِهِمْ (١٢)
لَا بِزُجَاجَتِهِمْ، فَلَمَّا انْتَضَمْتُ عَاشِرَهُمْ، وَأَضْحَيْتُ مُعَاشِرَهُمْ، أَلْفَيْتُهُمْ أَبْنَاءَ
عَلَاتٍ، وَقَدَائِفَ فَلَوَاتٍ، إِلَّا أَنَّ لِحْمَةَ الْأَدَبِ قَدْ أَلْفَتْ شَمْلَهُمْ أُلْفَةً
النَّسَبِ (١٣)، وَسَاوَتْ بَيْنَهُمْ فِي الرُّتَبِ، حَتَّى لَاحُوا (١٤) مِثْلَ كَوَاكِبِ

(١) راحلة الفراق.

(٣) أرد وأدخل.

(٥) المأرب، والأرب: الحاجة.

(٧) الارتحال.

(٩) سهولة خلقهم ولينهم.

(١١) لمحادتهم.

(١٣) كألّفه القرابة.

(٢) دأبي وعادتي.

(٤) نوادر النكت اللطيفة.

(٦) في اشتراء ما استعدّ للارتحال عنها.

(٨) ارتبأ البقاع: علاه وظهر فوقه.

(١٠) فاكهتهم التي يتفكّهون بها.

(١٢) بمخالطتهم ومصاحبتهم.

(١٤) حتى صاروا.

الْجَوَزَاءِ، وَبَدَوْا كَالْجُمْلَةِ الْمُتَنَاسِبَةِ الْأَجْزَاءِ، فَأُبْهَجَنِي الْاهْتِدَاءُ إِلَيْهِمْ،
وَأَحْمَدْتُ الطَّلَعَ الَّذِي أَطْلَعَنِي عَلَيْهِمْ، وَطَفِقْتُ^(١) أَفِيضُ بِقُدْحِي مَعَ
قَدَاحِهِمْ، وَأَسْتَشْفِي^(٢) بَرِيَا حِهِمْ^(٣) لَا بِرَاحِهِمْ، حَتَّى أَدْتَنَا شُجُونُ
الْمُفَاوِضَةِ، إِلَى التَّحَاجِي^(٤) بِالْمُقَايِضَةِ، كَقَوْلِكَ إِذَا عَنَيْتَ بِهِ الْكَرَامَاتِ:
مَا مِثْلُ التَّوَمِّ فَاتَ، فَأَنْشَأْنَا^(٥) نَجْلُو السُّهَى وَالْقَمَرَ، وَنَجْنِي الشُّوْكَ وَالثَّمَرَ،
وَبَيْنَا نَحْنُ نَنْشُرُ الْقَشِيبَ^(٦) وَالرَّثَّ، وَنَنْشُلُ السَّمِينَ وَالْغَثَّ، وَغَلَ^(٧) عَلَيْنَا
شَيْخٌ قَدْ ذَهَبَ حَبْرُهُ وَسَبْرُهُ^(٨)، وَبَقِيَ خَبْرُهُ وَسَبْرُهُ، فَمَثَلَ^(٩) مَثُولَ مَنْ
يَسْمَعُ وَيَنْظُرُ، وَيَلْتَقِطُ مَا نَشْرُ، إِلَى أَنْ نُفِضَتِ الْأَكْيَاسُ، وَحَصَّصَ الْيَاسُ،
فَلَمَّا رَأَى إِنْجِبَالَ الْقَرَائِحِ، وَإِكْدَاءَ الْمَآتِحِ وَالْمَائِحِ، جَمَعَ أَذْيَالَهُ، وَوَلَّانَا
قَذَالَهُ^(١٠)، وَقَالَ: مَا كُلُّ سُودَاءِ تَمْرَةٍ^(١١)، وَلَا كُلُّ صُهْبَاءِ خَمْرَةٍ، فَاعْتَلَقْنَا
بِهِ اعْتِلَاقَ الْحَرْبَاءِ بِالْأَعْوَادِ، وَضَرْبَنَا دُونَ وَجْهِتِهِ بِالْأَسْدَادِ، وَقُلْنَا لَهُ: إِنْ دَوَاءَ
الشَّقِّ أَنْ يُحَاصَّ، وَإِلَّا فَالْقِصَاصُ الْقِصَاصُ، فَلَا تَطْمَعُ فِي أَنْ تُجْرَحَ
وَتُطْرَحَ، وَتُنْهَرَ الْفَتْقُ وَتُسْرَحَ! فَلَوَى عَنَانَهُ رَاجِعاً، ثُمَّ جَثَمَ^(١٢) بِمَكَانِهِ
رَاصِعاً^(١٣)، وَقَالَ: أَمَّا إِذَا اسْتَثَرْتُمُونِي^(١٤) بِالْبَحْثِ، فَلَا حُكْمَ حُكْمِ

(١) شرعت.

(٢) أشفي نفسي وأروحها.

(٣) يريد بأدبهم.

(٤) مطارحة المسائل العويصة.

(٥) فشرعنا.

(٦) النشر: ضد الطي، والقشيب: الجديد.

(٧) أي: أدخل.

(٨) هيئته وحسنه.

(٩) انتصب قائماً.

(١٠) القذال: مجتمع مؤخّر الرأس.

(١١) مثل يضرب في خطأ الظن.

(١٢) جلس.

(١٣) الرصوع: اللزوم والالصق.

(١٤) طلبتم إثارة كلامي واستنطقتموني.

سُلَيْمَانَ فِي الْحَرْثِ، اعْلَمُوا يَا ذَوِي الشَّمَائِلِ ^(١) الْأَدْبِيَّةَ، وَالشَّمُولِ
الذَّهِيَّةَ ^(٢)، أَنَّ وَضْعَ الْأُحْجِيَّةِ ^(٣) لَامْتِحَانِ الْأَلْمَعِيَّةِ ^(٤)، وَاسْتِخْرَاجِ الْخَبِيَّةِ
الْخَفِيَّةِ، وَشَرْطُهَا أَنْ تَكُونَ ذَاتَ مُمَائِلَةٍ حَقِيقِيَّةٍ، وَأَلْفَاظٍ مَعْنَوِيَّةٍ، وَلَطِيفَةٍ
أَدْبِيَّةٍ، فَمَتَى نَافَتْ هَذَا النَّمَطَ، ضَاهَتْ السَّقَطُ ^(٥)، وَكَمْ تَدْخُلِ السَّفَطُ،
وَكَمْ أَرْكُمُ حَافِظَتُمْ عَلَى هَذِهِ الْحُدُودِ، وَلَا مِزْتَمَ بَيْنَ الْمَقْبُولِ وَالْمُرْدُودِ، فَقُلْنَا
لَهُ: صَدَقْتَ، وَبِالْحَقِّ نَطَقْتَ، فَكَلِّ لَنَا مِنْ لُبَابِكَ ^(٦)، وَأَفْضُ عَلَيْنَا مِنْ
عُبَابِكَ، فَقَالَ: أَفْعَلُ لئَلَّا يَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ^(٧)، وَيَظُنُّوا بِي الظُّنُونُ، ثُمَّ
قَابَلَ نَاطُورَةَ الْقَوْمِ، وَقَالَ:

فِي الْفَضْلِ وَارِي الزِّنَادِ ^(٨)
جُوعٌ ^(٩) أُمِدَّ بِزَادٍ

يَا مَنْ سَمَا بِذَكَاءٍ
مَاذَا يُمَائِلُ قَوْلِي
ثُمَّ ضَحِكَ إِلَى الثَّانِي وَأَنْشَدَ:

وَلَمْ يُدْنِسْهُ شَيْنٌ
ظَهَرَ أَصَابَتُهُ عَيْنٌ

يَا ذَا الَّذِي فَاقَ فَضْلاً
مَا مِثْلُ قَوْلِ الْمُحَاجِي
ثُمَّ لَحَظَ الثَّلَاثَ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

مِثْلُ النُّقُودِ الْجَائِزَةِ ^(١٠)
حَاجِيَتْ صَادَفَ جَائِزَةٍ

يَا مَنْ نَتَأَجُّ فِكْرَهُ
مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلَّذِي

(١) الشبيهة في اللون بالذهب.

(٢) الذكاء والفطنة.

(٣) اللباب الخاص من كل شيء.

(٤) كناية عن حدة الفهم.

(٥) النافذة.

(١) الأخلاق.

(٢) المسألة العويصة.

(٣) مائلت الرديء.

(٤) من ليسوا على حق.

(٥) هو معلوم.

ثُمَّ أَتْلَعَ ^(١) إِلَى الرَّابِعِ، وَقَالَ:

أَيَا مُسْتَنْبِطَ ^(٢) الْغَامِضِ
أَلَا اكْشِفْ لِي مَا مِثْلُ

ثُمَّ رَمَى الْخَامِسَ بِبَصَرِهِ، وَقَالَ:

يَا أَيُّهَا هَذَا الْأَعْمَى
مَا مِثْلُ أَهْمَلِ حَلِيَّةٍ

ثُمَّ التَفَتَ لِفَتَا السَّادِسِ وَقَالَ:

يَا مَنْ تَقْصِرُ عَنْ مَدَا
مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلَّذِي

ثُمَّ خَلَجَ السَّابِعَ بِحَاجِبِهِ وَقَالَ:

يَا مَنْ لَهُ فُطْنَةٌ تَجَلَّتْ ^(٧)
بَيْنَ فَمَا زِلْتُ ذَا بَيَانَ

ثُمَّ اسْتَنْصَتَ الثَّامِنَ ^(٩)، وَأَنْشَدَ:

يَا مَنْ حَدَائِقُ فَضْلِهِ
مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلْمُحَا

ثُمَّ حَدَجَ التَّاسِعَ بِبَصَرِهِ، وَقَالَ:

مِنْ لُغْزٍ وَإِضْمَارٍ ^(٣)
تَنَاوَلُ أَلْفَ دِينَارٍ

يَ ^(٤) أَخُو الذِّكَاةِ الْمُنْجَلِيِّ ^(٥)
بَيْنَ هُدَيْتَ وَعَجَلٍ

هُ ^(٦) خُطِيَ مُجَارِيهِ وَتَضَعُفُ
أَضْحَى يُحَاجِّكَ أَكْفُفٍ أَكْفُفُ

وَرُتَبَةٌ فِي الذِّكَاةِ جَلَّتْ ^(٨)
مَا مِثْلُ قَوْلِي الشَّقِيقُ أَفَلْتُ

مَطْلُولَةَ الْأَزْهَارِ غَضَّهَ ^(١٠)
جِي ذِي الْحِجَى ^(١١) مَا اخْتَارَ فَضَّةَ

(١) مد عنقه.

(٢) مستخرج.

(٣) إخفاء.

(٤) الفطن الحاد الفهم.

(٥) المنكشف المرئى.

(٦) غايته.

(٧) تكشفت ووضحت.

(٨) سبقت.

(٩) طلبت إنصاته؛ أي: سكوته.

(١٠) طرية رطبة.

(١١) صاحب العقل.

يَا مَنْ يُشَارُ إِلَيْهِ فِي الْـ قَلْبِ الذِّكْيِ وَفِي الْبَرَاغِ
أَوْضَحَ لَنَا مَا مِثْلُ قَوْـ لَكَ لِلْمُحَاجِي دَسْ جَمَاعِ

قَالَ الرَّأْيِي: فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيَّ، هَزَّ مَنْكَبِي^(١)، وَقَالَ:

يَا مَنْ لَهُ النُّكْتُ الَّتِي يُشْجِي الْخُصُومَ^(٢) بِهَا وَيَنْكُتُ
أَنْتَ الْمُبِينُ فَقُلْ لَنَا مَا مِثْلُ قَوْلِي خَالِي اسْكُتْ

ثُمَّ قَالَ: قَدْ أَنْهَلْتُكُمْ وَأَمَهَلْتُكُمْ، وَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ أَعْلِكُمْ عَلَلْتُكُمْ، قَالَ:
فَأَلْجَأْنَا لَهَبُ الْعُلَلِ^(٣)، إِلَى اسْتِسْقَاءِ الْعَلَلِ، فَقَالَ: لَسْتُ كَمَنْ يَسْتَأْثِرُ عَلَى
نَدِيمِهِ، وَلَا مِمَّنْ سَمِنَهُ فِي أَدِيمِهِ، ثُمَّ كَرَّ عَلَى الْأَوَّلِ، وَقَالَ:

يَا مَنْ إِذَا أَشْكَلَ^(٤) الْمُعَمَّى جَلَّتْهُ أَفْكَارُهُ الدَّقِيقَةُ
إِنْ قَالَ يَوْمًا لَكَ الْمُحَاجِي خَذْ تِلْكَ مَا مِثْلُهُ حَقِيقَةُ

ثُمَّ ثَنَى^(٥) جِيدَهُ إِلَى الثَّانِي، وَقَالَ:

يَا مَنْ بَدَأَ بَيَانُهُ^(٦) عَنْ فَضْلِهِ مُبَيِّنًا
مَاذَا مِثَالُ قَوْلِهِمْ حِمَارٌ وَحُشٌّ زِينًا

ثُمَّ أَوْحَى^(٧) إِلَى الثَّلَاثِ بِلَحْظِهِ^(٨)، وَقَالَ:

يَا مَنْ غَدَا فِي فَضْلِهِ وَذَكَائِهِ كَالْأَصْمَعِيِّ
مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلَّذِي حَاجَاكَ أَنْفِقْ تَقْمَعَ^(٩)

ثُمَّ حَمَلَقَ^(١٠) إِلَى الرَّابِعِ، وَأَنْشَدَ:

(١) المنكب: الكتف.

(٢) أي: يغصهم.

(٣) شدة حرارة العطش، كناية عن الاشتياق.

(٤) زاد في الصعوبة والخفاء.

(٥) أمال عنقه وعطفه.

(٦) ظهر علمه بالبلاغة.

(٧) أوماً.

(٨) بجانب عينه.

(٩) القمع: القهر والإذلال.

(١٠) أخذ النظر.

دَجَا أَنْارَ ظِلَامِهِ
إِسْتَنْشِ (٢) رِيحَ مُدَامِهِ

عَنْ أَنْ يُرَوِّي أَوْ يَشْكَا
أُضْحَى يُحَاجِي غَطَّ هَلَكَى (٤)

بَانَ فِيهَا كَمَالُهُ
أَيُّ شَيْءٍ مِثَالُهُ

أَقَامَ فِي النَّاسِ سَوْقَهُ
مَا مِثْلُ أَحْبَبَ فَرَوْقَهُ

فِي الْمَجْدِ فَاقَتْ كُلَّ ذُرْوَةٍ (٧)
رِيقًا يَلُوحُ بِغَيْرِ عُرْوَةٍ

يَةً (٨) وَالْبَيَانَ بِغَيْرِ شَكٍّ
جِي ذِي الذِّكَاءِ (٩) الثَّوْرُ مِلْكِي

يَا مَنْ إِذَا مَا عَوِيصٌ (١)
مَاذَا يُمَاطِلُ قَوْلِي

ثُمَّ أَوْمَضَ إِلَى الْخَامِسِ وَقَالَ:
يَا مَنْ تَنْزَهُ (٣) فَهَمُّهُ

مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلَّذِي
ثُمَّ أَقْبَلَ قَبْلَ السَّادِسِ، وَأَنْشَدَ:

يَا أَخَا الْفُطْنَةِ (٥) الَّتِي
سَارَ بِاللَّيْلِ مُدَّةً

ثُمَّ نَحَا بَصَرَهُ إِلَى السَّابِعِ، وَقَالَ:
يَا مَنْ تَحَلَّى بِفَهْمٍ
لَكَ الْبَيَانَ فَبَيَّنَّ

ثُمَّ قَصَدَ قَصْدَ الثَّامِنِ، وَأَنْشَدَ:
يَا مَنْ تَبَبَّوْا (٦) ذُرْوَةً
مَا مِثْلُ قَوْلِكَ أَعْطِ ابْنَ

ثُمَّ ابْتَسَمَ إِلَى التَّاسِعِ، وَقَالَ:
يَا مَنْ حَوَى حُسْنَ الدَّرَا
مَا مِثْلُ قَوْلِكَ لِلْمُحَا

(١) صعب مشكل.

(٢) استنشق وتشمم.

(٣) تباعد.

(٤) جمع هالك، بمعنى: باثر.

(٥) صاحب الذكاء.

(٦) أي: حلّ وتمكّن.

(٧) الذرّوة أعلى الجبل.

(٨) العلم والمعرفة.

(٩) صاحب الفطنة.

ثُمَّ قَبَضَ بِجُمُعِهِ عَلَى رُذْنِي، وَقَالَ:

يَا مَنْ سَمَا بِثُقُوبِ فُطْنَتِهِ فِي الْمَشْكَلَاتِ وَنُورِ كُوكُبِهِ
مَاذَا مِثَالُ صَفِيرٍ جَحْفَلَةٍ (١) بَيْنَهُ تَبْيَانًا يَنْمُ بِهِ (٢)

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمَّا أَطْرَبْنَا بِمَا سَمِعْنَاهُ، وَطَالَبْنَا مُكَاشَفَةَ
مَعْنَاهُ، قُلْنَا لَهُ: لِسْنَا مِنْ خَيْلِ هَذَا الْمِيدَانِ، وَلَا لَنَا بِحَلِّ هَذِهِ الْعُقْدِ
يَدَانِ، فَإِنْ أَبَيْتَ، مَنَنْتَ (٣)، وَإِنْ كَتَمْتَ، غَمَمْتَ، فَظَلَّ يُشَاوِرُ نَفْسِيهِ (٤)،
وَيُقَلِّبُ قَدْحِيهِ، حَتَّى هَانَ بِذُلِّ الْمَاعُونِ عَلَيْهِ، فَأَقْبَلَ حِينَئِذٍ عَلَى الْجَمَاعَةِ،
وَقَالَ: يَا أَهْلَ الْبَلَاغَةِ وَالْبَرَاعَةِ، سَأَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ، وَلَا ظَنَنْتُمْ
أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ، فَأَوْكُوا (٥) عَلَيْهِ الْأَوْعِيَةَ، وَرَوَّضُوا بِهِ الْأَنْدِيَةَ، ثُمَّ أَخَذَ فِي
تَفْسِيرِ صَقْلٍ (٦) بِهِ الْأَذْهَانَ، وَاسْتَفْرَغَ (٧) مَعَهُ الْأَرْدَانَ، حَتَّى أَصَتْ (٨)
الْأَفْهَامُ أَنْوَرَ مِنَ الشَّمْسِ، وَالْأَكْمَامُ كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ، وَلَكَّمَا هَمَّ
بِالْمَفَرِّ، سُئِلَ عَنِ الْمَقَرِّ، فَتَنَفَّسَ كَمَا تَتَنَفَّسُ الثَّكُولُ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

كُلُّ شَعْبٍ لِي شَعْبٌ (٩) وَبِهِ رِبْعِي رَحْبٌ
غَيْرَ أَنِّي بِسَرُوجٍ مُسْتَهَامُ الْقَلْبِ صَبٌّ (١٠)
هِيَ أَرْضِي الْبِكْرِ وَالْجَدِّ وَالَّذِي فِيهِ الْهَبُّ
وَأَلَى رَوْضَتِهَا الْغَفَّ نَاءٌ دُونَ الرِّوَضِ أَصْبُو (١١)
مَا حَلَا لِي بَعْدَهَا حُلٌّ وَوَلَا اغْذُودُذَبَ عَذْبٌ

(١) لذي الحافر كالشفة للإنسان.

(٢) يُظْهِرُهُ وَيُذِيْعُهُ.

(٣) صارت لك المنّة علينا.

(٤) أراد أنه يردد رأيه.

(٥) فشدّوا وربطوا.

(٦) جلا ونظف.

(٧) فرغ وأخلى.

(٨) صارت.

(٩) كل طريق لي طريق.

(١٠) عاشق.

(١١) أميل.

قَالَ الرَّأَوِي: فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي هَذَا أَبُو زَيْد السَّرُوجِيُّ، الَّذِي أَدْنَى مُلْحِهِ
 الْأَحَاجِيُّ، وَأَخَذْتُ أَصِفُ لَهُمْ حُسْنَ تَوْشِيَّتِهِ (١)، وَانْقِيَادَ الْكَلَامِ لِمَشِيَّتِهِ، ثُمَّ
 التَّفَتُّ فَإِذَا بِهِ قَدْ طَمَرَ (٢)، وَنَاءَ (٣) بِمَا قَمَرَ (٤)، فَعَجِبْنَا مِمَّا صَنَعَ إِذْ
 وَقَعَ، وَلَمْ نَدْرِ أَيْنَ سَكَعَ (٥) وَصَقَعَ (٦).



(١) تزيينه للكلام.

(٢) وثب.

(٣) نهض وقام به بثقل.

(٤) بما حازه من القمار.

(٥) ذهب من غير هداية.

(٦) أخذ صقعا من الأرض وهو الناحية.

تفسير الأحاجي المودعة هذه المقامة

أما جوع أمدَّ بزاد، فمثله طوامير، وأما ظهر إصابته عين، فمثله مطاعين، وأما صادف جائزة، فمثله الفاصلة، وأما تناول ألف دينار، فمثله هادية، وأما أهمل حلية، فمثله الغاشية، وأما اكفف اكفف، فمثله مهمه، وأما الشقيق افلت، فمثله أخطار، وأما ما اختار فضة، فمثله أبارقة، لأن الرقة من أسماء الفضة وقد نطق بها النبي ﷺ، فقال: «في الرقة ربع العشر»، وأما دس جماعة، فمثله طافية، وأما خالي اسكت، فمثله خالصة، لأنك إذا ناديت مضافاً إلى نفسك جاز لك حذف الياء وإثباتها ساكنة ومتحركة، وقد حذف ههنا حرف النداء كما حذفه في أصل الأحجية، وصه بمعنى اسكت، وأما خذ تلك، فمثله هاتيك، وأما حمار وحش زينا، فمثله فرازين؛ لأنَّ الفراء حمار الوحش، ومنه الحديث: كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا، وأما قوله انفق تقمع، فمثله منتقم، لأن الأمر من مَن يَمُونُ مَنْ، ومضارع وقمت تقم، وأما استنش ريح مدامة، فمثله رحراح؛ لأن الأمر من استدعاء الرائحة رح، وأما غطَّ هلكى، فمثله صُنُور، لأن البور هم الهلكى، وفي القرآن: ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾، وأما سار بالليل مدة، فمثله سراحين، وأما احب فروقة، فمثله مقلاع، لأن الأمر من ومق يمق مق، واللاع الجبان، يُقَالُ فلان هاع لاع إذا كَانَ جبانًا جزوعاً، وأما اعطَ إبريقاً يلوح بغير عروة، فمثله اسكُوب، لأن الأوس الإعطاء والأمر اسْ، والكُوب الإبريق بغير عروة، وأما الثور ملكي، فمثله اللآلي، لأن اللآلى عَلَى وزن القنأ هو ثور الوحش، وأما صفير جحفلة، فمثله مكاشفة،

لأن المكاء الصغير، قَالَ الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً﴾ ؛
والأصل في المكاء المد ولكنه قصره في هذه الأحجية كَمَا حذف همزة الفراء
في أحجيته، وكلا الأمرين من قصر الممدود وحذف همزة المهموز جائز.



المَقَامَةُ السَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ الصَّعْدِيَّةُ

حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: أَصْعَدْتُ إِلَى صَعْدَةٍ، وَأَنَا ذُو شَطَاطٍ
يَحْكِي الصَّعْدَةَ (١)، وَاشْتَدَّادَ (٢) يَبْدُرُ بَنَاتِ صَعْدَةٍ، فَلَمَّا رَأَيْتُ نَضْرَتَهَا،
وَرَعَيْتُ خُضْرَتَهَا، سَأَلْتُ نَحَارِيرَ (٣) الرُّوَاةِ، عَمَّنْ تَحْوِيهِ مِنَ السَّرَاةِ،
وَمَعَادِنِ الْخَيْرَاتِ، لَاتَّخِذْهُ جَذْوَةً فِي الظُّلُمَاتِ، وَنَجْدَةً (٤) فِي الظُّلُمَاتِ (٥)
فَنُعِتَ لِي قَاضٍ بِهَا رَحِيبُ الْبَاعِ، خَصِيبُ الرَّبَاعِ (٦)، تَمِيْمِي النَّسَبِ
وَالطَّبَاعِ، فَلَمْ أَزَلْ أَتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِالْإِلْمَامِ (٧)، وَأَتَنَفَّقُ عَلَيْهِ بِالْإِجْمَامِ (٨)، حَتَّى
صَرْتُ صَدَى صَوْتِهِ، وَسَلْمَانَ بَيْتِهِ وَكُنْتُ مَعَ اشْتِيَارِ شَهْدِهِ، وَانْتِشَاقِ رَنْدِهِ (٩)
أَشْهَدُ مَشَاجِرَ الْخُصُومِ، وَأَسْفِرُ بَيْنَ الْمَعْصُومِ (١٠) مِنْهُمْ وَالْمَوْصُومِ (١١)
فَبَيْنَمَا الْقَاضِي جَالِسٌ لِلْإِسْجَالِ، فِي يَوْمِ الْمَحْفَلِ وَالْإِحْتِفَالِ، إِذْ دَخَلَ شَيْخٌ
بِالْيِ الرِّيَاشِ، بِأَدْيِ الْارْتِعَاشِ، فَتَبَصَّرَ الْحَفْلَ تَبَصَّرَ (١٢) نَقَادَ، ثُمَّ زَعَمَ أَنَّ لَهُ
خَصْمًا غَيْرَ مُنْقَادٍ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا كَضَوْءِ شَرَارَةٍ (١٣)، أَوْ وَحْيِ إِشَارَةٍ، حَتَّى

(١) قوام معتدل.

(٢) عدو.

(٣) جمع نحير - بالكسر - وهو الحاذق المتمكن.

(٤) هي الشجاعة والقوة.

(٥) جمع ظلامة، وهو ما يشتكيه المظلوم.

(٦) يعني: أنه متيسر الحال.

(٧) بالاجتماع عليه وتردد الزيارة.

(٨) يعني: بتقليل زيارته.

(٩) الرند: شجر طيب الرائحة كالعود.

(١٠) الذي لا عيب عنده.

(١١) المعيب.

(١٢) هو من يميز بين الجيد والزيّف.

(١٣) كأسرع مدة سيرة.

أَحْضِرَ غُلَامٌ، كَأَنَّهُ ضِرْغَامٌ، فَقَالَ الشَّيْخُ: أَيْدَ اللَّهِ الْقَاضِي، وَعَصَمَهُ مِنْ
التَّغَاضِي، إِنَّ ابْنِي هَذَا كَالْقَلَمِ الرَّدِيِّ، وَالسِّيفِ الصَّدِيِّ، يَجْهَلُ أَوْصَافَ
الْإِنْصَافِ، وَيَرْضَعُ أَخْلَافَ الْخِلَافِ، إِنَّ أَقْدَمْتُ أَحْجَمَ^(١)، وَإِذَا أُعْرِبْتُ
أَعْجَمَ^(٢)، وَإِنْ أَذْكَيْتُ^(٣) أَحْمَدَ^(٤)، وَمَتَى شَوَيْتُ رَمْدًا، مَعَ أَنِّي كَفَلْتُهُ
مُذَّ دَبَّ^(٥)، إِلَى أَنْ شَبَّ، وَكُنْتُ لَهُ الْأَطْفَ مِنْ رَبِّي وَرَبِّ، فَأَكْبَرَ الْقَاضِي
مَا شَكَا إِلَيْهِ، وَأَطْرَفَ بِهِ مِنْ حَوَالِيهِ، ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ الْعُقُوقَ أَحَدُ
الثُّكُلَيْنِ، وَلَرُبَّ عُقْمٍ أَقْرُّ لِلْعَيْنِ^(٦)، فَقَالَ الْغُلَامُ، وَقَدْ أَمْعَضَهُ^(٧) هَذَا
الْكَلَامُ: وَالَّذِي نَصَبَ الْقُضَاةَ لِلْعَدْلِ، وَمَلَكَهُمْ أَعْنَةَ الْفَضْلِ وَالْفَضْلِ، إِنَّهُ مَا
دَعَا قَطُّ إِلَّا آمَنْتُ، وَلَا أَدْعَى إِلَّا آمَنْتُ، وَلَا لَبِي إِلَّا أُحْرَمْتُ، وَلَا أَوْرَى إِلَّا
أُضْرَمْتُ^(٨)، بَيَدَ أَنَّهُ كَمَنْ يَبْغِي بِيضَ الْأَنْثُوقِ، وَيَطْلُبُ الطَّيْرَانَ مِنَ النَّوْقِ!
فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: وَبِمَ أَعْنَتَكَ، وَامْتَحَنَ طَاعَتَكَ؟ قَالَ: إِنَّهُ مُذَّ صَفَرَ مِنْ
الْمَالِ، وَمُنِي بِالْإِمْحَالِ^(٩)، يَسُومُنِي أَنْ أَتَلَمَّظَ بِالسُّؤَالِ، وَأُسْتَمْطَرَ سَحْبَ
النَّوَالِ^(١٠)، لِيَفِيضَ شَرِبُهُ الَّذِي غَاضَ، وَيَنْجَبَرَ مِنْ حَالِهِ مَا انْهَاضَ^(١١)،
وَقَدْ كَانَ حِينَ أَخَذَنِي بِالدَّرْسِ، وَعَلَّمَنِي أَدَبَ النَّفْسِ، أَشْرَبَ قَلْبِي أَنَّ
الْحَرَصَ مَتَعَبَةٌ، وَالطَّمْعَ مَعْتَبَةٌ، وَالشَّرَّ^(١٢) مَتَخَمَةٌ^(١٣)، وَالْمَسْأَلَةَ مَلَأْمَةٌ،
ثُمَّ أَنشَدَنِي مِنْ فُلُقٍ فِيهِ، وَنَحْتِ قَوَافِيهِ:

(١) تأخر. (٢) أبهم واستعجم استبهم.

(٣) أشعلت. (٤) أطفأ.

(٥) من وقت أن مشى على يديه ورجليه. (٦) أروح للإنسان من الولد العاق.

(٧) شق عليه وأغضبه. (٨) أشعلت وقويت.

(٩) يكلفني. (١٠) هو العطاء.

(١١) ما انكسر. (١٢) شدة الحرص وغلبته.

(١٣) مفسدة.

شُكِّرَ مِنَ الْقُلِّ كَثِيرٌ لَدَيْهِ
يَحُطُّ قَدْرَ الْمَتْرَاقِي إِلَيْهِ
كَمَا يُحَامِي اللَّيْثُ عَنْ لِبْدَتِيهِ
صَبْرٌ أُولِي الْعِزْمِ وَأَغْمَضُ عَلَيْهِ (٢)
خَوْلَكَ (٣) الْمَسْئُولُ مَا فِي يَدَيْهِ
أَخْفَى قَدَى جَفْنِيهِ عَنْ نَظَرِيهِ
لَمْ يَرَ أَنَّ يُخْلَقَ دِيْبَاجَتِيهِ

إِرْضَ بِأَدْنَى الْعَيْشِ وَاشْكُرْ عَلَيْهِ
وَجَانِبَ الْخَرْصِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ
وَحَامٍ عَنْ عَرْضِكَ وَاسْتَبَقَهُ
وَاصْبِرْ عَلَى مَا نَابَ مِنْ فَاقَةٍ (١)
وَلَا تُرْقِ مَاءَ الْمُحَيَّا وَلَوْ
فَالْحُرُّ مَنْ إِنْ قَذِيَتْ عَيْنُهُ
وَمَنْ إِذَا أُخْلِقَ دِيْبَاجُهُ

قَالَ: فَعَبَسَ الشَّيْخُ وَكَافَهَرَ (٤)، وَانْدَرَأَ عَلَى ابْنِهِ وَهَرَّ، وَقَالَ لَهُ: صَهْ يَا
عَقْقُ (٥)، يَا مَنْ هُوَ الشَّجَى وَالشَّرْقُ! وَيَكُ أَتَعْلَمُ أَمَّكَ الْبِضَاعَ، وَظَنَّرَكَ (٦)
الْإِرْضَاعَ؟ لَقَدْ تَحَكَّكَ الْعَقْرَبُ بِالْأَفْعَى، وَاسْتَنَّتَ الْفَصَالُ حَتَّى الْقَرَعَى! ثُمَّ
كَأَنَّهُ نَدِمَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْ فِيهِ، وَحَدَّثَهُ الْمَقَّةُ عَلَى تَلَافِيهِ، فَرَنَا إِلَيْهِ بَعِينَ
عَاطِفٍ، وَخَفَضَ لَهُ جَنَاحَ مُلَاطِفٍ، وَقَالَ لَهُ: وَيَكُ يَا بُنَيَّ إِنْ مَنَ أَمْرٌ
بِالْقِنَاعَةِ، وَزُجِرَ عَنِ الضَّرَاعَةِ (٧)، هُمْ أَرْبَابُ الْبِضَاعَةِ (٨)، وَأَوَّلُو الْمَكْسَبَةِ
بِالصَّنَاعَةِ، فَأَمَّا ذَوُو الضَّرُورَاتِ، فَقَدْ اسْتَشْنِي بِهِمْ فِي الْمَحْظُورَاتِ (٩)،
وَهَبَكَ جَهَلْتُ هَذَا التَّأْوِيلَ، وَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا قِيلَ، أَلَسْتَ الَّذِي عَارَضَ أَبَاهُ،
فِي مَا قَالَ وَمَا حَابَاهُ:

لَا تَقْعُدَنَّ عَلَى ضُرٍّ وَمُسْغَبَةٍ (١٠) لَكِي يُقَالَ عَزِيزُ النَّفْسِ مُصْطَبَرٌ

(١) أصاب من فقر.

(٢) استره ولا تظهروه.

(٣) ملكك.

(٤) اشتدَّ عبوسه.

(٥) يا عاق.

(٦) الظئر: المُرْضِعَةُ.

(٧) الخضوع والتذلل.

(٨) هم التجار أصحاب الأموال.

(٩) المحظورات؛ أي: رُخِّصَ لَهُمْ فِيهَا.

(١٠) جوع.

وَانْظُرْ بَعِينَكَ هَلْ أَرْضٌ مُعْطَلَةٌ^(١)
 فَعَدَّ عَمَّا تُشِيرُ الْأَغْيَاءُ^(٢) بِهِ
 وَارْحَلْ رِكَابَكَ عَنْ رُبْعٍ ظُمْتُ بِهِ
 وَاسْتَنْزَلَ الرَّيَّ مِنْ دَرِّ السَّحَابِ فَإِنْ
 وَإِنْ رُدِدَتْ فَمَا فِي الرَّدِّ مَنْقَصَةٌ
 مِنَ النَّبَاتِ كَأَرْضِ حَفْهَ الشَّجَرِ
 فَأَيُّ فَضْلٍ لِعُودِ مَا لَهُ ثَمَرٌ
 إِلَى الْجَنَابِ الَّذِي يَهْمِي بِهِ^(٣) الْمَطَرُ
 بُلَّتْ يَدَاكَ بِهِ فَلِيَهْنِكَ الظَّفَرُ
 عَلَيْكَ قَدْ رَدَّ مُوسَى قَبْلُ وَالْخَضِرُ

قَالَ: فَلَمَّا أَنْ رَأَى الْقَاضِي تَنَافَى قَوْلِ الْفَتَى وَفِعْلِهِ، وَتَحْلِيَهُ^(٤) بِمَا لَيْسَ
 مِنْ أَهْلِهِ، نَظَرَ إِلَيْهِ بَعَيْنَ غَضَبِي، وَقَالَ: أَتَمِيمًا مَرَّةً وَقِسِيًّا أُخْرَى؟ أَفَ لِمَنْ
 يَنْقُضُ مَا يَقُولُ، وَيَتَلَوَّنُ كَمَا تَتَلَوَّنُ الْغُولُ! فَقَالَ الْغَلَامُ: وَالَّذِي جَعَلَكَ
 مِفْتَاحًا لِلْحَقِّ، وَفَتَّاحًا بَيْنَ الْخَلْقِ^(٥)، لَقَدْ أَنْسَيْتُ مَذْ أَسَيْتُ^(٦)، وَصَدَيْ
 ذَهْنِي مَذْ صَدَيْتُ، عَلَى أَنَّهُ أَيْنَ الْبَابُ الْفُتْحُ، وَالْعَطَاءُ السُّرْعُ^(٧)؟ وَهَلْ بَقِيَ
 مِنْ يَتَبَرَّعُ بِاللَّهِ، وَإِذَا اسْتَطْعَمَ يَقُولُ هَا؟ فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: مَهْ! فَمَعَ
 الْخَوَاطِي سَهْمٌ صَائِبٌ، وَمَا كُلُّ بَرْقٍ خَالِبٌ^(٨)، فَمِيزَ الْبُرُوقُ إِذَا شِمْتُ،
 وَلَا تَشْهَدُ إِلَّا بِمَا عَلِمْتَ.

فَلَمَّا تَبَيَّنَ لِلشَّيْخِ أَنَّ الْقَاضِي قَدْ غَضِبَ لِلْكَرَامِ، وَأَعْظَمَ تَبْخِيلَ جَمِيعِ
 الْأَنَامِ، عَلِمَ أَنَّهُ سَيَنْصُرُ كَلِمَتَهُ، وَيُظْهِرُ أَكْرَمَتَهُ، فَمَا كَذَّبَ^(٩) أَنْ نَصَبَ
 شَبَكَّتَهُ، وَشَوَى فِي الْحَرِيقِ سَمَكَّتَهُ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ:
 يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الَّذِي عِلْمُهُ وَحِلْمُهُ أَرْسَخُ مِنْ رَضْوَى

(١) خالية.

(٢) جمع الغبي، وهو: الأحمق الجاهل.

(٣) يسيل به.

(٤) تلبسه وتزينه.

(٥) حاكمًا. قال تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا﴾ الآية [الأعراف: ٨٩]؛ أي: احكم.

(٦) مذ حزنت من الأسى، وهو: الحزن. (٧) السهل الكثير السريع.

(٨) لا غيث فيه. (٩) فما لبث.

قد ادعى هذا على جهله
وما درى أنك من معشر
فجذب يثنيه (٣) مستخزياً (٤)
وأنشني جذلان (٥) أنني بما
أن ليس في الدنيا أخو جدوى (١)
عطاؤهم كالمَن والسَّلوى (٢)
مما افترى من كذب الدعوى
أوليت من جدوى (٦) ومن عدوى (٧)

قال: فهش القاضي لقوله، وأجزل له من طوله، ثم لفت وجهه إلى
الغلام، وقد نصل له أسهم الملام، وقال له: أرأيت بطل زعمك، وخطأ
وهملك؟ فلا تعجل بعدها بدم، ولا تنحت عوداً (٨) قبل عجم، وإياك
وتأبيك، عن مطاوعة أبيك! فإنك إن عدت تعقه (٩)، حاق بك مني ما
تستحقه، فسقط الفتى في يده، ولاذ بحقو والده، ثم نهض يحفد (١٠)،
وتبعه الشيخ يشد:

من ضامه (١١) أو ضاره دهره
سماحه (١٢) أزرى بمن قبله
فليقصد القاضي في صعدة
وعدله أتعب من بعده

قال الراوي: فحرت (١٣) بين تعريف الشيخ وتنكيره، إلى أن
احرورف (١٤) لمسيره، فناجيت النفس باتباعه، وكو إلى رباعه (١٥)، لعلّي
أظهر على أسرارهِ، وأعرف شجرة ناره (١٦)، فنبذت العلق، وانطلقت

- (١) صاحب جدوى، وهي: العطية والكرم.
(٢) بما يردّه.
(٣) وأرجع فرحاً مسروراً.
(٤) هنا بمعنى الإعانة بإزالة إحدى المظالم.
(٥) تعصيه وتغضبه.
(٦) من الضيم، وهو: الظلم.
(٧) تحيرت.
(٨) طائر يشبه السمان.
(٩) من الحزاية، وهي: الحياء.
(١٠) هي العطية.
(١١) لا تنجره.
(١٢) قام يسعى.
(١٣) جوده.
(١٤) انحرف؛ أي: مال وعدل.
(١٥) يريد حقيقة حاله.
(١٦) دياره ومنازله.

حيث انطلق، ولم يزل يخطو وأعتقب، ويبعد وأقترب، إلى أن تراءى
 الشخصان، وحق التعارف على الخلصان، فأبدى حينئذ الاهتشاء^(١)،
 ورفع الارتعاش، وقال: من كاذب أخاه فلا عاش! فعرفت عند ذلك أنه
 السروجي بلا محالة^(٢)، ولا حؤول حالة، فأسرعت إليه لأصافحه،
 وأستعرف سانه وبارحه^(٣)، فقال: دونك ابن أخيك البر^(٤)، وتركني
 ومراً^(٥)، فلم يعد الفتى أن افتر، ثم فر كما فر، فعدت وقد استبنت
 عينهما، ولكن أين هما.



(١) الطرب والفرح.

(٢) من غير شك.

(٣) يريد خيره وشره.

(٤) البار بأبيه.

(٥) ذهب لحاله.

المقامة الثامنة والثلاثون المروية

حكى الحارث بن همام قال: حُبِّبَ إِلَيَّ مَذْ سَعَتْ قَدَمِي، وَنَفَثَ قَلَمِي، أَنْ أَتَّخِذَ الْأَدَبَ شِرْعَةً، وَالْاِقْتِبَاسَ (١) مِنْهُ نُجْعَةً، فَكُنْتُ أَنْقُبُ (٢) عَنْ أَخْبَارِهِ، وَخَزَنَةَ أَسْرَارِهِ، فَإِذَا أَلْفَيْتُ مِنْهُمْ بُغْيَةَ الْمُلْتَمَسِ (٣)، وَجُدُودَ الْمُقْتَبَسِ، شَدَدْتُ يَدَيَّ بِغَرْزِهِ، وَاسْتَنْزَلْتُ مِنْهُ زَكَاةَ (٤) كَنْزِهِ، عَلَى أَنِّي لَمْ أَلْقَ كَالسَّرُوجِيِّ فِي غَزَاةِ السُّحْبِ (٥)، وَوَضَعَ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ أَسِيرَ مِنَ الْمَثَلِ، وَأَسْرَعَ مِنَ الْقَمَرِ فِي النُّقْلِ، وَكُنْتُ لَهُوَى مُلَاقَاتِهِ (٦)، وَاسْتِحْسَانَ مَقَامَاتِهِ، أَرْغَبُ فِي الْاِغْتِرَابِ، وَأَسْتَعِذُّ بِالسَّفَرِ الَّذِي هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، فَلَمَّا تَطَوَّحْتُ (٧) إِلَى مَرَوْ، وَلَا غَرَوْ (٨)، بَشَّرَنِي بِمُلَقَاةِ زَجْرِ الطَّيْرِ، وَالْفَالِ الَّذِي هُوَ بَرِيدُ الْخَيْرِ، فَلَمْ أَزَلْ أَنْشُدُهُ فِي الْمَحَافِلِ (٩)، وَعِنْدَ تَلْقَى الْقَوَافِلِ (١٠)، فَلَا أَجِدُ عَنْهُ مُخْبِرًا، وَلَا أَرَى لَهُ أَثَرًا وَلَا عِثْرًا، حَتَّى غَلَبَ الْيَأْسُ الطَّمَعَ، وَانْزَوَى (١١) التَّأْمِيلُ وَانْقَمَعَ، فَإِنِّي لَذَاتَ يَوْمٍ بِحَضْرَةِ وَالِي مَرَوْ، وَكَانَ مِمَّنْ جَمَعَ الْفَضْلَ وَالسَّرَّو، إِذْ طَلَعَ أَبُو زَيْدٍ فِي خَلْقٍ مِمْلَاقٍ، وَخُلِقَ مِلَاقٍ، فَحَيَّا تَحِيَّةَ الْمُحْتَاجِ، إِذَا لَقِيَ رَبَّ التَّاجِ (١٢)، ثُمَّ

(١) الاستفادة.

(٢) أبحث وأنفحص.

(٣) طلبه الطالب وحاجته.

(٤) تطلب منه زكاة ماله.

(٥) جمع سحابة، وكني به عن كثرة العلم.

(٦) لرغبتني في التلاقي معه.

(٧) رميت بنفسي.

(٨) لا غرابة في ذلك.

(٩) جمع المحفل، وهو: مجتمع الناس.

(١٠) استقبال المسافرين.

(١١) اختفى.

(١٢) هو الملك.

قَالَ لَهُ: اَعْلَمْ وَقِيْتَ الذَّمَّ، وَكُفِيْتَ الْهَمَّ، اَنَّ مِنْ عُدَقَتْ بِهِ الْأَعْمَالُ، أُعْلِقَتْ بِهِ الْأَمْالُ، وَمَنْ رُفِعَتْ لَهُ الدَّرَجَاتُ، رُفِعَتْ إِلَيْهِ الْحَاجَاتُ، وَأَنَّ السَّعِيدَ مَنْ إِذَا قَدَرَ، وَوَاتَاهُ الْقَدَرُ^(١)، أَدَّى زَكَاةَ النَّعَمِ، كَمَا يُوَدِّي زَكَاةَ النَّعَمِ، وَالتَّزَمَ لِأَهْلِ الْحَرَمِ مَا يُلْتَزَمُ لِلْأَهْلِ وَالْحَرَمِ، وَقَدْ أَصْبَحْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ عَمِيدَ مِصْرِكَ^(٢)، وَعِمَادَ عَصْرِكَ، تُزَجِّي^(٣) الرِّكَاثُ إِلَى حَرَمِكَ، وَتُرْجِي^(٤) الرِّغَائِبُ مِنْ كَرَمِكَ، وَتُنْزِلُ الْمَطَالِبُ بِسَاحَتِكَ، وَتُسْتَنْزِلُ الرَّاحَةَ مِنْ رَاحَتِكَ^(٥). وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا، وَإِحْسَانُهُ لَدَيْكَ عَمِيمًا، ثُمَّ إِنِّي شَيْخٌ تَرِبَ بَعْدَ الْإِثْرَابِ^(٦)، وَعَدِمَ الْإِعْشَابَ حِينَ شَابَ، قَصَدْتُكَ مِنْ مُحَلَّةٍ نَارِحَةٍ^(٧)، وَحَالَةٍ رَارِحَةٍ، أَمَلُ مِنْ بِحْرِكَ دُفْعَةً، وَمِنْ جَاهِكَ رِفْعَةً، وَالتَّامِيلُ أَفْضَلُ وَسَائِلِ السَّائِلِ، وَنَائِلِ النَّائِلِ^(٨)، فَأَوْجِبْ لِي مَا يَجِبُ عَلَيْكَ، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَلْوِي عِذَارَكَ^(٩)، عَمَّنْ اِزْدَرَاكَ، وَأَمَّ دَارَكَ، أَوْ تَقْبِضَ رَاحَكَ، عَمَّنْ امْتَاَحَكَ^(١٠)، وَامْتَارَ سَمَاَحَكَ، فَوَاللَّهِ مَا مَجَدَ^(١١) مَنْ جَمَدَ^(١٢)، وَلَا رَشَدَ مِنْ حَشَدَ، بَلِ اللَّيْبُ مَنْ إِذَا وَجَدَ جَادَ^(١٣)، وَإِنْ بَدَأَ بِعَائِدَةِ عَادَ، وَالكَرِيمُ مَنْ إِذَا اسْتَوْهَبَ الذَّهَبَ، لَمْ يَهَبْ أَنْ يَهَبَ^(١٤)، ثُمَّ أَمْسَكَ يَرْقُبُ أَكُلَ غَرْسِهِ، وَيَرْصُدُ^(١٥) مَطْيَبَةَ

(١) وساعده ما قدره الله.

(٢) الْعَمِيدُ: السيد الذي يُعَمَدُ إِلَيْهِ فِي الْخَوَائِجِ؛ أَي: يُقْصَدُ، وَالْمِصْرُ: الْمَدِينَةُ مُطْلَقًا.

(٣) تساق. (٤) تؤمل.

(٥) من كفك. (٦) بعد الاستغناء بكثرة المال.

(٧) منزل بعيد. (٨) عطاء المعطي.

(٩) يعني: تصرف وجهك. (١٠) طلب عطاءك.

(١١) ما شَرَفَ. (١٢) من بخل.

(١٣) أعطى. (١٤) أن يعطي الهبة. (١٥) بمعنى: يرقب.

نَفْسِهِ (١)، وَأَحَبُّ الْوَالِي أَنْ يَعْلَمَ هَلْ نُطِفَتْهُ ثَمَدٌ، أَمْ لَقْرِحَتِهِ مَدَدٌ،
فَأَطْرَقَ (٢) يَرْوِي فِي اسْتِيرَاءِ زَنْدِهِ، وَاسْتِشْفَافِ فِرْنِدِهِ، وَالتَّبَسُّ عَلَى أَبِي زَيْدٍ
سِرُّ صَمْتِهِ، وَإِرْجَاءِ صَلَاتِهِ (٣)، فَتَوَغَّرَ (٤) غَضَبًا، وَأَنْشَدَ مُقْتَضِبًا:

لَا تَحْقِرَنَّ أَبَيْتَ اللَّعْنِ ذَا أَدَبٍ

لَأَنْ بَدَأَ خَلْقَ السَّرْبَالِ (٥) سُبُرُوتًا (٦)
وَلَا تُضِعْ لِأَخِي التَّامِيلِ (٧) حُرْمَتَهُ

أَكَانَ ذَا لِسَنٍ أَمْ كَانَ سَكَيْتًا
وَانْفَحْ بِعُرْفِكَ مِنْ وَاثَاكَ مَخْتَبِطًا (٨)

وَانْعَشْ بِغَوْثِكَ (٩) مِنْ أَلْفَيْتٍ مَنَكُوتًا
فَخَيْرُ مَالِ الْفَتَى مَالُ أَشَادِلِهِ

ذَكَرْنَا تَنَاقُلَهُ الرُّكْبَانَ أَوْ صَيْتًا
وَمَا عَلَى الْمُشْتَرِي حَمْدًا بِمَوْهَبَةٍ

غَبْنٌ (١٠) وَلَوْ كَانَ مَا أُعْطَاهُ يَاقُوتًا
لَوْ لَا الْمُرُوءَةُ ضَاقَ الْعُذْرُ عَنْ فَطْنٍ

إِذَا اشْرَأَبَ (١١) إِلَى مَا جَاوَزَ الْقُوتَا (١٢)

(١) ما تطيب به نفسه.

(٢) أكب برأسه.

(٣) تأخير عطيته.

(٤) تلهب من الوغرة، وهي: شدة توقد النار.

(٥) رث الثوب.

(٦) فقيرًا لا يملك شيئًا.

(٧) لصاحب الأمل المترجى.

(٨) سائلًا يطلب معروفك.

(٩) بإغاثتك.

(١٠) هو تجاوز ثمن المبيع فوق قيمته.

(١١) مدَّ عنقه إلى شيء ينظر إليه، فاستعير للطمع.

(١٢) طلب الزيادة عن الكفاية.

لكنَّهُ لأَبْتَنَاءِ المَجْدِ جَدًّا (١) ومنْ
حُبِّ السَّمَّاحِ ثَنَى نَحْوَ العُلَى (٢) لَيْتَا (٣)
وَمَا تَنْشَقُّ نَشْرَ الشُّكْرِ ذُو كَرَمٍ
إِلَّا وَأَزْرَى بِنَشْرِ المِسْكِ مَفْتَوَاتَا
وَالْحَمْدُ وَالبُّخْلُ لَمْ يُقْضَ اجْتِمَاعُهُمَا (٤)
حَتَّى لَقَدْ خِيلَ ذَا ضَبًّا وَذَا حَوَاتَا
وَالسَّمْحُ (٥) فِي النِّاسِ مَحْبُوبٌ خِلَافُهُ
وَالْجَامِدُ الكَفُّ (٦) مَا يَنْفَكُ مَمْقُوتَا
وَالشَّحِيحُ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَلٌ (٧)
يُوسِعُنُهُ أَبَدًا ذِمًّا (٨) وَتَبْكِيَتَا
فَجْدٌ بِمَا جَمَعْتَ كَفَّاكَ مِنْ نَشَبٍ (٩)
حَتَّى يُرَى مُجْتَدِي جُدُوكَ (١٠) مَبْهُوتَا
وَحُذْنُ نَصِيبِكَ مِنْهُ قَبْلَ رَائِعَةٍ
مِنَ الزَّمَانِ تُرِيكَ العُودَ مَنُحُوتَا (١١)
فَالدَّهْرُ أَنْكَدُ مَنْ أَنْ تَسْتَمرَّ بِهِ
حَالٌ تَكَرَّهْتَ تِلْكَ الحَالِ أَمْ شَيْتَا
فَقَالَ لَهُ الْوَالِي: تَاللَّهِ لَقَدْ أَحْسَنْتَ، فَأَيُّ وَلَدِ الرَّجُلِ أَنْتَ؟ فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَنْ

(١) سعى واجتهد لرفع مرتبته.

(٢) لفت إلى جهة المعالي.

(٣) هو صفحة العُنُق.

(٤) لا يجتمعان.

(٥) الجواد.

(٦) كناية عن البُخْل.

(٧) أَعْدَارُ.

(٨) يكثرن ذمّه دائماً.

(٩) مال.

(١٠) طالب عطائك، والجادي: السائل. الجدوى وهي: العطية.

(١١) مقوساً.

عُرْضٍ، وَأَنْشَدَ وَهُوَ مُغْضٍ (١):

لَا تَسْأَلِ الْمَرْءَ مَنْ أَبَوْهُ وَرَزُّ
خِلَالَهُ (٢) ثُمَّ صَلِّهِ أَوْ فَاصِرِمِ (٣)
فَمَا يَشِينُ (٤) السُّلَافَ (٥) حِينَ حَلَا

مَذَاقُهَا كَوْنُهَا ابْنَةُ الْحِصْرِ

قَالَ: فَقَرَّبَهُ الْوَالِي لِبَيَانِهِ الْفَاتِنِ (٦)، حَتَّى أَحْلَهُ مَقْعَدَ الْخَاتِنِ، ثُمَّ فَرَضَ
لَهُ مِنْ سُبُوبِ (٧) نَيْلِهِ، مَا آذَنَ بِطُولِ ذَيْلِهِ، وَقَصَرَ لَيْلِهِ، فَنَهَضَ عَنْهُ بَرْدُنْ
مَلَانْ، وَقَلْبِ جَذْلَانِ (٨)، وَتَبِعَتْهُ حَازِبَا حَدْوُهُ، وَقَافِيَا خَطْوُهُ، حَتَّى إِذَا
خَرَجَ مِنْ بَابِهِ، وَفَصَلَ (٩) عَنْ غَابِهِ، قُلْتُ لَهُ: هُنْتُ بِمَا أُوتِيتَ، وَمُلِّيتَ
بِمَا أُوتِيتَ! فَاسْفَرَ وَجْهُهُ وَتَلَالَا (١٠)، وَوَالَى شُكْرًا لِلَّهِ تَعَالَى، ثُمَّ خَطَرَ
اِخْتِيَالًا، وَأَنْشَدَ ارْتِجَالًا (١١):

مَنْ يَكُنْ نَالَ بِالْحِمَا قَةً حَظًّا أَوْ سَمَا قَدْرَهُ لَطِيبَ الْأُصُولِ
فِبِفَضْلِي انْتَفَعْتُ لَا بِفُضُولِي (١٢) وَبِقَوْلِي ارْتَفَعْتُ لَا بِقِيُولِي (١٣)

ثُمَّ قَالَ: تَعَسَا (١٤) لَنْ جَدَبَ (١٥) الْأَدَبَ، وَطُوبَى لِمَنْ جَدَّ فِيهِ
وَدَابَ (١٦)! ثُمَّ وَدَّعَنِي وَذَهَبَ، وَأَوْدَعَنِي اللَّهَبَ.

(١) مقارب بين جفنيه.

(٢) خصاله.

(٣) اقطع الصُّحْبَةَ.

(٤) يعيب.

(٥) الخمر الصالحة.

(٦) السالب للعقل.

(٧) عطاياه.

(٨) فرح مسرورًا.

(٩) خرج.

(١٠) لمع.

(١١) من غير فكرة.

(١٢) لا بدخولي فيما لا يعنيني.

(١٣) لا بملوكي؛ لأنَّ القليل الملك بلغة حمير، والجمع: قِيُول.

(١٤) هلاكًا، وأصله الكب.

(١٥) عاب.

(١٦) دام عليه وتعب فيه.

المقامة التاسعة والثلاثون العمانية

حَدَّثَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: لَهَجْتُ^(١) مُذْ اخْضَرَ إِزَارِي، وَبَقَلَ^(٢) عِذَارِي^(٣)، بِأَنْ أَجُوبَ^(٤) الْبَرَارِي^(٥) عَلَى ظُهُورِ الْمَهَارِي، أُنْجِدُ طَوْرًا، وَأَسْلُكُ تَارَةً غَوْرًا^(٦)، حَتَّى فَلَيْتُ الْمَعَالِمَ وَالْمَجَاهِلَ، وَبَلَوْتُ الْمَنَازِلَ وَالْمَنَاهِلَ^(٧)، وَأَدْمَيْتُ السَّنَابِكَ وَالْمَنَاسِمَ، وَأَنْضَيْتُ السَّوَابِقَ^(٨) وَالرَّوَاسِمَ، فَلَمَّا مِلْتُ الْإِصْحَارَ^(٩)، وَقَدْ سَنَحَ لِي أَرْبُ بَصْحَارَ، مِلْتُ إِلَى اجْتِيَارِ التِّيَارِ، وَاجْتِيَارِ الْفُلْكِ السَّيَّارِ^(١٠)، فَنَقَلْتُ إِلَيْهِ أَسَاوِدِي، وَاسْتَصَحَبْتُ زَادِي وَمَزَاوِدِي، ثُمَّ رَكِبْتُ فِيهِ رُكُوبَ حَاذِرٍ^(١١) نَازِرٍ، عَاذِلٍ^(١٢) لِنَفْسِهِ عَاذِرٍ^(١٣)، فَلَمَّا شَرَعْنَا فِي الْقُلْعَةِ، وَرَفَعْنَا الشُّرْعَ^(١٤) لِلسُّرْعَةِ، سَمِعْنَا مِنْ شَاطِئِ الْمَرَسَى حِينَ دَجَا اللَّيْلُ وَأَغْصَى^(١٥)، هَاتِفًا يَقُولُ: يَا أَهْلَ ذَا الْفُلْكِ الْقَوِيمِ، الْمَزْجَى فِي الْبَحْرِ الْعَظِيمِ، بِتَقْدِيرِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ، هَلْ أَدْلُكُمُ عَلَى

- | | |
|--------------------------|----------------------------------|
| (١) ولعت واشتدَّ حُبِّي. | (٢) نبت. |
| (٣) شعر خدِّي. | (٤) أقطع. |
| (٥) الصحارى. | (٦) ما انخفض منها. |
| (٧) مواضع الماء. | (٨) الخيل. |
| (٩) السير في الصحراء. | (١٠) كثير السير. |
| (١١) خائف. | (١٢) لائم. |
| (١٣) ملتئم لها عذراً. | (١٤) جمع شراع، وهو: قلع السفينة. |
| (١٥) اشتدَّت ظلمته. | |

تِجَارَةً تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ؟ فَقُلْنَا لَهُ: أَقْبِسْنَا نَارَكَ أَيُّهَا الدَّلِيلُ، وَأَرْشِدْنَا كَمَا يُرْشِدُ الْخَلِيلُ الْخَلِيلَ، فَقَالَ: أَتَسْتَصْحِبُونَ ابْنَ سَبِيلٍ، زَادَهُ فِي زَبِيلٍ، وَظَلُّهُ (١) غَيْرُ ثَقِيلٍ، وَمَا يَبْغِي سِوَى مَقِيلٍ (٢)؟ فَأَجْمَعْنَا عَلَى الْجُنُوحِ (٣) إِلَيْهِ، وَأَنْ لَا نَبْخَلَ بِالْمَاعُونَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى الْفُلْكِ، قَالَ: أَعُوذُ بِمَالِكِ الْمُلْكِ، مِنْ مَسَالِكِ الْهَلْكِ (٤)！ ثُمَّ قَالَ: إِنَّا رُؤِينَا فِي الْأَخْبَارِ الْمُنْقُولَةِ عَنِ الْأَخْبَارِ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا أَخَذَ عَلَى الْجُهَالِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا، حَتَّى أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَنْ يَعْلَمُوا، وَإِنَّ مَعِيَ لَعُودَةً عَنِ الْأَنْبِيَاءِ مَأْخُودَةً، وَعِنْدِي لَكُمْ نَصِيحَةٌ، بَرَاهِينُهَا (٥) صَحِيحَةٌ، وَمَا وَسَعَنِي الْكَتْمَانُ، وَلَا مِنْ خِيَمِي الْحَرَمَانُ، فَتَدَبَّرُوا الْقَوْلَ وَتَفَهَّمُوا، وَاعْمَلُوا بِمَا تُعَلَّمُونَ وَعَلَّمُوا، ثُمَّ صَاحَ صَنِيعَةُ الْمُبَاهِي (٦)، وَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَا هِيَ؟ هِيَ وَاللَّهِ حِرْزُ السَّفَرِ، عِنْدَ مَسِيرِهِمْ فِي الْبَحْرِ، وَالْجُنَّةُ مِنَ الْغَمِّ، إِذَا جَاشَ (٧) مَوْجُ الْيَمِّ، وَبِهَا اسْتَعْصَمَ نُوحٌ مِنَ الطُّوفَانِ، وَنَجَا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْحَيَوَانِ، عَلَى مَا صَدَعَتْ (٨) بِهِ آيُ الْقُرْآنِ، ثُمَّ قَرَأَ بَعْضَ أَسَاطِيرَ (٩) تَلَاهَا، وَزَخَارِفَ (١٠) جَلَاهَا (١١)، وَقَالَ: ارْكَبُوا فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ مُجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا، ثُمَّ تَنَفَّسَ تَنَفُّسَ الْمُغْرَمِينَ، أَوْ عِبَادِ اللَّهِ الْمُكْرَمِينَ، وَقَالَ: أَمَّا أَنَا فَقَدْ قُتِمْتُ فِيكُمْ مَقَامَ الْمُبْلَغِينَ (١٢)، وَنَصَحْتُ لَكُمْ نَصَحَ الْمُبَالِغِينَ، وَسَلَكْتُ بِكُمْ مَحَجَّةَ

(٢) موضع جلوس.

(٤) الهلاك.

(٦) المفاخر.

(٨) نطقت وصرحت.

(١٠) تمويهات مزينة.

(١٢) المجتهدين.

(١) شخصه.

(٣) الميل.

(٥) حججها.

(٧) تحرّك وهاج.

(٩) أباطيل.

(١١) كشفها.

الرَّاشِدِينَ^(١)، فَاشْهَدِ اللَّهُمَّ وَأَنْتَ خَيْرُ الشَّاهِدِينَ.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَأَعْجَبَنَا بَيَانُهُ الْبَادِي الطَّلَاوَةَ، وَعَجَّتْ^(٢) لَهُ أَصْوَاتُنَا بِالتَّلَاوَةِ، وَأَنْسَ قَلْبِي مِنْ جَرِّهِ^(٣)، مَعْرِفَةَ عَيْنِ شَمْسِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: بِالَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ اللَّجِّيَّ^(٤)، أَلَسْتَ السَّرُوجِيَّ؟ فَقَالَ لِي: بَلَى، وَهَلْ يَخْفَى ابْنُ جَلَا؟ فَأَحْمَدْتُ حَيْثُذُ السَّفَرِ، وَسَفَرْتُ عَنْ نَفْسِي إِذْ سَفَرًا، وَلَمْ نَزَلْ نَسِيرُ وَالْبَحْرُ رَهْوً^(٥)، وَالْجَوُّ صَحْوً، وَالْعَيْشُ صَفْوً، وَالزَّمَانُ لَهْوً، وَأَنَا أَجْدُ لِلْقِيَانَةِ، وَجَدْتُ الْمُثْرَى بِعَقِيَانِهِ، وَأَفْرَحُ بِمُنْجَاتِهِ^(٦)، فَرَحَ الْغَرِيقِ بِمُنْجَاتِهِ، إِلَى أَنْ عَصَفَتْ الْجَنُوبُ، وَعَسَفَتْ الْجَنُوبُ، وَنَسِيَ السَّفَرُ مَا كَانَ، وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فَمَلْنَا لَهُذَا الْحَدَثِ الشَّائِرَ^(٧)، إِلَى إِحْدَى الْجَزَائِرِ، لِنُزِيحَ وَنُسْتَرِيحَ، رِيثَمَا تَوَاتِي^(٨) الرِّيحُ، فَمَادَى اعْتِيَاصُ الْمَسِيرِ، حَتَّى نَفِدَ الزَّادُ غَيْرَ الْيَسِيرِ، فَقَالَ لِي أَبُو زَيْدٍ: إِنَّهُ لَنْ يُحْرَزَ جَنَى الْعُودِ^(٩) بِالْقُعُودِ، فَهَلْ لَكَ فِي اسْتِثَارَةِ^(١٠) السُّعُودِ بِالصُّعُودِ^(١١)؟ فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي لَا تَبْعُ لَكَ مِنْ ظِلِّكَ، وَأَطْوَعُ مِنْ نَعْلِكَ، فَنَهْدُنَا إِلَى الْجَزِيرَةِ، عَلَى ضُعْفِ الْمَرِيرَةِ^(١٢)، لِنَرْكُضَ فِي امْتِرَاءِ الْمِيرَةِ^(١٣)، وَكَلَانَا لَا يَمْلِكُ فُتِيلًا، وَلَا يَهْتَدِي فِيهَا سَبِيلًا، فَأَقْبَلْنَا نَجُوسٌ خِلَالَهَا، وَنَتَفَيَّأُ^(١٤) ظِلَالَهَا، حَتَّى

(١) طريقة الهادين.

(٢) ارتفعت.

(٣) صوته الخفي.

(٤) الذي لا يدرك قراره.

(٥) ساكن لا تضطرب أمواجه.

(٦) بنجاته وسلامته.

(٧) الأمر الطارئ الهائج.

(٨) توافق.

(٩) فمرة الأمل.

(١٠) استخراج.

(١١) الطلوع من السفينة.

(١٢) القوة.

(١٣) لنجدد في طلب العطاء.

(١٤) نستظل.

أَفْضَيْنَا إِلَى قَصْرِ مَشِيدٍ، لَهُ بَابٌ مِنْ حَدِيدٍ، وَدُونَهُ زُمْرَةٌ مِنْ عَبِيدٍ،
فَنَاسَمْنَاهُمْ لِنَتَّخِذَهُمْ سَلَمًا إِلَى الْارْتِقَاءِ، وَأَرْشِيَةً لِلِاسْتِقَاءِ، فَأَلْفَيْنَا كُلًّا مِنْهُمْ
كَثِيرًا حَسِيرًا (١)، حَتَّى خَلْنَاهُ كَسِيرًا أَوْ أَسِيرًا، فَقُلْنَا: أَيُّهَا الْغُلَمَةُ، مَا هَذِي
الْغُمَةُ؟ فَلَمْ يُجِيبُوا النَّدَاءَ، وَلَا فَاهُوا (٢) بِيَضَاءِ (٣) وَلَا سَوْدَاءِ (٤)، فَلَمَّا
رَأَيْنَا نَارَهُمْ نَارَ الْحُبَابِ، وَخُبْرَهُمْ (٥) كَسْرَابِ السَّبَاسِبِ (٦)، قُلْنَا:
شَاهَتِ (٧) الْوُجُوهُ، وَقَبِحَ اللَّكْعُ وَمَنْ يَرْجُوهُ! فَاِبْتَدَرَ خَادِمٌ قَدْ عَلَتْهُ (٨)
كِبَرَةٌ، وَعَرَّتَهُ (٩) عِبْرَةٌ، وَقَالَ: يَا قَوْمُ لَا تَوْسِعُونَا (١٠) سَبًّا، وَلَا تَوْجِعُونَا
عُتْبًا، فَإِنَّا لَفِي حُزْنٍ شَامِلٍ، وَشُغْلٍ عَنِ الْحَدِيثِ شَاغِلٍ، فَقَالَ لَهُ أَبُو زَيْدٍ:
نَفْسُ خَنَاقِ الْبَثِّ (١١)، وَانْفَثَ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى النَّفْثِ (١٢)، فَإِنَّكَ سَتَجِدُ
مِنِّي عَرَافًا كَافِيًا، وَوَصَافًا شَافِيًا، فَقَالَ لَهُ: اْعْلَمْ أَنَّ رَبَّ هَذَا الْقَصْرِ هُوَ
قُطْبُ هَذِهِ الْبُقْعَةِ، وَشَاهُ هَذِهِ الرُّقْعَةِ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ كَمَدٍ، لِحُلُوهٍ مِنْ
وَلَدٍ، وَلَمْ يَزَلْ يَسْتَكْرِمُ الْمَغَارِسَ، وَيَتَخَيَّرُ مِنَ الْمَفَارِشِ النَّفَائِسِ، إِلَى أَنْ
بُشِّرَ بِحَمْلِ عَقِيلَةٍ، وَأَذْنَتْ (١٣) رَقْلَتُهُ (١٤) بِفَسِيلَةٍ، فَنُذِرَتْ لَهُ النُّذُورُ،
وَأُحْصِيَتِ الْأَيَّامُ وَالشُّهُورُ، وَلَمَّا حَانَ التَّاجُ (١٥)، وَصِغَ الطُّوقُ وَالتَّاجُ،

(١) حزينًا متحسرًا.

(٢) نطقوا.

(٣) كلمة طيبة.

(٤) كلمة رديئة.

(٥) حقيقة أمرهم وباطنه.

(٦) السباسب: جمع سبب، وهي: الصحراء الواسعة.

(٧) قبحت.

(٨) غشيته.

(٩) اعترته ومسته.

(١٠) لا تكثروا سبًّا.

(١١) هونٌ شدة الحزن.

(١٢) تكلم إن أمكنك الكلام.

(١٣) أعلمت.

(١٤) المراد: زوجته.

(١٥) وضع الجنين.

عَسْرَ مَخَاضٍ الْوَضْعِ (١)، حَتَّى خِيفَ عَلَى الْأَصْلِ (٢) وَالْفَرْعِ (٣)، فَمَا فِينَا
 مَنْ يَعْرِفُ قَرَارًا، وَلَا يَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا غَرَارًا، ثُمَّ أَجْهَشَ بِالْبُكَاءِ وَأَعُولَ،
 وَرَدَّدَ الاسْتِرْجَاعَ وَطَوَّلَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو زَيْدٍ: اسْكُنْ يَا هَذَا وَاسْتَبْشِرْ، وَابْشِرْ
 بِالْفَرْجِ وَبِشْرًا! فَعِنْدِي عَزِيمَةُ الطَّلُقِ، الَّتِي انْتَشَرَ سَمْعُهَا فِي الْخَلْقِ،
 فَتَبَادَرَتِ الْغَلْمَةُ إِلَى مَوْلَاهُمْ، مُتَبَاشِرِينَ بَانْكَشَافِ بُلُوَاهُمْ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا كَلَا
 وَلَا حَتَّى بَرَزَ مَنْ هَلَمَّ بِنَا (٤) إِلَيْهِ، فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ، وَمِثْلُنَا (٥) بَيْنَ يَدَيْهِ،
 قَالَ لِأَبِي زَيْدٍ: لِيَهْنِكَ مَنَالُكَ (٦)، إِنْ صَدَقَ مَقَالُكَ، وَلَمْ يَفِلْ فَالُكَ،
 فَاسْتَحْضَرَ قَلَمًا مَبْرِيًّا، وَزَبَدًا بَحْرِيًّا، وَزَعْفَرَانًا قَدْ دِيفَ (٧)، فِي مَاءٍ وَرَدٍ
 نَظِيفٍ، فَمَا إِنْ رَجَعَ النَّفْسُ، حَتَّى أُحْضِرَ مَا التَّمَسَّ، فَسَجَدَ أَبُو زَيْدٍ
 وَعَفَّرَ (٨)، وَسَبَّحَ وَاسْتَغْفَرَ، وَأَبْعَدَ الْحَاضِرِينَ وَنَفَرَ، ثُمَّ أَخَذَ الْقَلَمَ
 وَاسْحَنْفَرَ، وَكَتَبَ عَلَى الزَّبَدِ بِالْمُزَعَفَرِ:

أَيُّهَا الْجَنِينُ إِنِّي نَصِيحٌ
 لَكَ وَالنُّصْحُ مِنْ شُرُوطِ الدِّينِ
 أَنْتَ مُسْتَعَصِمٌ (٩) بِكُنْ (١٠) كُنِينٌ (١١)
 وَقَرَارٌ مِنَ السُّكُونِ مَكِينٌ
 مَا تَرَى فِيهِ مَا يَرُوعُكَ مَنْ إِلْ
 فٍ مُدَاجٍ (١٢) وَلَا عَدُوٌّ مُبِينٌ

(١) وجع الولادة وهو المعروف بالطَّلُقِ.

(٢) الأم.

(٣) الولد.

(٤) قال لنا: هلمُّوا.

(٥) حضرنا ووقفنا.

(٦) ما تناله من العطاء.

(٧) سُحْق.

(٨) قلب خديه في التُّراب.

(٩) متمسك وممتنع.

(١٠) بيت.

(١١) ساتر.

(١٢) أليف منافق.

فمَتَى مَا بَرَزْتَ مِنْهُ تُحَوِّلُ
 ————— تَ (١) إِلَى مَنْزِلِ الْأَذَى
 وَالْهُونِ وَتَرَأَى لَكَ الشَّقَاءُ الَّذِي تَلُ
 قَى فَتَبْكِي لَهُ بِدَمْعٍ هَتُونِ
 فَاسْتَدِمَ عَيْشَكَ (٢) الرَّغِيدَ وَحَاذِرُ
 أَنْ تَبِيعَ الْمَحْقُوقَ بِالْمُظْنُونِ
 وَاحْتَرَسَ مِنْ مُخَادِعِ لَكَ يَرْقِي
 لَكَ لِيُلْقِيكَ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ
 وَلَعَمْرِي لَقَدْ نَصَحْتُ وَلَكِنْ
 كَمْ نَصِيحٍ مُشَبَّهٍ بِظَنِينِ (٣)

ثُمَّ إِنَّهُ طَمَسَ الْمَكْتُوبَ عَلَى غَفْلَةٍ، وَتَفَلَّ عَلَيْهِ مَائَةٌ تَفْلَةٍ، وَشَدَّ الزَّبْدَ
 فِي خِرْقَةٍ حَرِيرٍ، بَعْدَمَا ضَمَّخَهَا (٤) بِعَبِيرٍ (٥)، وَأَمَرَ بِتَعْلِيقِهَا عَلَى فَخْذِ
 الْمَاخِضِ (٦)، وَأَنْ لَا تَعْلَقَ بِهَا يَدُ حَائِضٍ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا كَذَّوْقٍ شَارِبٍ،
 أَوْ فُوقٍ حَالِبٍ، حَتَّى انْدَلَقَ شَخْصُ الْوَلَدِ، لَخَصِيصَى الزَّبْدِ (٧)، بِقُدْرَةِ
 الْوَاحِدِ الصَّمَدِ، فَامْتَلَأَ الْقَصْرُ جُبُورًا، وَاسْتَطِيرَ عَمِيدُهُ وَعَبِيدُهُ سُورًا،
 وَأَحَاطَتِ الْجَمَاعَةُ بِأَبِي زَيْدٍ تُثْنِي عَلَيْهِ، وَتُقَبِّلُ يَدَيْهِ، وَتَتَبَرَّكُ بِمَسَاسِ
 طَمْرِيهِ، حَتَّى خِيلَ إِلَيَّ أَنَّهُ الْقَرْنِيُّ أَوْيسُ، أَوِ الْأَسَدِيُّ دُبَيْسُ، ثُمَّ انْثَالَ (٨)

(١) انتقلت.

(٢) فالزم معيشتك.

(٣) بمتهم.

(٤) لطحها.

(٥) بأخلاق من الطيب.

(٦) التي أخذها المخاض، وهو: الطلق.

(٧) لشدة اختصاصه بذلك.

(٨) تتابع وانصب.

عَلَيْهِ مِنْ جَوَائِزِ الْمُجَازَاةِ (١)، وَوَصَائِلِ الصَّلَاتِ، مَا قِيَضَ (٢) لَهُ الْغِنَى،
وَبَيَّضَ وَجْهَ الْمُنَى، وَلَمْ يَزَلْ يَنْتَابُهُ (٣) الدَّخْلُ (٤)، مُذْ نُتِجَ السَّخْلُ، إِلَى
أَنْ أُعْطِيَ الْبَحْرُ الْأَمَانَ، وَتَسَنَّى الْإِتْمَامُ (٥) إِلَى عُمَانَ، فَاكْتَفَى أَبُو زَيْدٍ
بِالنَّحْلَةِ، وَتَاهَبَ لِلرَّحْلَةِ، فَلَمْ يَسْمَحِ الْوَالِي بِحَرَكَتِهِ (٦)، بَعْدَ تَجَرِبَةِ بَرَكَتِهِ،
بَلْ أَوْعَزَ (٧) بَضْمَهُ إِلَى حُزَانَتِهِ، وَأَنْ تُطْلَقَ يَدُهُ فِي خِزَانَتِهِ، قَالَ الْحَارِثُ بْنُ
هَمَّامٍ: فَلَمَّا رَأَيْتُهُ قَدْ مَالَ إِلَى حَيْثُ يَكْتَسِبُ الْمَالُ، أَنْحَيْتُ عَلَيْهِ بِالتَّعْنِيفِ،
وَهَجَنْتُ لَهُ مُفَارَقَةَ الْمَالِ وَالْأَلِيفِ (٨)، فَقَالَ إِلَيْكَ عَنِّي، وَاسْمَعْ مِنِّي:
لَا تَصْنُبُونَّ (٩) إِلَى وَطَنٍ وَارْحَلْ عَنِ الدَّارِ الَّتِي
وَاهْرُبْ إِلَى كَنْ يَقِي
وَارْبَأْ (١٢) بِنَفْسِكَ أَنْ تُقَيَّ
وَجِبَ الْبِلَادَ فَأَيُّهَا
وَدَعَ التَّذْكَرَ لِلْمَعَا
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْحُرَّ فِي
كَالدَّرِّ فِي الْأَصْدَافِ يُسْتَنْزَ

فِيهِ تُضَامُ وَتُمْتَهَنُ (١٠)
تُعْلِي الْوَهَادَ (١١) عَلَى الْقُنْنِ
وَلَوْ أَنَّهُ حَضَنَّا حَضَنُ
م بِحَيْثُ يُغْشَاكَ الدَّرَنُ (١٣)
أَرْضَاكَ (١٤) فَاخْتَرَهُ وَطَنُ
هَدِ وَالْحَنِينَ إِلَى السَّكَنِ
أَوْطَانَهُ يَلْقَى الْغَبْنَ
رَى (١٥) وَيُبْخَسُ فِي الثَّمَنِ

(١) عطايا المقابلة.

(٢) ما سبب.

(٣) يأتيه نوبة بعد نوبة.

(٤) الرزق الداخل.

(٥) الماضي.

(٦) أي: سفره.

(٧) أشار وأمر.

(٨) الصَّاحِبِ.

(٩) تميلن وتشتاقن.

(١٠) تحتقر.

(١١) جمع وهدة، وهي: ما انخفض من الأرض.

(١٢) ارفع.

(١٣) الوسخ، وأراد به: الهوان والذل.

(١٤) أعجبك ورضيت له.

(١٥) يحتقر.

ثُمَّ قَالَ: حَسْبُكَ مَا اسْتَمَعْتَ، وَحَبِّدَا أَنْتَ لَوْ اتَّبَعْتَ^(١)! فَأَوْضَحْتُ لَهُ
مَعَاذِيرِي^(٢)، وَقُلْتُ لَهُ: كُنْ عَذِيرِي، فَعَذَرَ وَاعْتَذَرَ، وَزَوَّدَ حَتَّى لَمْ يَذَرْ،
ثُمَّ شَيَّعَنِي^(٣) تَشْيِيعَ الْأَقَارِبِ، إِلَى أَنْ رَكِبْتُ فِي الْقَارِبِ، فَوَدَّعْتُهُ وَأَنَا
أَشْكُو الْفِرَاقَ وَأَذُمُّهُ، وَأَوَدُّ لَوْ كَانَ هَلَكَ الْجَنِينُ وَأُمُّهُ.



(١) طارعت .

(٢) أعذارِي .

(٣) ودَّعَنِي .

المَقَامَةُ الأَرْبَعُونَ التَّبْرِيزِيَّةُ

أَخْبَرَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: أَرْمَعْتُ التَّبْرِيزَ مِنْ تَبْرِيزَ، حِينَ نَبَتُ
بِالدَّلِيلِ وَالْعَزِيزِ، وَخَلَّتْ مِنَ الْمُجِيرِ (١) وَالْمُجِيرِ، فَبَيْنَا أَنَا فِي إِعْدَادِ
الْأُهْبَةِ (٢)، وَارْتِيَادِ الصُّحْبَةِ (٣)، أَلْفَيْتُ بِهَا أَبَا زَيْدٍ السَّرُوجِيَّ مُلْتَقًا بِكِسَاءٍ،
وَمُحْتَفًا (٤) بِنِسَاءٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ خَطْبِهِ (٥)، وَإِلَى أَيْنَ يَسْرُبُ (٦) مَعَ سَرِبِهِ؟
فَأَوْمَأَ إِلَى امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ بِأَهْرَةِ السُّفُورِ، ظَاهِرَةِ النُّفُورِ، وَقَالَ: تَزَوَّجْتُ هَذِهِ
لِتَوْنَسِي فِي الْغُرْبَةِ، وَتَرْحَضَ (٧) عَنِّي قَشْفَ الْعُزْبَةِ، فَلَقَيْتُ مِنْهَا عِرْقَ
الْقُرْبَةِ، تَمْطُلُنِي بِحَقِّي، وَتَكْلِفُنِي فَوْقَ طَوْقِي (٨)، فَأَنَا مِنْهَا نَضُو وَجَى،
وَحَلَفْتُ شَجْوٍ (٩) وَشَجَى. وَهَذَا نَحْنُ قَدْ تَسَاعَيْنَا إِلَى الْحَاكِمِ، لِيَضْرِبَ عَلَيَّ
يَدَ الظَّالِمِ، فَإِنْ انْتَضَمَ بَيْنَنَا الْوِفَاقُ، وَإِلَّا فَالْطَّلَاقُ وَالْإِنْطِلَاقُ (١٠)، قَالَ:
فَمِلْتُ إِلَى أَنْ أَخْبِرَ لِمَنِ الْغَلَبُ، وَكَيْفَ يَكُونُ الْمُقْلَبُ، فَجَعَلْتُ شُغْلِي دَبْرَ
أُذْنِي، وَصَحْبَتُهُمَا وَإِنْ كُنْتُ لَا أُغْنِي (١١)، فَلَمَّا حَضَرَ الْقَاضِي وَكَانَ مِمَّنْ
يَرَى فَضْلَ الْإِمْسَاكِ (١٢)، وَيَضُنُّ بِنُفَاثَةِ السَّوَاكِ، جَثَا (١٣) أَبُو زَيْدٍ بَيْنَ

(١) من الجوار، وهو: الأمان.

(٢) طلب من يصاحبه في السفر.

(٣) أمره وشأنه.

(٤) تغسل وتزيل.

(٥) ملازم للحزن من سوء عشرتها.

(٦) لا أنفع.

(٧) تهيئة حوائج السفر.

(٨) ومحاطًا حوله.

(٩) يذهب ويسير.

(١٠) طاقتي.

(١١) الذهاب.

(١٢) البخل والشح.

(١٣) أي: برك.

يَدِيهِ، وَقَالَ: أَيْدَ اللَّهِ الْقَاضِيَ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، إِنَّ مَطِيَّتِي هَذِهِ أَيْتَةُ الْقِيَادِ،
كَثِيرَةُ الشَّرَادِ، مَعَ أَنِّي أَطْوَعُ لَهَا مِنْ بَنَانِهَا (١)، وَأَحْنِي عَلَيْهَا مِنْ جَنَانِهَا (٢).
فَقَالَ لَهَا الْقَاضِي: وَيْحَكَ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ النُّشُوزَ (٣) يَغْضِبُ الرَّبَّ،
وَيُوجِبُ الضَّرْبَ؟ فَقَالَتْ: إِنَّهُ مِمَّنْ يَدُورُ خَلْفَ الدَّارِ، وَيَأْخُذُ الْجَارَ
بِالْجَارِ، فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: تَبًّا لَكَ (٤)! أَتَبْذُرُ فِي السَّبَاحِ، وَتَسْتَفْرِخُ حَيْثُ
لَا إِفْرَاحَ؟ اعْزُبْ (٥) عَنِّي لَا نَعِمَ عَوْفُكَ، وَلَا أَمِنْ خَوْفُكَ!

فَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: إِنَّهَا وَمُرْسِلِ الرِّيَّاحِ، لَا كُذْبُ مِنْ سَجَاحٍ! فَقَالَتْ: بَلْ هُوَ
وَمِنْ طَوِّقِ الْحَمَامَةِ (٦)، وَجَنَحِ النَّعَمَةِ (٧)، لَا كُذْبُ مِنْ أَبِي ثُمَامَةَ، حِينَ
مَخْرَقَ بِالْيَمَامَةِ، فَزَفَرَ أَبُو زَيْدٍ زَفِيرَ الشُّوَاطِ (٨)، وَاسْتَشْطَاطَ اسْتِشْطَاةَ
الْمُغْتَظِ، وَقَالَ لَهَا: وَيْلَكَ يَا دِفَارٍ يَا فَجَارٍ، يَا غُصَّةَ الْبَعْلِ وَالْجَارِ!
أَتَعْمِدِينَ فِي الْخَلْوَةِ لَتَعْذِيبِي، وَتُبْدِينَ فِي الْحَفْلَةِ تَكْذِيبِي؟ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنِّي
حِينَ بَنَيْتُ عَلَيْكَ (٩)، وَرَرَّوْتُ إِلَيْكَ (١٠)، أَلْفَيْتُكَ أَقْبَحَ مِنْ قَرْدَةٍ، وَأَيَّسَ
مِنْ قَدَةٍ، وَأَخْشَنَ مِنْ لَيْفَةٍ، وَأَنْتَنَ مِنْ جَيْفَةٍ، وَأَثْقَلَ مِنْ هَيْصَةٍ (١١)، وَأَقْدَرَ
مِنْ حَيْصَةٍ، وَأَبْرَزَ مِنْ قِشْرَةٍ (١٢)، وَأَبْرَدَ مِنْ قِرَّةٍ (١٣)، وَأَحْمَقَ مِنْ رِجْلَةٍ،
وَأَوْسَعَ مِنْ دِجْلَةٍ! فَسَتَرْتُ عَوَارِكَ (١٤)، وَلَكَمْ أَبْدِ عَارَكَ (١٥)، عَلَى أَنَّهُ لَوْ

(١) أطراف أصابعها.

(٢) قلبها.

(٣) مخالفة الزوج.

(٤) خسراً وهلاكاً.

(٥) أبعد.

(٦) جعل لها طوقاً.

(٧) جعل لها جناحين.

(٨) النار بلا دخان.

(٩) ليلة دخولي بك.

(١٠) نظرتك.

(١١) تخمة ينشأ عنها القيء والإسهال.

(١٢) أنها غير مخدرة.

(١٣) من ليلة باردة.

(١٤) عيبك.

(١٥) لم أظهر فضيحتك.

حَبَّتْكَ شِيرِينَ بِجَمَالِهَا، وَزَيْدَةً بِمَالِهَا، وَبَلْقَيْسُ بِعَرْشِهَا، وَبُورَانُ بِفَرْشِهَا،
وَالزَّبَاءُ بِمُلْكِهَا، وَرَابِعَةُ بِسُكِّهَا، وَخِنْدِفُ بِفَخْرِهَا، وَالْخَنْسَاءُ بِشِعْرِهَا فِي
صَخْرِهَا، لَأَنْفَتُ (١) أَنْ تَكُونِي قَعِيدَةً رَحْلِي (٢)، وَطَرُوقَةً فَحْلِي! قَالَ:
فَتَذَمَّرَتْ (٣) الْمَرْأَةُ وَتَنَمَّرَتْ، وَحَسَرَتْ عَنْ سَاعِدِهَا وَشَمَّرَتْ، وَقَالَتْ لَهُ: يَا
أَلَامَ مِنْ مَادِرٍ (٤)، وَأَشَامَ مِنْ قَاشِرٍ، وَأَجَبَنَ مِنْ صَافِرٍ، وَأَطِيشَ مِنْ طَامِرٍ!
أَتَرْمِينِي بِشَنَارِكَ (٥)، وَتَقْرِي (٦) عَرَضِي بِشِفَارِكَ (٧)؟ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَحَقُّ
مِنْ قَلَامَةٍ (٨)، وَأَعْيَبُ مِنْ بَغْلَةٍ أَبِي دُلَامَةٍ، وَأَفْضَحُ مِنْ حَبَقَةٍ فِي حَلَقَةٍ،
وَأَحِيرُ مِنْ بَقَّةٍ فِي حُقَّةٍ! وَهَبَكَ الْحَسَنَ فِي وَعْظِهِ وَلَفْظِهِ، وَالشَّعْبِيَّ فِي عِلْمِهِ
وَحِفْظِهِ، وَالْخَلِيلَ فِي عَرُوضِهِ وَنَحْوِهِ، وَجَرِيرًا فِي غَزَلِهِ (٩) وَهَجْوِهِ (١٠)،
وَقَسًّا فِي فَصَاحَتِهِ وَخِطَابَتِهِ، وَعَبْدَ الْحَمِيدِ فِي بِلَاغَتِهِ وَكِتَابَتِهِ (١١)، وَأَبَا
عَمْرٍو فِي قِرَاءَتِهِ وَإِعْرَابِهِ، وَابْنَ قُرَيْبٍ فِي رِوَايَتِهِ عَنْ أَغْرَابِهِ (١٢)، أَتُظَنُّنِي
أَرْضَاكَ إِمَامًا لِمَحْرَابِي، وَحُسَامًا لِقِرَابِي؟ لَا وَاللَّهِ وَلَا بَوَّابًا لِبَابِي، وَلَا عَصَا
لِجِرَابِي! فَقَالَ لَهُمَا الْقَاضِي: أَرَاكُمَا شَنًّا وَطَبَقَةً، وَحِدَاةً وَبُنْدُقَةً، فَاتْرُكْ
أَيُّهَا الرَّجُلُ اللَّدَدَ (١٣)، وَاسْلُكْ فِي سِيرِكَ الْجَدَدَ، وَأَمَّا أَنْتَ فَكُفِّي عَنْ
سَبَابِهِ (١٤)، وَقَرِّي (١٥) إِذَا أَتَى الْبَيْتَ مِنْ بَابِهِ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: وَاللَّهِ مَا

(١) لكرهت.

(٢) القعيدة: ما يركب عليه.

(٣) غضبت.

(٤) رجل بخيل لئيم.

(٥) عارك وعيبك.

(٦) تقطع.

(٧) بكلامك المؤلم.

(٨) ما يُقَصُّ مِنَ الظُّفْرِ وَيُرْمَى.

(٩) الغزل: ذِكرُ محاسن المحبوب ومدحه.

(١٠) ذكر قبائح المبعض وذمه.

(١١) إنشائه.

(١٢) هم أهل البادية.

(١٣) الخصومة الشديدة.

(١٤) سبه.

(١٥) اسكني.

أَسْجُنُ^(١) عَنْهُ لِسَانِي، إِلَّا إِذَا كَسَانِي، وَلَا أَرْفَعُ لَهُ شِرَاعِي، دُونَ إِشْبَاعِي،
فَحَلَفَ أَبُو زَيْدٍ بِالْمُحَرَّجَاتِ الثَّلَاثِ، أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ سِوَى أَطْمَارِهِ الرِّثَاثِ^(٢)،
فَنَظَرَ الْقَاضِي فِي قَصَصِهِمَا^(٣) نَظَرَ الْأَلْمَعِيِّ، وَأَفْكَرَ فِكْرَةَ اللَّوْذَعِيِّ^(٤)، ثُمَّ
أَقْبَلَ عَلَيْهِمَا بَوَّجَهُ قَدْ قَطَبَهُ، وَمَجَنَّ قَدْ قَلَبَهُ، وَقَالَ: أَلَمْ يَكْفِكُمَا التَّسَافُهُ^(٥)
فِي مَجْلِسِ الْحُكْمِ، وَالْإِقْدَامُ عَلَى هَذَا الْجُرْمِ^(٦)، حَتَّى تَرَاقَيْتُمَا مِنْ
فُحْشِ الْمُقَادَعَةِ^(٧)، إِلَى خُبْثِ الْمُخَادَعَةِ؟ وَإِنَّمَا اللَّهُ لَقَدْ أَخْطَأَتْ اسْتِكُمَا
الْحُفْرَةَ، وَلَمْ يُصِبْ سَهْمُكُمَا الثُّغْرَةَ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعَزَّ اللَّهُ بِقَائِهِ
الدِّينَ، نَصَبَنِي لِأَقْضِي بَيْنَ الْخُصَمَاءِ، لَا لِأَقْضِيَ دِينَ الْغُرَمَاءِ^(٨)، وَحَقٌّ
نِعْمَتُهُ الَّتِي أَحَلَّتَنِي هَذَا الْمَحَلَّ، وَمَلَكَتَنِي الْعَقْدَ وَالْحَلَّ، لَنْ لَمْ تُوضِحَا لِي
جَلِيَّةً^(٩) خَطْبِكُمَا، وَخَبِيَّةً^(١٠) خَبِكُمَا، لِأُنَدِّدَنَّ بِكُمَا فِي الْأُمْصَارِ^(١١)،
وَلَأَجْعَلَنَّكُمَا عِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ! فَاطَّرَقَ أَبُو زَيْدٍ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ، ثُمَّ قَالَ
لَهُ: سَمَاعُ سَمَاعٍ:

أَنَا السَّرُوجِيُّ وَهَذِي عَرْسِي^(١٢)

وَلَيْسَ كُفْوُ الْبَدْرِ غَيْرَ الشَّمْسِ

وَمَا تَنَافَى^(١٣) أَنْسُهَا وَأُنْسِي

وَلَا تَنَاءَى دِيرُهَا عَنْ قَسِّي

(١) مَا أَكْفَ.

(٢) الْبَالِيَةُ.

(٣) خَبَرَهُمَا.

(٤) الْفَطْنُ الذَّكِيُّ الظَّرِيفُ الْحَادِ الذَّهْنِ.

(٥) الْإِفْحَاشُ وَالتَّشَاتُّمُ.

(٦) الذَّنْبُ.

(٧) الْمَشَاقَّةُ.

(٨) جَمَعَ غَرِيمًا، وَهُوَ: مَنْ عَلَيْهِ الدِّينُ وَمَنْ لَهُ الدِّينُ مَعًا.

(٩) حَقِيقَةُ.

(١٠) مَا أَخْفَيْتُمَا مِنْ خُدَاعِكُمَا.

(١١) الْمَدَائِنُ.

(١٢) زَوْجَتِي.

(١٣) تَبَاعَدَ وَاخْتَلَفَ.

وَلَا عَدَتْ (١) سُقْيَايَ أَرْضَ غَرْسِي (٢)
لَكِنَّا مِنْذُ لَيْالٍ خَمْسٍ
نُصْبِحُ فِي ثَوْبِ الطَّوَى (٣) وَنُمْسِي
لَا نَعْرِفُ الْمَضْغَ وَلَا التَّحَسِّيَ (٤)
حَتَّى كَأَنَّا لَخُفُوتِ النَّفْسِ (٥)
أَشْبَاحُ (٦) مَوْتَى نُشْرُوا مِنْ رَمْسٍ (٧)
فَحِينَ عَزَّ الصَّبْرُ (٨) وَالتَّأْسَى
وَشَقَّانَا الضَّرُّ الْأَلِيمُ الْمَسْ
قُمْنَا لِسَعْدِ الْجَدِّ (٩) أَوْ لِلنَّحْسِ (١٠)
هَذَا الْمَقَامُ لَاجِتَابِ فَلَسِ
وَالْفَقْرُ يُلْحِي الْحُرَّ حِينَ يُرْسِي
إِلَى التَّحَلِّيِّ فِي لِبَاسِ اللَّبْسِ
فَهَـذِهِ حَالِي وَهَـذَا دَرْسِي
فَانْظُرْ إِلَى يَوْمِي وَسَلْ عَنْ أَمْسِي
وَأْمُرْ بِجَبْرِي إِنْ تَشَاءُ أَوْ حَبْسِي
فَفِي يَدَيْكَ صِحَّتِي (١١) وَنُكْسِي (١٢)

(١) تجاوزت .

(٢) محلّ الولد .

(٣) الجوع .

(٤) الأكل والشرب .

(٥) ضعفها من شدة الجوع .

(٦) أجساد .

(٧) خرجوا من قبر .

(٨) قلّ .

(٩) الحظ والبخت .

(١٠) للخيبة والحزن .

(١١) شفائي من المرض .

(١٢) خيبتني .

فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: لِيُثْبُ أَنْسُكَ، وَلِتَطْبُ نَفْسُكَ، فَقَدْ حَقَّ لَكَ أَنْ تُغْفَرَ
خَطِيئَتُكَ، وَتُوَفَّرَ عَطِيَّتُكَ، فَثَارَتِ الزَّوْجَةُ عِنْدَ ذَلِكَ وَاسْتَطَالَتْ، وَأَشَارَتْ إِلَى
الْحَاضِرِينَ وَقَالَتْ:

يَا أَهْلَ تَبْرِيزَ لَكُمْ حَاكِمٌ
مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ سِوَى أَنَّهُ
قَصْدُهُ وَالشَّيْخُ نُبْغِي جَنَى
فَسَرَّحَ الشَّيْخَ (٣) وَقَدْ نَالَ مِنْ
وَرَدَّنِي أَخِيْبَ مِنْ شَائِمٍ (٥)
كَأَنَّهُ لَمْ يَذَرِ أَنِّي النَّيْ
وَأَنَّنِي إِنْ شِئْتُ غَادَرْتُهُ (٦)

أَوْفَى عَلَى الْحُكَّامِ تَبْرِيزَا (١)
يَوْمَ النَّدَى قَسَمْتُهُ ضِيْزَى
عُودَ لَهُ مَا زَالَ مَهْزُوزَا (٢)
جَدَّوَاهُ (٤) تَخْصِيصًا وَتَمْيِيزَا
بَرْقًا خَفَا فِي شَهْرِ تَمْوَزَا
لَقَنْتُ ذَا الشَّيْخِ الْأَرَاجِيْزَا
أُضْحَوَكَةً فِي أَهْلِ تَبْرِيزَا

قَالَ: فَلَمَّا رَأَى الْقَاضِي اجْتِرَاءَ جَنَانِهِمَا (٧)، وَانْصِلَاتَ لِسَانِهِمَا، عَلِمَ
أَنَّهُ قَدْ مُنِيَ (٨) مِنْهُمَا بِالذَّاءِ الْعِيَاءِ، وَالدَّاهِيَةِ الدَّهْيَاءِ (٩)، وَأَنَّهُ مَتَى مَنَحَ
أَحَدَ الزَّوْجَيْنِ، وَصَرَفَ الْآخَرَ صَفَرَ الْيَدَيْنِ، كَانَ كَمَنْ قَضَى الدِّينَ بِالْدِّينِ،
أَوْ صَلَّى الْمَغْرِبَ رَكْعَتَيْنِ، فَطَلَسَ وَطَرَسَ، وَاخْرَنْطَمَ وَبَرْطَمَ، وَهَمَّهِمَ
وَوَغْمَغَمَ، ثُمَّ التَفَتَ يَمَنَةً وَشَامَةً (١٠)، وَتَمَلَّمَلَ (١١) كَأَبَّةً وَنَدَامَةً (١٢)،
وَأَخَذَ يَذُمُّ الْقَضَاءَ وَمَتَاعِبَهُ، وَيَعُدُّ شَوَائِبَهُ وَنَوَائِبَهُ (١٣)، وَيَفْنَدُ طَالِبَهُ

(٢) مقصوداً يقصده كل أحد ويهزه لينال من ثمره.

(٤) عطيته.

(٦) تركته.

(٨) ابتلي.

(٩) المصيبة العظمى الشديدة الدهاء. (١٠) يميناً وشمالاً، أو جهة اليمين وجهة الشام.

(١٣) مصائبه.

(١٢) حسرة.

(١) ظهوراً وسبقاً.

(٣) أرضاه.

(٥) ناظر.

(٧) قوة قلبها.

(١١) اضطرب.

وخطبته^(١)، ثُمَّ تَنَفَّسَ كَمَا يَتَنَفَّسُ الْحَرِيبُ^(٢)، وَانْتَحَبَ^(٣) حَتَّى كَادَ يَفْضَحُهُ النَّحِيبُ، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ، أُرْشِقُ^(٤) فِي مَوْقِفٍ بِسَهْمَيْنِ، أُلْزِمُ فِي قَضِيَّةٍ بِمَغْرَمَيْنِ، أَطْطِيقُ أَنْ أَرْضِيَ الْخُصْمَيْنِ، وَمَنْ أَيْنَ وَمَنْ أَيْنَ؟ ثُمَّ عَطَفَ إِلَى حَاجِبِهِ الْمُنْفَذِ لِمَآرِبِهِ، وَقَالَ: مَا هَذَا يَوْمَ حُكْمٍ وَقَضَاءٍ، وَفَصْلٍ وَإِمْضَاءٍ^(٥)! هَذَا يَوْمُ الْاِعْتِمَامِ، هَذَا يَوْمُ الْاِغْتِرَامِ، هَذَا يَوْمُ الْبُحْرَانِ، هَذَا يَوْمُ الْخُسْرَانِ^(٦)، هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ، هَذَا يَوْمٌ نُصَابٌ فِيهِ وَلَا نُصِيبُ! فَأَرِحْنِي مِنْ هَذَيْنِ الْمِهْذَارَيْنِ، وَأَقْطَعْ لِسَانَهُمَا بِدَيْنَارَيْنِ، ثُمَّ فَرَّقَ الْأَصْحَابَ، وَأَغْلَقَ الْبَابَ، وَأَشْعَ أَنَّهُ يَوْمٌ مَذْمُومٌ، وَأَنَّ الْقَاضِي فِيهِ مَهْمُومٌ، لَيْلًا يَحْضُرُنِي خُصُومٌ! قَالَ: فَأَمَّنَ الْحَاجِبُ عَلَى دُعَائِهِ، وَتَبَاكَى لِبُكَائِهِ، ثُمَّ نَقَدَ أَبَا زَيْدٍ وَعِرسَهُ الْمُثْقَلَيْنِ، وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْكُمَا لِأَحِيلِ الثَّقَلَيْنِ^(٧)، لَكِنْ احْتَرِمَا مَجَالِسَ الْحُكَّامِ، وَاجْتَنِبَا فِيهَا فُحْشَ الْكَلَامِ، فَمَا كُلُّ قَاضٍ قَاضِي تَبْرِيزٍ، وَلَا كُلُّ وَقْتٍ تُسْمَعُ الْأَرَاجِيزُ، فَقَالَا لَهُ: مِثْلُكَ مِنْ حَجَبٍ، وَشُكْرُكَ قَدْ وَجَبَ^(٨)، وَنَهَضَا وَقَدْ حَظِيَا بِدَيْنَارَيْنِ، وَأَصْلَيَا^(٩) قَلْبَ الْقَاضِي نَارَيْنِ^(١٠).



(٢) المحروب الذي سلب ماله بالحرب.

(٤) أُرْمَى.

(٦) الخسارة.

(٨) لما فعلته معناه من المعروف.

(١٠) أي: لكل دينار نار.

(١) قاصده.

(٣) بكى بصوت.

(٥) تنفيذ حكم.

(٧) الثَّقَلَيْنِ: هما الإنسان والجن.

(٩) أحرقا.

تفسير ما أودع هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قَوْلُهُ: (لَقِيتَ مِنْهَا عِرْقَ الْقَرْبَةِ) هَذَا مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ يَلْقَى شِدَّةَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي يَزَاوِلُهُ كَمَا أَنَّ حَامِلَ الْقَرْبَةِ يَلْقَى جَهْدًا حَتَّى يَعْرِقَ، وَقَوْلُهُ: (جَعَلْتَهُ دَبْرَ أَذْنِي) يَعْنِي طَرَحْتَهُ وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبَذَلُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وَقَوْلُهُ: (أَكْذَبَ مِنْ سَجَاحٍ) يَعْنِي الَّتِي تَنْبَأُ فِي عَهْدِ مَسِيلِمَةَ الْكَذَّابِ وَسَارَتْ إِلَيْهِ لَتَنَاطُرُهُ وَتَخْتَبِرُهُ ثُمَّ آمَنَتْ بِهِ وَوَهَبَتْ نَفْسَهَا لَهُ، وَهَذَا الْأِسْمُ مَبْنِي عَلَى الْكُسْرِ مِثْلُ حَذَامٍ وَقَطَامٍ لِكُونِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُعْدُولَةِ وَاشْتِقَاقِهِ مِنَ السَّجَاحَةِ وَهِيَ السَّهُولَةُ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: مَلَكْتَ فَاسْحَجَ.

وَقَوْلُهَا: (أَكْذَبَ مِنْ أَبِي ثِمَامَةَ) هَذِهِ كُنْيَةُ مَسِيلِمَةَ الْكَذَّابِ وَكَانَ تَبَأً بِالْيَمَامَةِ وَمَخْرَقٌ بِهَا إِلَى أَنْ سَارَ إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَتَلَهُ.

وَقَوْلُهُ: (لَا نَعَمَ عَوْفَكَ) الْعَوْفُ الْحَالُ وَالْعَوْفُ أَيْضًا الذِّكْرُ وَيَدْعِي لِلْبَانِي عَلَى أَهْلِهِ فَيُقَالُ لَهُ: نَعَمَ عَوْفَكَ.

وَقَوْلُهُ: (يَا دِفَارُ يَا فَجَارُ) هَذَانِ الْأَسْمَانُ مُعْدُولَانِ عَنْ دَافِرَةٍ وَفَاجِرَةٍ وَالْدِفَرُ النَّتْنُ وَبِهِ سُمِّيَتِ الدُّنْيَا أَمْ دَفَرٌ وَكُلُّ مَا سُمِّيَ بِصِفَةِ غَالِبَةٍ ثُمَّ عُدِلَ بِهَا إِلَى فِعَالٍ بَنِي عَلَى الْكُسْرِ عِنْدَ النَّدَاءِ كَقَوْلِكَ: يَا لِكَاعٍ يَا خَبَاثَ يَا دِفَارُ يَا فَجَارُ وَلَا يَجُوزُ اسْتِعْمَالُ ذَلِكَ فِي غَيْرِ النَّدَاءِ إِلَّا فِي ضَرُورَةِ الشَّعْرِ كَقَوْلِ الْخَطِيبَةِ:

أَطُوفُ مَا أَطُوفُ ثُمَّ آوِي إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتِهِ لِكَاعٍ

وإمّا قوله: (أحمق من رجلة) فهي ضرب من الحمض تنبت في مجاري السيل فيجترفها، وإمّا قولها (الأم من مآدر) فهو رجل من بني هلال بن عامر كان اتخذ حوضاً لسقي إبله فلماً رويت سلح فيه ومدره بسلحه لئلا يتتفع به من بعده، وإمّا قولها (أشأم من قاشر) فإنه فحل كان في بعض قبائل سعد بن زيد مناة بن تميم ما طرق إبلأ إلا ماتت وقيل المراد به العام المجذب وسمي قاشراً لقشره ما على وجه الأرض من النبات، وأمّا قولها: (أجبن من صافر) فقد اختلف في تفسيره فقال بعضهم: عني به كل ما يصفر من الطير وخص بالجن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو ومصايد الأرض وقيل: إنه طائر بعينه إذا جنه الليل تعلق ببعض الأغصان ولم يزل يصفر طول ليلته خوفاً على نفسه من أن ينام فيؤخذ وقيل: إنه الذي يصفر بالمرأة لريبة وهو يجبن وقت صغيره مخافة أن يظهر على أمره وقيل: إن المراد به المثل المصفور به وهو الذي ينذر بالصفير ليهرب. فعلى هذا القول فاعل هنا بمعنى مفعول كقوله تعالى: ﴿مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ مدفوق وكقولهم راحلة بمعنى مرحولة وهو كثير في كلامهم وقد جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى: ﴿حِجَابًا مُّسْتَوْرًا﴾ أي ساتراً وكقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾، وأمّا قولها (اطيش من طامر) فالمراد به البرغوث ويسمى طامر بن طامر لكثرة وثوبه، وأمّا قول القاضي (أراكما شنا وطبقة وحدأة وبندقة) فإنه أراد به أن كلاً منكما كفاء، لصاحبه ومقاوم له ولكل من المثلين تفسير مختلف فيه. أمّا شن وطبقة فإن العلماء مختلفون في معنى قولهم وافق شن طبقة فقال الأكثرون: إنهما قبيلتان فشن هو ابن أفضى بن دهمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وطبقة حي من إياد وكانت طبقة لا تطاق فأوقعت بها شن فانتصفت منها، وقال بعضهم كان شن رجلاً من دهاة العرب وكان ألزم

نَفْسَهُ أَنْ لَا يَتَزَوَّجَ إِلَّا بِامْرَأَةٍ تَلَائِمُهُ فَكَانَ يَجُوبُ الْبِلَادَ فِي ارْتِيَادِ طَلَبَتِهِ
فَصَاحِبُهُ رَجُلٌ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَلَمَّا أَخَذَ مِنْهُمَا السَّيْرَ قَالَ لَهُ شَنْ أَتَحْمِلُنِي
أَمْ أَحْمِلُكَ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ يَا جَاهِلٌ وَهَلْ يَحْمِلُ الرَّاكِبُ الرَّاكِبَ فَأَمْسَكَ
وَسَارَا حَتَّى أَتَيَا عَلَى زَرْعٍ فَقَالَ لَهُ شَنْ أَتَرَى هَذَا الزَّرْعَ أَكُلَ أَمْ لَا فَقَالَ لَهُ يَا
جَاهِلٌ أَمَا تَرَاهُ فِي سَبِيلِهِ فَأَمْسَكَ إِلَى أَنْ اسْتَقْبَلْتَهُمَا جَنَازَةٌ فَقَالَ لَهُ شَنْ أَتَرَى
صَاحِبَهَا حَيًّا أَمْ لَا فَقَالَ لَهُ مَا رَأَيْتَ أَجْهَلَ مِنْكَ أَتَرَاهُمْ حَمَلُوا إِلَى الْقَبْرِ حَيًّا
ثُمَّ أَنَّهُمَا وَصَلَا إِلَى قَرْيَةِ الرَّجُلِ فَصَارَ بِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ وَكَانَتْ لَهُ بِنْتُ تَسْمَى
طَبَقَةٌ فَأَخَذَ يَطْرَفُهَا بِحَدِيثِ رَفِيقِهِ فَقَالَتْ لَهُ مَا نَطِقُ إِلَّا بِالصَّوَابِ وَلَا
اسْتَفْهَمَكَ إِلَّا عَمَّا يَسْتَفْهَمُ عَنْ مِثْلِهِ ذُووِ الْأَلْبَابِ، أَمَا قَوْلُهُ: أَتَحْمِلُنِي أَمْ
أَحْمِلُكَ فَإِنَّهُ أَرَادَ أَتَحْدِثُنِي أَمْ أَحْدِثُكَ حَتَّى نَقْطَعَ الطَّرِيقَ بِالْحَدِيثِ، وَأَمَا قَوْلُهُ
أَتَرَى هَذَا الزَّرْعَ أَكُلَ أَمْ لَا فَإِنَّهُ أَرَادَ هَلْ اسْتَسْلَفَ أَرْبَابُهُ ثَمَنَهُ أَمْ لَا، وَأَمَا
اسْتَفْهَامُهُ عَنْ حَيَاةِ صَاحِبِ الْجَنَازَةِ فَإِنَّهُ أَرَادَ بِهِ أَخْلَفَ عَقْبًا يَحْيَى ذِكْرَهُ بِهِ أَمْ
لَا، فَلَمَّا خَرَجَ إِلَى الرَّجُلِ حَدَّثَهُ بِتَأْوِيلِ ابْنَتِهِ كَلَامَهُ فَخَطَبَهَا إِلَيْهِ فزَوْجُهُ إِيَاهَا
فَلَمَّا سَارَ بِهَا إِلَى قَوْمِهِ وَخَبَرُوا مَا فِيهَا مِنَ الدَّهَاءِ وَالْفُطْنَةِ قَالُوا وَافِقُ شَنْ
طَبَقَةِ فَسَارَ مِثْلًا، وَحَكَى أَنَّ الْأَصْمَعِي سَأَلَ عَنْ تَفْسِيرِ هَذَا الْمَثَلِ فَقَالَ أَظُنُّ
الشَّنَّ وَعَاءَ مِنْ أَدَمَ كَانَ قَدْ اسْتَشْنَى فَلَمَّا اتَّخَذَ لَهُ غَطَاءً وَافِقَهُ ضَرْبُ فِيهِ هَذَا
الْمَثَلِ. وَأَمَا حَدَاةٌ وَبَنْدَقَةٌ فَإِنَّهُ يُقَالُ فِي الْمَثَلِ الْمَضْرُوبِ لِمَنْ يَفْزَعُ بَعْدَهُ أَوْ يُبْلَى
بِنَظِيرِهِ حَدَا حَدًا وَرَاءَكَ بَنْدَقَةٌ. وَكَانَ الْأَصْلُ حَدَاةٌ بِإِثْبَاتِ الْهَاءِ فَرَحِمَ فِي
النَّدَاءِ. وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي الْمُرَادِ بِهِمَا فَقِيلَ: الْحَدَاةُ هُوَ الطَّائِرُ الْمَعْرُوفُ،
وَبَنْدَقَةٌ: الرَّامِي، وَقِيلَ: إِنَّهُمَا قَبِيلَتَانِ مِنْ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ، فَأَغَارَتْ حَدَاةٌ
وَكَانَتْ تَنْزِلُ بِالْكُوفَةِ، عَلَى بَنْدَقَةٍ وَكَانَتْ تَنْزِلُ بِالْيَمَنِ، فَנَالَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ كَرَّتْ
بَنْدَقَةٌ عَلَى حَدَاةٍ فَأَنْحَتَ عَلَيْهِمْ. وَرَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الْمَثَلُ حَدَا حَدًا غَيْرَ

مهموز على مثال عَصَا وَقَفَا. وزعم أنه اسم القبيلة.

وأما قوله: «أخطأت استكما الحفرة» فإنه يضرب لمن يخطئ في مقصده ويضع الشيء في غير موضعه. وأما قوله: «طلسم وطرسم» فمعنى «طلسم»: كره وجهه، ومعنى «طرسم»: أطرق، وقوله: «اخرنطم وبرطم»؛ أي: غضب وقطب وجهه، وقيل: معنى «اخرنطم»: غضب مع تكبر، ومعنى «برطم»: غضب مع تعبس، وأما قوله: «همهم وغمغم»؛ أي: لم يبين الكلام.



المقامة الحادية والأربعون التنيسية

حَدَّثَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: أَطَعْتُ دَوَاعِيَ التَّصَابِي، فِي غُلُوءِ شَبَابِي^(١)، فَلَمْ أَزَلْ زِيْرًا لِلْغَيْدِ، وَأُذُنًا لِلْأَغَارِيدِ^(٢)، إِلَى أَنْ وَافَى النَّذِيرُ^(٣)، وَوَلَّى الْعَيْشُ النَّصِيرُ^(٤)، فَقَرِمْتُ^(٥) إِلَى رُشْدِ الْإِتْبَاهِ، وَنَدِمْتُ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ، ثُمَّ أَخَذْتُ فِي كَسْعِ الْهَنَاتِ بِالْحَسَنَاتِ^(٦)، وَتَلَا فِي الْهَفَوَاتِ قَبْلَ الْفَوَاتِ^(٧)، فَمِلْتُ عَنْ مُغَادَاةِ الْغَادَاتِ، إِلَى مُلَاقَاةِ التَّقَاةِ^(٨)، وَعَنْ مُقَانَاةِ الْقَيْنَاتِ^(٩)، إِلَى مُدَانَاةِ^(١٠) أَهْلِ الدِّيَانَاتِ، وَآلَيْتُ أَنْ لَا أَصْحَبَ إِلَّا مَنْ نَزَعَ عَنِ الْغِيِّ، وَفَاءَ مَنْشَرُهُ إِلَى الطِّيِّ، وَإِنْ أَلْفَيْتُ مَنْ هُوَ خَلِيعُ الرَّسَنِ، مَدِيدُ الْوَسَنِ^(١١)، أَنَايْتُ دَارِي^(١٢) عَنْ دَارِهِ، وَفَرَرْتُ عَنْ عَرَّةٍ وَعَارِهِ، فَلَمَّا أَلْقَيْتُنِي الْغُرْبَةَ بَتِّيْسَ، وَأَحْلَلْتُنِي مَسْجِدَهَا الْأَيْسَ، رَأَيْتُ بِهِ ذَا حَلَقَةٍ^(١٣) مُلْتَحِمَةٍ^(١٤)، وَنَظَّارَةَ مُزْدَحِمَةٍ، وَهُوَ يَقُولُ بِجَاشٍ

(١) أوله.

(٢) دائم السماع والاستماع.

(٣) أتى المنذر، والمراد به: الشَّيْب.

(٤) المعيشة الناعمة. وهي: أيام الشبيبة.

(٥) اشتبهت واشتقت.

(٦) أراد: اتبعت الحسنات خلف السيئات.

(٧) تدارك الزلات قبل فواتها بالموت.

(٨) هم العلماء العاملون.

(٩) جمع القينة، وهي: الأمة الحسناء المغنية.

(١٠) مقارنة.

(١١) طويل النوم كناية عن شدة الغفلة.

(١٢) أبعدتها.

(١٣) صاحب جمع من الناس محتاطين به.

(١٤) ملتصقة.

مَكِينٍ وَلِسَانٍ مُبِينٍ: مَسْكِينُ ابْنِ آدَمَ وَأَيُّ مَسْكِينٍ، رَكَنَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى غَيْرِ
رَكِينٍ، وَاسْتَعَصَمَ مِنْهَا بِغَيْرِ مَكِينٍ (١)، وَذُبِحَ مِنْ حُبِّهَا بِغَيْرِ سَكِينٍ،
يَكْلَفُ (٢) بِهَا لَغَاوَتَهُ (٣)، وَيَكْلَبُ عَلَيْهَا لَشَقَاوَتَهُ، وَيَعْتَدُّ فِيهَا لِمُفَاخَرَتِهِ، وَلَا
يَتَزَوَّدُ مِنْهَا لِأَخْرَتِهِ، أَقْسَمُ بِمَنْ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ، وَنَوَّرَ الْقَمَرَيْنِ (٤)، وَرَفَعَ قَدْرَ
الْحَجْرَيْنِ، لَوْ عَقَلَ ابْنُ آدَمَ، لَمَّا نَادَمَ (٥)، وَلَوْ فَكَّرَ فِيمَا قَدَّمَ، لَبَكَى الدَّمَ،
وَلَوْ ذَكَرَ الْمُكَافَاةَ (٦)، لَاسْتَدْرَكَ مَا فَاتَ، وَلَوْ نَظَرَ فِي الْمَالِ (٧)، لِحَسَنِ
قُبْحِ الْأَعْمَالِ، يَا عَجَبًا كُلِّ الْعَجَبِ، لَمَنْ يَقْتَحِمُ ذَاتَ اللَّهَبِ، فِي اكْتِنَازِ
الذَّهَبِ، وَخَزَنِ النَّشَبِ (٨) لَذَوِي النَّسَبِ، ثُمَّ مِنْ الْبِدْعِ (٩) الْعَجِيبِ، أَنْ
يَعْظَكَ وَخَطُّ الْمَشِيبِ، وَتَوْذَنُ شِمْسُكَ بِالْمَغِيبِ، وَلَسْتَ تَرَى أَنْ تُنِيبَ (١٠)،
وَتَهْدَبَ الْمَعِيبَ، ثُمَّ أَنْدَفَعَ يُنْشِدُ، إِنْشَادَ مَنْ يُرْشِدُ:

يَا وَيْحَ مَنْ أَنْذَرَهُ شَيْبُهُ

وَهُوَ عَلَى غَيِّ الصَّبَا مِنْكَمِشْ (١١)

يَعْشُو (١٢) إِلَى نَارِ الْهَوَى (١٣) بَعْدَمَا

أَصْبَحَ مِنْ ضُعْفِ الْقُوَى يَرْتَعْشُ (١٤)

وَيَمْتَطِي اللَّهْوَ وَيَغْتَدُّهُ (١٥)

أَوْطَأَ مَا يَفْتَرِشُ الْمُفْتَرِشُ

(١) بغير ذي مكانة، وهو ما لا دَوَامَ له.

(٣) لجهله وحمقه.

(٥) من المنادمة وهي: المحادثة على الشراب.

(٧) ما يؤول إليه أمره.

(٩) الشيء المبتدع وكل شيء لم يسبق مثله.

(١١) مُسْرِعٌ وماضٍ في أموره على فعل.

(١٣) شهوات النفس.

(٢) يتولع ويتشبت بها.

(٤) الشمس والقمر.

(٦) المجازاة على الذنب يوم القيامة.

(٨) ادَّخَرَ المال.

(١٠) ترجع عما أنت فيه.

(١٢) ينظر ويقصد.

(١٤) يضطرب.

(١٥) يعده.

لَمْ يَهَبِ الشَّيْبَ الَّذِي مَا رَأَى
نُجُومَهُ ذُو اللَّبِّ إِلَّا دُهُشٌ ^(١)
وَلَا انْتَهَى عَمَّا نَهَاهُ النَّهَى
عَنْهُ وَلَا بِأَلَى بَعْرِضٍ خُدِشٌ
فَذَاكَ إِنْ مَاتَ فَسُحْقَالُهُ
وَإِنْ يَعِشْ عُدَّ كَأَنْ لَمْ يَعِشْ
لَا خَيْرَ فِي مَحْيَا أَمْرٍ نَشْرُهُ ^(٢)
كَنَشْرِ مَيْتٍ ^(٣) بَعْدَ عَشْرِ نَبْشٍ ^(٤)
وَحَبَّبَ ذَا مَنْ عَرَضُهُ طَيِّبٌ
يَرُوقُ حُسْنًا مِثْلَ بُرْدٍ رُقِشْ
فَقُلْ لِمَنْ قَدْ شَاكَهُ ذَنْبُهُ
هَلَكْتَ يَا مَسْكِينُ أَوْ تَنْتَقِشْ
فَأَخْلَصِ التَّوْبَةَ تَطْمَسُ بِهَا ^(٥)
مِنَ الْخَطَايَا السُّودِ ^(٦) مَا قَدْ نُقِشْ ^(٧)
وَعَاشِرِ النَّاسِ بِخُلُقِ رَضَى ^(٨)
وَدَارِ مَنْ طَاشَ وَمَنْ لَمْ يَطِشْ
وَرِشْ جَنَاحَ الْحَرِّ إِنْ حَصَّه
زَمَانُهُ لَا كَانَ مِنْ لَمْ يَرِشْ

(١) تحير عقله.

(٢) كرائحة الميت بعد مضي عشرة أيام.

(٤) أخرج من قبره فإنه يكون أُنْتَنَ.

(٦) الذنوب المظلمة القبيحة.

(٥) تمحُّ بها.

(٨) بطبع مرضي.

(٧) كتب في صحيفتك.

وَأَنْجِدِ الْمُتَوَرَّظَ لِمَا فَإِنْ
عَجَزْتَ عَنْ إِنْجَادِهِ فَاسْتَجِشْ
وَانْعَشْ^(١) إِذَا نَادَاكَ ذُو كَبُوءَةٍ^(٢)
عَسَاكَ فِي الْحَشْرِ بِهِ تَنْتَعِشْ
وَهَاكَ كَأْسَ النُّصْحِ فَاشْرَبْ وَجُدْ
بِفَضْلَةِ الْكَأْسِ عَلَى مَنْ عَطِشْ

قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ مُبْكِيَاتِهِ^(٣)، وَقَضَى إِنْشَادَ أَبِيائِهِ، نَهَضَ صَبِيٌّ قَدْ
شَدَنَ، وَأَعْرَى الْبَدَنَ، وَقَالَ: يَا ذَوِي الْحَصَاةِ^(٤)، وَالْإِنْصَاتِ^(٥) إِلَى
الْوَصَاةِ^(٦)، قَدْ وَعَيْتُمُ الْإِنْشَادَ، وَفَقِهْتُمُ الْإِرْشَادَ، فَمَنْ نَوَى مِنْكُمْ أَنْ يَقْبَلَ،
وَيُصْلِحَ الْمُسْتَقْبَلَ، فَلْيَنْ بِرِّي عَنْ نَيْتِهِ، وَلَا يَعْدِلْ عَنِّي بِعَطِيَّتِهِ، فَوَالَّذِي
يَعْلَمُ الْأَسْرَارَ، وَيَغْفِرُ الْإِضْرَارَ^(٧)، إِنَّ سَرِّي لَكُمْ تَرَوْنَ، وَإِنْ وَجْهِي
لَيَسْتَوْجِبُ الصَّوْنَ^(٨)، فَأَعِينُونِي رُزْقَتُمُ الْعَوْنَ. قَالَ: فَأَخَذَ الشَّيْخُ فِيمَا
يَعْطَفُ عَلَيْهِ الْقُلُوبَ، وَيُسَنِّي^(٩) لَهُ الْمَطْلُوبَ، حَتَّى أَبْطَحَ حَفْرَهُ، وَاعْشَوْشَبَ
قَفْرَهُ^(١٠)، فَلَمَّا أَنْ تَرَعَ الْكَيْسُ^(١١) انْصَلَّتْ^(١٢) يَمِيسُ^(١٣)، وَيَحْمَدُ
تَنِيسَ، وَلَمْ يَحُلْ لِلشَّيْخِ الْمَقَامَ، بَعْدَمَا انْصَاعَ الْغُلَامُ، فَاسْتَرْفَعَ الْأَيْدِي

(١) وارفع.

(٢) صاحب عشرة وسقطة.

(٣) مواعظه المبكية.

(٤) يا أهل العقول والرزانة والحكم.

(٥) السكوت والاستماع.

(٦) الوصية.

(٧) التماسي على الذنوب والمداومة عليه.

(٨) الصيانة وعدم البذل.

(٩) يسهل.

(١٠) نبت فيه العشب وأخصب.

(١١) امتلأ جداً.

(١٢) مضى مُسْرِعًا.

(١٣) يتمايل من فرحه.

بالدُّعاء، ثُمَّ نَحَا نَحْوَ الْإِنْكَفَاءِ.

قَالَ الرَّأْيِي: فَارْتَحْتُ إِلَى أَنْ أَعْجُمَهُ (١)، وَأَحْلَّ مُرْجَمَهُ، فَتَبَعْتُهُ وَهُوَ يَشْتَدُّ فِي سَمْتِهِ، وَلَا يَفْتُقُ رَتْقَ صَمْتِهِ، فَلَمَّا أَمِنَ الْمُفْاجِي (٢)، وَأَمَكَنَ التَّنَاجِي، لَفَتَ جِيدَهُ إِلَيَّ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: أَرَأَيْكَ ذِكَاؤُ ذَلِكَ الشُّوَيْدَنِ؟

فَقُلْتُ: إِي وَالْمُؤْمِنِ الْمُهِمِّينِ! قَالَ: إِنَّهُ فَتَى السَّرُوجِيِّ، وَمُخْرِجُ الدَّرِّ مِنَ اللُّجِّيِّ! فَقُلْتُ: أَشْهَدُ إِنَّكَ لَشَجَرَةٌ ثَمَرَتِهِ، وَشَوَاطُ (٣) شَرَرَتِهِ، فَصَدَّقَ كَهَانَتِي، وَاسْتَحْسَنَ إِبَانَتِي، ثُمَّ قَالَ: هَلْ لَكَ فِي ابْتِدَارِ الْبَيْتِ (٤)، لَتَنَازَعٍ (٥) كَأَسَرِ الْكُمَيْتِ؟ فَقُلْتُ لَهُ: وَيَحَاكَ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ؟ فَافْتَرَّ (٦) افْتِرَارَ مُتْصَاحِكٍ، وَمَرَّ غَيْرَ مُمَاحِكٍ، ثُمَّ بَدَأَ لَهُ أَنْ تَرَاوَعَ (٧) إِلَيَّ، وَقَالَ: احْفَظْهَا عَنِّي وَعَلَيَّ:

أَصْرَفُ بِصَرْفِ الرَّاحِ عَنْكَ الْأَسَى وَرُوحُ الْقَلْبِ (٨) وَلَا تَكْتَبُ (٩)
وَقُلْ لِمَنْ لَامَكَ فِي مَا بِهِ تَدْفَعُ عَنْكَ اللَّهُمَّ قَدَكَ أَتَّيْبُ
ثُمَّ قَالَ: أَمَّا أَنَا فَسَأَنْطَلِقُ إِلَى حَيْثُ أَصْطَبِحُ وَأَغْتَبِقُ، وَإِذَا كُنْتُ لَا تَصْحَبُ، وَلَا تُلَاقِي (١٠) مَنْ يَطْرَبُ، فَلَسْتُ لِي بِرَفِيقٍ، وَلَا طَرِيقُكَ لِي بِطَرِيقٍ، فَخَلَّ سَبِيلِي وَنَكَّبُ (١١)، وَلَا تُنْقِرْ عَنِّي وَلَا تُنْقَبْ، ثُمَّ وَلَّى

(١) اختبره لأعرف من هو.

(٢) هي نار محضه لا دخان بها.

(٣) لتعاطى.

(٤) قرب مني.

(٥) لا تتلبس بالكأبة وهي: الحزن.

(٦) انحرف وتباعد.

(٧) لم يخف من أحد يأتيه بغتة.

(٨) تبادر بالذهاب إلى بيتي.

(٩) فتح شفتيه مبتسماً.

(١٠) أَرَحَهُ وَنَقَّسَ عَنْهُ.

(١١) لا توافق.

مُدْبِرًا (١) وَلَمْ يُعَقَّبْ (٢).

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَالْتَهَبْتُ وَجَدًا عِنْدَ انْطِلَاقِهِ، وَوَدِدْتُ لَوْ لَمْ
أُلَاقِهِ.



(١) ذهب وتركني خلفه.

(٢) لم يعد راجعاً.

المقامة الثانية والأربعون النجرانية

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قال: ترامتُ بي مرامي النوى، ومساري (١)
الهوى، إلى أن صرتُ ابنَ كلِّ تربةٍ (٢)، وأخا كلِّ غربة، إلا أنني لم أكنُ
أقطعُ وادياً، ولا أشهدُ نادياً، إلا لاقتباسِ الأدبِ (٣) المُسلي (٤) عن
الأشجان (٥)، المُغلي قيمةَ الإنسان، حتى عرفتُ لي هذه الشَّشنة (٦)،
وتناقلتُها عني الألسنة، وصارتُ أعلقُ بي من الهوى بني عُدرة، والشَّجاعةَ
بال أبي صفرة، فلما أَلقيتُ الجُرَّانَ بنجران، واصطفيتُ بها الخُلَّانَ والجيران،
تخذتُ أنديتها مُعتمري (٧)، وموسمَ فكاھتي وسمري، فكنتُ أتعهدُها (٨)
صباحَ مساء، وأظهرُ فيها على ما سرّ وساء، فبينما أنا في نادٍ محشودٍ (٩)،
ومحفلٍ مشهود، إذ جثمَ لدينا همٌّ، عليه هدمٌ، فحياً تحيةً ملق، بلسانِ ذلق،
ثم قال: يا بدورَ المحافلِ، وبُحورِ النوافلِ (١٠)، قد بينَ الصبحُ لذي
عينين، ونابَ العيانُ منابَ عدلين، فماذا ترون، في ما ترون؟ أتحسنون
العون، أم تتأون (١١) إذ تُدعون؟ فقالوا: تالله لقد غظت (١٢)، ورمتَ أن
تنبطَ فغضت، فناشدَهُمُ اللهَ عماذا صدَّهُم، حتى استوجبَ ردَّهُم؟ فقالوا:

- | | |
|-----------------------------|----------------------------------|
| (١) جمع المسرى، وهو المذهب. | (٢) أنسب لكل بلدة. |
| (٣) لاستفادته. | (٤) الملهي والمشغل. |
| (٥) عن الأحزان. | (٦) العادة والطبيعة. |
| (٧) موضع زيارتي. | (٨) أقصدها مواظباً. |
| (٩) مزدحم. | (١٠) جمع النافلة، بمعنى: العطية. |
| (١١) تبعدون وتتأخرون. | (١٢) أغضبت. |

كُنَّا تَنَاضِلُ بِالْأَلْغَازِ، كَمَا يُتَنَاضَلُ يَوْمَ الْبِرَازِ، فَمَا تَمَّاكَ أَنْ شَعْتَ مِنْ
الْمُنْضُولِ، وَالْحَقُّ هَذَا الْفَضْلُ بِنَمَطِ (١) الْفُضُولِ، فَلَسْنَتُهُ لُسْنُ الْقَوْمِ،
وَوَخَزُوهُ (٢) بِأَسِنَّةِ اللَّوْمِ، وَأَخَذَ هُوَ يَتَنَصَّلُ مِنْ هَفْوَتِهِ، وَيَتَنَدَّمُ عَلَى فَوْهَتِهِ،
وَهُمْ مُضَيَّبُونَ (٣) عَلَى مُؤَاخَذَتِهِ، وَمُلبَّيُونَ دَاعِي مُنَابَذَتِهِ، إِلَى أَنْ قَالَ لَهُمْ: يَا
قَوْمُ إِنَّ الْإِحْتِمَالَ مِنْ كَرَمِ الطَّبْعِ، فَعَدَّوْا عَنِ اللَّذَعِ وَالْقَذَعِ، ثُمَّ هَلُمَّ إِلَى
أَنْ نُلْغِزَ، وَنُحْكَمَ الْمُبَرَّرَ، فَسَكَنَ عِنْدَ ذَلِكَ تَوَقُّدُهُمْ (٤)، وَانْحَلَّتْ
عُقْدُهُمْ (٥)، وَرَضُوا بِمَا شَرَطَ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ، وَاقْتَرَحُوا أَنْ يَكُونَ أَوَّلُهُمْ،
فَأَمْسَكَ رِيثًا يُعْقَدُ شِسْعٌ (٦)، أَوْ يُشَدَّ نِسْعٌ، ثُمَّ قَالَ: اسْمَعُوا وَقِيْتُ
الطَّيْشِ (٧)، وَمَلَيْتُمُ الْعَيْشَ (٨)، وَأَنْشَدَ مُلْغِزًا فِي مِرْوَحَةِ الْخَيْشِ:

وَجَارِيَةٍ فِي سِيرِهَا مُشْمَعَلَةٌ (٩) وَلَكِنْ عَلَى إِثْرِ الْمَسِيرِ قُفُولُهَا (١٠)
لَهَا سَائِقٌ مِنْ جَنْسِهَا يَسْتَحِثُّهَا عَلَى أَنَّهُ فِي الْإِحْتِثَاتِ رَسِيلُهَا
تُرَى فِي أَوَانِ الْقَيْظِ (١١) تَنْطَفُفُ بِالْنَدَى وَيَدُو إِذَا وَلَّى الْمَصِيفُ قُحُولُهَا (١٢)

ثُمَّ قَالَ: وَهَاجُمْ يَا أُولِي الْفَضْلِ، وَمَرَكَزَ الْعَقْلِ، وَأَنْشَدَ مُلْغِزًا فِي
حَابُولِ النَّخْلِ:

وَمُنْتَسِبٍ إِلَى أُمَّ تَنْشَأُ أَصْلُهُ مِنْهَا

(١) من كل شيء نوع منه.

(٣) مقيمون وملازمون.

(٥) حرارتهم.

(٧) حُفِظْتُ مِنْهُ وَهُوَ خَفَّةُ الْعَقْلِ.

(٩) مسرعة نشيطة.

(١١) زمن الحر الشديد.

(٢) طعنوه وشاكوه وآلوه.

(٤) السابق الفائق.

(٦) سألوه وتحكموا عليه في السؤال حسب مرغوبهم.

(٨) مُتَعَتِّمٌ بِالْعَيْشَةِ.

(١٠) رجوعها.

(١٢) يبسها.

يعانقُها وَقَدْ كَانَتْ نَفَثُهُ بُرْهَةً عَنْهَا
 بِهِ يَتَوَصَّلُ الْجَانِي وَلَا يُلْحَى ^(١) وَلَا يُنْهَى
 ثُمَّ قَالَ: وَدُونَكُمْ الْخَفِيَّةَ الْعَلَمَ، الْمُعْتَكِرَةَ الظُّلْمَ ^(٢)، وَأَنْشَدَ مُلْغِزاً فِي الْقَلَمِ:

وَمَأْمُومٌ بِهِ عُرِفَ الْإِمَامُ كَمَا بَاهَتْ بِصُحْبَتِهِ الْكِرَامُ
 لَهُ إِذْ يَرْتَوِي طَيْشَانُ صَاد ^(٣) وَيَسْكُنُ حِينَ يَغْرُوهُ الْأَوَامُ ^(٤)
 وَيُذْزِرِي حِينَ يُسْتَسْعَى ^(٥) دُمُوعاً يَرْفُنَ كَمَا يَرُوقُ الْإِبْتِسَامُ
 ثُمَّ قَالَ: وَعَلَيْكُمْ بِالْوَاضِحَةِ الدَّلِيلِ، الْفَاضِحَةِ مَا قِيلَ، وَأَنْشَدَ مُلْغِزاً فِي الْمِيلِ:

وَمَا نَاكِحٌ أُخْتَيْنِ ^(٦) جَهْرًا وَخَفِيَّةً
 وَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي النِّكَاحِ سَبِيلُ
 مَتَى يَغْشَى هَذَا يَغْشَى فِي الْحَالِ هَذِهِ
 وَإِنْ مَالٌ بَعْلٌ لَمْ تَجِدْهُ يَمِيلُ
 يَزِيدُهُمَا عِنْدَ الْمَشْيِبِ تَعَهِّدًا
 وَبِرًّا وَهَذَا فِي الْبُعُولِ ^(٧) قَلِيلُ

ثُمَّ قَالَ: وَهَذِهِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ، مِيعَارُ ^(٨) الْأَدَابِ، وَأَنْشَدَ مُلْغِزاً فِي الدُّوَلَابِ:

(١) وَلَا يُعْذَلُ وَيُلَامُ. (٢) اعْتَكَرَ الظَّلَامَ: تَرَكَمَ.
 (٣) الصَّادِي، هُوَ: الْعَطْشَانُ. (٤) يَعْتَرِيهِ وَيَصِيبُهُ الْعَطْشُ.
 (٥) يَطْلُبُ مِنْهُ السَّعْيُ. (٦) أَرَادَ بِالْأُخْتَيْنِ: الْعَيْنَيْنِ.
 (٧) أَي: فِي حَالِ هَرَمِهِ. (٨) مِيزَانُ.

وجاف وهو موصول^(١) وصول^٢ ليس بالجافي
 غريق^٣ بارز فاعجب يسح^(٢) دموع مهضوم^(٣)
 له من راسب طاف ويهضم هضم متلاف
 وتخشى منه حديثه ولكن قلبه صاف

قال: فلما رشق^(٤)، بالخمس التي نسق^(٥)، قال: يا قوم تدبروا
 هذه الخمس، واعقدوا عليها الخمس، ثم رأيكم وضّم الدليل، أو الازدياد
 من هذا الكيل! قال: فاستفزت القوم شهوة الزيادة، على ما أشرّبوا من
 البلادة، فقالوا له: إن وقوفنا دون حدك، ليفحمنا عن استيراء^(٦) زندك،
 واستشفاف فرندك، فإن أتممت عشراً فمن عندك، فاهتز اهتزاز من فلج
 سهمه^(٧)، وأنخزل^(٨) خصمه، ثم افتتح النطق بالبسملة، وأنشد ملغزاً في
 المزملة:

ومسرورة مغمومة^(٩) طول دهرها
 وما هي تدري ما السرور ولا الغم
 تقرب أحياناً لأجل جنينها
 وكم ولد لولاه طلقت الأم
 وتبعد أحياناً وما حال عهدا
 وإبعاد من لم يستحل عهد ظلم

(١) ملتصق ببعضه.

(٢) يصب.

(٣) كمظلوم يبكي.

(٤) رمى.

(٥) التي قالها متتابعة.

(٦) إيقاد.

(٧) من ظفر وعكّب.

(٨) انقطع.

(٩) مستورة بما لف عليها.

إِذَا قَصُرَ اللَّيْلُ اسْتُلِذَّ وَصَالُهَا
وإن طَالَ فَالْإِعْرَاضُ عَنْ وَصْلِهَا غَنَمٌ
لَهَا مَلْبَسٌ بَادٌ أَتَيْقُ مَبْطَنٌ
بِمَا يُزْدَرَى (١) لَكِنْ لِمَا يُزْدَرَى الْحُكْمُ (٢)

ثُمَّ كَثُرَ عَنْ أَنْبَاءِ الصُّفْرِ، وَأَنْشَدَ مُلْغِزاً فِي الطُّفْرِ:
وَمَرْهُوبِ الشَّبَا (٣) نَامٌ (٤) وَمَا يَرْغَى وَلَا يَشْرَبُ
يُرَى فِي الْعَشْرِ دُونَ النَّحْـ رٍ فَاسْمَعُ وَصْفَهُ وَاعْجَبُ
ثُمَّ تَخَازَرَ تَخَازَرَ الْعَفْرِيتِ (٥)، وَأَنْشَدَ مُلْغِزاً فِي طَاقَةِ الْكَبْرِيتِ (٦):
وَمَا مَحْقُورَةٌ تُدْنِي وَتُقْصِي لَهَا رَأْسَانِ مُشْتَبِهَانِ جِدَا
تَعَذَّبُ إِنْ هُمَا خُضِبَا وَتُلْغَى إِذَا عَدِمَا الْخُضَابَ وَلَا تُعَدُّ
ثُمَّ تَخَمَّطَ (٧) تَخَمَّطَ الْقَرَمُ (٨)، وَأَنْشَدَ مُلْغِزاً فِي حَلَبِ الْكَرَمِ:
وَمَا شَيْءٌ إِذَا فَسَدَا تَحَوَّلَ غَيْهِ رَشَدَا
وإن هُوَ رَاقٍ أَوْ صَافٍ أَثَارَ الشَّرِّ حَيْثُ بَدَا
زَكِيُّ الْعِرْقِ وَالِدُهُ (٩) وَلَكِنْ بِئْسَ مَا وَلَدَا
ثُمَّ اعْتَضَدَ عَصَا التَّسْيَارِ، وَأَنْشَدَ مُلْغِزاً فِي الطَّيَّارِ:

- (١) طول عمرها.
(٢) أي: الحكمة ومنه قولهم: الصبر حكم وقليل فاعله.
(٣) هو الطَّرف والحد.
(٤) إنه ينمو ويزداد.
(٥) الداهي الخبيث القوي.
(٦) حزمة منه.
(٧) تكبر وتهياً للقول، وقيل: غضب. (٨) الفحل الهائج إذا هدر حرق أنيابه بعضها ببعض.
(٩) أصله زكي طيب وهو العنب، ولا يخفى ما في العنب من الفضل.

وَذِي طَيْشَةٍ (١) شَقُّهُ مَائِلٌ
يُرَى أَبْدَأُ فَوْقَ عَلِيَّةٍ
تَسَاوَى لَدَيْهِ الْحَصَا وَالنُّضَارُ
وَأَعْجَبُ أَوْصَافِهِ إِنَّ نَظْرَتَ
تَرَاضِي الْخُصُومَ بِهِ حَاكِمًا
وَمَا عَابَهُ بِهِمَا عَاقِلٌ
كَمَا يَعْتَلِي الْمَلِكُ الْعَادِلُ
وَمَا يَسْتَوِي الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ
كَمَا يَنْظُرُ الْكَيْسُ الْفَاضِلُ
وَقَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ مَائِلٌ

قَالَ: فَظَلَّتِ الْأَفْكَارُ تَهِيمٌ (٢) فِي أَوْدِيَةِ الْأَوْهَامِ (٣)، وَتَجُولُ جَوْلَانِ
الْمُسْتَهَامِ، إِلَى أَنْ طَالَ الْأَمَدُ، وَحَصَّصَ الْكَمَدُ، فَلَمَّا رَأَاهُمْ يَزِيدُونَ وَلَا
سَنَاءَ، وَيَقْضُونَ النَّهَارَ بِالْمُنَى، قَالَ: يَا قَوْمِ إِلَامَ تَنْظُرُونَ، وَحَتَّامَ تُنْظَرُونَ؟
أَلَمْ يَأْنِ لَكُمْ اسْتِخْرَاجُ الْخَبِيِّ (٤)، أَوْ اسْتِسْلَامُ الْغَبِيِّ؟ فَقَالُوا: تَاللَّهِ لَقَدْ
أَعْوَصَتْ (٥)، وَنَصَبَتْ الشَّرَكَ فَقَنْصَتْ، فَتَحَكَّمْ كَيْفَ شِيتَ، وَحُزِ الْغَنَمُ
وَالصَّيْتُ، فَفَرَضَ عَنْ كُلِّ مُعَمَّى فَرَضًا، وَاسْتَخْلَصَهُ مِنْهُمْ نَضًّا، ثُمَّ فَتَحَ
الْأَقْفَالَ، وَرَسَمَ الْأَغْفَالَ (٦)، وَحَاوَلَ الْإِجْفَالَ (٧)، فَاعْتَلَقَ بِهِ مِدْرَهُ الْقَوْمِ،
وَقَالَ لَهُ: لَا لُبْسَةَ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَاسْتَنْسَبَ قَبْلَ الْإِنْطِلَاقِ، وَهَبَهَا مُتَعَةً الطَّلَاقِ،
فَاطَّرَقَ حَتَّى قُلْنَا: مُرِيبٌ، ثُمَّ أَنْشَدَ وَالدَّمْعُ مُجِيبٌ:

سَرُوجُ مَطْلَعِ شَمْسِي (٨)
لَكِنْ حُرِمْتُ نَعِيمِي
وَأَعْتَصْتُ عَنْهَا اغْتِرَابًا
وَرُبْعُ لَهْوِي وَأُنْسِي
بِهَا وَلَذَّةَ نَفْسِي
أَمْرٌ يَوْمِي وَأَمْسِي (٩)

(١) خَفَّةٌ.

(٢) تذهب حائرة.

(٣) فِي مجاري الفكرة.

(٤) المستور.

(٥) أُتِيتَ بالعويس؛ أي: مَا لَا يَفْطِنُ لَهُ مِنَ الْكَلَامِ.

(٦) قَصْدُ الْإِنْطِلَاقِ وَالْخُرُوجِ.

(٧) بَيْنَ لَهُمْ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ.

(٨) صَيَّرَ عِيشِي مَرًّا نَهَارًا وَلَيْلًا.

(٩) يَرِيدُ أَنَّهَا بِلَدِهِ وَبِهَا مَوْلَدِهِ.

وَلَا قَرَارٌ لِعَنْسِي^(١)
 بِالشَّامِ أَضْحَى وَأَمْسَى
 مُنْغَصَّ^(٢) مُسْتَخَسَّ
 فَلَسٌ وَمَنْ لِي بِفَلَسٍ
 بَاعَ الْحَيَاةَ بِبَخْسٍ^(٤)

مَالِي مَقَرٌّ بِأَرْضٍ
 يَوْمًا بِنَجْدٍ وَيَوْمًا
 أُزْجِي الزَّمَانَ بِقَوْتٍ
 وَلَا أَبَيْتُ وَعَنْدِي
 وَمَنْ يَعِشْ مِثْلَ عَيْشِي^(٣)

ثُمَّ إِنَّهُ اخْتَبَنَ خُلَاصَةَ النَّضِّ^(٥) ، وَنَدَرَ ضَارِبًا فِي الْأَرْضِ ، فَنَاشَدْنَاهُ أَنْ
 يَعُودَ ، وَأَسْنَيْنَا لَهُ الْوُعُودَ^(٦) ، فَلَا وَأَبَيْكَ مَا رَجَعَ ، وَلَا التَّرْغِيبُ لَهُ
 نَجْعٌ^(٧) .



(١) هي الناقة الصلبة القوية .

(٢) مكدر .

(٣) مثل حياتي .

(٤) بنقص .

(٥) الخالص من المتحصل الحاضر .

(٦) الوعود جمع الوعد؛ أي: وعدنا بوعود عظيمة .

(٧) نفع وأثر .

المقامة الثالثة والأربعون البكرية

حكى الحارث بن همام قال: هفا بي البين المطوح^(١)، والسير
المبرح، إلى أرض يضل بها الخريت، وتفرق فيها المصاليت^(٢)، فوجدت ما
يجد الحائر الوحيد، ورأيت ما كنت منه أحيـد^(٣)، إلا أنني شجعت قلبي
المزؤود^(٤)، ونسأت نضوي^(٥) المجهود، وسرت سير الضارب
بقدحين، المستسلم للحين، ولم أزل بين وخد وذميل، وإجازة ميل بعد
ميل، إلى أن كادت الشمس تجب، والضياء يحتجب، فارتعت لإظلال
الظلام، وأفتحام جيش حام^(٦)، ولم أدر أكفت الذيل وأربط، أم أعتمد
الليل وأختبط^(٧)؟ وبيننا أنا أقلب العزم، وأمتخص الحزم، تراءى لي^(٨)
شبح جمل، مستدر بجبل^(٩)، فترجيته قعدة مريح، وقصدته قصد مشيح،
فإذا الظن كهانة^(١٠)، والقعدة عيرانة، والمريح قد ازدمل ببجاده،
وآكتحل برقاده، فجلست عند رأسه، حتى هب من نعاسه، فلما ازدهر
سراجاه^(١١)، وأحس بمن فاجاه، نفر كما ينفر المريب، وقال: أخوك أم

(١) البعد من طوَّحه إذا رماه.

(٢) جمع مصلات ومصليت وهو: الشجاع الماضي في أموره.

(٣) أميل.

(٤) الخائف المذعور.

(٥) جملي المهزول.

(٦) كناية عن اشتداد الظلام.

(٧) يعني أسير على غير اهتداء في الظلام.

(٨) ظهر لي.

(٩) مستتر به.

(١٠) يعني: صادف الواقع.

(١١) فتح عينيه بعدما انتبه.

الذَّيْبُ؟ فَقُلْتُ: بَلْ خَابَطُ لَيْلٍ ضَلَّ الْمَسْلَكَ، فَأَضَى أَقْدَحَ لَكَ، فَقَالَ: لَيْسَ عَنْكَ (١) هُمُكَ، فَرُبَّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمُّكَ، فأنسرى عند ذلك إشفاعي، وسرى الوسنُ إلى آماقي، فقال: عند الصَّباحِ يَحْمَدُ القومُ السَّرى، فَهَلْ تَرَى كَمَا أَرَى؟ فَقُلْتُ: إِنِّي لَكَ لَأَطْوَعُ مِنْ حَدَائِكَ، وَأَوْفَقُ مِنْ غَدَائِكَ، فَصَدَعَ (٢) بِمَحَبَّتِي، وَبَخِخَ بِصُحْبَتِي، ثُمَّ احْتَمَلْنَا (٣) مُجِدِّينَ، وَارْتَحَلْنَا مُدْجِلِينَ، وَلَمْ نَزَلْ نُعَانِي السَّرى (٤)، وَنُعَاصِي الْكَرى (٥)، إِلَى أَنْ بَلَغَ اللَّيْلُ غَايَتَهُ، وَرَفَعَ الْفَجْرُ رَايَتَهُ، فَلَمَّا أَسْفَرَ الْفَاضِحُ (٦)، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا وَاضِحٌ، تَوَسَّمتُ رَفِيقَ رِحْلَتِي، وَسَمِيرَ لَيْلَتِي، فَإِذَا هُوَ أَبُو زَيْدٍ مَطْلَبُ النَّاشِدِ، وَمَعْلَمُ الرَّاشِدِ (٧)، فَتَهَادَيْنَا تَحِيَّةَ الْمُحَيِّينَ، إِذَا التَّقِينَا بَعْدَ الْبَيْنِ، ثُمَّ تَبَاثُنَّا الْأَسْرَارَ، وَتَنَاشَتْنَا الْأَخْبَارَ، وَبَعِيرِي يَنْحِطُ مِنَ الْكِلَالِ (٨)، وَرَاحِلَتُهُ تَزْفُ زَفِيفَ الرَّالِ، فَأَعْجَبَنِي اشْتِدَادُ أُسْرِهَا، وَامْتِدَادُ صَبْرِهَا، فَأَخَذْتُ أُسْتَشِفُّ جَوْهَرَهَا (٩)، وَأَسْأَلُهُ مِنْ أَيْنَ تَخِيَرَهَا، فَقَالَ: إِنَّ لِهَذِهِ النَّاقَةَ خَبْرًا حُلُوَ الْمَدَاقَةِ، مَلِيحَ السِّيَاقَةِ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ اسْتِمَاعَهُ فَأَنْخِ، وَإِنْ لَمْ تَشَأْ فَلَا تُصِخْ (١٠)، فَأَنْخْتُ لِقَوْلِهِ نَضْوِي، وَأَهْدَفْتُ السَّمْعَ لِمَا يَرُوي، فَقَالَ: اعْلَمْ أَنِّي اسْتَعْرَضْتُهَا بِحَضْرَمَوْتَ، وَكَابَدْتُ (١١) فِي تَحْصِيلِهَا الْمَوْتَ، وَمَا زِلْتُ أَجُوبُ عَلَيْهَا الْبُلْدَانَ، وَأَطِسُ (١٢) بِأَخْفَافِهَا الطَّرَانَ (١٣)، إِلَى أَنْ وَجَدْتُهَا

(١) لِيُزَلَّ وَيُنْكَشَفَ مِنْ سَرَايَسِرٍ.

(٢) فَكُشِفَ وَبَاحَ.

(٣) رَحَلْنَا.

(٤) نَكَابِدَ سِيرَ اللَّيْلِ.

(٥) غَمَاعَ النَّوْمِ.

(٦) أَضَاءَ الصُّبْحِ.

(٧) الْمَعْلَمُ الْأَثَرُ الَّذِي يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى الطَّرِيقِ وَالرَّاشِدُ الْمُهْتَدِي.

(٨) مِنَ الْإِعْيَاءِ.

(٩) أَمَعْنَ النَّظَرَ فِي خَلْقَتِهَا.

(١٠) فَلَا تَسْمَعُ.

(١١) قَاسَيْتُ.

(١٢) الْوَطْسُ هُوَ الْوَطْءُ الشَّدِيدُ.

(١٣) هُوَ حَجَرٌ لَهُ حَدٌّ كَحَدِّ السَّكِينِ.

عَبْرَ أَسْفَارٍ، وَعُدَّةَ قَرَارٍ، لَا يَلْحَقُهَا الْعَنَاءُ، وَلَا تُوَاهِقُهَا (١) وَجَنَاءُ، وَلَا تَدْرِي مَا الْهِنَاءُ، فَأَرْصَدْتُهَا لِلخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَأَحْلَلْتُهَا (٢) مَحَلَّ الْبَرِّ السَّرِّ، فَاتَّفَقَ أَنْ نَدَّتْ مُذْمُودَةً، وَمَا لِي سِوَاهَا قُعْدَةٌ، فَاسْتَشَعَرْتُ الْأَسْفَ، وَاسْتَشْرِفْتُ التَّلَفَ، وَنَسِيتُ كُلَّ رِزْءٍ (٣) سَلَفَ، وَمَكَّثْتُ ثَلَاثًا لَا أَسْتَطِيعُ انْبِعَاثًا (٤) وَلَا أَطْعَمُ النَّوْمَ إِلَّا حَثَاثًا (٥)، ثُمَّ أَخَذْتُ فِي اسْتِقْرَاءِ الْمَسَالِكِ، وَتَفَقَّدْتُ الْمَسَارِحَ وَالْمَبَارِكِ، وَأَنَا لَا أَسْتَنْشِي مِنْهَا رِيحًا، وَلَا أَسْتَغْشِي يَأْسًا مُرِيحًا، وَكُلَّمَا اذْكُرْتُ مَضَاءَهَا (٦) فِي السَّيْرِ، وَانْبِرَاءَهَا لِمُبَارَاةِ الطَّيْرِ، لَا عَنِي الْاِذْكَارُ (٧)، وَاسْتَهْوَتْني الْأَفْكَارُ، فَبَيْنَمَا أَنَا فِي حَوَاءِ بَعْضِ الْأَحْيَاءِ إِذْ سَمِعْتُ مِنْ شَخْصٍ مُتَبَعْدٍ، وَصَوْتٌ مُتَجَرِّدٌ: مَنْ ضَلَّتْ لَهُ مَطِيَّةٌ، حَضْرَمِيَّةٌ وَطِيَّةٌ (٨)، جَلَدَهَا قَدْ وَسِمَ، وَعَرَّهَا (٩) قَدْ حُسِمَ، وَزَمَامُهَا قَدْ ضُفِرَ، وَظَهَرُهَا كَانَ قَدْ كُسِرَ ثُمَّ جَبِرَ، تَزِينُ الْمَاشِيَّةَ، وَتُعِينُ النَّاشِيَةَ (١٠)، وَتَقْطَعُ الْمَسَافَةَ النَّائِيَّةَ، وَتَظَلُّ أَبَدًا لَكَ مُدَانِيَّةَ، لَا يَعْتَوِرُهَا الْوَنَى، وَلَا يَعْتَرِضُهَا الْوَجَى (١١)، وَلَا تُحَوِّجُ إِلَى الْعَصَا، وَلَا تَعْصِي فِي مَنْ عَصَى.

قَالَ أَبُو زَيْدٍ: فَجَذَبَنِي الصَّوْتُ إِلَى الصَّبَاتِ، وَبَشَّرَنِي بِدَرْكِ الْفَائِتِ، فَلَمَّا أَفْضَيْتُ إِلَيْهِ، وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، قُلْتُ لَهُ: سَلِّمِ الْمَطِيَّةَ، وَتَسَلِّمِ الْعَطِيَّةَ (١٢)، فَقَالَ: وَمَا مَطِيَّتُكَ، غُفِرَتْ خَطِيئَتُكَ؟ قُلْتُ لَهُ: نَاقَةٌ جَثَّتْهَا

(١) لَا تَوَازِيهَا فِي السَّيْرِ.

(٢) أَنْزَلْتُهَا مِنِّي.

(٣) كُلُّ مَصِيبَةٍ.

(٤) قِيَامًا وَسِيرًا.

(٥) بِفَتْحِ الْحَاءِ وَكُسْرِهَا؛ أَيُّ: قَلِيلًا.

(٦) سَرَعْتُهَا.

(٧) أَيُّ التَّذَكُّرِ.

(٨) ذُلُولُ سَهْلَةٍ لَا تَحْرُكُ رَاكِبَهَا.

(٩) بِفَتْحِ الْعَيْنِ وَكُسْرِهَا؛ أَيُّ: عَيْبِهَا.

(١٠) الْجَارِيَةُ الْحَدِيثَةُ السَّنَنِ.

(١١) وَجَعَ الرَّجُلِ.

(١٢) أَيُّ: أَقْبَضَ الْجُعَالَ.

كَالْهَضْبَةِ، وَذَرَوْتُهَا كَالْقَبَةِ، وَجَلَبُهَا مِلْءُ الْعُلْبَةِ، وَكُنْتُ أُعْطِيْتُ بِهَا عِشْرِينَ، إِذْ حَلَلْتُ يَبْرِينَ، فَاسْتَرَدْتُ الَّذِي أُعْطِيَ، وَدَرَيْتُ ^(١) أَنَّهُ أَخْطَا. قَالَ: فَأَعْرَضَ عَنِّي حِينَ سَمِعَ صِفَتِي. وَقَالَ: لَسْتُ بِصَاحِبِ لُقْطَتِي! فَأَخَذْتُ بَنَلايِيهِ ^(٢)، وَأَصْرَرْتُ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وَهَمَمْتُ بِتَمْزِيقِ جَلَايِيهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا هَذَا مَا مَطِيتِي بِطَلْبِكَ، فَاكْفُفْ عَنِّي مِنْ غَرَبِكَ ^(٣)، وَعَدَّ عَنْ سَبِّكَ، وَإِلَّا فَقَاضِنِي إِلَى حَكْمِ هَذَا الْحَيِّ، الْبَرِيِّ مِنَ الْغِيِّ، فَإِنْ أَوْجَبَهَا لَكَ فَتَسَلَّمْ، وَإِنْ زَوَّاهَا ^(٤) عَنْكَ فَلَا تَتَكَلَّمْ، فَلَمْ أَرْ دَوَاءَ قِصَّتِي، وَلَا مَسَاغَ غُصَّتِي، إِلَّا أَنْ أَتَى الْحَكَمَ، وَلَوْ لَكُمْ، فَاخْرَطْنَا ^(٥) إِلَى شَيْخِ رَكِينِ النُّصْبَةِ ^(٦)، أَنْيَقِ الْعَصْبَةَ، يُؤْنَسُ مِنْهُ سُكُونُ الطَّائِرِ، وَأَنْ لَيْسَ بِالْجَائِرِ، فَاَنْدَرَاتُ أَتْظَلُّمُ وَأَتَأَلَّمُ، وَصَاحِبِي مُرِمٌ ^(٧) لَا يَتَرَمَّرُمُ ^(٨)، حَتَّى إِذَا نَثَلْتُ كِنَانَتِي، وَقَضَيْتُ مِنَ الْقَصَصِ لُبَانَتِي، أَبْرَزَ نَعْلًا رَزِينَةَ الْوِزْنِ، مَحْذُوءَةً لِمَسْلِكَ الْحَزْنِ، وَقَالَ: هَذِهِ الَّتِي عَرَفْتُ، وَإِيَّاهَا وَصَفْتُ، فَإِنْ كَانَتْ هِيَ الَّتِي أُعْطِيَ بِهَا عِشْرِينَ، وَهَا هُوَ مِنَ الْمُبْصِرِينَ، فَقَدْ كَذَبَ فِي دَعْوَاهُ، وَكَبَّرَ مَا افْتَرَاهُ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَمُدَّ قَدَّالَهُ ^(٩)، وَيُبَيِّنَ مِصْدَاقَ مَا قَالَهُ، فَقَالَ الْحَكَمُ: اللَّهُمَّ غَفِرًا، وَجَعَلَ يَقْلِبُ النِّعْلَ بَطْنًا وَظَهْرًا، ثُمَّ قَالَ: أَمَا هَذِهِ النِّعْلُ فَنَعْلِي، وَأَمَا مَطِيتُكَ فَنَحْلِي، فَانْهَضْ لَتَسَلِّمَ نَاقَتِكَ، وَافْعَلِ الْخَيْرَ بِحَسَبِ طَاقَتِكَ، فَقُمْتُ وَقُلْتُ:

(١) يجمع ثيابه من عند لبتة.

(١) علمت.

(٤) أي: منعها.

(٣) من حدك.

(٦) وقور الانتصاب

(٥) مضينا مسرعين.

(٨) لا يحرك فاه للكلام.

(٧) ساكت.

(٩) القدال: مؤخر الرأس.

أَقْسَمُ بِالْيَتِّ الْعَتِيقِ ^(١) ذِي الْحَرَمِ وَالطَّائِفِينَ الْعَاكِفِينَ فِي الْحَرَمِ
إِنَّكَ نِعَمٌ مِنْ إِلَيْهِ يُحْتَكَمُ وَخَيْرُ قَاضٍ فِي الْأَعَارِبِ ^(٢) حَكَمٌ
فَاسْلَمْ وَدُمُ دَوْمَ النَّعَامِ وَالنُّعَمِ

فَأَجَابَ مِنْ غَيْرِ رُويَّةٍ ^(٣) ، وَلَا عَقْدَ نِيَّةٍ ، وَقَالَ :

جُزِيتَ عَنْ شُكْرِكَ خَيْرًا يَا ابْنَ عَمٍّ إِذْ لَسْتُ أُسْتَوْجِبُ شُكْرًا يُلْتَزَمُ
شَرُّ الْأَنَامِ مِنْ إِذَا اسْتُقْضِيَ ظَلَمٌ ثُمَّ مَنْ اسْتُرْعِيَ فَلَمْ يَرْعِ الْحَرَمَ ^(٤)
فَذَانِ وَالْكَلْبُ سَوَاءٌ فِي الْقِيَمِ

ثُمَّ إِنَّهُ نَفَذَ بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ سَلَمِ النَّاقَةِ إِلَيَّ ، وَلَمْ يَمْتَنِّ عَلَيَّ ، فَرَحْتُ نَجِيحَ
الْأَرَبِ ^(٥) ، أَجْرُ ذَيْلِ الطَّرَبِ ، وَأَقُولُ : يَا لِلْعَجَبِ !

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ : فَقُلْتُ لَهُ تَالِلُهُ لَقَدْ أَطْرَفْتَ ، وَهَرَفْتَ بِمَا
عَرَفْتَ ، فَنَاشَدْتُكَ اللَّهَ هَلْ أَلْفَيْتَ أَسْحَرَ مِنْكَ بِلَاغَةً ، وَأَحْسَنَ لِلْفُظِّ صِيَاغَةً ؟
فَقَالَ : اللَّهُمَّ نَعَمْ ، فَاسْتَمِعْ وَانْعَمْ ، كُنْتُ عَزَمْتُ ، حِينَ أَتَهَمْتُ ^(٦) ، عَلَى
أَنْ أَتَّخِذَ طَعِينَةً ^(٧) ، لَتَكُونَ لِي مُعِينَةً ، فَحِينَ تَعَيَّنَ الْخِطْبُ الْمِلْبَ ، وَكَادَ
الْأَمْرُ يَسْتَبُ ^(٨) ، أَفَكَّرْتُ فِكْرَ الْمُتَحَرِّزِ مِنَ الْوَهْمِ ^(٩) ، الْمُتَأَمِّلِ كَيْفَ مَسْقِطُ
السَّهْمِ ، وَبِتُّ لَيْلَتِي أَنَا جِي الْقَلْبَ الْمُعَذِّبَ ، وَأَقْلَبُ الْعِزْمَ الْمُذْذَبَّ ^(١٠) ،

(١) هو الكعبة سمي العتيق بمعنى : القديم .

(٢) جمع الأعراب ، وهم سُكَّانُ البادية .

(٣) فكرة .

(٤) فذهبت مقضي الحاجة .

(٥) المرأة أو الزوجة .

(٦) قصدت تهامة .

(٧) يتهيأ ويتم .

(٨) الخائف من الغلط .

(٩) القصد المضطرب المتردد بين أمرين .

إِلَى أَنْ أَجْمَعْتَ عَلَى أَنْ أُسْحَرَ، وَأُشَاوَرَ أَوَّلَ مَنْ أَبْصَرُ، فَلَمَّا قَوَّضْتَ
الظُّلْمَةَ أَطْنَابَهَا (١)، وَوَلَّتِ الشُّهُبُ أَذْنَابَهَا، غَدَوْتُ غُدُوَّ الْمُتَعَرِّفِ، وَابْتَكَرْتُ
ابْتِكَارَ الْمُتَعَيِّفِ، فَاَنْبَرَى (٢) لِي يَافِعٌ فِي وَجْهِهِ شَافِعٌ، فَتِيَمَنْتُ بِمَنْظَرِهِ الْبَهِيحِ،
وَاسْتَقْدَحْتُ رَأْيَهُ فِي التَّزْوِيجِ، فَقَالَ: أَوْتَبِغِيهَا عَوَانًا، أَمْ بِكَرًّا تُعَانِي؟ فَقُلْتُ:
اخْتَرْ لِي مَا تَرَى، فَقَدْ أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ الْعُرَى (٣)، فَقَالَ: إِلَيَّ التَّبَيُّنُ، وَعَلَيْكَ
التَّعْيِينُ، فَاسْمَعْ أَنَا أَفْدِيكَ، بَعْدَ دَفْنِ أَعَادِيكَ، أَمَّا الْبِكْرُ فَالْدُرَّةُ الْمَخْزُونَةُ،
وَالْبَيْضَةُ الْمَكْنُونَةُ (٤)، وَالْبَاكُورَةُ (٥) الْجَنِئَةُ (٦)، وَالسَّلَاقَةُ الْهَنِئَةُ، وَالرُّوْضَةُ
الْأُنْفُ (٧)، وَالطَّوْقُ الَّذِي ثَمَنَ وَشَرَفَ، لَمْ يَدْنَسْهَا لَامِسٌ (٨)، وَلَا اسْتَغْشَاهَا
لَابِسٌ، وَلَا مَارَسَهَا عَابِثٌ، وَلَا وَكَسَهَا طَامِثٌ، وَلَهَا الْوَجْهُ الْحَيُّ، وَالطَّرْفُ
الْخَفِيُّ، وَاللِّسَانُ الْعَبِي (٩)، وَالْقَلْبُ النَّقِيُّ، ثُمَّ هِيَ الدُّمِيَّةُ الْمُلَاعِبَةُ، وَاللَّعْبَةُ
الْمُدَاعِبَةُ، وَالْغَزَالَةُ الْمُغَازِلَةُ (١٠)، وَالْمُلْحَةُ الْكَامِلَةُ، وَالْوَشَاحُ الطَّاهِرُ
الْقَشِيبُ (١١)، وَالضَّجِيعُ الَّذِي يُشِبُّ وَلَا يُشِيبُ (١٢)، وَأَمَّا الثِّيبُ فَالْمَطِيَّةُ
الْمَذَلَّلَةُ، وَاللُّهُنَةُ (١٣) الْمَعْجَلَةُ، وَالْبَغِيَّةُ الْمُسَهَّلَةُ، وَالطَّبَّةُ (١٤) الْمُعَلَّلَةُ (١٥)،
وَالْقَرِينَةُ الْمُتَحَبِّبَةُ، وَالْخَلِيلَةُ الْمُتَقَرَّبَةُ، وَالصَّنَاعُ (١٦) الْمُدَبِّرَةُ، وَالْفَطْنَةُ الْمُخْتَبَرَةُ،

(١) كناية عن انتهاء الليل والأطناب: حبالٌ تُشدُّ بها الخيمة وتقويضها: حلها، ونقضها: استعارها لانقضاء الظلمة.

(٢) اعترض. (٣) كناية عن تفويض الأمر إليه.

(٤) المخبة المستورة. (٥) أول ثمرة الشجرة.

(٦) التي لم تدبّل. (٧) التي لم ترع بعد.

(٨) زوج. (٩) يعني: الذي لا سلاطة فيه.

(١٠) المحادثة والمراودة. (١١) الجديد.

(١٢) يجعلك شاباً ولا يشييك. (١٣) هي ما يتقدم من الطعام قبل الغداء.

(١٤) الخبيرة العالمة. (١٥) المؤنسة. (١٦) الماهرة الحاذقة.

ثُمَّ إِنَّهَا عُجَالَةُ الرَّاكِبِ ، وَأُنْشَوْتَ الْخَاطِبِ ، وَقُعِدَةُ الْعَاجِزِ ، وَنَهْزَةُ الْمُبَارِزِ (١) عَرِيكَتُهَا لَيِّنَةٌ ، وَعُقْلَتُهَا هَيِّنَةٌ ، وَدَخِلْتُهَا (٢) مُتَبَيِّنَةٌ (٣) ، وَخَدِمَتُهَا مَزِينَةٌ ، وَأُقْسِمُ لَقَدْ صَدَقْتُ فِي النَّعْتَيْنِ ، وَجَلَوْتُ الْمَهَاتَيْنِ ، فَبَايَتُهُمَا هَامَ قَلْبُكَ؟

قَالَ أَبُو زَيْدٍ : فَرَأَيْتُهُ جَنْدَلَةً (٤) يَتَّقِيهَا الْمُرَاجِمُ ، وَتُدْمِي مِنْهَا الْمَحَاجِمُ ، إِلَّا أَنِّي قُلْتُ لَهُ : كُنْتُ سَمِعْتُ أَنَّ الْبِكْرَ أَشَدُّ حُبًّا ، وَأَقْلُ حُبًّا (٥) ، فَقَالَ : لَعَمْرِي قَدْ قِيلَ هَذَا ، وَلَكِنْ كَمْ قَوْلٍ آذَى ! وَيَحْكُ أَمَّا هِيَ الْمُهْرَةُ الْإِيَّةُ الْعِنَانِ (٦) ، وَالْمَطِيَّةُ الْبَطِيَّةُ الْإِذْعَانِ ! وَالزَنْدَةُ الْمُتَعَسِّرَةُ الْإِقْتِدَاحِ ، وَالْقَلْعَةُ الْمُسْتَصْعَبَةُ الْإِفْتِتَاحِ ! ثُمَّ إِنَّ مَوْوَنَتَهَا كَثِيرَةً ، وَمَعُونَتَهَا يَسِيرَةً ، وَعِشْرَتَهَا صَلْفَةٌ ، وَدَالَّتْهَا (٧) مَكْلَفَةٌ ، وَبَدَا خَرْقَاءُ (٨) ، وَفَتِنَتْهَا صَمَاءُ (٩) ، وَعَرِيكَتُهَا خَشْنَاءُ ، وَلِيلَتُهَا لِيْلَاءُ (١٠) ، وَفِي رِيَاضَتِهَا عَنَاءُ ، وَعَلَى خَبَرَتِهَا غِشَاءُ ! وَطَالَمَا أَخَزَتْ الْمُنَازِلَ ، وَفَرَكَتْ الْمُغَازِلَ ، وَأَحْنَقَتْ (١١) الْهَازِلَ (١٢) ، وَأَضْرَعَتْ الْفَنِيْقَ الْبَازِلَ ، ثُمَّ إِنَّهَا الَّتِي تَقُولُ : أَنَا أَلْبَسُ وَأَجْلِسُ ، فَأَطْلُبُ مِنْ يُطْلِقُ وَيَحْسِسُ ! فَقُلْتُ لَهُ : فَمَا تَرَى فِي الثَّيْبِ ، يَا أَبَا الطَّيِّبِ ؟ فَقَالَ : وَيَحْكُ أَتَرْغَبُ فِي فُضَالَةِ الْمَاكِلِ ، وَثُمَالَةِ الْمَنَاهِلِ (١٣) ، وَاللَّبَاسِ الْمُسْتَبْدَلِ ، وَالْوِعَاءِ الْمُسْتَعْمَلِ ؟ وَالذَّوَاقِعَ الْمُتَطَرِّفَةَ ، وَالْخَرَاجَةَ (١٤) الْمُتَصَرِّفَةَ ؟

(١) غنيمة المحارب.

(٢) باطن أمرها.

(٣) ظاهرة.

(٤) حجرًا ، والجمع : جنادل.

(٥) خداعًا ومكرًا.

(٦) يعني : المستعصبة الانقياد.

(٧) دلالها.

(٨) التي لا تحسن التصرف في معيشتها مبذرة.

(٩) شديدة شبّهت بالحية.

(١٠) يُقال : ليلة ليلاء ؛ إذا كانت شديدة الظلام.

(١١) غاظت.

(١٢) المستعمل الهزل ضد الجدّ.

(١٣) بقية الماء.

(١٤) هي كثيرة الخروج أو الإخراج.

والوقاح^(١) المُتسلّطة، والمُحتكرة^(٢) المُتسخّطة؟ ثمّ كلمتها كُنْتُ وصِرْتُ، وطالما بُغِيَ عَلَيَّ فَنصِرْتُ، وشتانَ بَيْنَ الْيَوْمِ وَأَمْسٍ، وأَيْنَ الْقَمَرُ مِنَ الشَّمْسِ؟ وإنْ كَانَتِ الْحَنَانَةُ الْبُرُوكَ^(٣)، وَالطَّمَّاحَةُ الْهَلُوكَ^(٤)، فَهِيَ الْغُلُّ الْقَمَلُ، وَالْجُرْحُ الَّذِي لَا يَنْدَمِلُ! فَقُلْتُ لَهُ: فَهَلْ تَرَى أَنَّ أَتْرَهَبَ، وَأَسْلُكَ هَذَا الْمَذْهَبَ؟ فَانْتَهَرَنِي انْتِهَارَ الْمُؤَدِّبِ، عِنْدَ زَلَّةِ الْمُتَأَدِّبِ، ثُمَّ قَالَ: وَيْلَكَ أَتَقْتَدِي بِالرُّهْبَانِ، وَالْحَقُّ قَدْ اسْتَبَانَ؟ أَفْ لَكَ، وَلَوْ هُنَّ رَائِكَ^(٥)، وَتَبَّأَ لَكَ وَلَاوَلَيْكَ! أَتُرَاكَ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ لَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ، أَوْ مَا حَدَّثْتَ بِمَنَاكِحِ نَبِيِّكَ عَلَيْهِ أَرْكَى السَّلَامِ؟ ثُمَّ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الْقَرِينَةَ^(٦) الصَّالِحَةَ تَرْبُ بَيْتَكَ^(٧)، وَتُلَبِّي صَوْتَكَ، وَتَغْضُ طَرْفَكَ^(٨)، وَتَطْيِبُ عَرْفَكَ؟ وَبِهَا تَرَى قُرَّةَ عَيْنِكَ، وَرِيحَانَةَ أَنْفِكَ، وَفَرْحَةَ قَلْبِكَ وَخُلْدَ ذِكْرِكَ، وَتَعْلَةَ يَوْمِكَ وَغَدِكَ، فَكَيْفَ رَغِبْتَ عَنْ سُنَّةِ الْمُرْسَلِينَ، وَمُتْعَةِ الْمُتَاهِلِينَ^(٩)، وَشُرْعَةِ الْمُحْصَنِينَ، وَمَجْلَبَةِ الْمَالِ وَالْبَنِينَ؟ وَاللَّهِ لَقَدْ سَاءَنِي فِيكَ، مَا سَمِعْتُ مِنْ فِيكَ، ثُمَّ أَعْرَضَ إِعْرَاضَ الْمَغْضَبِ، وَنَزَا نَزْوَانَ الْعُظْبِ^(١٠)، فَقُلْتُ لَهُ: قَاتَلَكَ اللَّهُ أَتَنْطَلِقُ مُتَبَخَّرًا، وَتَدْعُنِي مُتَحِيرًا؟ فَقَالَ: أَظْنُكَ تَدْعِي الْحَيْرَةَ، لَتَسْتَغْنِي عَنِ الْمَهِيرَةِ^(١١)! فَقُلْتُ لَهُ: قَبِّحَ اللَّهُ ظَنِّكَ، وَلَا أَشَبَّ قَرْنَكَ! ثُمَّ رَحْتُ عَنْهُ مَرَّاحَ الْخَزْيَانِ، وَتُبْتُ مِنْ مُشَاوَرَةِ الصَّبِيَّانِ.

(٢) الجامعة المانعة.

(١) قليلة الحياء.

(٣) هي التي تتزوج ولها ابن بالغ.

(٤) الفاجرة التي تتساقط على الرجال من التهالك، وهي شدة الحرص.

(٦) المراد بها: المرأة.

(٥) لضعف رأيك.

(٨) تمنع بصرك من التطلع للنساء.

(٧) تصلحه.

(١٠) ذكر الجراد.

(٩) ما يتمتع به المتزوجون.

(١١) بفتح الميم وكسر الهاء، وهي: الحرّة الغالية المهر.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَقُلْتُ لَهُ أَقْسِمُ بِمَنْ أَنْبَتَ الْإِيكَ، أَنَّ الْجَدَلَ مِنْكَ وَإِلَيْكَ، فَأَغْرَبَ (١) فِي الضَّحْكِ وَطَرِبَ طَرَبَةً الْمُنْهَمِكِ، ثُمَّ قَالَ: الْعَقِ الْعَسَلَ، وَلَا تَسَلْ! فَأَخَذْتُ أُسْهَبُ (٢) فِي مَدْحِ الْأَدَبِ، وَأَفْضَلُ رَبِّهِ عَلَى ذِي النَّشَبِ (٣)، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيَّ نَظَرَ الْمُسْتَجْهَلِ؛ وَيُغْضِي عَنِّي إِغْضَاءَ الْمُتَمَهِّلِ، فَلَمَّا أَفْرَطْتُ فِي الْعَصِيَّةِ، لِلْعُصْبَةِ الْأَدْبِيَّةِ (٤)، قَالَ لِي: صَهْ، وَاسْمَعْ مِنِّي وَافَقَهُ:

يَقُولُونَ إِنَّ جَمَالَ الْفَتَى وَزِينَتَهُ أَدَبٌ رَاسِخٌ (٥)
وَمَا إِنَّ يَزِينَ سِوَى الْمُكْثَرِينَ وَمَنْ طَوْدُ سَوْدَدِهِ شَامِخٌ
فَأَمَّا الْفَقِيرُ فَخَيْرٌ لَهُ مِنْ الْأَدَبِ الْقُرْصُ وَالْكَامِخُ
وَأَيَّ جَمَالٍ لَهُ أَنْ يُقَالَ أَدِيبٌ يَعْلَمُ أَوْ نَاسِخٌ

ثُمَّ قَالَ: سَيَتَضَحُّ لَكَ صِدْقُ لَهْجَتِي، وَاسْتِنَارَةُ حُجَّتِي (٦)، وَسِرْنَا لَا نَأْلُو جُهْدًا، وَلَا نَسْتَفِيقُ جَهْدًا، حَتَّى أَدَانَا السَّيْرُ، إِلَى قَرْيَةٍ عَزَبَ عَنْهَا (٧) الْخَيْرُ، فَدَخَلْنَاهَا لِلارْتِيَادِ (٨)، وَكِلَانَا مُنْفَضٌ (٩) مِنَ الزَّادِ، فَمَا إِنْ بَلَّغْنَا الْمَحَطَّ، وَالْمُنَاخَ الْمُخْتَطَّ، أَوْ لَقِينَا غُلَامٌ لَمْ يَبْلُغِ الْحُنْثَ، وَعَلَى عَاتِقِهِ ضِغْثٌ، فَحَيَّاهُ أَبُو زَيْدٍ تَحِيَّةَ الْمُسْلِمِ، وَسَأَلَهُ وَقْفَةَ الْمُفْهَمِ، فَقَالَ: وَعَمَّ تَسْأَلُ وَفَقَكَ اللَّهُ؟ قَالَ: أَيُّبَاعُ هَهْنَا الرُّطْبُ، بِالْخُطْبِ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ! قَالَ: وَلَا الْبَلْحُ (١٠)، بِالْمُلْحِ (١١)؟ قَالَ: كَلَّا وَاللَّهِ، قَالَ: وَلَا الثَّمَرُ،

(١) بالغ.

(٢) الإسهاب: الإكثار في الكلام والإطالة فيه.

(٣) صاحب المال.

(٤) أرباب الأدب.

(٥) ثابت متمكن.

(٦) ظهورها نيرة مضيئة.

(٧) غاب عنها.

(٨) للطلب.

(٩) خال.

(١٠) هو: ثمر النخل قبل البسر وبعد الخلال.

(١١) بالكلام المستملح المستحسن.

بِالسَّمْرِ؟ قَالَ: هَيْهَاتَ وَاللَّهِ! قَالَ: وَلَا الْعَصَائِدُ، بِالْقَصَائِدِ؟ قَالَ: اسْكُتْ عَافَاكَ اللَّهُ! قَالَ: وَلَا الثَّرَائِدُ، بِالْفَرَائِدِ ^(١)؟ قَالَ: أَيْنَ يَذْهَبُ بِكَ أَرْشَدَكَ اللَّهُ؟ قَالَ: وَلَا الدَّقِيقُ، بِالْمَعْنَى الدَّقِيقِ؟ قَالَ: عَدَّ عَنْ هَذَا أَصْلَحَكَ اللَّهُ! وَاسْتَحْلَى أَبُو زَيْدٍ تَرَاجُعَ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ، وَالتَّكَايُلَ مِنْ هَذَا الْجِرَابِ، وَلَمَحَ الْغُلَامُ أَنَّ الشُّوْطَ بَطِينٌ ^(٢)، وَالشَّيْخَ شَوَيْطِينٌ ^(٣)، فَقَالَ لَهُ: حَسْبُكَ يَا شَيْخُ قَدْ عَرَفْتُ فَنَّاكَ، وَاسْتَبْنْتُ أَنْكَ، فَخُذِ الْجَوَابَ صَبْرَةً، وَاکْتَفِ بِهِ خَبْرَةً ^(٤). أَمَا بِهِذَا الْمَكَانَ فَلَا يُشْتَرَى الشَّعْرُ بِشَعِيرَةٍ، وَلَا النَّثْرُ بِنُثَارَةٍ، وَلَا الْقِصَصُ بِقُصَاصَةٍ، وَلَا الرِّسَالَةُ بِغُسَالَةٍ، وَلَا حَكَمٌ لُقْمَانَ بِلُقْمَةٍ، وَلَا أَخْبَارُ الْمَلَا حِمٍ ^(٥) بِلَحْمَةٍ ^(٦)، وَأَمَّا جِيلُ هَذَا الزَّمَانِ فَمَا مِنْهُمْ مَنْ يَمِيحُ ^(٧)، إِذَا صِيغَ لَهُ الْمَدِيحُ، وَلَا مَنْ يُجِيزُ، إِذَا أُنْشِدَ لَهُ الْأَرَا جِيزُ، وَلَا مَنْ يُغِيثُ، إِذَا أُطْرِبَ الْحَدِيثُ، وَلَا مَنْ يَمِيرُ، وَلَوْ أَنَّهُ أَمِيرٌ، وَعِنْدَهُمْ أَنَّ مِثْلَ الْأَدِيبِ، كَالرَّبْعِ الْجَدِيدِ، إِنْ لَمْ تَجِدِ الرَّبْعَ دِيمَةً ^(٨)، لَمْ تَكُنْ لَهُ قِيمَةً، وَلَا دَانَتَهُ بِهَيْمَةٍ، وَكَذَا الْأَدَبُ، إِنْ لَمْ يَعْضُدْهُ نَشَبٌ، فَدَرَسُهُ نَصَبٌ، وَخَزَنُهُ حَصَبٌ، ثُمَّ انْسَدَرَ ^(٩) يَعْدُو، وَوَلَّى يَحْدُو، فَقَالَ لِي أَبُو زَيْدٍ: أَعْلَمْتَ أَنَّ الْأَدَبَ قَدْ بَارَ ^(١٠)، وَوَلَّتْ أَنْصَارُهُ الْأَدْبَارَ؟ فَبُوتُ ^(١١) لَهُ بِحُسْنِ الْبَصِيرَةِ، وَسَلَّمْتُ بِحُكْمِ الضَّرُورَةِ، فَقَالَ: دَعْنَا الْآنَ مِنَ الْمِصَاعِ ^(١٢)، وَخُضْ فِي حَدِيثِ

(١) جمع فريدة، وأراد بها: أبيات القصائد.

(٢) علمًا.

(٣) صاحب أدب ودهاء.

(٤) بقطعة لحم.

(٥) هي: الوقائع والحروب.

(٦) يعطي.

(٧) أسرع بعض الإسراع.

(٨) فاعترفت له وأقررت.

(٩) أسرع بعض الإسراع.

(١٠) فاعترفت له وأقررت.

(١١) فاعترفت له وأقررت.

(١٢) فاعترفت له وأقررت.

القصاص، واعلم أن الأسجاع، لا تُشبع من جاع، فما التدبير فيما يمسك الرَّمَقَ (١)، ويطفئ الحرق؟ فقلت: الأمر إليك، والزمّامُ بيدك، فقال: أرى أن ترهن سيفك، لتُشبع جوفك وضيّفك، فناولنيه وأقم، لأنقلب إليك بما تلتقم، فأحسنْتُ به الظنَّ، وقلدته السيف والرهن، فما لبث أن ركب الناقة، ورفض الصدق والصدّاقة، فمكثُ ملياً (٢) أترقبه، ثم نهضتُ أتعبه (٣)، فكنْتُ كمن ضيع اللبن في الصيف، ولم ألقه ولا السيف.



(١) بقية الحياة.

(٢) زماناً طويلاً.

(٣) أتبعه في عقبه.

المقامة الرابعة والأربعون الشتوية

حكى الحارثُ بنُ همامٍ قال: عَشَوْتُ^(١) فِي لَيْلَةٍ دَاجِيَةِ الظُّلَمِ^(٢)،
فَاحْمَةِ اللَّيْمِ، إِلَى نَارٍ تُضْرَمُ^(٣) عَلَى عِلْمٍ^(٤)، وَتُخْبِرُ عَنْ كَرَمٍ، وَكَانَتْ
لَيْلَةً جَوْهَا مَقْرُورٌ، وَجِيْهَا مَزْرُورٌ، وَنَجْمُهَا مَغْمُومٌ^(٥)، وَغَيْمُهَا مَرْكُومٌ،
وَأَنَا فِيهَا أَصْرَدُ مِنْ عَيْنِ الْحَرْبَاءِ، وَالْعَنْزِ الْجَرْبَاءِ، فَلَمْ أَزَلْ أَنْصُ عُنْسِي،
وَأَقُولُ: طَوْبَى لَكَ وَلِنَفْسِي! إِلَى أَنْ تَبْصَرَ^(٦) الْمُوقِدُ آلِي^(٧)، وَتَبَيَّنَ
إِرْقَالِي، فَاَنْحَدَرَ يَعْدُو الْجَمَزَى، وَيُنْشِدُ مُرْتَجِزاً:

حَيَّتَ مَنْ خَابَطَ لَيْلَ سَارِي هَدَاهُ^(٨) بَلْ أَهْدَاهُ^(٩) ضَوْءُ النَّارِ
إِلَى رَحِيبِ الْبَاعِ^(١٠) رَحَبَ الدَّارِ^(١١) مَرْحَبٌ بِالطَّارِقِ الْمُتَّارِ^(١٢)
تَرْحَابَ جَعْدِ الْكَفِّ بِالْدِّينَارِ لَيْسَ بِمُزُورٍ عَنِ الزَّوَارِ
وَلَا بِمَغْتَامِ الْقَرَى مِثْخَارِ^(١٣) إِذَا اقْشَعَرَّتْ تُرْبُ الْأَقْطَارِ
وَضَنْتِ الْأَنْوَاءُ بِالْأَمْطَارِ فَهُوَ عَلَى بُؤْسِ الزَّمَانِ^(١٤) الضَّارِي

- (١) قصدت.
(٢) معتمة شديدة الظلام.
(٣) تشعل.
(٤) جبل.
(٥) مستور تحت الغيم.
(٦) تأمل ببصره.
(٧) شخصي.
(٨) دله وأرشدته.
(٩) من الهدية.
(١٠) إلى واسع العطاء.
(١١) واسعه.
(١٢) طالب الميرة لنفسه، وهي: الطعام.
(١٣) مؤخر له.
(١٤) شدته.

جَمَ الرَّمَادِ مَرَهَفَ الشَّفَارِ لَمْ يَخْلُ فِي لَيْلٍ وَلَا نَهَارٍ
 مِنْ نَحْرِ وَاٍرٍ وَاقْتِدَاحٍ وَآرِي

ثُمَّ تَلَقَّانِي بِمُحِيَّا حَيٍّ، وَصَافَحَنِي بِرَاحَةِ أَرِيحِيٍّ، وَاقْتَادَنِي إِلَى بَيْتِ
 عَشَارُهُ تَخُورُ، وَأَعَشَارُهُ تَفُورُ^(١)، وَوَلَائِدُهُ^(٢) تَمُورُ^(٣)، وَمَوَائِدُهُ تَدُورُ،
 وَبَاكُسَارِهِ أَضْيَافٌ قَدْ جَلَبَهُمْ جَالِبِي، وَقَلَّبُوا فِي قَالِبِي، وَهُمْ يَجْتَنُونَ فَاكِهَةَ
 الشِّتَاءِ، وَيَمْرَحُونَ مَرَحَ ذَوِي الْفَتَاءِ، فَأَخَذْتُ مَا أَخَذَهُمْ فِي الْإِصْطِلَاءِ،
 وَوَجَدْتُ بِهِمْ وَجْدَ الثَّمَلِ بِالطَّلَاءِ، وَلَمَّا أَنْ سَرَى الْخَصْرُ^(٤)، وَأَنْسَرَى
 الْخَصْرُ، أُتِينَا بِمَوَائِدَ كَالِهَالَاتِ دَوْرًا، وَالرَّوْضَاتِ نَوْرًا^(٥)، وَقَدْ شُحِنَ^(٦)
 بِأَطْعِمَةِ الْوَلَائِمِ، وَحُمِينَ^(٧) مِنَ الْعَائِبِ وَاللَّائِمِ، فَرَفَضْنَا مَا قِيلَ فِي
 الْبِطْنَةِ، وَرَأَيْنَا الْإِمْعَانَ^(٨) فِيهَا مِنَ الْفِطْنَةِ، حَتَّى إِذَا اكْتَلْنَا بِصَاعِ
 الْحُطَمِ^(٩)، وَأَشْفَيْنَا عَلَى خَطَرِ التُّخَمِ، تَعَاوَرْنَا^(١٠) مَشُوشَ الْغَمْرِ، ثُمَّ
 تَبَوَّأْنَا^(١١) مَقَاعِدَ السَّمْرِ^(١٢)، وَأَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا يَشُولُ بِلِسَانِهِ، وَيَنْشُرُ مَا
 فِي صَوَانِهِ، مَا عَدَا شَيْخًا مُشْتَهَبًا فُودَاهُ، مُخْلَوْلَقًا بُرْدَاهُ، فَإِنَّهُ رِبْضَ حَجْرَةٍ،
 وَأَوْسَعَنَا هَجْرَةً، فَغَاطَنَّا تَجْنِبُهُ، أَلْمَلْتَبِسُ مُوجِبُهُ، الْمُعْذُورُ فِيهِ مُؤْنِبُهُ، إِلَّا أَنَا
 أَلْنَا^(١٣) لَهُ الْقَوْلَ، وَخَشِينَا فِي الْمَسْأَلَةِ الْعَوْلَ^(١٤)، وَكُلَّمَا رُمْنَا أَنْ يَفِيضَ

(٢) جمع وليدة، وهي: الجارية.

(٤) زال التضيق.

(٦) ملئن.

(٨) المبالغة والإكثار.

(١٠) تداولنا.

(١٢) حديث الليل.

(١٤) خفنا أن نتكلم معه فيزيد.

(١) أي تغلي.

(٣) تهيء وتذهب لخدمة الأضياف.

(٥) أي: زهراً.

(٧) مُنَعْن.

(٩) أي الأكل.

(١١) حللنا وتمكنا.

(١٣) من اللين، ضد الصلابة.

كَمَا فَضْنَا، أَوْ يُفِضَ فِيمَا أَفْضْنَا، أَعْرَضَ إِعْرَاضَ الْعَلِيَّةِ عَنِ الْأَرْضَيْنِ،
وتلا: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾، ثُمَّ كَانَ الْحَمِيَّةُ ^(١) هَاجَتُهُ ^(٢)، وَالنَّفْسَ
الْأَيَّةَ نَاجَتُهُ ^(٣)، فَدَلَفَ وَازْدَكَّفَ، وَخَلَعَ الصَّلَفَ، وَبَذَلَ أَنْ يَتَلَفَى ^(٤) مَا
سَلَفَ، ثُمَّ اسْتَرْعَى سَمْعَ السَّامِرِ، وَانْدَفَعَ كَالسَّيْلِ الْهَامِرِ ^(٥)، وَقَالَ:

عِنْدِي أَعَاجِيبُ أَرُويهَا بِلا كَذِبٍ
عَنِ الْعَيَانِ ^(٦) فَكُنُونِي أَبَا الْعَجَبِ
رَأَيْتُ يَا قَوْمُ أَقْوَامًا غَذَاؤُهُمْ
بَوْلُ الْعَجُوزِ وَمَا أَعْنِي ابْنَةُ الْعِنَبِ ^(٧)
وَمُسْنَتَيْنِ مِنَ الْأَغْرَابِ قَوْتُهُمْ
أَنْ يَشْتَوُوا خِرْقَةً تُغْنِي مِنَ السَّغَبِ ^(٨)
وَقَادِرِينَ مَتَى مَا سَاءَ صُنْعُهُمْ
أَوْ قَصَّروا فِيهِ قَالُوا التَذَنُّبُ لِلْحَطَبِ
وَكَاتِبِينَ وَمَا خَطَّتْ أَنْامِلُهُمْ
حَرْفًا وَلَا قَرَأُوا مَا خُطَّ فِي الْكُتُبِ
وَتَابِعِينَ عُقَابًا ^(٩) فِي مَسِيرِهِمْ
عَلَى تَكْمِيهِمْ فِي الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ
وَمُنْتَدِينَ ذَوِي نُبُلٍ بَدَتْ لَهُمْ
نَبِيلَةٌ فَأَنْشَنُوا مِنْهَا إِلَى الْهَرَبِ

(١) الأنفة والعظمة.

(٢) حدثته.

(٣) السائل الجاري.

(٤) الخمز.

(٥) بضم العين: نوع من الطير.

(٦) هيجته.

(٧) يتدارك.

(٨) المشاهدة.

(٩) الجموع.

وَعُصْبَةٌ لَمْ تَرَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ وَقَدْ
 حَجَّتْ جُثِيًّا بِلَا شَكٍّ عَلَى الرُّكْبِ
 وَنِسْوَةٍ بَعْدَمَا أَدْلَجْنَ ^(١) مِنْ حَلَبٍ
 صَبَّخْنَ كَظَمَةٍ ^(٢) مِنْ غَيْرِ مَا تَعَبٍ
 وَمُدْلَجِينَ سَرَوْا مِنْ أَرْضِ كَظَمَةٍ
 فَأَصْبَحُوا حِينَ لَاحَ الصُّبْحُ فِي حَلَبٍ ^(٣)
 وَيَافِعًا لَمْ يُلَاسْ قَطُّ غَانِيَةً
 شَاهَدَتْهُ وَلَهُ نَسْلٌ مِنَ الْعَقِبِ ^(٤)
 وَشَائِبًا غَيْرَ مُخَفٍّ لِلْمَشِيبِ بَدَا
 فِي الْبَدْوِ وَهُوَ فَتَى السَّنِّ لَمْ يَشِبِ
 وَمُرْضَعًا بِلَبَانٍ لَمْ يَفْهَ فَمُهُ ^(٥)
 رَأَيْتُهُ فِي شَجَارِ بَيْنِ السَّبَبِ
 وَزَارِعًا ذُرَّةً حَتَّى إِذَا حَصَدَتْ
 صَارَتْ غُبِيرَاءَ ^(٦) يَهْوَاهَا أَخُو الطَّرَبِ
 وَرَاكِبًا وَهُوَ مَغْلُولٌ ^(٧) عَلَى فَرَسٍ
 قَدْ غُلَّ أَيْضًا وَمَا يَنْفُكُ عَنْ خَبَبِ
 وَذَا يَدٍ طُلُقٍ ^(٨) يَقْتَادُ رَاحِلَةً
 مُسْتَعَجِلًا وَهُوَ مَأْسُورٌ أَخُو كُرْبِ

(١) أي: سرين في جوف الليل.

(٢) أي: سرين في جوف الليل.

(٣) أي: سرين في جوف الليل.

(٤) أي: سرين في جوف الليل.

(٥) أي: سرين في جوف الليل.

(٦) أي: سرين في جوف الليل.

(٧) أي: سرين في جوف الليل.

(٨) أي: سرين في جوف الليل.

وَجَالِسًا مَاشِيًا تَهْوِي مَطِيئَتُهُ
 بِهِ وَمَا فِي الَّذِي أُوْرِدَتْ مِنْ رِيْبٍ
 وَحَائِكًا أَجْذَمَ الْكَفَّيْنِ ^(١) ذَا خَرَسٍ
 فَإِنْ عَجِبْتُمْ فَكُمْ فِي الْخَلْقِ مِنْ عَجَبٍ
 وَذَا شَطَاطٍ ^(٢) كَصَدْرِ الرَّمْحِ قَامَتُهُ
 صَادَفَتْهُ بِمَنَى يَشْكُو مِنْ الْحَدَبِ ^(٣)
 وَسَاعِيًا فِي مَسَرَّاتِ الْأَنَامِ يَرَى
 إِفْرَاحَهُمْ مَائِمًا كَالظُّلَمِ وَالْكَذِبِ
 وَمُغْرَمًا ^(٤) بِمُنَاجَاةِ الرَّجَالِ لَهُ
 وَمَالَهُ فِي حَدِيثِ الْخُلُقِ مِنْ أَرْبٍ
 وَذَا ذِمَامٍ ^(٥) وَفَتْ بِالْعَهْدِ ذِمَّتُهُ
 وَلَا ذِمَامَ لَهُ فِي مَذْهَبِ الْعَرَبِ
 وَذَا قُوًى مَا اسْتَبَانَ قَطُّ لَيْنَتُهُ
 وَلَيْنُهُ مُسْتَبِينَ غَيْرُ مُحْتَجِبٍ
 وَسَاجِدًا فَوْقَ فَحْلٍ غَيْرِ مَكْتَرٍ ^(٦)
 بِمَا أَتَى بَلْ يَرَاهُ أَفْضَلَ الْقُرْبِ ^(٧)
 وَعَاذِرًا مَوْلَا ^(٨) مَنْ ظَلَّ يَعْذُرُهُ
 مَعَ التَّلَطُّفِ وَالْمَعْذُورُ فِي صَخَبٍ ^(٩)

(٢) قامة معتدلة.

(١) أقطع.

(٣) تقوَّس الظهر وبرزه كالسَّنام.

(٤) ولوعًا.

(٥) صاحب عهد وذمة.

(٦) غير مبالٍ.

(٧) جمع قرية - بالضم - وهي: الطاعة.

(٨) مؤذيًا.

(٩) ارتفاع الصوت والصياح.

وبلدة ما بها ماءٌ لمُتَرَفٍ
 والماءُ يجري عليها جريٌ مُنْسَرِبٍ
 وقريةٌ دونَ أنْحوصِ القطا شُحْنَتْ
 بِدَيْلِمٍ ^(١) عِبْشَهُمْ مِنْ خُلْسَةٍ ^(٢) السَّلْبِ ^(٣)
 وَكُوكِباً يَتَوَارَى ^(٤) عِنْدَ رُؤَيْتِهِ الـ
 إِنْسَانُ حَتَّى يَرَى فِي أَمْنَعِ الْحُجُبِ
 وَرَوْنَةً ^(٥) قَوْمَتْ مَالاً لَهُ خَطَرٌ ^(٦)
 وَنَفْسٌ صَاحِبِهَا بِالْمَالِ لَمْ تَطِبْ
 وَصَحْفَةً مِنْ نُضَارِ خَالِصِ شُرَيْتٍ ^(٧)
 بَعْدَ الْمَكَاسِ ^(٨) بِقِيرَاطٍ مِنَ الذَّهَبِ
 وَمُسْتَجِيشاً ^(٩) بِخَشْخَاشٍ لِيَدْفَعَ مَا
 أَظْلَمَهُ ^(١٠) مِنْ أَعَادِيهِ فَلَمْ يَخِبْ
 وَطَالَمَا رَبِّي كَلْبٌ وَفِي فَمِهِ
 ثَوْرٌ وَلَكِنَّهُ ثَوْرٌ بِلَا ذَنْبٍ
 وَكَمْ رَأَى نَاطِرِي فَيْلاً عَلَى جَمَلٍ
 وَقَدْ تَوَرَّكَ فَوْقَ الرَّحْلِ وَالْقَتَبِ

(٢) هي ما يُؤْخَذُ كَالسَّرِقَةِ .

(٤) يَخْتَفِي .

(٦) لَهُ قَدْرٌ وَشَرَفٌ .

(٨) الْمَشَاحَّةُ بَيْنَ الْمُتَبَايِعِينَ .

(١٠) مَا غَشِيَهُ وَقَرَبَ مِنْهُ .

(١) يُطْلَقُ عَلَى جَبَلٍ مِنَ الْعَجَمِ .

(٣) مَا يُسَلَبُ مِنَ الْقَتْلِ .

(٥) مَا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِ الْمَاشِيَةِ .

(٧) يَبِيعُ .

(٩) طَالِبٌ جَيْشٍ يَسْتَعِينُ بِهِ .

وَكَمْ لَقِيتُ بَعْرَضَ الْبَيْدِ مُشْتَكِيَا ^(١)
وَمَا اشْتَكَى قَطَّ فِي جِدٍّ وَفِي لَعِبٍ
وَكُنْتُ أَبْصَرْتُ كَرَّازًا لِرَاعِيَّةٍ ^(٢)
بَالِدَوٍّ ^(٣) يَنْظُرُ مِنْ عَيْنَيْنِ كَالشُّهْبِ
وَكَمْ رَأَتْ مُقْلَتِي عَيْنَيْنِ مَأْوَهُمَا
يَجْرِي مِنَ الْغَرْبِ وَالْعَيْنَانِ فِي حَلَبٍ
وَصَادِعًا بِالْقَنَا مِنْ غَيْرِ أَنْ عَلِقَتْ
كَفَّاهُ يَوْمًا بِرُمُحٍ لَا وَلَمْ يَثْبِ ^(٤)
وَكَمْ نَزَلْتُ بِأَرْضٍ لَا نَخِيلَ بِهَا
وَبَعْدَ يَوْمٍ رَأَيْتُ الْبُسْرَ فِي الْقُلْبِ
وَكَمْ رَأَيْتُ بِأَفْطَارِ الْفَلَا طَبَقًا ^(٥)
يَطِيرُ فِي الْجَوِّ مَنْصَبًا ^(٦) إِلَى صَبَبٍ
وَكَمْ مَشَايخَ فِي الدُّنْيَا رَأَيْتُهُمْ
مُخَلَّدِينَ وَمَنْ يَنْجُو مِنَ الْعَطَبِ
وَكَمْ بَدَأَ لِي وَحْشٌ ^(٧) يَشْتَكِي سَغْبًا ^(٨)
بِمَنْطِقٍ ذَلِقَ ^(٩) أَمْضَى مِنَ الْقَضْبِ

(١) ذا شكوى.

(٣) أي: بالفلاة.

(٥) إناء مفرطح.

(٧) الحيوان المتوحش في البادية.

(٩) فصيح.

(٢) مؤنث راع.

(٤) لم يحمل على عدو ولم يظفر.

(٦) هاويًا من أعلى إلى أسفل.

(٨) جوعًا.

وَكَمْ دَعَانِي مُسْتَنْجٍ فَحَادَثْنِي
وَمَا أَخْلَ وَلَا أَخْلَلْتُ بِالْأَدَبِ
وَكَمْ أَنْخَتُ قَلُوصِي تَحْتَ جُنْبُذَةٍ
تُظِلُّ مَا شِئْتَ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عُرْبٍ
وَكَمْ نَظَرْتُ إِلَى مِنْ سُرِّ سَاعَتِهِ ^(١)
وَدَمْعُهُ مُسْتَهْلُ الْقَطْرِ كَالسَّحْبِ
وَكَمْ رَأَيْتُ قَمِيصاً ضَرَّ صَاحِبَهُ
حَتَّى انْشَى ^(٢) وَأَهِيَ الْأَعْضَاءُ وَالْعَصَبِ ^(٣)
وَكَمْ إِزَارٍ لَوْ أَنَّ الدَّهْرَ أَتْلَفَهُ
لَجَفَّ لَبْدُ حَثِيثِ السَّيْرِ مُضْطَرِبِ
هَذَا وَكَمْ مِنْ أَفَانِينَ مُعْجَبَةٍ ^(٤)
عِنْدِي وَمِنْ مُلَحٍ ^(٥) تُلْهِي وَمِنْ نُخَبٍ ^(٦)
فَإِنْ فَطِنْتُمْ لِلْحَنِ الْقَوْلِ بَانَ لَكُمْ
صَدْقِي وَدَلَّكُمْ طَلْعِي عَلَى رُطْبِي
وَإِنْ شُدِّهْتُمْ ^(٧) فَإِنَّ الْعَارَ فِيهِ عَلَى
مَنْ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الْعُودِ وَالْخَشَبِ
قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَطَفِقْنَا نَخْبِطُ ^(٨) فِي تَقْلِيلِ قَرِيضِهِ ^(٩)،

(١) من دخل عليه سرور في ساعة.

(٢) رجع.

(٣) ضعيف الأعضاء مسترخي العصب.

(٤) يتعجب منها.

(٥) ما يُسْتَحْسَن من الكلام.

(٦) ما يتخَب ويختار من الكلام.

(٧) بهتتم وارتبتم فيما سمعتم.

(٨) نفكر ونقول.

(٩) الشعر الذي قاله.

وتأويل معاريضه، وهو يلهو بنا لهو الخلي بالشجي، ويقول: ليس بعشك فادرجي، إلى أن تعسر النتاج، واستحكم الارتجاج^(١)، فألقينا إليه المقادة، وخطبنا منه الإفادة، فوقفنا بين المطمع والياس، وقال: الإيناس قبل الإبناس! فعلمنا أنه ممن يرغب في الشكم، ويرتشي في الحكم، وساء أبا مثوانا أن نعرض للغرم، أو نخيب بالرغم، فأخضر صاحب المنزل ناقة عيديّة، وحلّة سعيديّة، وقال له: خذهما حلالاً، ولا ترزأ أضيافي زبالاً، فقال: أشهد أنها شنشنة أخزميّة، وأريحيّة^(٢) حاتميّة، ثم قابلنا بوجه بشره^(٣) يشف، ونضرته ترف^(٤)، وقال: يا قوم إن الليل قد اجلوذ^(٥)، والنعاس قد استحوذ^(٦)، فافزعوا^(٧) إلى المراقد، واغتموا راحة الرأقد، لتشربوا نشاطاً، وتبعثوا^(٨) نشاطاً، فتعوا ما أفسر، ويتسهل لكم المتعسر، فاستصوب كل ما رآه، وتوسد سادة كراهه، فلما وسنت الأجفان^(٩)، وأغفت الضيفان، وثب إلى الناقة فرحلها، ثم ارتحلها ورحلها، وقال مخاطباً لها:

سروج يا ناق فسيري وخدي^(١٠) وأدلجي وأوبي وأسئدي
حتى تطا خفاك مرعاها الندي فتنعمي حينئذ وتسعدي
وتأمني أن تتهمي وتنجدي إيه فدتك التوق جدي واجهدي
وافري^(١١) أديم فدقد فدقد واقتنعي بالنشح^(١٢) عند المورد

(١) الاستغلاق والانسداد.

(٣) طلاقته وبشاشته ظاهرة.

(٥) أسرع الذهاب.

(٧) فانهضوا وقوموا.

(٩) أخذت في مبدأ النوم.

(١١) أي: اقطعي.

(٢) كرم وجود.

(٤) تبرق وتتألاً.

(٦) استولى وغلب.

(٨) تقوموا من نومكم.

(١٠) الوخذ: الإسراع في السير.

(١٢) هو: الشرب.

وَلَا تَحْطِيْ دُونَ ذَاكَ الْمَقْصِدِ فَقَدْ حَلَفْتُ حَلْفَةَ الْمُجْتَهِدِ
بِحُرْمَةِ الْبَيْتِ الرَّفِيعِ الْعُمْدِ إِنَّكَ إِنْ أَحَلَلْتَنِي فِي بَلَدِي
حَلَلْتَ مِنِّي بِمَحَلِّ الْوَلَدِ

قال: فعلمت أنه السروجي الذي إذا باع أنباع^(١)، وإذا ملأ الصاع أنصاع^(٢)، وكما انبلج صباح اليوم، وهب النوام^(٣) من النوم، أعلمتهم أن الشيخ حين أغشاهم السبات^(٤)، طلقهم البتات، وركب الناقة وفات، فأخذهم ما قدم وما حدث، ونسوا ما طاب منه بما خبت، ثم انشعبنا^(٥) في كل مشعب^(٦)، وذهبنا تحت كل كوكب.

قال الشيخ الرئيس أبو محمد القاسم بن علي - رضي الله عنه: قد فسر سر كل لغز تحته وكلم أبعد على من يقرأه كشفه وقد بقيت أليفاً ظ اشتملت عليها هذه المقامة ربما التمس تفسيرها على بعض من تقع إليه فأحببت إيضاحها له؛ ليكفي حيرة الشبهة، وكلفة الفكرة، ووصمة البحث والمسألة، وبالله تعالى الاستعانة والقوة.

قوله: (عشوت إلى نار) يعني: تنورتها فقصدتها فإن لم تقصدها قلت: عشوت عنها. كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ [الزخرف: ٣٦]، أي: يعرض. وقوله: (وأنا أصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء) هذان مثلاً يُضربان لمن يبلغ منه البرد، وذلك لأن الحرباء تدور أبداً مع الشمس وتستقبلها بعينها، ولذلك شبه ابن الرومي الرقيب بالحرباء في قوله:

(١) انبعث للذهاب.

(٢) مال وراح.

(٣) استيقظ النائمون.

(٤) غلب عليهم النوم والراحة.

(٥) تفرقنا.

(٦) طريق.

ما بالها حُسْنَتْ ورقيبها أبداً قَبِيحٌ قُبِّحَ الرَّقَبَاءُ
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهَا شمس الضُّحَى أبداً يَكُونُ رَقِيبَهَا الحَرْبَاءُ

والعنز الجرباءُ لا تدفأ في الشتاء؛ لِقَلَّةِ شعرها، ذكر بعضهم أن العنز الجرباءُ تصحيف المثل الأول. وقَوْلُهُ: (من نحر وار) يعني الجمل المكتنز شحمًا كثير مخا، وقَوْلُهُ: (عشاره تخور وإعشاره تفور) العشار النوق الحوامل والأعشار البرمة العظيمة كأنها شعبت لعظمها يُقَالُكُ برمة أعشار وجفنة أكسار وثوب أَسْمَالٍ وبرد أخلاق وحبل أَرَمَامٍ ووصف الجماعة مِنْهَا كوصف الواحد، وقَوْلُهُ: (فاكهة الشتاء) كني بِهَا عن النَّارِ ومنه قول بَعْضِ المحدثين:

النَّارُ فاكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتيا فليصطل
إِنَّ الفواكه في الشتاء شهية والنار المقرور أفضل مأكَل
وقوله: (موائد كالهالات) يعني دارات القمر ودارة الشمس تسمى الطفاوة.

وقوله: (مشوش الغمر) يعني المنديل يُقَالُ: مش يده بالمنديل أي مسحها ومنه قول امرئ القيس

نمَشُّ بأعراف الجِيَادِ أَكْفَنَا إِذَا نحن قَمْنَا عن شِوَاءِ مَضْهَبٍ
وقوله: (مشتهبا فوداه) أي صاراً من الشيب في لون الأشهب ومنه قول امرئ القيس أيضاً

قَالَتِ الخُنْسَاءُ لَمَّا جِئْتُهَا شَابَ بعدي رَأْسُ هَذَا واشْتَهَبَ

وقوله: (ربض حجرة) يعني نَاحِيَةٍ وَيُقَالُ في المثل لمن يشارك في الرخاء ويجانب عند البلاء يرتع وسطاً ويربض حجرة، وقَوْلُهُ: (فاسترعة سمع السامر) يعني السَمَارَ لأن السامر اسْمٌ للجمع كالحاضر اسْمٌ للحي النازلين

عَلَى الْمَاءِ وَكَالْبَاقِرِ اسْمٌ لَجَمَاعَةِ الْبَقَرِ وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ اللُّغَةِ هُوَ اسْمٌ لِلْبَقَرِ مَعَ رِعَاتِهَا وَاشْتِقَاقُ السَّامِرِ مِنَ السَّمَرِ وَهُوَ ظِلُّ الْقَمَرِ مَاخُودٌ مِنَ السَّمَرَةِ فَلَمَّا كَانَ غَالِبَ أَحْوَالِ السَّمَارِ أَنَّهُمْ يَتَحَدَّثُونَ فِي ظِلِّ الْقَمَرِ اشْتَقَّ لَهُمْ اسْمٌ مِنْهُ وَإِلَى هَذَا يَرْجِعُ قَوْلُهُمْ لَا أَكْلِمُهُ الْقَمَرَ وَالسَّمَرَ، وَقَوْلُهُ: (لَيْسَ بِعَشْكَ فَادِرْجِي) هَذَا مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ يَتَعَاطَى مَا لَا يَنْبَغِي لَهُ وَالْعَشُّ مَا يَكُونُ فِي شَجَرَةٍ فَإِذَا كَانَ فِي حَائِطٍ أَوْ كَهْفٍ جَبَلٍ فَهُوَ وَكَرٍ، وَقَوْلُهُ: (الْإِيْنَسُ قَبْلَ الْإِبْسَاسِ) هَذَا مِثْلُ أَيْضًا وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُؤْنَسَ الْإِنْسَانُ ثُمَّ يَكْلَفُ وَأَصْلُهُ أَنَّ حَالِبَ النَّاقَةِ يُؤْنِسُهَا حِينَ يَرُومُ حَلِبَهَا ثُمَّ يَبْسُ بِهَا لِلْحَلْبِ وَالْإِبْسَاسُ أَنْ تَقُولَ لَهَا: بَسْ لَتَسْكُنَ وَتَدْرُ وَتَسْمَى النَّاقَةُ الَّتِي تَدْرُ عَلَى الْإِبْسَاسِ الْبَسُوسَ.

وقوله: (يُرْغَبُ فِي الشُّكْمِ) الشُّكْمُ مَا أُعْطِيَتْهُ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازَةِ فَإِنْ أُعْطِيَتْهُ مُبْتَدَأً فَهُوَ الشُّكْدُ، وَقَوْلُهُ: (سَاءَ أَبَا مِثْوَانَا) يَعْنِي الْمُضِيفَ الَّذِي أَوُوا إِلَيْهِ وَثَوُوا عِنْدَهُ، وَقَوْلُهُ: (نَاقَةُ عَيْدِيَّةٍ) قِيلَ: إِنَّهَا مَنْسُوبَةٌ إِلَى فَحْلٍ مَنْجَبٍ اسْمُهُ عَيْدٍ، وَقِيلَ: هِيَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى فَحْدٍ مِنْ مَهْرَةٍ اسْمُهُ عَيْدٌ بِنَ مَهْرَةٍ وَكَانَتْ مَهْرَةً وَعَيْدٌ تَتَخَذَانِ نَحَائِبَ الْإِبِلِ فَنَسَبَتْ إِلَيْهِمَا. وقوله: (حَلَّةٌ سَعِيدِيَّةٌ) هِيَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَسَاهُ وَهُوَ غَلَامٌ حَلَّةٌ فَنَسَبَ جَنْسَهَا إِلَيْهِ. وقوله: (لَا تَرِزْ أَوْصِيَا فِي زِبَالَا) أَيِ لَا تَرِزْهُمْ شَيْئًا وَإِنْ قُلَّ وَالْأَصْلُ فِي الزِّبَالِ مَا تَحْمِلُهُ النَّمْلَةُ بِفِيهَا. وقوله: (شَنْشَةُ أَخْزِيْمَةٍ) أَشَارَ بِهِ إِلَى الْمِثْلِ الَّذِي ضَرَبَهُ جَدُّ حَاتِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ الْحُشْرِجِ بْنِ أَخْزَمِ الطَّائِي حِينَ نَشَأَ حَاتِمٌ وَتَقِيلُ أَخْلَاقُ جَدِّهِ أَخْزَمٌ فِي الْجُودِ فَقِيلَ: شَنْشَةُ أَعْرَفُهَا مِنْ أَخْزَمٍ وَتَمَثَّلُ عَقِيلُ بْنُ غُلْفَةٍ بِهِ حِينَ قَالَ:

إِنْ بَنِي ضَرْجُونِي بِالْدَّمِّ مِنْ يَلْقَى آسَادَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ
شَنْشَةَ أَعْرَفَهَا مِنْ أَخْزَمِ

ومن ادعى أَنَّ المثل فَقَدْ سَهَا فِيهِ وَقَوْلُهُ: (اجلوز) أي أَسْرَعَ فِي الذهاب ومثله اخروط. وقوله: (وثب إِلَى النَّاقَةِ فرحلها) يعني شد عليها الرحل وبه سميت الراحلة لأنها فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى: ﴿فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ أي: مرضية وكقوله تعالى: ﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ أي مدفوق والراحلة تقع عَلَى النَّاقَةِ والجمل ودخول الهاء فِيهَا للمبالغة مثل داهية وراوية. وقوله: (ارتحلها) أي ركبها وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سجد فركبه الحُسن فأبطأ فِي سجوده فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ: «إِنْ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكُرِهْتُ أَنْ أَعْجَلَهُ». وقوله: (ورحلها) أي أزعجها وأشخصها وأجدبها فِي الرَّحِيل. ومنه الخبر: «تخرج عند اقتراب السَّاعَةِ نَارٌ مِنْ قَعْرِ عَدَنِ تَرَحَّلُ النَّاسُ». وقوله: (فأدلجي وأوبي وأسدي): الإدلاج أن تسير اللَّيْلَ كُلَّهُ، والاسم منه: الدُّجَّة - بفتح الدَّال - والادلاج - بالتشديد: أن تسير من آخره والاسم منه الدُّجَّة - بضم الدَّال - وقيل: فتحها وضمها بمعنى واحد. والتأويب: سير النهار وحده. والإسَاد: أن تسير ليلاً ونهاراً. والنشح: أن تشرب دون الري. وقوله: (فأخذهم ما قدم وما حدث): يُقَالُ ذَلِكَ لِمَنْ تَسْتَوْلِي الهموم عَلَيْهِ وتتلاعب به. وتضم الدَّال من حدث فِي هَذَا الْمَوْضِع وحده ليوافق لفظها لفظ قدم، فَإِنْ أَفْرَدْتَ حَدَثَ عَنْ قَدَمٍ وَجَبَ فَتَحَ الدَّالِ مِنْ حَدَثٍ. ومثله قولهم: «هنأني ومرأني» بحذف الألف من أمرأني إِذَا ذَكَرَ مَعَ هِنَأْنِي فَإِنْ أَفْرَدْتَهُ وَجَبَ أَنْ تَقُولَ: أمرأني الشيء. وقوله: (ذهبنا تحت كل كوكب): هَذَا الْمَثَلُ يُضْرَبُ لِمَنْ تَخْتَلَفُ فِي السَّفَرِ طَرَفَهُمْ، وَتَبَايَنَ سَبْلَهُمْ.



المقامة الخامسة والأربعون الرمليّة

حكى الحارث بن همام قال: كنت أخذت عن أولي التجارِب، أنَّ
السَّفرَ مرآةَ الأعاجيب، فلم أزل أجوبُ كُلَّ تنوِّفةٍ (١)، وأفتَحُمُ كُلَّ
مَخوْفَةٍ (٢)، حتَّى اجتَلَبْتُ كُلَّ أطروْفَةٍ، فمن أحسن ما لمَحْتُهُ، وأغرب ما
استمَلَحْتُهُ (٣)، أن حضرت قاضي الرَّمْلَةِ، وكان من أرباب الدَّولةِ
والصَّوْلَةِ، وقد تَراَفَعَ إليه بال في بال، وذاتُ جَمالٍ في أسْمالٍ، فهمَّ الشَّيْخُ
بالكلام، وتبيَّن المَرامِ (٤)، فمَنَعَتْهُ الفَتَاةُ مِنَ الإفْصاحِ، وخَسَأَتْهُ عَنِ
النُّباحِ، ثُمَّ نَضَتْ عَنْهَا فَضْلَةَ الوِشاحِ (٥)، وأنشَدَتْ بلسان السَّليْطَةِ الوَفاحِ:
يا قاضي الرَّمْلَةِ يا ذا الَّذي
إليك أشكو جورَ بعلِي الَّذي
وليتَه لَمَّا قَضَى نُسْكَهُ
كَانَ عَلَى رأي أبي يوسفٍ
هَذَا عَلَى أَنِّي مَذْضَمْنِي (٦)
فَمُرُهُ إمَّا أُلْفَةً حُلُوَّةً
مَنْ قَبْلَ أَنْ أَخْلَعَ ثَوْبَ الْحَيَا

فِي يَدِهِ الثَّمَرَةُ وَالْجَمْرَةُ (٦)
لَمْ يَحْجُجِ الْبَيْتَ سِوَى مَرَّةٍ
وَخَفَّ ظَهْرًا إِذْ رَمَى الْجَمْرَةَ
فِي صَلَاةِ الْحُجَّةِ بِالْعُمْرَةِ
إِلَيْهِ لَمْ أَغْصِرْ لَهُ أَمْرَهُ
تُرْضِي وَإِمَّا فَرْقَةً مَرَّةً
فِي طَاعَةِ الشَّيْخِ أَبِي مَرَّةً

(٢) ما يخاف منها.

(٤) إظهار المطلوب والإفصاح عنه.

(٦) بيده الخير والشر والنفع والضرر.

(١) أقطع كل مفازة.

(٣) عدده مليحاً.

(٥) أزالته عن وجهها ما عليه من غطاء.

(٧) من حين تزوجني.

فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: قَدْ سَمِعْتَ بِمَا عَزَّتْكَ ^(١) إِلَيْهِ، وَتَوَعَّدَتْكَ عَلَيْهِ، فَجَانِبَ مَا عَرَّكَ ^(٢)، وَحَازِرَ أَنْ تُفَرِّكَ، وَتُعْرِكَ، فَجَثَا ^(٣) الشَّيْخُ عَلَى ثِفَاتِهِ ^(٤)، وَفَجَرَ يَنْبُوعَ نَفَثَاتِهِ ^(٥)، وَقَالَ:

اسْمَعْ عَدَاكَ الدَّمُّ قَوْلَ امْرِئٍ يُوَضِّحُ فِي مَا رَابَهَا عُذْرَهُ
وَاللَّهِ مَا أَعْرَضْتُ عَنْهَا قَلْبِي ^(٦) وَلَا هَوَى ^(٧) قَلْبِي قَضَى نَذْرَهُ ^(٨)
وَأِنَّمَا الدَّهْرُ عَدَا صَرَفُهُ فَابْتَزْنَا الدَّرَّةَ وَالذَّرَّةَ
فَمَنْزِلِي قَفَرٌ كَمَا جِيدُهَا عَطُلٌ ^(٩) مِنَ الْجَزَعَةِ وَالشَّذْرَةِ
وَكُنْتُ مِنْ قَبْلُ أَرَى فِي الْهَوَى وَدِينُهُ رَأَى بَنِي عُذْرَةِ
فَمُذْنِبَا الدَّهْرِ هَجَرْتُ الدَّمَى هَجْرَانِ عَفٍّ ^(١٠) أَخَذَ حَذْرَهُ
وَمَلْتُ عَنْ حَرْثِي لَا رَغْبَةَ عَنْهُ وَلَكِنْ أَتَّقِي بَذْرَهُ
فَلَا تَلُمَنَّ مِنْ هَذِهِ حَالَهُ وَأَعْطِفْ عَلَيْهِ وَاحْتَمِلْ هَذْرَهُ ^(١١)

قَالَ: فَالْتَفَتَ ^(١٢) الْمَرْأَةُ مِنْ مَقَالِهِ، وَانْتَضَتِ الْحُجَجَ لَجْدَالِهِ، وَقَالَتْ لَهُ: وَيْلَكَ يَا مَرْقَعَانُ ^(١٣)، يَا مَنْ هُوَ لَا طَعَامٌ وَلَا طَعَانٌ! أَتَضَيِّقُ بِالْوَلَدِ ذُرْعًا ^(١٤)، وَلِكُلِّ أَكُولَةٍ مَرَعَى؟ لَقَدْ ضَلَّ فَهْمُكَ، وَأَخْطَأَ سَهْمُكَ، وَسَفِهَتْ ^(١٥) نَفْسُكَ، وَشَقِيتُ بِكَ عَرْسُكَ ^(١٦)، فَقَالَ لَهَا الْقَاضِي: أَمَّا

(٢) تبعد عما يعيبك .

(١) نسبته .

(٤) على ركبته .

(٣) جلس .

(٦) بغضًا وعداوة .

(٥) كلماته .

(٨) زال .

(٧) حُبٌّ .

(١٠) عفيف .

(٩) سلبنا الخطير والحقير .

(١٢) فاحترقت .

(١١) كلامه الكثير السقط .

(١٤) قلبًا .

(١٣) الأحمق كالرقيق .

(١٦) زوجتك .

(١٥) ذهب رشدًا .

أَنْتِ فُلُوْ جَادَكِ الْخُنْسَاءُ، لَانْتِثَ (١) عَنْكِ خَرْسَاءُ، وَأَمَّا هُوَ فَإِنْ كَانَ صَدَقَ فِي زَعْمِهِ (٢)، وَدَعَوَى عُدْمِهِ (٣)، فَلَهُ فِي هِمِّ قَبْقَبِهِ (٤)، مَا يَشْغُلُهُ عَنْ ذُبْذُبِهِ، فَأَطْرَقَتْ تَنْظَرُ أَزْوَاراً (٥)، وَلَا تُرْجِعُ حِوَاراً، حَتَّى قُلْنَا: قَدْ رَاجَعَهَا الْخَفَرُ (٦)، أَوْ حَاقَ بِهَا الظَّفَرُ، فَقَالَ لَهَا الشَّيْخُ: تَعْساً لَكَ إِنْ زَخَرْتَ، أَوْ كَتَمْتَ مَا عَرَفْتَ! فَقَالَتْ: وَيْحَكَ وَهَلْ بَعْدَ الْمُنَافَرَةِ كَتَمٌ، أَوْ بَقِيَ لَنَا عَلَى سِرِّ خَتْمٌ؟ وَمَا فِينَا إِلَّا مَنْ صَدَقَ، وَهَتَكَ صَوْنَهُ إِذْ نَطَقَ، فَلَيْتَنَا لَا قَيْنَا الْبَكَمَ، وَلَكَمْ نَلَقَ الْحَكَمَ، ثُمَّ التَفَعَتْ بَوِشَاحِهَا، وَتَبَاكَتْ لِفَتْصَاحِهَا، وَجَعَلَ الْقَاضِي يَعْجَبُ مِنْ خَطْبِهِمَا وَيَعْجَبُ، وَيَلُومُ لَهُمَا الدَّهْرَ وَيُوْنِبُ (٧)، ثُمَّ أَحْضَرَ مِنَ الْوَرِقِ أَلْفَيْنِ، وَقَالَ: أَرْضِيَا بِهِمَا الْأَجُوفَيْنِ، وَعَاصِيَا النَّازِعِ (٨) بَيْنَ الْإِلْفَيْنِ (٩)، فَشَكَرَاهُ عَلَى حُسْنِ السَّرَاحِ، وَانْطَلَقَا وَهُمَا كَالْمَاءِ وَالرَّاحِ (١٠)، وَطَفِقَ الْقَاضِي بَعْدَ مَسَرِّحِهِمَا (١١)، وَتَنَائِي شَبَحِهِمَا (١٢)، يُشْنِي عَلَى أَدْبِهِمَا، وَيَقُولُ: هَلْ مِنْ عَارِفٍ بِهِمَا؟ فَقَالَ لَهُ عَيْنُ أَعْوَانِهِ، وَخَالِصَةُ خُلْصَانِهِ: أَمَّا الشَّيْخُ فَالسَّرُّوجِيُّ الْمَشْهُودُ بِفَضْلِهِ، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَقَعِيدَةُ رَحْلِهِ، وَأَمَّا تَحَاكُمُهُمَا فَمَكِيدَةُ (١٣) مِنْ فَعْلِهِ، وَأُحْبُولَةُ (١٤) مِنْ حَبَائِلِ خِتْلِهِ! فَاحْفَظْ الْقَاضِي مَا سَمِعَ، وَتَلَهَّبْ كَيْفَ خُدْعَ، ثُمَّ قَالَ لِلْوَاشِي بِهِمَا:

(١) لرجعت.

(٢) ظنه.

(٣) فقره.

(٤) القبقب: البطن.

(٥) خفية بجانب عينها.

(٦) شدة الحياء.

(٧) يُونِبُ وَيَبَالِغُ فِي دَمِّ الدَّهْرِ.

(٨) الذي يوقع الشر والعداوة بين الناس.

(٩) المتحابين.

(١٠) ممتزجين مؤتلفين.

(١١) بعد انصرافهما وذهابهما.

(١٢) تباعد جسمهما.

(١٣) خديعة وحيلة.

(١٤) شبكة صيد.

قُمْ فَرُدَّهُمَا، ثُمَّ اقْصِدْهُمَا وَصِدِّهْهُمَا، فَنَهَضَ يَنْفُضُ مَذْرُوبَهُ، ثُمَّ عَادَ يَضْرِبُ
أَصْدَرِيَّهٖ! فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: أَظْهَرْنَا عَلَى مَا نَبَّتَ (١)، وَلَا تُخَفِ عَنَّا مَا
اسْتَخْبَيْتَ، فَقَالَ: مَا زِلْتُ أَسْتَقْرِ (٢) الطُّرُقَ، وَأَسْتَفْتِحُ الْغُلُقَ، إِلَى أَنْ
أَدْرَكْتُهُمَا مُصْحَرَيْنِ (٣)، وَقَدْ زَمَّا مَطِيَّ الْبَيْنِ، فَرَعَبْتُهُمَا فِي الْعَلَلِ، وَكَفَلْتُ (٤)
لَهُمَا بَنِيْلَ الْأَمَلِ، فَأَشْرَبَ قَلْبُ الشَّيْخِ أَنْ يِنَاسَ، وَقَالَ: الْفِرَارُ بِقُرَابِ
أَكَيْسٍ! وَقَالَتْ هِيَ: بَلِ الْعَوْدُ أَحْمَدُ، وَالْفَرُوقَةُ (٥) يَكْمَدُ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ الشَّيْخُ
سَفَهَ رَأْيَهَا (٦)، وَغَرَّرَ اجْتِرَائَهَا (٧)، أَمْسَكَ ذِلَازِلَهَا (٨)، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ لَهَا:
دُونَكَ نَصْحِي فَاقْتَفِي سُبْلَهُ وَاغْنِي عَنِ التَّفْصِيلِ بِالْجُمْلَةِ
طِيرِي مَتَى نَقَّرْتُ عَنْ نَخْلَةٍ وَطَلَّقِيهَا بَتَّةً (٩) بَتْلَهُ (١٠)
وَحَازِرِي الْعَوْدَ إِلَيْهَا وَلَوْ سَبَّلَهَا نَاطُورُهَا الْأَبْلَهُ
فَخَيْرٌ مَا لِلَّصِّ أَنْ لَا يُرَى بِبُقْعَةٍ فِيهَا لَهُ عَمَلُهُ
ثُمَّ قَالَ لِي: لَقَدْ عُنَيْتَ (١١)، فِيمَا وُلِّيتَ (١٢)، فَارْجِعْ مِنْ حَيْثُ
جِئْتَ، وَقُلْ لِمُرْسَلِكَ إِنَّ شَيْئًا:

رُؤْيَدَكَ (١٣) لَا تُعَقِّبُ جَمِيلَكَ بِالْأَذَى

فَتُضْحِي وَشَمِلَ الْمَالِ وَالْحَمْدُ مُنْصَدَعٌ (١٤)

-
- | | |
|--------------------------------|---------------------------------------|
| (١) على ما استخرجت من الأسرار. | (٢) أتبع. |
| (٣) خارجين إلى الصحراء. | (٤) ضمنت. |
| (٥) الجبان كثير الخوف. | (٦) خطأها في الرأي. |
| (٧) خطر تجاربه وجرأته. | (٨) أذيال قميصها مما يلي الأرض. |
| (٩) طلبة بائنة مقطوعاً بها. | (١٠) لا رجعة فيها. |
| (١١) أتعبت. | (١٢) فيما أمرت به. |
| (١٣) تمهل وكن ذا حلم. | (١٤) متمزق متفرق بسبب ما حصل من أذاك. |

وَلَا تَغْضَبْ مَنْ تَزِيدُ سَائِلَ
فَمَا هُوَ فِي صَوْنِ اللِّسَانِ بِمُبْتَدِعٍ^(١)
وَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَدِيعَةٌ
فَقَبْلَكَ شَيْخُ الْأَشْعَرِيِّينَ قَدْ خُدِعَ

فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي: قَاتَلَهُ اللَّهُ فَمَا أَحْسَنَ شُجُونَهُ^(٢)، وَأَمْلَحَ فَنُونَهُ! ثُمَّ
إِنَّهُ أَصْحَبَ رَأْدَهُ بِرَدَيْنِ، وَصُرَّةً مِنَ الْعَيْنِ، وَقَالَ لَهُ: سِرُّ سِرٍّ مِنْ لَا يَرَى
الْاِلْتِفَاتَ^(٣)، إِلَى أَنْ تَرَى الشَّيْخَ وَالْفَتَاةَ، فَبُلَّ يَدَيْهِمَا بِهِذَا الْحَبَاءِ^(٤)،
وَبَيَّنَ لَهُمَا انْخِدَاعِي لِلْأَدْبَاءِ، قَالَ الرَّأَوِي: فَلَمْ أَرَفِي الْاِغْتِرَابَ، كَهَذَا
الْعُجَابِ، وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ مِمَّنْ جَالَ وَجَابَ.



(١) بأول من زين الكذب.

(٢) طرده وفنونه.

(٣) سراً سريعاً.

(٤) العطاء من غير جزاءٍ ولا منٍّ.

المقامة السادسة والأربعون الحلبيّة

روى الحارث بن همام قال: نزع بي إلى حلب شوقاً غلب، وطلب يا له من طلب! وكنت يومئذ خفيف الحاذ، حثيث النفاذ^(١)، فأخذت أهبّة السير، وخففت نحوها خفوف الطير، ولم أزل منذ حللت ربوعها^(٢)، وارتبعت ربيعها، أفاني الأيام، فيما يشفي الغرام^(٣)، ويروي الأوام^(٤)، إلى أن أقصر القلب عن وكوعه، واستطار غراب البين بعد وقوعه، فأغراني البال الخلو^(٥)، والمرح الحلو، بأن أقصد حمص، لأصطاف ببقعتها^(٦)، وأسبر^(٧) رقاعة أهل رقعتها، أسرعت إليها إسراع النجم، إذا انقضّ^(٨) للرجم، فحين خيمت برسومها، ووجدت روح نسيمها، لمح طرفي^(٩) شيخاً قد أقبل هريره، وأدبر غريره، وعنده عشرة صبيان، صنوان وغير صنوان، فطأوعت في قصده الحرص، لأخبر به أدباء حمص، فبش بي^(١٠) حين وافيته، وحيّاً بأحسن ممّا حييته، فجلست إليه لأبلو جنى نطقه^(١١)،

-
- | | |
|------------------------------------|--------------------------------|
| (١) سريع المضيّ في الأمور. | (٢) منازلها. |
| (٣) فيما يزيل الولوج وعذاب الفؤاد. | (٤) شدة العطش. |
| (٥) القلب الخالي من الهم. | (٦) بأرضها. |
| (٧) واختبر. | (٨) نزل بسرعة. |
| (٩) أبصرت عيني. | (١٠) وفرح بي وقابلني بوجه طلق. |
| (١١) لاختبر ثمر كلامه. | |

وَأَكْتَنَّهُ كُنْهَ حُمْقِهِ، فَمَا لَبِثَ أَنْ أَشَارَ بَعْضِيَّتِهِ، إِلَى كِبَرِ أُصَيِّبَتِهِ، وَقَالَ لَهُ:
أَنْشِدِ الْأَبْيَاتَ الْعَوَاطِلَ ^(١)، وَاحْذَرُ أَنْ تُمَاطِلَ، فَجَثًّا جِثْوَةً لَيْثٍ، وَأَنْشِدَ مِنْ
غَيْرِ رَيْثٍ ^(٢):

أَعْدَدْتُ لِحُسَّادِكَ حَدَّ السَّلَاحِ
وَصَارِمَ اللَّهْوِ ^(٤) وَوَصَلَ الْمَهَا
وَأَسْعَ لِإِذْرَاكِ مَحَلِّ سَمَا
وَاللَّهُ مَا السُّودْدُ ^(٥) حَسْبُ الْبَلَا
وَاهَا لِحُرٍّ وَاسِعٍ صَدْرُهُ
مَوْرَدُهُ ^(٧) حُلُوٌّ ^(٨) لِسَوَالِهِ
مَا أَسْمَعَ الْأَمَلَ رَدًّا وَلَا
وَلَا أَطَاعَ اللَّهْوَ لَمَّا دَعَا
سَوْدَهُ إِصْلَاحَهُ سَرَّهُ ^(١٠)
وَحَصَلَ الْمَدْحَ لَهُ عِلْمُهُ

وَأُورِدَ الْأَمَلَ وَرَدَ السَّمَا ^(٣)
وَأَعْمَلَ الْكُومَ وَسُمِرَ الرَّمَا
عَمَّادُهُ لَا لِادِّرَاعِ الْمَرَا
وَلَا مَرَادِ الْحَمْدِ ^(٦) رُوْدُ رَدَا
وَهَمُّهُ مَا سَرَّ أَهْلَ الصَّلَا
وَمَالُهُ مَا سَأَلُوهُ مُطَا
مَا طَلَّهُ وَالْمَطْلُ لَوْمْ صُرَا ^(٩)
وَلَا كَسَا رَا حَالَهُ كَأْسَ رَا
وَرَدَعُهُ أَهْوَاءُهُ وَالطَّمَا
مَا مَهَرَ الْعُورُ مَهُورَ الصَّحَا

فَقَالَ لَهُ: أَحْسَنْتَ يَا بُدَيْرُ، يَا رَأْسَ الدَّيْرِ! ثُمَّ قَالَ لَتِلْوِهِ ^(١١)، الْمُشْتَبَهَ
بِصْنُوهِ ^(١٢): ادْنُ يَا نُوَيْرَةُ، يَا قَمَرَ الدُّوَيْرَةِ! فِدْنَا وَكَمْ يَتَبَاطَا، حَتَّى حَلَّ مِنْهُ
مَقْعَدَ الْمُعَاطَى، فَقَالَ لَهُ: اجْلُ الْأَبْيَاتَ الْعَرَائِسَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَفَائِسَ، فَبَرَى

(١) جمع عاطل، وهي: العارية عن النقط.

(٢) من غير إبطاء.

(٣) مورد الكرم والجود.

(٤) هي المقاطعة؛ أي: تباعد عن اللهو.

(٥) السيادة.

(٦) ليس محل طلبه وإرادته.

(٧) أي: ماؤه، والمراد: عطاؤه.

(٨) سهل.

(٩) صريح خالص.

(١٠) قلبه واعتقاده.

(١١) لمن يليه.

(١٢) الذي كأنه أخوه.

القلم وقطّ، ثُمَّ احْتَجَرَ اللُّوحَ وَخَطَّ:

بَتَجَنُّ (١) يَفْتَنُّ غِبَّ تَجَنِّي (٢)
غَنَجٍ يَفْتَضِي تَغْيِضَ جَفَنِي
نِي بَزِيٍّ (٤) يَشْفُ (٥) بَيْنَ تَشْنِي
نِي بَنَفْثٍ يَشْفِي فَخُبَّ ظَنِّي
نِ خَبِيثٍ يَبْغِي تَشْفِي ضَغْنٍ
بَنَشِيجٍ (٩) يُشْجِي بَفْنٍ فَفَنٍّ

فَتَنَّنْتَنِي فَجَنَّنْتَنِي تَجَنِّي
شَغَفَتَنِي (٣) بَجَفْنٍ ظَبِّي غَضِيضٍ
غَشِيَتَنِي بَزِينَتَيْنِ فَشَفَّتْ
فَتَظَنِّيْتُ تَجْتَبِينِي (٦) فَتَجْزُبُ
ثَبَّتَتْ فِي غَشٍّ جَبِّ بَتَزِيٍّ
فَنَزَتْ فِي تَجَنِّي (٧) فَتُتَنِّي (٨)

فَلَمَّا نَظَرَ الشَّيْخُ إِلَى مَا حَبَّرَهُ (١٠)، وَتَصَفَّحَ مَا زَبَرَهُ، قَالَ لَهُ: بوركَ
فِيكَ مِنْ طَلَاءٍ، كَمَا بُورِكَ فِي لَا وَلَا، ثُمَّ هَتَفَ: اقْرُبْ يَا قُطْرُبُ، فَاقْتَرَبَ
مِنْهُ فَتَى يَحْكِي نَجْمَ دُجِيَّةٍ (١١)، أَوْ تَمْشَالَ دُمِيَّةٍ، فَقَالَ لَهُ: ارْقُمِ الْأَيَّاتَ
الْأَخْيَافَ، وَتَجَنَّبِ الْخِلَافَ، فَأَخَذَ الْقَلَمَ وَرَقَمَ:

وَلَا تُخَبِّ أَمَلًا تَضَيِّفُ
فَنَنْ أَمَ فِي السَّوَالِ خَفَّفُ
مَالِ ضَنِينِ (١٣) وَلَوْ تَقَشَّفُ
وَصَدْرُهُمْ فِي الْعَطَاءِ نَفَنُ

إِسْمَحْ فَبَثُّ السَّمَاحِ (١٢) زَيْنُ
وَلَا تُجْزِرْ دُذِي سُؤَالِ
وَلَا تَظُنَّ الدُّهُورَ تُبْقِي
وَاحِلُمُ فَجَفْنُ الْكَرَامِ يُغْضِي (١٤)

(١) يعني بتيه ودلال.

(٣) شغلت قلبي.

(٥) يظهر ويلوح.

(٧) تباعدها عني.

(٩) هو البكاء من غير انتحاب كالشهيقي.

(١١) نجم ليلة مظلمة.

(١٣) بخيل.

(٢) أثر جنابة.

(٤) هيئة.

(٦) أي: تختارني.

(٨) فصرفتني وردتني.

(١٠) زينته وحسنه.

(١٢) فنشر الجود.

(١٤) يتغافل ويحتمل الأذى.

وَلَا تَخُنْ عَهْدَ ذِي وِدَادٍ ثَبِتَ ^(١) وَلَا تَبْغِ مَا تَزِيْفُ
 فَقَالَ لَهُ: لَا شِلَّتْ ^(٢) يَدَاكَ، وَلَا كَلْتُ مُدَاكَ، ثُمَّ نَادَى: يَا عَشْمَشْمُ!
 يَا عَطَرَ مَنْشَمُ! فَلَبَّاهُ غُلَامٌ كَدْرَةٌ غَوَّاصٌ، أَوْ جُوْذُرٌ قَنَاصٍ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبِ
 الْأَبْيَاتَ الْمَتَائِمَ ^(٣)، وَلَا تَكُنْ مِنَ الْمَشَائِمِ ^(٤)، فَتَنَاولَ الْقَلَمَ الْمُثَقَّفَ،
 وَكَتَبَ وَلَمْ يَتَوَقَّفَ:

زَيْنْتُ زَيْنَبٌ بَقَدُّ ^(٥) يَقْدُ
 وَتَلَاهُ ^(٦) وَيَلَاهُ نَهْدِيهِ هُدُ
 جُنْدُهَا ^(٧) جِيدُهَا ^(٨) وَظَرْفُ وَطَرْفُ
 نَاعَسُ تَاعَسُ بِحَدِّ يَحْدُ
 قَدْرُهَا قَدْزَمَا وَتَاهَتْ ^(٩) وَبَاهَتْ ^(١٠)
 وَاعْتَدَتْ ^(١١) وَاعْتَدَتْ بِخَدِّ يَخْدُ ^(١٢)
 فَارَقْتَنِي فَارَقْتَنِي ^(١٣) وَشَطَّتْ ^(١٤)
 وَسَطَّتْ ^(١٥) ثُمَّ نَمَّ وَجَدٌ وَجَدُ
 فَدَنْتُ فَدَيْتُ وَحَنْتُ ^(١٦) وَحَيْتُ
 مُغْضَبًا مُغْضِيَا ^(١٧) يُوْدُ يُوْدُ

(١) ثابت القلب.

(٢) لا ييست.

(٣) المتماثلة.

(٤) جمع المشؤوم، ضد الميمون.

(٥) أي: بقامة.

(٦) وتبعه.

(٧) عسكرها وجيشها.

(٨) عنقها.

(٩) تَكَبَّرَتْ.

(١٠) من العدوان، وهو: الظلم.

(١٢) يشق القلوب.

(١٣) فأسهرتني.

(١٤) بعدت.

(١٥) بطشت بالقهر وصالت.

(١٦) من الحنين، بمعنى: الاشتياق.

(١٧) محتملاً للأذى.

فطَفِقَ الشَّيْخُ يَتَأَمَّلُ مَا سَطَرَهُ، وَيَقْلِبُ فِيهِ نَظْرَهُ، فَلَمَّا اسْتَحْسَنَ خَطَّهُ،
وَأَسْتَصَحَّ ضَبْطَهُ (١)، قَالَ لَهُ: لَا شِلَّ عَشْرُكَ، وَلَا اسْتُخِثَ نَشْرُكَ، ثُمَّ
أَهَابَ (٢) بِفَتَى فَتَّانٍ، يُسْفِرُ عَنْ أَزْهَارِ بُسْتَانٍ، فَقَالَ لَهُ: أَنْشِدِ الْيَتِيمَ
الْمُطْرَفَيْنِ، الْمُشْتَبِهَيِ الطَّرْفَيْنِ، الَّذِينَ أَسْكَتَا كُلَّ نَافِثٍ (٣)، وَأَمِنَا أَنْ
يَعَزَّزَا بِثَالِثٍ، فَقَالَ لَهُ: اسْمَعْ لَا وَقِرَ (٤) سَمِعُكَ، وَلَا هُزِمَ جَمْعُكَ، وَأَنْشِدَ
مِنْ غَيْرِ تَلَبُّثٍ (٥)، وَلَا تَرِيثٍ:

سَمِ سَمَةً تَحْسُنُ أَثَارَهَا (٦) وَاشْكُرْ لِمَنْ أَعْطَى وَلَوْ سَمِسَمَهُ
وَالْمَكْرُ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ لَا تَأْتِهِ لَتَقَتْنِي السَّوْدَدَ وَالْمَكْرَمَةَ (٧)

فَقَالَ لَهُ: أَجَدْتَ يَا زُغْلُولُ، يَا أَبَا الْغُلُولِ، ثُمَّ نَادَى: أَوْضِحْ يَا يَاسِينَ،
مَا يُشْكِلُ مِنْ ذَوَاتِ السَّيْنِ، فَهَضَّ وَلَمْ يَتَأَنَّ، وَأَنْشَدَ بِصَوْتٍ أَغْنَى:
نَفْسُ الدَّوَاةِ (٨) وَرُسْغُ الْكَفِّ مُثْبَتَةٌ

سَيْنَاهُمَا إِنْ هُمَا خُطَّاءُ وَإِنْ دُرْسَا (٩)

وَهَكَذَا السَّيْنُ فِي قَسْبٍ وَبَاسِقَةٍ
وَالسَّفْحُ (١٠) وَالْبَخْسُ (١١) وَأَقْسِرْ وَاقْتَبَسْ قَبَسَا
وَفِي تَقَسَّسْتُ (١٢) بِاللَّيْلِ الْكَلَامَ وَفِي

مُسَيَّطِرٍ وَشَمُوسٍ وَاتَّخَذَ جَرَسَا

(١) وجده صحيحًا.

(٢) دعا.

(٣) متكلم.

(٤) لا ثقل.

(٥) بدون تأنٍ.

(٦) عواقبها.

(٧) الكرامة.

(٨) مدادها.

(٩) قرئا.

(١٠) أسفل الجبل.

(١١) النقص.

(١٢) تسمعت.

وفي قَريسٍ وبرْدِ قارسٍ (١) فخذ الـ

صَّوَابَ مِنِّي وَكُنْ لِلْعِلْمِ مُقْتَبِسًا (٢)

فَقَالَ لَهُ: أَحْسَنْتَ يَا نُغَيْشُ، يَا صَنَاجَةَ الْجَيْشِ، ثُمَّ قَالَ: ثَبُ (٣) يَا عَنَبَسَةُ (٤)، وَبَيْنَ الصَّادَاتِ الْمُتَبَسِّةِ، فَوَثْبَ وَثْبَةٍ شِبْلٍ مُثَارٍ (٥)، ثُمَّ أَشَدَّ مِنْ غَيْرِ عَثَارٍ:

بِالصَّادِ يُكْتَبُ قَدْ قَبَصْتُ دِرَاهِمًا

بِأَنَامِلِي وَأَصْخُ (٦) لَتَسْتَمِعَ الْخَبَرَ
وَبَصَقْتُ أَبْصُقُ وَالصَّمَاخُ (٧) وَصَنْجَةٌ

وَالْقَصُّ وَهُوَ الصَّدْرُ وَاقْتَصَّ (٨) الْأَثَرُ
وَبَخَصْتُ مُقْلَتَهُ (٩) وَهَذِي فُرْصَةٌ

قَدْ أُرْعِدْتُ مِنْهُ الْفَرِيصَةَ لِلْخَوْرِ (١٠)
وَقَصَرْتُ هِنْدًا أَيْ حَبَسْتُ وَقَدْ دَنَا

فَصَحَّ النَّصَارَى وَهُوَ عِيدٌ مُنْتَظَرٌ
وَقَرَصْتُهُ وَالْخَمْرُ قَارِصَةٌ (١١) إِذَا

حَذَتِ اللِّسَانَ وَكُلُّ هَذَا مُسْتَطَرٌّ (١٢)

فَقَالَ لَهُ: رَعِيَا لَكَ يَا بُنَيَّ، فَلَقَدْ أَقْرَرْتُ عَيْنِي، ثُمَّ اسْتَنْهَضَ ذَا جُثَّةٍ

(١) شديد.

(٢) آخذًا ومستفيدًا.

(٣) أي: قُم.

(٤) اسم من أسماء الأسد.

(٥) مزعج.

(٦) استمع.

(٧) هو ثقب الأذن.

(٨) تتبعه.

(٩) قلعت عينه وأخرجتها.

(١٠) للضعف والفتور.

(١١) حامضة.

(١٢) مكتوب.

كَالْبَيْذَقِ ^(١)، وَنَعْشَةِ ^(٢) كَالسَّوْذَقِ، وَأَمْرُهُ بِأَنْ يَقِفَ بِالْمُرْصَادِ،
وَيَسْرُدَ ^(٣) مَا يَجْرِي عَلَى السَّيْنِ وَالصَّادِ، فَنَهَضَ يَسْحَبُ بُرْدِيهِ، ثُمَّ أَنْشَدَ
مُشِيرًا بِيَدِيهِ:

إِنْ شِئْتَ بِالسَّيْنِ فَاكْتُبْ مَا أَبَيَّنُهُ
وَإِنْ تَشَأْ فَهُوَ بِالصَّادَاتِ يُكْتَتَبُ
مَغْسٌ وَفَقْسٌ وَمُسْطَارٌ وَمُمْلَسٌ
وَسَالِغٌ وَسِرَاطُ الْحَقِّ ^(٤) وَالسَّقَبُ
وَالسَّامِغَانِ ^(٥) وَسَقَرٌ وَالسَّوِيقُ ^(٦) وَمَسْدُ
سَلَقٍ ^(٧) وَعَنْ كُلِّ هَذَا تُفْصَحُ الْكُتُبُ

فَقَالَ لَهُ: أَحْسَنْتَ يَا حَبَقَّةُ ^(٨)، يَا عَيْنَ بَقَّةٍ، ثُمَّ نَادَى: يَا دَغْفَلُ، يَا أَبَا
زَنْفَلٍ، فَلَبَّاهُ فَتَى أَحْسَنُ مِنْ بِيضَةِ فِي رَوْضَةٍ، فَقَالَ لَهُ: مَا عَقْدُ هِجَاءِ
الْأَفْعَالِ، الَّتِي آخَرُهَا حَرْفُ اعْتِلَالٍ؟ فَقَالَ: اسْمَعْ لَا صُمَّ صَدَاكَ، وَلَا
سَمِعْتُ عِدَاكَ ^(٩)! ثُمَّ أَنْشَدَ، وَمَا اسْتَرَشَدَ ^(١٠):

إِذَا الْفِعْلُ يَوْمًا غَمَّ عَنْكَ هِجَاؤُهُ
فَالْحَقُّ بِهِ تَاءُ الْخَطَابِ وَلَا تَقِفُ
فَإِنْ تَرَ قَبْلَ التَّاءِ يَاءً فَكُتِبَ بِهِ
بِيَاءٌ وَإِلَّا فَهُوَ يُكْتَبُ بِالْأَلِفِ

(١) البيذق: الصقر الصغير.

(٢) حركة ونهوض.

(٣) يتابع.

(٤) طريقه.

(٥) جانباً القم.

(٦) هو دقيق الشعر المقلبي.

(٧) هو شديد الصوت.

(٨) كلمة تُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا صَغُرُوا إِلَيْهِ نَفْسُهُ.

(٩) أَصَمَّ اللَّهُ أَعْدَاءَكَ.

(١٠) ما طلب من يرشده.

وَلَا تَحْسِبِ الْفِعْلَ الثَّلَاثِيَّ (١) وَالَّذِي
تَعْدَاهُ وَالْمَهْمُوزُ فِي ذَاكَ يَخْتَلِفُ

فَطَرِبَ الشَّيْخُ لَمَّا أَدَّاهُ (٢) ، ثُمَّ عَوَّذَهُ وَفَدَّاهُ (٣) ، ثُمَّ قَالَ : هَلُمَّ يَا قَعْقَاعُ ،
يَا بَاقِعَةَ الْبِقَاعِ ، فَأَقْبَلَ فَتَى أَحْسَنُ مِنْ نَارِ الْقِرَى ، فِي عَيْنِ ابْنِ السُّرَى (٤) ،
فَقَالَ لَهُ : اصْدَعْ (٥) بِتَمْيِيزِ الظَّاءِ مِنَ الضَّادِ ، لِتَصْدَعَ بِهِ أَكْبَادَ الْأَضْدَادِ ،
فَاهْتَرَّ لِقَوْلِهِ وَاهْتَشَّ (٦) ، ثُمَّ أَنْشَدَ بِصَوْتِ أَجَشٍّ :

أَيُّهَا السَّائِلِي عَنِ الضَّادِ وَالظَّاءِ
ء لَكَيْلًا تُضِلَّهُ الْأَلْفَاظُ (٧)

إِنَّ حِفْظَ الظَّاءَاتِ يُغْنِيكَ فَاسْمَعَهَا
اسْتَمَاعَ أَمْرٍ لَهُ اسْتِيقَاضُ (٨)

هِيَ ظَمِيَاءُ وَالْمَظَالِمُ وَالْإِظْلَامُ (٩)
وَالظَّلْمُ وَالظُّبَى وَاللَّحَاطُ (١٠)

وَالْعَظَا وَالظَّلِيمُ وَالظُّبِي وَالشَّيْظُمُ (١١)
وَالظَّلُّ وَاللَّظَى وَالشُّوَاطُ (١٢)

وَالْتَّظَنِّي وَاللَّفْظُ وَالنَّظْمُ وَالتَّقْرِيطُ (١٣)
وَالْقَيْظُ وَالظَّمَا وَاللَّمَاطُ

(١) الَّذِي مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ .

(٣) قَالَ لَهُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ .

(٥) بَيَّنَّ وَأَظْهَرَ وَأَكْشَفَ .

(٧) تَغْلَطُهُ .

(٩) ضِدُّ الْإِنَارَةِ .

(١١) الشَّدِيدُ الطَّوِيلُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

(١٣) الْمَدْحُ لِلْحَيِّ .

(٢) قَالَهُ وَالْقَاهُ .

(٤) السَّارِي بِاللَّيْلِ .

(٦) فَرِحَ .

(٨) تَيَقَّظَ وَانْتَبَاهَ .

(١٠) جَانِبُ الْعَيْنِ مِمَّا يَلِي الصَّدْعَ .

(١٢) النَّارُ بِلَا دُخَانٍ .

وَالْحِظَا وَالنَّظِيرُ وَالظُّئْرُ^(١) وَالْجَاحِظُ
 وَالنَّظَارُونَ وَالْأَيْقَاطُ^(٢)
 وَالتَّشْطِي وَالظَّلْفُ وَالْعَظْمُ وَالظُّنْبُوبُ^(٣)
 وَالظَّهْرُ وَالشَّظَا وَالشَّظَاظُ
 وَالْأَظَافِيرُ وَالْمَظْفَرُ وَالْمَحْ
 ظُورُ وَالْحَافِظُونَ وَالْإِخْفَاطُ
 وَالْحَظِيرَاتُ وَالْمَظَنَّةُ وَالظَّنَّةُ^(٤)
 وَالكَاطِمُونَ^(٥) وَالْمُغْتَاطُ^(٦)
 وَالْوَضِيفَاتُ وَالْمُوَاطِبُ^(٧) وَالْكُظَّةُ^(٨)
 وَالْإِنْتِظَارُ وَالْإِلْظَاطُ
 وَوَضِيفٌ وَظَالِعٌ وَعَظِيمٌ
 وَظَهِيرٌ وَالْفَقْظُ وَالْإِغْلَاطُ
 وَنَظِيفٌ وَالظَّرْفُ^(٩) وَالظَّلْفُ الظَّا
 هِرُّ ثُمَّ الْفَظْيَعُ وَالْوَعَّاطُ
 وَعُكَاطٌ وَالظَّغْنُ^(١٠) وَالْمَظُّ وَالْحَنْدُ
 ظَلٌ وَالْقَارِظَانِ وَالْأَوْشَاطُ^(١١)

(١) المرضعة.

(٣) عظم الساق.

(٥) الحابسون غيظهم.

(٧) الملازم.

(٩) الوعاء.

(١١) الأخلط والجماعات.

(٢) المتنبهون.

(٤) بالكسر: التهمة.

(٦) من قام به الغيظ.

(٨) الشبع المفرط.

(١٠) الرحيل، وهو ضد الإقامة.

وِظْرَابُ الظَّرَّانِ وَالشَّظْفُ^(١) الْبَا
 هَظُ^(٢) وَالْجَعْظَرِيُّ وَالْجَوَّاطُ
 وَالظَّرَابِينُ وَالْحَنَاظِبُ^(٣) وَالْعُنْظُبُ
 ثُمَّ الظَّيَّانُ وَالْأَرْعَاظُ
 وَالشَّنَاطِي^(٤) وَالْدَّلْظُ وَالظَّابُ
 وَالظَّبْظَابُ وَالْعُنْظَوَانُ^(٥) وَالْجِنْعَاظُ^(٦)
 وَالشَّنَاطِيرُ وَالْتَّعَاظِلُ وَالْعِظْلَمُ
 وَالْبَظْرُ بَعْدَ الْإِنْعَاظُ
 هِيَ هَـذِي سِوَى النَّوَادِرِ فَاحْفَظْهَا
 لَتَقْفُو^(٧) آثَارَكَ الْحُفَّازُ
 وَاقْضِ فِي مَا صَرَفْتَ مِنْهَا كَمَا تَقْضِيهِ
 فِي أَصْلِهِ كَقَيْظٍ وَقَاطُوا

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: أَحْسَنْتَ لَا فُضَّ فَوْكَ، وَلَا بَرٌّ مَنْ يَجْفُوكَ^(٨)، فَوَاللَّهِ
 إِنَّكَ مَعَ الصَّبَا الْغَضِّ، لِأَحْفَظُ مِنَ الْأَرْضِ، وَأَجْمَعُ مِنْ يَوْمِ الْعَرْضِ، وَلَقَدْ
 أوردتكَ ورُفقتكَ زُلالي، وثَقَفْتُكُمْ^(٩) تَثْقِيفَ الْعَوَالِي، فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ
 وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَعَجِبْتُ لِمَا أَبْدَى مِنْ بَرَاعَةٍ، مَعْجُونَةٍ^(١٠)

(١) البؤس وضيق المعيشة.

(٢) الشَّاقُّ أَوِ الْغَالِبُ.

(٣) ذُكُورُ الْخَنَافَسِ.

(٤) نَوَاحِي الْجِبَلِ.

(٥) نَيْتٌ.

(٦) الْأَحْمَقُ.

(٧) لَتَتَّبِعُ.

(٨) لَا أَحْسِنَ إِلَى مَنْ يَغْلَظُ لَكَ الْقَوْلَ وَيُهْجِرُكَ.

(٩) قَوْمَتَكُمْ.

(١٠) مَخْلُوطَةٌ.

برِقَاعَةٍ، وَأَظْهَرَ مِنْ حَذَاقَةٍ (١) مَمْزُوجَةٍ بِحِمَاقَةٍ (٢)، وَلَمْ يَزَلْ بَصْرِي يُصَعِّدُ فِيهِ وَيَصَوِّبُ، وَيَنْقُرُ عَنْهُ وَيَنْقُبُ (٣)، وَكُنْتُ كَمَنْ يَنْظُرُ فِي ظُلْمَاءٍ، أَوْ يَسْرِي فِي بَهْمَاءٍ، فَلَمَّا اسْتَرَاثَ تَنْبَهِي، وَاسْتَبَانَ تَدَلُّهِي (٤)، حَمَلَقَ (٥) إِلَيَّ وَتَبَسَّمَ، وَقَالَ: لَمْ يَبْقَ مِنْ يَتَوَسَّمْ (٦)، فَبُهِتُ لَفَحْوَى كَلَامِهِ، وَوَجَدْتُهُ أَبَا زَيْدٍ عِنْدَ ابْتِسَامِهِ، فَأَخَذْتُ أَلُومَهُ عَلَى تَدِيرِ بُقْعَةِ النَّوْكَى، وَتَخِيرِ حِرْفَةِ الْحُمُقَى، فَكَانَ وَجْهُهُ أَسْفَ رَمَادًا، أَوْ أُشْرِبَ سَوَادًا.

إِلَّا أَنَّهُ أَنْشَدَ وَمَا تَمَادَى:

تَخَيَّرْتُ حُمْصَ وَهَذِي الصَّنَاعَةَ (٧)
لَأَرْزُقَ حُظْوَةَ أَهْلِ الرِّقَاعَةِ
فَمَا يَصْطَفِي (٨) الدَّهْرُ غَيْرَ الرَّقِيعِ (٩)
وَلَا يُوْطِنُ أَلَمَالًا إِلَّا بِقَاعَهُ
وَلَا لِأَخِي اللَّؤْبُ (١٠) مِنْ دَهْرِهِ
سِوَى مَا لَعَيْرٍ رَبِيطٍ بِقَاعَهُ

ثُمَّ قَالَ: أَمَّا إِنَّ التَّعْلِيمَ أَشْرَفُ صِنَاعَةٍ، وَأَرْبَحُ بَضَاعَةٍ، وَأَنْجَعُ شَفَاعَةٍ، وَأَفْضَلُ بَرَاعَةٍ، وَرَبُّهُ (١١) ذُو إِمْرَةٍ مُطَاعَةٍ، وَهَيْبَةِ مُشَاعَةٍ، وَرِعِيَّةٍ مَطْوَاعَةٍ (١٢)، يَتَسَيَّرُ تَسَيَّرَ أَمِيرٍ، وَيَرْتَبُ تَرْتِيبَ وَزِيرٍ، وَيَتَحَكَّمُ تَحَكُّمًا

(٢) جهل وقلة رأي.

(١) فطنة وفهم.

(٤) تحيري.

(٣) يفتش.

(٦) ينظر ويتأمل.

(٥) نظر بباطن جفنه.

(٨) يختار.

(٧) هي تعليم الأطفال.

(١٠) صاحب العقل.

(٩) الأحق.

(١٢) منقادة كثيرة الطاعة.

(١١) صاحبه.

قَدِيرٌ، وَيَتَشَبَّهُ بِذِي مُلْكٍ كَبِيرٍ، إِلَّا أَنَّهُ يَخْرَفُ^(١) فِي أَمَدٍ يَسِيرٍ، وَيَتَسَمُّ بِحُمَقٍ شَهِيرٍ، وَيَتَقَلَّبُ بِعَقْلٍ صَغِيرٍ^(٢)، وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ.

فَقُلْتُ لَهُ: تَاللَّهِ إِنَّكَ لَا بِنُ الْأَيَّامِ، وَعَلِمَ الْأَعْلَامِ، وَالسَّاحِرُ اللَّاعِبُ بِالْأَفْهَامِ^(٣)، الْمُدَلَّلُ لَهُ سُبُلُ الْكَلَامِ، ثُمَّ لَمْ أَزَلْ مَعْتَكِفًا بِنَادِيهِ، وَمُغْتَرَفًا مِنْ سَيْلِ وَادِيهِ، إِلَى أَنْ غَابَتِ الْأَيَّامُ الْغُرُ^(٤)، وَنَابَتِ الْأَحْدَاثُ الْغُبُورُ، فَفَارَقْتُهُ وَلَعِينِي الْعُبُورُ.



(١) فساد العقل من الكبر.

(٢) تكون أفعاله كأفعال الأطفال.

(٣) الخادع السالب للعقول.

(٤) البيض الحُسَّان.

المَقَامَةُ السَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ الْحَجَرِيَّةُ

حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: احْتَجَّتْ إِلَى الْحِجَامَةِ، وَأَنَا بِحَجَرِ الْيَمَامَةِ، فَأُرْسِدْتُ إِلَى شَيْخٍ يَحْجُمُ بِلَطَافَةٍ، وَيَسْفِرُ^(١) عَنْ نَظَافَةٍ، فَبَعَثْتُ غُلَامِي لِإِحْضَارِهِ، وَأَرْضَدْتُ نَفْسِي لِانْتِظَارِهِ، فَأَبْطَأَ بَعْدَمَا انْطَلَقَ، حَتَّى خَلْتُهُ^(٢) قَدْ أَبْقَى^(٣)، أَوْ رَكِبَ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ، ثُمَّ عَادَ عَوْدَ الْمُخْفِقِ مَسْعَاهُ^(٤)، الْكَلَّ عَلَى مَوْلَاهُ^(٥)، فَقُلْتُ لَهُ: وَيْلَكَ أَبْطَأَ فَنَدٍ، وَصُلُودَ زَنْدٍ؟ فزَعَمَ أَنَّ الشَّيْخَ أَشْغَلَ مِنْ ذَاتِ النَّحِيبِ^(٦)، وَفِي حَرْبٍ كَحَرْبِ حُنَيْنٍ، فَعَفْتُ الْمَمْشَى إِلَى حَجَّامٍ، وَحَرْتُ بَيْنَ إِقْدَامٍ وَاحْجَامٍ، ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّ لَا تَعْنِيفَ، عَلَى مَنْ يَأْتِي الْكَنِيفَ^(٧)، فَلَمَّا شَهِدْتُ مُوسِمَهُ^(٨)، وَشَاهَدْتُ مِيسَمَهُ^(٩)، رَأَيْتُ شَيْخًا هَيْئَتُهُ نَظِيفَةٌ، وَحَرَكَتُهُ خَفِيفَةٌ، وَعَلَيْهِ مِنَ النَّظَارَةِ أَطْوَقٌ، وَمِنْ الزَّحَامِ طَبَاقٌ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ فَتَى كَالصَّمْصَمَةِ^(١٠)، مُسْتَهْدَفٌ لِلْحِجَامَةِ، وَالشَّيْخُ يَقُولُ لَهُ: أَرَاكَ قَدْ أْبْرَزْتَ رَاسَكَ، قَبْلَ أَنْ تُبْرِزَ قِرْطَاسَكَ، وَوَلَّيْتَنِي قَذَالِكَ^(١١)، وَلَمْ

(١) يكشف.

(٢) ظننته.

(٣) فرَّ وشرد وهرب.

(٤) الذي خاب سعيه.

(٥) ثقیل الروح على سيده.

(٦) كثير الاشتغال.

(٧) محل قضاء الحاجة.

(٨) مكانه ومجمعه.

(٩) منظره.

(١٠) كالسيف.

(١١) قفاك.

تَقُلْ لِي ذَا لَكَ، وَلَسْتُ مِمَّنْ يَبِيعُ نَقْدًا بَدِينٍ، وَلَا يَطْلُبُ أَثْرًا (١) بَعْدَ عَيْنٍ،
فَإِنْ أَنْتَ رَضَخْتَ (٢) بِالْعَيْنِ، حُجِمْتَ فِي الْأَخْدَعَيْنِ، وَإِنْ كُنْتَ تَرَى الشَّحَّ
أَوَّلَى، وَخَزَنَ الْفَلَسُ فِي النَّفْسِ أَحْلَى، فَاقْرَأْ عَبَسَ وَتَوَلَّى، وَاغْرُبْ عَنِّي
وَالْأَيَّ، فَقَالَ الْفَتَى: وَالَّذِي حَرَّمَ صَوْعَ الْمِينِ (٣)، كَمَا حَرَّمَ صَيْدَ الْحَرَمَيْنِ،
إِنِّي لَأَفْلَسُ مِنْ ابْنِ يَوْمَيْنِ، فَثِقْ بِسَيْلِ تَلْعَتِي، وَأَنْظِرْنِي إِلَى سَعَتِي (٤)،
فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: وَيْحَكَ إِنْ مَثَلَ الْوُعُودِ، كَغَرَسِ الْعُودِ! هُوَ بَيْنَ أَنْ يُدْرِكَهُ
الْعَطْبُ، أَوْ يُدْرِكَ مِنْهُ الرُّطْبُ، فَمَا يُدْرِينِي أَيَحْصِلُ مِنْ عَوْدِكَ جَنِّي، أَمْ
أَحْصِلُ مِنْهُ عَلَى ضَنِّي (٥)؟ ثُمَّ مَا الثَّقَّةُ بِأَنَّكَ حِينَ تَبْتَعِدُ، سَتَفِي بِمَا تَعْدُ؟
وَقَدْ صَارَ الْغَدْرُ (٦) كَالْتَّحْجِيلِ، فِي حَلِيَةِ هَذَا الْجَلِيلِ (٧)، فَأَرْحِنِي بِاللَّهِ مِنْ
التَّعْذِيبِ، وَارْحَلْ إِلَى حَيْثُ يَعْوِي الذَّيْبُ (٨)، فَاسْتَوَى الْغُلَامُ إِلَيْهِ، وَقَدْ
اسْتَوَلَى الْخَجَلُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا يَخِيسُ بِالْعَهْدِ، غَيْرُ الْخَسِيسِ الْوَعْدِ،
وَلَا يَرِدُ غُدِيرَ الْغَدْرِ، إِلَّا الْوَضِيعُ (٩) الْقَدَرُ، وَلَوْ عَرَفْتَ مِنْ أَنَا، لَمَا
أَسْمَعْتَنِي الْخَنَا (١٠)، لَكِنَّكَ جَهَلْتَ فَقُلْتَ، وَحَيْثُ وَجَبَ أَنْ تَسْجُدَ بُلْتَ،
وَمَا أَقْبَحَ الْغُرْبَةَ وَالْإِقْلَالَ، وَأَحْسَنَ قَوْلٍ مِنْ قَالَ:

إِنَّ الْغَرِيبَ الطَّوِيلَ الذَّيْلَ مُمْتَهَنٌ فَكَيْفَ حَالُ غَرِيبٍ مَا لَهُ قُوتُ
لَكِنَّهُ مَا تَشِينُ الْحَرُّ مُوجَعَةٌ (١١) فَالْمُسْكُ يُسْحَقُ وَالْكَافُورُ مَفْتُوتُ
وَمَا أَصْلَى الْيَاقُوتُ جَمَرَ غَضِي ثُمَّ أَنْظَفَى الْجَمْرُ وَالْيَاقُوتُ يَاقُوتُ

(١) رسمًا.

(٢) أعطيت قليلاً.

(٣) سبك الكذب.

(٤) أي: ميسرتي.

(٥) مرض وهزال.

(٦) المكر والخديعة واختلاف الوعد.

(٧) أبناء الزمان.

(٨) المكان الحالي.

(٩) الدنيء.

(١٠) الكلام الفاحش.

(١١) حالة مؤلمة.

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: يَا وَيْلَةَ أَبِيكَ، وَعَوْلَةَ (١) أَهْلِيكَ! أَأَنْتَ فِي مَوْقِفٍ فَخْرٍ يُظْهَرُ، وَحَسَبٍ يُشْهَرُ، أَمْ مَوْقِفٍ جَلْدٍ يُكْشَطُ (٢)، وَقَفًّا يُشْرَطُ؟ وَهَبْ أَنَّ لَكَ الْبَيْتَ، كَمَا ادَّعَيْتَ، أَيَحْصُلُ بِذَلِكَ، حَجْمٌ قَذَالِك؟ لَا وَاللَّهِ وَلَوْ أَنَّ أَبَاكَ أَنْفَ (٣)، عَلَى عَبْدٍ مُنَافٍ، أَوْ لَخَالِكَ دَانَ (٤)، عَبْدُ الْمَدَانِ، فَلَا تَضْرِبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ، وَلَا تَطْلُبُ مَا لَسْتَ لَهُ بِوَاجِدٍ، وَبَاهِ إِذَا بَاهَيْتَ بِمَوْجُودِكَ، لَا بِحُدُودِكَ، وَبِمَحْصُولِكَ، لَا بِأَصُولِكَ، وَبِصِفَاتِكَ، لَا بِرُفَاتِكَ (٥)، وَبِأَعْلَاقِكَ، لَا بِأَعْرَاقِكَ (٦)، وَلَا تَطْعِ الطَّمْعَ فَيُذِلَّكَ، وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ، وَلِلَّهِ دَرُ الْقَائِلِ لِابْنِهِ:

بُنَيَّ اسْتَقِمْ فَالْعُودُ (٧) تَنْمِي عُروْقُهُ

قَوِيًّا وَيَغْشَاهُ إِذَا مَا التَّوَى التَّوَى

وَلَا تَطْعِ الْحِرْصَ الْمُذِلَّ وَكُنْ فَتًى

إِذَا التَّهَبَّتْ أَحْشَاؤُهُ بِالطَّوَى (٨) طَوَى

وَعَاصِ الْهَوَى الْمُرْدِي (٩) فَكَمْ مِنْ مُحَلَّقٍ (١٠)

إِلَى النَّجْمِ لَمَّا أَنْ أَطَاعَ الْهَوَى هَوَى

وَأَسْعَفَ (١١) ذَوِي الْقُرْبَى فَيَقْبُحُ أَنْ يُرَى

عَلَى مِنْ إِلَى الْحَرِّ اللَّبَابِ انْضَوَى ضَوَى

(١) العولة من الإعوال، وهو: البكاء.

(٢) يسلخ.

(٣) أي: زاد.

(٤) خضع وأطاع.

(٥) الرفاة: العظام البالية.

(٦) لا بأنسابك.

(٧) فالغصن.

(٨) الجوع.

(٩) المهلك.

(١٠) مرتفع.

(١١) أعين وساعد.

وَحَافِظٌ عَلَى مَنْ لَا يَخُونُ إِذَا نَبَا
 زَمَانٌ وَمَنْ يَرْعَى إِذَا مَا النُّوَى نَوَى
 وَإِنْ تَقْتَدِرُ فَاصْفَحْ فَلَا خَيْرَ فِي امْرِئٍ
 إِذَا اعْتَلَقَتْ ^(١) أَظْفَارُهُ بِالشَّوَى ^(٢) شَوَى
 وَإِيَّاكَ وَالشُّكُوى فَلَمْ تَرَدَا نُهَى ^(٣)
 شَكَابِلُ أَخُو الْجَهْلِ ^(٤) الَّذِي مَا ارْعَوَى ^(٥) عَوَى ^(٦)

فَقَالَ الْغُلَامُ لِلنَّظَّارَةِ: يَا لِلْعَجِيبَةِ، وَالطَّرْفَةُ الْغَرِيبَةُ! أَنْفٌ فِي السَّمَاءِ،
 وَاسْتٌ فِي الْمَاءِ! وَلَفْظٌ كَالصَّهْبَاءِ، وَفِعْلٌ كَالْحَصْبَاءِ! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الشَّيْخِ
 بِلِسَانٍ سَلِيطٍ، وَغَيْظٍ مُسْتَشِيطٍ ^(٧)، وَقَالَ: أَفَّ لَكَ مِنْ صَوَاغٍ بِاللِّسَانِ،
 رَوَاغٍ عَنِ الْإِحْسَانِ! تَأْمُرُ بِالْبَرِّ، وَتَعُقُّ عُقُوقَ الْهَرِّ، فَإِنْ يَكُنْ سَبَبُ
 تَعَتُّكَ ^(٨)، نِفَاقَ صَنَعَتِكَ، فَرَمَاهَا اللَّهُ بِالْكَسَادِ، وَإِفْسَادِ الْحُسَادِ، حَتَّى تُرَى
 أَفْرَغٌ مِنْ حَجَّامٍ سَابَاطٍ، وَأَضِيقَ رِزْقًا مِنْ سَمِّ الْخِيَاطِ، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: بَلْ
 سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْكَ بَثْرَ الْفَمِ، وَتَبِيعَ الدَّمِ، حَتَّى تُلْجَأَ إِلَى حَجَّامٍ عَظِيمِ
 الْإِسْطِطَاطِ ^(٩)، ثَقِيلِ الْإِسْطِرَاطِ، كَلِيلِ الْمُسْطَرِاطِ، كَثِيرِ الْمُخَاطِ وَالضَّرَاطِ،
 قَالَ: فَلَمَّا تَبَيَّنَ الْفَتَى أَنَّهُ يَشْكُو إِلَى غَيْرِ مُصَمَّتٍ، وَيُرَاوِدُ ^(١٠) اسْتَفْتَحَ بَابَ
 مُصَمَّتٍ ^(١١)، أَضْرَبَ عَنْ رَجْعِ الْكَلَامِ، وَاحْتَفَزَ لِلْقِيَامِ، وَعَلِمَ الشَّيْخُ أَنَّهُ

(١) نشبت.

(٢) الأطراف وجلدة الرأس.

(٣) صاحب عقل.

(٤) الأحمق الذي لا يتعقل.

(٥) كف ورجع.

(٦) تضجّر وشكا.

(٧) محترق.

(٨) تشددك.

(٩) مجاوزة الحد في السّوم.

(١٠) يعاني ويعالج.

(١١) مغلق.

قَدْ أَلَامَ ^(١)، بِمَا أَسْمَعَ الْغُلَامَ، فَجَنَحَ إِلَى سَلَمِهِ، وَبَذَلَ أَنْ يُدْعِنَ لِحُكْمِهِ،
وَلَا يَبْغِي أَجْرًا عَلَى حَجْمِهِ، وَأَبَى الْغُلَامُ إِلَّا الْمَشْيَ بِدَائِهِ، وَالْهَرَبَ مِنْ
لِقَائِهِ، وَمَا زَالَ فِي حِجَاجٍ وَسَبَابٍ ^(٢)، وَلِزَازٍ وَجِذَابٍ، إِلَى أَنْ ضَجَّ ^(٣)
الْفَتَى مِنَ الشَّقَاقِ ^(٤)، وَتَلَا رُدْنُهُ سُورَةَ الْأَنْشِقَاقِ، فَأَعْوَلَ حِينَئِذٍ لَوْفَارَةَ
خُسْرِهِ ^(٥)، وَانْعَطَاطَ عَرْضِهِ وَطِمْرِهِ، وَأَخَذَ الشَّيْخُ يَعْتَذِرُ مِنْ فِرْطَاتِهِ،
وَيُغَيِّضُ مِنْ عِبْرَاتِهِ ^(٦)، وَهُوَ لَا يُصْغِي إِلَى اعْتِذَارِهِ، وَلَا يَقْصُرُ عَنْ
اسْتِعْبَارِهِ، إِلَى أَنْ قَالَ لَهُ: فَدَاكَ عَمُّكَ، وَعَدَاكَ مَا يَغْمُكُ! أَمَا تَسْأَمُ
الْإِعْوَالَ ^(٧)، أَمَا تَعْرِفُ الْاِحْتِمَالَ، أَمَا سَمِعْتَ بِمَنْ أَقَالَ ^(٨)، وَأَخَذَ بِقَوْلِ
مَنْ قَالَ:

أَخْمَدُ بِحِلْمِكَ مَا يُذَكِّيهِ ^(٩) ذُو سَفَهٍ
مِنْ نَارِ غِيْظِكَ وَأَصْفَحْ ^(١٠) إِنْ جَنَى جَانٍ
فَالْحِلْمُ أَفْضَلُ مَا أَزْدَانِ اللَّبِيبُ بِهِ
وَالْأَخْذُ بِالْعَفْوِ أَحْلَى مَا جَنَى جَانٍ

فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَمَا إِنَّكَ لَوْ ظَهَرْتَ عَلَى عَيْشِي الْمُنْكَدِرِ ^(١١)، لَعَذَرْتَ
فِي دَمْعِي الْمُنْهَمِرِ، وَلَكِنْ هَانَ عَلَى الْأَمْلَسِ مَا لَاقَى الدَّبِيرُ، ثُمَّ كَأَنَّهُ نَزَعَ
إِلَى الاسْتِحْيَاءِ، فَأَقْلَعَ عَنِ الْبُكَاءِ، وَفَاءً إِلَى الْأَرْعَوَاءِ ^(١٢)، وَقَالَ لِلشَّيْخِ:

(١) أتى بما يستحق أن يُلامَ عليه.

(٢) مشاقمة.

(٣) إلى أن جزع وقلق.

(٤) المخالفة.

(٥) لزيادة خسارته.

(٦) أن ينقص من دموع بكائه.

(٧) البكاء.

(٨) عفا وسامح.

(٩) يوقده.

(١٠) تجاوز.

(١١) المتغير المنقص.

(١٢) الانكفاف والامتناع.

قَدْ صِرْتُ إِلَى مَا اشْتَهَيْتَ، فَارْقَعْ مَا أَوْهَيْتَ (١)، فَقَالَ: هِيَاتَ شَغَلْتُ
شُعَابِي جَدَوَايَ، فَشِمُ بَارِقَ سَوَايَ، ثُمَّ إِنَّهُ نَهَضَ يَسْتَقْرِي (٢) الصُّفُوفَ،
وَيَسْتَجْدِي الْوُقُوفَ، وَيُنْشِدُ فِي ضِمْنِ مَا هُوَ يَطُوفُ:

أُقْسِمُ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ الَّذِي
تَهْوِي إِلَيْهِ الزُّمَرُ (٣) الْمُحَرَّمَةُ
لَوْ أَنَّ عِنْدِي قُوتَ يَوْمٍ لَمَّا
مَسَّتْ (٤) يَدِي الْمَشْرَاطَ وَالْمِحْجَمَةَ
وَلَا ارْتَضَتْ نَفْسِي الَّتِي لَمْ تَزَلْ
تَسْمُو إِلَى الْمَجْدِ بِهِذِي السِّمَةَ
وَلَا اشْتَكَى هَذَا الْفَتَى غُلْظَةً (٥)
مَنِّي وَلَا شَاكْتُهُ مِنِّي حُمَةً
لَكِنْ صُرُوفُ الدَّهْرِ (٦) غَادَرْنَنِي
كَخَابِطٍ فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ
وَأَضْطَرَّنِي الْفَقْرُ إِلَى مَوْقِفٍ
مِنْ دُونِهِ خَوْضُ اللَّظَى الْمُضْرَمَةِ
فَهَلْ فَتَى تُدْرِكُهُ رَقَّةٌ (٧)
عَلَيَّ أَوْ تَعْطِفُهُ (٨) مَرْحَمَةٌ

(١) أفسدت . (٢) يتبع .

(٣) جمع زمرة، وهي: الجماعات . (٤) لمست .

(٥) جفاء في الكلام . (٦) حوادثه .

(٧) شفقة . (٨) تميله .

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَامٍ: فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ أَوَى لِبَلَوَاهُ، وَرَقَّ لَشَكْوَاهُ،
 فَنفَحْتُهُ بِدِرْهَمَيْنِ، وَقُلْتُ: لَا كَانَا وَلَوْ كَانَ ذَا مِينَ^(١)! فَابْتَهَجَ بِبَاكُورَةِ
 جَنَاهُ، وَتَفَاءَلَ بِهِمَا لَغْنَاهُ، وَلَمْ تَزَلِ الدَّرَاهِمُ تَنْهَالُ عَلَيْهِ، وَتَنْثَالُ لَدَيْهِ، حَتَّى
 آلَ ذَا عَيْشَةَ خَضِرَاءَ، وَحَقِيقَةَ بَجْرَاءَ، فَازْدَهَاهُ الْفَرَحُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَهَنَّا نَفْسَهُ
 بِمَا هُنَالِكَ، وَقَالَ لِلْغُلَامِ: هَذَا رِيعٌ أَنْتَ بَذَرُهُ^(٢)، وَحَلَبٌ لَكَ شَطْرُهُ،
 فَهَلُمَّ لِنَقْتَسِمَ، وَلَا نَحْتَشِمَ^(٣)، فَتَقَاسَمَاهُ بَيْنَهُمَا شَقَّ الْأُبْلَمَةِ، وَنَهَضَا مُتَّفَقِي
 الْكَلِمَةِ، وَلَكَمَا انْتَضَمَ بَيْنَهُمَا عَقْدُ الْإِصْطِلَاحِ، وَهَمَّ الشَّيْخُ بِالرَّوَّاحِ^(٤)، قُلْتُ
 لَهُ: قَدْ تَبَوَّغَ دَمِي، وَنَقَلْتُ إِلَيْكَ قَدَمِي، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَحْجُمَنِي،
 وَتُكْفِكَفَ^(٥) مَا دَهَمَنِي^(٦)؟ فَصَوَّبَ طَرْفَهُ وَصَعَّدَ، ثُمَّ ازْدَكَّفَ إِلَيَّ وَأَنْشَدَ:
 كَيْفَ رَأَيْتَ خُدْعَتِي^(٧) وَخُتْلِي^(٨) وَمَا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَ سَخْلِي^(٩)
 حَتَّى انْتَشَيْتُ فَائِزاً بِالْخَصْلِ
 بِاللَّهِ يَا مُهْجَةً قَلْبِي قُلْ لِي
 يَفْتَحُ بِالرُّقِيَّةِ^(١٠) كُلَّ قُفْلٍ
 وَيَعْجَنُ الْجَدَّ بِمَاءِ الْهَزْلِ^(١١)
 فَالْطَّلُّ قَدْ يَنْدُو أَمَامَ الْوَبْلِ
 أَرْعَى رِيَاضَ الْخَصْبِ بَعْدَ الْمَحَلِ
 هَلْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ قَطُّ مِثْلِي
 وَيَسْتَبِي^(١٢) بِالسَّخْرِ^(١٣) كُلَّ عَقْلٍ
 إِنْ يَكُنِ الْإِسْكَندَرِيُّ قَبْلِي
 وَالْفَضْلُ لِلْوَابِلِ لَا لِلطَّلِّ
 قَالَ: فَنَبِّهْتَنِي أَرْجُوزَتُهُ عَلَيْهِ، وَأَرْتَنِي أَنَّهُ شَيْخُنَا الْمُشَارُّ إِلَيْهِ، فَقَرَعَتْهُ^(١٤)

(١) أي: أنت سببه.

(٢) وعزم على الذَّهَابِ.

(٣) غشيني وأصابني.

(٤) تحيلني.

(٥) العزيمة.

(٦) أحاسن الكلام.

(٧) لُمته وعَفَفْتَهُ.

(٨) صاحب كذب.

(٩) لا نستحيي.

(١٠) تكف وترفع.

(١١) مكري.

(١٢) عني به ولده.

(١٣) يسلب ويأخذ.

(١٤) يمزج الحق بالباطل.

عَلَى الْإِبْتِذَالِ (١) ، وَالْإِلْتِحَاقِ بِالْأُرْذَالِ ، فَأَعْرَضَ عَمَّا سَمِعَ ، وَلَمْ يُبَلِّ بِمَا قُرِعَ ، وَقَالَ : كُلُّ الْحِذَاءِ يَحْتَذِي الْخَافِي الْوَقْعَ ، ثُمَّ قَاصَانِي (٢) مُقَاصَاةَ الْمُهَانَ (٣) ، وَأَنْطَلَقَ هُوَ وَابْنُهُ كَفَرَسِي رِهَانَ .

قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الرَّئِيسُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْقَاسِمُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَدْ أَوْدَعْتَ هَذِهِ الْمَقَامَةَ بَضْعَةَ عَشْرَ عَثَلًا مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ وَهَنَا أَنَا أَفْسَرُ مَا أَحَالَهُ يَلْتَبِسُ عَلَى مَنْ يِقْتَبِسُ . أَمَّا قَوْلُهُ : (بَطْءَ فَنَدَ) فَهُوَ مَوْلَى عَائِشَةَ بِنْتَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَكَانَتْ بَعْثَتْهُ بِالْمَدِينَةِ لِيَقْتَبِسَ لَهَا نَارًا فَقَصِدَ مِنْ فُورِهِ مِصْرَ وَأَقَامَ بِهَا سَنَةً ثُمَّ جَاءَهَا بَعْدَ السَّنَةِ وَهُوَ يَشْتَدُّ وَمَعَهُ جَمْرٌ فَتَبَدَّدَ مِنْهُ فَقَالَ : تَعَسَتِ الْعَجَلَةُ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ : (أَنْفٌ فِي السَّمَاءِ وَاسْتِ فِي الْمَاءِ) فَيَضْرِبُ هَذَا الْمَثْلَ لِمَنْ يَكْبُرُ مَقَالًا وَيَصْغُرُ فَعَالًا ، وَأَمَّا قَوْلُهُ : (أَفْرَغَ مِنْ حِجَامٍ سَابَاطٍ) فَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ حِجَامًا مُلَازِمًا سَابَاطِ الْمُدَائِنِ ، يَحْجُمُ الْجُنْدِيُّ بَدَانِقَ نَسِئَةٍ وَرَبَّمَا مَرَّتْ عَلَيْهِ بَرَهَةٌ لَا يَقْرَأُ فِيهَا أَحَدٌ فَكَانَ يَبْرُزُ أُمُّهُ عِنْدَ تَمَادِي عَطَلَتِهِ فَيَحْجُمُهَا لِكَيْلًا يَقْرَعُ بِالْبَطَالَةِ فَمَا زَالَ يَحْجُمُهَا حَتَّى نَزَفَ دِمَهَا وَمَاتَتْ ، وَأَمَّا قَوْلُهُ : (يَشْكُو إِلَى غَيْرِ مَصْمِتٍ) فَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ لِمَنْ لَا يَكْتَرِثُ بِشَأْنِ صَاحِبِهِ وَلَا يَعْأَبُ بِاسْتِمْرَارِ شِكَايَتِهِ لِأَنَّهُ لَوْ أَشْكَاهُ لَصِمْتُ وَأَمْسَكَ عَنْ الْكَلَامِ وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّاجِزِ يَخَاطِبُ جَمَلًا لَهُ :

إِنَّكَ لَا تَشْكُو إِلَى مَصْمِتٍ فَاصْبِرْ عَلَى الْحِمْلِ الثَقِيلِ أَوْ مِتْ

وَنَحْوُ هَذَا الْمَثَلِ : (هَانَ عَلَى الْأَمْلَسِ مَا لَاقَى الدَّبَرَ) ، وَأَمَّا قَوْلُهُ :

(شَغَلْتُ شَعَابِي شِدْوَايَ) فَالْمُرَادُ بِهِ أَنَّهُ لَيْسَ يَفْضُلُ عَنِّي مَا أَصْرَفَهُ إِلَى غَيْرِي

(٢) بَاعَدَنِي وَفَارَقَنِي .

(١) الْإِمْتِهَانُ وَتَرَكِ الْإِحْتِشَامُ .

(٣) مَبَاعَدَةُ الْمُسْتَحْقِرِ لِلْمُسْتَحْقَرِ بِهِ .

والشُّعَابُ هِيَ النُّوَاحِي وَاحِدُهَا شِعْبٌ .

وقوله : (كل الخُذَاءِ يَحْتَذِي الخَافِي المَوْقِعِ) معناه : أَنَّ المَجْهُودَ يَقْنَعُ بِمَا يَجِدُ والمَوْقِعُ أَنَّ تَصِيبَ الحُجَارَةِ القَدَمِ فَتَوَهْنُهَا ، فَأَمَّا البَعِيرُ المَوْقِعُ فَهُوَ الَّذِي يَكْثُرُ آثَارُ الدَّبَرِ بظْهَرِهِ .



المَقَامَةُ الثَّامِنَةُ وَالْأَرْبَعُونَ الْحَرَامِيَّةُ

رَوَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ عَنْ أَبِي زَيْدٍ السَّرُوجِيِّ قَالَ: مَا زِلْتُ مُذْ رَحَلْتُ عَنَسِي (١)، وَارْتَحَلْتُ عَنْ عِرْسِي (٢) وَغُرْسِي، أَحْنُ (٣) إِلَى عِيَانِ الْبَصْرَةِ، حَنِينَ الْمَظْلُومِ إِلَى النُّصْرَةِ، لَمَّا أَجْمَعَ عَلَيْهِ أَرْبَابُ (٤) الدَّرَايَةِ، وَأَصْحَابُ الرِّوَايَةِ (٥)، مِنْ خِصَائِصِ مَعَالِمِهَا وَعُلَمَائِهَا، وَمَآثِرِ (٦) مَشَاهِدِهَا (٧) وَشُهَدَائِهَا، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوْطِنِّي ثَرَاهَا، لِأَفُوزَ بِمِرَاهَا، وَأَنْ يُمِطَّنِي قَرَاهَا، لِأَقْتَرِي (٨) قُرَاهَا، فَلَمَّا أَحْلَنِيهَا الْحَظُّ، وَسَرَحَ (٩) لِي فِيهَا اللَّحْظُ، رَأَيْتُ بِهَا مَا يَمْلَأُ الْعَيْنَ قُرَّةً (١٠)، وَيُسْلِي عَنِ الْأَوْطَانِ كُلِّ غَرِيبٍ، فَغَلَسْتُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ، حِينَ نَصَلَ خِضَابُ (١١) الظَّلَامِ، وَهَتَفَ أَبُو الْمُنْذِرِ بِالنُّوَامِ، لِأَخْطُو فِي خِطِّهَا (١٢)، وَأَقْضِيَ الْوَطَرَ مِنْ تَوْسُطِهَا، فَأَدَّانِي الْإِخْتِرَاقُ فِي مَسَالِكِهَا (١٣)، وَالْإِنْصِلَاتِ فِي سِكَكِهَا (١٤)، إِلَى مُحَلَّةٍ مَوْسُومَةٍ بِالْإِحْتِرَامِ (١٥)، مَنْسُوبَةٍ إِلَى بَنِي حَرَامٍ، ذَاتِ مَسَاجِدَ مَشْهُودَةٍ، وَحِيَاضِ

- | | | |
|--------------------------------------|------------------------------------|------------|
| (١) العنسى: الناقة القوية الصلبة. | (٢) زوجتي. | (٣) أشتاق. |
| (٤) اتفق عليه أصحاب العلوم والمعارف. | (٥) رواية الأخبار. | |
| (٦) مكارم ومحاسن. | (٧) محاضرها. | |
| (٨) أتبع. | (٩) امتدَّ. | |
| (١٠) سروراً. | (١١) زال، وهو كناية عن طلوع الفجر. | |
| (١٢) أماكنها. | (١٣) طرقها. | |
| (١٤) شوارعها. | (١٥) بالتعظيم. | |

مورودة، ومبان وثيقة، ومغان ^(١) أنيقة، وخصائص أثرية، ومزايًا كثيرة:

بَهَا مَا شِئْتُ مِنْ دِينَ وَدُنْيَا
وَجِيرَانٍ تَنَافَوْا ^(٢) فِي الْمَعَانِي
فَمَشْغُوفٌ ^(٣) بِآيَاتِ الْمَثَانِي
وَمُفْتُونَ بِرَنَاتِ الْمَثَانِي
وَمُضْطَلَعٌ ^(٤) بِتَلْخِصِ الْمَعَانِي
وَمُطَّلَعٌ إِلَى تَخْلِصِ ^(٥) عَانٍ
وَكَمْ مِنْ قَارِئٍ فِيهَا وَقَارٍ
أَضْرَّ بِالْجُفُونِ وَبِالْجَفَانِ
وَكَمْ مِنْ مَعْلَمٍ ^(٦) لِلْعِلْمِ فِيهَا
وَنَادٍ ^(٧) لِلنَّدَى ^(٨) حُلُو الْمَجَانِي ^(٩)
وَمَغْنًى لَا تَزَالُ تُغْنِي فِيهِ
أَغَارِيدُ الْغَوَانِي وَالْأَغَانِي
فَصِلْ إِنْ شِئْتَ فِيهَا مَنْ يُصَلِّي
وَأَمَّا شِئْتُ فَادْنُ مِنَ الدُّنَانِ
وَدُونِكَ صُحْبَةَ الْأَكْيَاسِ فِيهَا
أَوِ الْكَاسَاتِ مُنْطَلِقَ الْعِنَانِ

(١) جمع مغنى، وهو: المنزل.

(٢) اختلفوا.

(٣) مفتون.

(٤) قوي على حمله.

(٥) فك أسير.

(٦) علامة.

(٧) مجلس.

(٨) الكرم والعطاء.

(٩) الثمار التي تُجَنَّتِي.

قَالَ: فَبَيْنَمَا أَنَا أَنْفُضُ^(١) طُرْقَهَا، وَأَسْتَشِفُّ^(٢) رَوْنَقَهَا^(٣)، إِذْ لَمَحْتُ
عِنْدَ دُلُوكِ بَرَّاحٍ، وَإِظْلَالِ الرُّوَّاحِ^(٤)، مَسْجِداً مُشْتَهَراً بِطَرَائِفِهِ، مَزْدَهَراً
بَطَوَائِفِهِ^(٥)، وَقَدْ أَجْرَى أَهْلُهُ ذَكَرَ حُرُوفِ الْبَدَلِ، وَجَرَوْا فِي حَلْبَةِ الْجَدَلِ،
فَعُجِبْتُ^(٦) نَحْوَهُمْ، لِأَسْتَمِطِرَ نَوَّهُمْ، لَا لِأَقْتَسِسَ^(٧) نَحْوَهُمْ، فَلَمْ يَكُ إِلَّا
كَقَبْسَةِ الْعَجَلَانِ، حَتَّى ارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ بِالْأَذَانِ، ثُمَّ رَدَفَ التَّأَذِينَ^(٨) بُرُوزُ
الْإِمَامِ، فَأَغْمَدَتِ طُبَى الْكَلَامِ، وَحُلَّتِ الْحَبَى لِلْقِيَامِ، وَشَغَلْنَا بِالْقُنُوتِ، عَنْ
اسْتِمْدَادِ الْقُوتِ، وَبِالسُّجُودِ عَنْ اسْتِنْزَالِ الْجُودِ، وَلَمَّا قُضِيَ الْفَرَضُ، وَكَادَ
الْجَمْعُ يَنْفُضُ^(٩)، انْتَبَرَى^(١٠) مِنَ الْجَمَاعَةِ كَهْلٌ حُلُوُ الْبَرَاعَةِ، لَهُ مِنْ
السَّمْتِ الْحَسَنِ^(١١)، ذَلَاقَةُ اللَّسَنِ^(١٢)، وَفَصَاحَةُ الْحَسَنِ، وَقَالَ: يَا
جِيرَتِي، الَّذِينَ اصْطَفَيْتُهُمْ عَلَى أَغْصَانِ شَجَرَتِي، وَجَعَلْتُ خِطَّتَهُمْ دَارَ
هَجَرَتِي، وَاتَّخَذْتُهُمْ كَرِشِي وَعَيْتِي، وَأَعَدَدْتُهُمْ^(١٣) لِمَحْضَرِي وَغَيْبَتِي، أَمَا
تَعْلَمُونَ أَنَّ لَبُوسَ الصَّدَقِ أَبْهَى الْمَلَابِسِ الْفَاخِرَةِ، وَأَنَّ فُضُوحَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ
مِنْ فُضُوحِ الْآخِرَةِ؟ وَأَنَّ الدِّينَ إِمْحَاضُ النَّصِيحَةِ، وَالْإِرْشَادَ عُنْوَانُ الْعَقِيدَةِ
الصَّحِيحَةِ؟ وَأَنَّ الْمُسْتَشَارَ مُؤْتَمَنٌ، وَالْمُسْتَرَشِدَ بِالنُّصْحِ قَمِنٌ؟ وَأَنَّ أَخَاكَ هُوَ
الَّذِي عَذَلَكَ^(١٤)، لَا الَّذِي عَذَرَكَ^(١٥). وَصَدِيقُكَ مِنْ صَدَقِكَ، لَا مَنْ

- | | |
|--------------------------------|---|
| (١) أَتْبَعَهَا. | (٢) أَسْتَجْلِي. |
| (٣) حَسَنَهَا. | (٤) مَجِيءُ الْعَشِيِّ. |
| (٥) بِجَمَاعَاتِهِ. | (٦) عَطَفْتُ. |
| (٧) لَا لِأَسْتَفِيدَ. | (٨) تَبَعَ الْأَذَانَ. |
| (٩) يَتَفَرَّقُ. | (١٠) اعْتَرَضَ. |
| (١١) الْهَيْئَةُ الْحَسَنَاءُ. | (١٢) بَلَاغَةُ الْمُنْطَقِ مَعَ حِدَّةِ اللِّسَانِ. |
| (١٣) اتَّخَذْتُهُمْ عِدَةً. | (١٤) لَامَكَ. |
| (١٥) قَبْلَ عَذَرَكَ. | |

صَدَقَكَ؟ فَقَالَ لَهُ الْخَاضِرُونَ: أَيُّهَا الْخَلُّ الْوَدُودُ، وَالْخَذَنُ الْمَوْدُودُ، مَا سِرُّ
 كَلَامِكَ الْمُلْغَزِ، وَمَا شَرْحُ خِطَابِكَ الْمَوْجِزِ، وَمَا الَّذِي تَبْغِيهِ مِنَّا لِيُنْجَزَ؟
 فَوَالَّذِي حَبَانَا (١) بِمَحَبَّتِكَ، وَجَعَلْنَا مِنْ صَفْوَةٍ (٢) أَحَبَّتِكَ، مَا نَأْلُوكَ نَصْحًا (٣)
 ، وَلَا نَدْخِرُ عَنْكَ نَصْحًا، فَقَالَ: جُزَيْتُمْ خَيْرًا، وَوُقِيتُمْ ضَيْرًا (٤) ، فَإِنَّكُمْ
 مِمَّنْ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسٌ، وَلَا يَصْدُرُ عَنْهُمْ تَلْبِيسٌ، وَلَا يُخَيِّبُ فِيهِمْ
 مَظْنُونٌ، وَلَا يُطْوَى دُونَهُمْ مَكْنُونٌ (٥) ، وَسَابَّكُمْ (٦) مَا حَاكَ فِي صَدْرِي،
 وَأَسْتَفْتِيكُمْ فِي مَا عِيلَ فِيهِ صَبْرِي، اعْلَمُوا أَنِّي كُنْتُ عِنْدَ صَلُودِ الزُّنْدِ،
 وَصُدُودِ الْجَدِّ، أَخْلَصْتُ مَعَ اللَّهِ نِيَّةَ الْعَقْدِ (٧) ، وَأَعْطَيْتُهُ صَفْقَةَ الْعَهْدِ،
 عَلَى أَنْ لَا أَسْبَأَ مُدَامًا، وَلَا أُعَاقِرَ نَدَامَى، وَلَا أُحْتَسِي قَهْوَةً، وَلَا أُكْتَسِي (٨)
 نَشْوَةً، فَسَوَّلَتْ لِي النَّفْسُ الْمُضِلَّةُ، وَالشَّهْوَةُ الْمُذِلَّةُ الْمُرْلَةُ، أَنْ نَادَمْتُ
 الْأَبْطَالَ، وَعَاطَيْتُ الْأَرْطَالَ، وَأَضَعْتُ (٩) الْوَقَارَ، وَارْتَضَعْتُ (١٠) الْعُقَارَ (١١)،
 وَامْتَطَيْتُ مَطَا الْكُمَيْتِ، وَتَنَاسَيْتُ التَّوْبَةَ تَنَاسِي الْمَيْتِ، ثُمَّ لَمْ أَفْنَعْ بِهَاتِيكُمْ
 الْمَرَّةَ، فِي طَاعَةِ أَبِي مَرَّةً، حَتَّى عَكَفْتُ (١٢) عَلَى الْخَنْدَرِيسِ، فِي يَوْمِ
 الْخَمِيسِ، وَبْتُ صَرِيعَ الصَّهْبَاءِ فِي اللَّيْلَةِ الْغَرَاءِ (١٣) ، وَهَا أَنَا بَادِي
 الْكَابَةِ (١٤) ، لِرَفْضِ الْإِنَابَةِ (١٥) ، نَامِي النَّدَامَةِ ، لَوْصَلِ الْمُدَامَةِ (١٦)

(١) أعطانا.

(٢) خلاصة.

(٣) ما نكتم أو ما نترك أو ما ندخر عنك نصيحة.

(٤) ضررًا.

(٥) مستور.

(٦) أخبركم والبث والنث والنثر أخوات.

(٧) العقيدة.

(٨) لا أتلبس بسكر.

(٩) تركت السكينة.

(١٠) رضعت.

(١١) من أسماء الخمر.

(١٢) لزمت.

(١٣) البيضاء، وهي: ليلة الجمعة.

(١٤) ظاهر الحزن.

(١٥) لترك الرجوع.

(١٦) هي الخمر.

شَدِيدُ الْإِشْفَاقِ (١) ، مِنْ نَقْضِ الْمِيثَاقِ ، مُعْتَرِفٌ بِالْإِسْرَافِ ، فِي عِبِّ السَّلَافِ :

فِيَا قَوْمَ هَلْ كَفَّارَةٌ تَعْرِفُونَهَا تَبَاعِدُ مِنْ ذَنْبِي وَتُدْنِي إِلَى رَبِّي
قَالَ أَبُو زَيْدٍ : فَلَمَّا حَلَّ أَنْشَوَطَةَ نَفْثِهِ ، وَقَضَى الْوَطَرَ (٢) مِنْ اشْتِكَاءِ بَيْتِهِ ،
نَاجَتْنِي (٣) نَفْسِي يَا أَبَا زَيْدٍ ، هَذِهِ نُهْزَةٌ (٤) صَيْدٍ ، فَشَمَّرَ عَنْ يَدٍ وَأَيْدٍ ،
فَانْتَهَضْتُ مِنْ مَجْثَمِي (٥) أَنْتِهَاضَ الشَّهْمِ ، وَأَنْخَرْتُ مِنَ الصَّفِّ أَنْخِرَاطَ
السَّهْمِ ، وَقُلْتُ :

أَيُّهَا الْأَرْوَعُ (٦) الَّذِي
وَالَّذِي يَبْتَغِي الرِّشَا
إِنَّ عِنْدِي عِلَاجَ مَا
فَاسْتَمَعَهَا عَجِيبَةً
أَنَا مِنْ سَاكِنِي سَرُو
كَنتُ ذَا ثَرْوَةٍ بِهَا
مَرْبَعِي مَأْلَفُ الضُّيُوءِ
أَشْتَرِي الْحَمْدَ بِاللُّهَى
لَا أَبَالِي بِمُنْفِسٍ

فَاقَ مَجْجَدًا وَسُودَدًا
دَ (٧) لِيَنْجُو بِهِ غَدًا
بِتَّ مِنْهُ مَسْهَدًا (٨)
غَادَرْتَنِي مُلَدَّدًا
جَ ذَوِي الدِّينِ وَالْهُدَى
وَمُطَاعًا مُسَوَّدًا (٩)
فَ (١٠) وَمَالِي لَهُمْ سُدى (١١)
وَأَقِي الْعِرْضَ بِالْجَدَا (١٢)
طَاحَ فِي الْبَذْلِ وَالنَّدَى

(١) الخوف .

(٢) الغرض .

(٣) حدثني .

(٤) فرصة .

(٥) محل جثومي ؛ أي : قعودي .

(٦) السيد الذي يروعك بجماله .

(٧) الهداية .

(٨) ساهراً .

(٩) أي : سيداً .

(١٠) مجتمعهم .

(١١) مهمل مبذول .

(١٢) بالعطاء .

أَوْقَدَ النَّارَ بِالْيَفَا
وَيَرَانِي الْمُؤْمَلُو
لَمْ يَشْمُ بَارِقِي صَد (١)
لَا وَلَا رَامَ قَبَابِسُ
طَالَمَا سَاعَدَ الزَّمَا
فَقَضَى اللَّهُ أَنْ يُغَيِّ
بِوَاءَ الرُّومَ أَرْضَنَا
فَاسْتَبَاحُوا حَرِيمَ مَنْ
وَحَوُوا (٣) كُلَّ مَا اسْتَس
فَتَطَوَّحْتُ فِي الْبَلَا
أُجْتَدِي النَّاسَ (٦) بَعْدَمَا
وَتُرَى بِي خِصَاصَةً (٨)
وَالْبَبْلَاءُ الَّذِي بِهِ
إِسْتَبَاءُ ابْنَتِي (١١) الَّتِي
فَاسْتَبَنَ مَحْنَتِي (١٢) وَمَدَّ
وَأَجِرْنِي مِنَ الزَّمَا

عَ إِذَا النُّكْسُ أَخْمَدَا
نَ مَلَاذًا وَمَقْصَدَا
فَانْثَنَى يَشْتَكِي الصَّدَى
قَدَحَ زَنْدِي فَأَصْلَدَا
نُ فَأَصْبَحْتُ مُسْعَدَا
رَمَا كَانَ عَوْدَا
بَعْدَ ضَغْنٍ (٢) تَوَلَّدَا
صَادَفَوهُ مَوْحِدَا
رُ (٤) بِهَِا لِي وَمَا بَدَا
دَ طَرِيدًا مُشْرِدًا (٥)
كُنْتُ مِنْ قَبْلُ مُجْتَدَى (٧)
أَتَمَنَّى لَهَا الرَّدَى (٩)
شَمْلُ أَنْسِي تَبَدَّدَا (١٠)
أَسَرَوْهَا لَتُفْتَدَى
إِلَى نُصْرَتِي يَدَا
نَ فَقَدْ جَارَ وَاعْتَدَى

(١) عطشان.

(٢) حقد.

(٣) حازوا.

(٤) خفي.

(٥) مبعداً منفرداً.

(٦) أتكفف الناس وأسألهم الجدوى، وهي: العطية.

(٧) مسؤولاً من الجدوى.

(٨) فقر وحاجة.

(٩) الموت والهلاك.

(١٠) تفرق.

(١١) سبيها وأخذها أسيرة في أيديهم.

(١٢) بليتي.

وَأَعِنِّي عَلَى فِكَا
فَبِذَا تَنَمَّحِي الْمَا
وَبِهِ تُقْبَلُ الْإِنَا
وَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّنْ
وَلَّيْنُ قُومَتْ مُنْشَدًا
فَأَقْبَلِ النُّصْحَ وَالْهَدَا
وَاسْمَحِ الْآنَ بِالَّذِي
لَكَ ابْنَتِي مِنْ يَدِ الْعَدَى
ثُمَّ ^(١) عَمَّنْ تَمَرَّدَا
بَةً ^(٢) مَمَّنْ تَزَهَّدَا ^(٣)
زَاغَ مِنْ بَعْدِ مَا اهْتَدَى
فَلَقَدْ فُهِتْ مُرْشَدَا
يَةً وَاشْكُرْ لَنْ هَدَى
يَتَسَنَّى ^(٤) لِنُحْمَدَا

قال أبو زيد: فَلَمَّا أَتَمَمْتُ هَذَرَمَتِي ^(٥)، وَأَوْهَمَ الْمَسْئُولُ ^(٦) صِدْقَ
كَلِمَتِي، أَغْرَاهُ الْقَرَمُ إِلَى الْكَرَمِ بِمَوَاسَاتِي، وَرَغَبَهُ الْكَفُّ بِحَمَلِ الْكَفِّ فِي
مُقَاسَاتِي، فَضَخَّ ^(٧) لِي عَلَى الْحَافِرَةِ، وَنَضَحَ لِي بِالْعِدَةِ الْوَافِرَةِ ^(٨)،
فَانْقَلَبْتُ إِلَى وَكْرِي، فَرِحًا بِنُجْحِ مَكْرِي، وَقَدْ حَصَلْتُ مِنْ صَوْغِ الْمَكِيدَةِ،
عَلَى سَوْغِ الثَّرِيدَةِ ^(٩)، وَوَصَلْتُ مِنْ حَوْكِ الْقَصِيدَةِ، إِلَى لَوْكِ
الْعَصِيدَةِ ^(١٠).

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَقُلْتُ لَهُ سُبْحَانَ مَنْ أَبْدَعَكَ، فَمَا أَعْظَمَ
خُدَعَكَ، وَأَخْبَثَ بَدَعَكَ! فَاسْتَغْرَبَ فِي الضَّحِكِ، ثُمَّ أَنْشَدَ غَيْرَ مُرْتَبِكٍ:
عِشْ بِالْخُدَاعِ فَأَنْتَ فِي دَهْرٍ بَنُوهُ ^(١١) كَأَسَدٍ بِيَشِهِ

- (١) جمع مائمه، بمعنى: الإثم.
(٢) ترك زخارف الدنيا.
(٣) يتسهل.
(٤) وقع في وهمه.
(٥) كلامي الكثير.
(٦) أصل الرضخ: العطاء القليل.
(٧) ابتلاعها بسهولة.
(٨) يعني: أكلها، وهي طعام معروف.
(٩) أهله.
(١٠) أهله.

وَأَدْرُ قَنَاءَ الْمَكْرِ حَتَّ
وَصَدَ النَّسُورَ فَإِنْ تَعَدَّ
وَاجَنَ الثُّمَارَ فَإِنْ تَفَتَّ
وَأَرَحَ فَوَادَكَ إِنْ نَبَّأَ (٢)
فَتَغَايِرُ الْأَحْدَاثِ (٤) يُؤْ
يَ تَسْتَدِيرَ رَحَى الْمَعِيشَةِ
ذَرَّ صَيْدَهَا فَاقْنَعْ بِرَيْشَةِ
كَ فَرَضَ نَفْسَكَ بِالْحَشِيشَةِ (١)
دَهْرٌ مِنَ الْفِكْرِ الْمُطِيشَةِ (٣)
ذَنْ بِاسْتِحَالَةِ كُلِّ عِيشَةٍ



(١) واحدة الحشائش.

(٢) ارتفع.

(٣) الوسواس التي تحمل الإنسان على القلق والطيش.

(٤) تبديلها وعدم دوام حادث منها.

المقامة التاسعة والأربعون السَّاسَانِيَّةُ

حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ أَبَا زَيْدٍ حِينَ نَاهَزَ الْقَبْضَةَ،
وَابْتَزَهُ^(١) قَيْدُ الْهَرَمِ النَّهْضَةَ، أَحْضَرَ ابْنَهُ، بَعْدَمَا اسْتَجَاشَ ذَهْنَهُ^(٢)، وَقَالَ
لَهُ: يَا بُنَيَّ إِنَّهُ قَدْ دَنَا ارْتِحَالِي مِنَ الْفَنَاءِ، وَارْتِحَالِي بِمِرْوَدِ الْفَنَاءِ، وَأَنْتَ
بِحَمْدِ اللَّهِ وَلِيِّ عَهْدِي^(٣)، وَكَبِشُ الْكُتَيْبَةِ^(٤) السَّاسَانِيَّةِ مِنْ بَعْدِي، وَمِثْلُكَ
لَا تُقَرِّعُ لَهُ الْعَصَا، وَلَا يُنَبِّهُ بِطَرَقِ الْحَصَى، وَلَكِنْ قَدْ نُدِبَ إِلَى
الِإِذْكَارِ^(٥)، وَجُعِلَ صَقِيلًا^(٦) لِلْأَفْكَارِ، وَإِنِّي أُوصِيكَ بِمَا لَمْ يَوْصَ بِهِ
شَيْتٌ^(٧) الْأَنْبَاطُ، وَلَا يَعْقُوبُ الْأَسْبَاطُ^(٨)، فَاحْفَظْ وَصِيَّتِي، وَجَانِبِ
مَعْصِيَّتِي، وَاحْذُ مِثَالِي^(٩)، وَأَفْقَهُ أُمَثَالِي، فَإِنَّكَ إِنِ اسْتَرَشَدْتَ بِنُصْحِي،
وَأَسْتَصْبَحْتَ^(١٠) بِصُبْحِي^(١١)، أَمْرَعُ خَائِكَ، وَارْتَفَعَ دُخَانُكَ، وَإِنْ
تَنَاسَيْتَ سُورَتِي^(١٢)، وَنَبَذْتَ مَشُورَتِي، قَلَّ رِمَادُ أَثَافِيكَ، وَزَهَدَ أَهْلُكَ
وَرَهْطُكَ فِيكَ، يَا بُنَيَّ إِنِّي جَرَّبْتُ حَقَائِقَ الْأُمُورِ، وَبَلَوْتُ^(١٣) تَصَارِيفَ
الدَّهْوَرِ، فَرَأَيْتُ الْمَرْءَ بِنَسَبِهِ^(١٤)، لَا بِنَسَبِهِ، وَالْفَحْصَ عَنْ مَكْسَبِهِ، لَا عَنْ

(١) سلبه.

(٢) جمع عقله واستمده.

(٣) خليفتي بعدي.

(٤) رئيسها وقائدها، والكتيبة: العسكر والجيش.

(٥) التذكير.

(٦) جلاء.

(٧) هو أفضل ولد آدم عليهما السلام.

(٨) أولاد يعقوب عليه السلام.

(٩) اقتد بي وافعل مثلي.

(١٠) استضأت.

(١١) بنور رأيي.

(١٢) وصيتي.

(١٣) خبرت.

(١٤) بماله.

حَسْبِهِ، وَكُنْتُ سَمِعْتُ أَنَّ الْمَعَايِشَ إِمَارَةً، وَتِجَارَةً، وَزِرَاعَةً، وَصِنَاعَةً،
فَمَارَسْتُ هَذِهِ الْأَرْبَعَ، لَأَنْظُرَ أَيُّهَا أَوْفَقُ وَأَنْفَعُ، فَمَا أَحْمَدْتُ مِنْهَا مَعِيشَةً،
وَلَا اسْتَرْغَدْتُ فِيهَا عِيشَةً، أَمَّا فَرَصُ الْوَلَايَاتِ، وَخُلُسُ الْإِمَارَاتِ،
فَكَأَضْغَاثِ الْأَحْلَامِ، وَالْفَيءِ (١) الْمُتَسَخِّجِ بِالظَّلَامِ، وَنَاهِيكَ (٢) غُصَّةَ (٣)
بِمَرَارَةِ الْفِطَامِ. وَأَمَّا بَضَائِعُ التِّجَارَاتِ، فَعُرْضَةٌ لِلْمُخَاطَرَاتِ، وَطُعْمَةٌ
لِلْغَارَاتِ، وَمَا أَشْبَهَهَا بِالطُّيُورِ الطَّيَّارَاتِ، وَأَمَّا اتِّخَاذُ الضِّيَاعِ، وَالتَّصَدِّي (٤)
لِلْأَزْدِرَاعِ (٥)، فَمِنْهُكَ لِلْأَعْرَاضِ، وَقِيُودُ عَائِقَةٍ عَنِ الْارْتِكَاضِ (٦)، وَقَلَمًا
خَلَا رَبُّهَا عَنْ إِذْلَالٍ، أَوْ رُزْقَ رُوحٍ بِآلٍ، وَأَمَّا حِرْفُ أُولِي الصِّنَاعَاتِ، فَغَيْرُ
فَاضِلَةٍ عَنِ الْأَقْوَاتِ، وَلَا نَافِقَةٍ (٧) فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ، وَمُعْظَمُهَا مَعْصُوبٌ
بَشِيْبَةِ الْحَيَاةِ، وَلَمْ أَرِ مَا هُوَ بَارِدُ الْمَغْنَمِ، لَذِيذُ الْمَطْعَمِ، وَآفِي
الْمَكْسَبِ، صَافِي الْمَشْرَبِ، إِلَّا الْحِرْفَةُ الَّتِي وَضَعَ سَاسَانُ أُسَاسَهَا، وَنَوَّعَ
أَجْنَاسَهَا، وَأَضْرَمَ (٨) فِي الْخَافِقِينَ (٩) نَارَهَا، وَأَوْضَحَ لِبَنِي غَبْرَاءَ (١٠)
مَنَارَهَا. فَشَهِدْتُ وَقَائِعَهَا مُعْلَمًا، وَاخْتَرْتُ سِيَمَاهَا لِي مِيسَمًا (١١)، إِذْ كَانَتْ
الْمَتَجَرَّ الَّذِي لَا يَبُورُ، وَالْمَنْهَلَ الَّذِي لَا يَغُورُ (١٢)، وَالْمُصْبَاحَ الَّذِي يَعْشُو
إِلَيْهِ الْجُمْهُورُ، وَيَسْتَصْبِحُ (١٣) بِهِ الْعُمِيُّ وَالْعُورُ، وَكَانَ أَهْلُهَا أَعَزَّ قَبِيلٍ،

(١) الظل.

(٢) ويكفيك.

(٣) ما يغص به الأكل أو الشارب.

(٤) التعرض.

(٥) للزرع.

(٦) أراد به السفر.

(٧) ولا رائحة.

(٨) أشعل.

(٩) هما المشرق والمغرب.

(١٠) للفقراء المحتاجين.

(١١) حسنًا وجمالًا اتسم به.

(١٢) لا ينضب ولا ينقص.

(١٣) يستضيء.

وَأَسْعَدَ جِيلٍ، لَا يَرَهَقُهُمْ مَسٌّ حَيْفٌ ^(١)، وَلَا يُقْلِقُهُمْ سَلٌّ سَيْفٍ، وَلَا يَخْشَوْنَ حُمَةً لَاسِعٍ، وَلَا يَدِينُونَ لِدَانٍ وَلَا شَاسِعٍ ^(٢)، وَلَا يَرْهَبُونَ مَمَّنْ بَرَقَ وَرَعْدٌ، وَلَا يَحْفَلُونَ ^(٣) بِمَنْ قَامَ وَقَعْدٌ، أُنْدِيَّتُهُمْ مَنْزَهَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ مَرْفَهَةٌ، وَطُعْمُهُمْ مُعْجَلَةٌ، وَأَوْقَاتُهُمْ مُحَجَّلَةٌ، أَيْنَمَا سَقَطُوا، لَقَطُوا، وَحَيْثَمَا انْخَرَطُوا ^(٤)، خَرَطُوا ^(٥)، لَا يَتَّخِذُونَ أَوْطَانًا، وَلَا يَتَّقُونَ سُلْطَانًا، وَلَا يَتَّازُونَ عَمَّا تَغْدُو خِمَاصًا ^(٦)، وَتَرَوْحُ بَطَانًا ^(٧). فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: يَا أَبَتِ لَقَدْ صَدَقْتَ، فِي مَا نَطَقْتَ، وَلَكِنَّكَ رَتَقْتَ، وَمَا فَتَقْتَ، فَبَيِّنْ لِي كَيْفَ اقْتَطَفْتُ، وَمَنْ أَيْنَ تَوَكَّلُ الْكِتَفُ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّ الْارْتِكَاضَ بِأُهَا، وَالنَّشَاطَ جِلْبَابُهَا ^(٨)، وَالْفِطْنَةَ مِصْبَاحُهَا ^(٩)، وَالْقِحَّةَ ^(١٠) سِلَاحُهَا، فَكُنْ أَجُولَ مَنْ قُطِرْبٍ، وَأَسْرَى مِنْ جُنْدُبٍ ^(١١)، وَأَنْشَطَ مِنْ ظَبْيٍ مُقْمَرٍ، وَأَسْلَطَ مِنْ ذَنْبٍ مُتَمَرٍّ ^(١٢)، وَأَقْدَحَ زَنْدَ جِدِّكَ بِجِدِّكَ، وَأَقْرَعَ بَابَ رَعِيكَ بِسَعِيكَ، وَجُبْ كُلَّ فَجٍّ، وَلِجْ كُلَّ لُجٍّ، وَانْتَجِعْ كُلَّ رَوْضٍ ^(١٣)، وَأَلْقِ دُلُوكَ إِلَى كُلِّ حَوْضٍ. وَلَا تَسَامِ الطَّلَبَ، وَلَا تَمَلِّ الدَّابَّ، فَقَدْ كَانَ مَكْتُوبًا عَلَى عَصَا شَيْخِنَا سَاسَانَ: مِنْ طَلَبٍ، جَلَبٍ، وَمَنْ جَالَ ^(١٤) نَالَ: وَإِيَّاكَ وَالْكَسَلَ فَإِنَّهُ عُنْوَانُ النَّحُوسِ، وَلِبُوسُ ذَوِي الْبُوسِ، وَمِفْتَاحُ الْمَتَرَبَةِ ^(١٥)، وَلِقَاحُ

(١) إصابة ظلم.

(٢) لقريب ولا بعيد.

(٣) يبالون.

(٤) دخلوا.

(٥) قشروا.

(٦) جياعًا.

(٧) ممتلئة البطون.

(٨) لباسها.

(٩) الذي تستنير به.

(١٠) بكسر القاف؛ صلابة الوجه.

(١١) ضرب من الجراد.

(١٢) غضوب كالنمر.

(١٣) كل مكان خصب.

(١٤) تحرك وسعى.

(١٥) شدة الفقر.

الْمَتَعَبَةِ، وَشِيْمَةُ الْعَجْزَةِ ^(١) الْجَهْلَةِ، وَشَنْشَنَةُ ^(٢) الْوُكْلَةِ التُّكْلَةِ، وَمَا اشْتَارَ الْعَسَلَ، مِنْ اخْتَارَ الْكَسَلَ، وَلَا مَلَأَ الرَّاحَةَ، مِنْ اسْتَوَطَأَ الرَّاحَةَ، وَعَلَيْكَ بِالْإِقْدَامِ ^(٣)، وَلَوْ عَلَى الضَّرْعَامِ، فَإِنَّ جَرَاءَ الْجَنَانِ، تُنْطِقُ اللِّسَانَ، وَتُطْلِقُ الْعِنَانَ، وَبِهَا تُدْرِكُ الْحُظُوءُ ^(٤)، وَتُمْلِكُ الثَّرَوَةَ، كَمَا أَنَّ الْخَوَرَ ^(٥) صِنُورُ الْكَسَلِ، وَسَبَبُ الْفَشَلِ، وَمَبْطَأُ ^(٦) لِلْعَمَلِ، وَمَخْبِيَةٌ لِلْأَمَلِ، وَلِهَذَا قِيلَ فِي الْمَثَلِ: مَنْ جَسَرَ، أَيْسَرَ، وَمَنْ هَابَ، خَابَ، ثُمَّ ابْرُزْ يَا بُنَيَّ فِي بَكُورِ أَبِي زَاكِرٍ، وَجَرَاءَ أَبِي الْحَارِثِ، وَحَزَامَةِ أَبِي قُرَّةَ، وَخَتَلِ ^(٧) أَبِي جَعْدَةَ، وَحِرْصِ أَبِي عُقْبَةَ، وَنَشَاطِ أَبِي وَثَّابٍ ^(٨)، وَمَكْرِ أَبِي الْحُصَيْنِ ^(٩)، وَصَبْرِ أَبِي أَيُّوبَ، وَتَلَطُّفِ أَبِي غَزْوَانَ، وَتَلَوْنِ أَبِي بَرَاقِشَ، وَحِيلَةِ قَصِيرٍ، وَدَهَاءِ عَمْرٍو، وَلُطْفِ الشَّعْبِيِّ، وَاحْتِمَالِ الْأَحْنَفِ، وَفِطْنَةِ إِيَّاسَ، وَمَجَانَةِ أَبِي نُوَّاسٍ، وَطَمَعِ أَشْعَبَ، وَعَارِضَةِ أَبِي الْعَيْنَاءِ، وَآخُلْبَ ^(١٠) بِصَوْغِ اللِّسَانِ ^(١١)، وَآخِدَعُ بَسْحَرِ الْبَيَّانِ، وَارْتَدِ السُّوقَ قَبْلَ الْجَلْبِ، وَامْتَرِ الضَّرْعَ قَبْلَ الْحَلْبِ، وَسَائِلِ الرُّكْبَانَ قَبْلَ الْمُتَجَعِّعِ، وَدَمْتَ لَجَنَبِكَ قَبْلَ الْمُضْطَجَعِ، وَأَشْحَذْ بَصِيرَتَكَ ^(١٢) لِلْعِيَاةِ ^(١٣)، وَأَنْعِمْ نَظْرَكَ لِلْقِيَاةِ ^(١٤)،

(٢) عادة وطبيعة.

(١) سجية الكسلة.

(٤) بلوغ المنزل الرفيعة.

(٣) الجراءة والدخول في المخاوف.

(٦) خصلة تؤخر المرء عن مراده.

(٥) الضعف والجن.

(٨) كنية الطيبي.

(٧) مكر.

(١٠) اخدع.

(٩) كنية الثعلب وقد اشتهر بالمكر.

(١٢) حدد عقلك وفهمك.

(١١) كناية عن تنميق الكلام وتحسينه.

(١٣) رجر الطير للقال.

(١٤) القائف هو: الذي يعرف الآثار ويلحق الأبناء بالآباء.

فَإِنَّ مَنْ صَدَقَ تَوْسُمُهُ، طَالَ تَبَسُّمُهُ، وَمَنْ أَخْطَأَتْ فِرَاسَتُهُ، أَبْطَأَتْ فَرِسَتُهُ،
وَكُنْ يَا بُنَيَّ خَفِيفَ الْكَلِّ (١)، قَلِيلَ الدَّلِّ، رَاغِبًا عَنِ الْعَلِّ، قَانِعًا مِنَ الْوَبْلِ
بِالْطَّلِّ (٢)، وَعَظْمَ وَقَعِ الْحَقِيرِ، وَأَشْكُرْ عَلَى النَّفِيرِ، وَلَا تَقْنَطْ عِنْدَ الرَّدِّ،
وَلَا تَسْتَبِعِدْ رَشْحَ الصَّلْدِ، وَلَا تَيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ
إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ، وَإِذَا خَيْرْتَ بَيْنَ ذَرَّةٍ (٣) مَنْقُودَةٍ (٤)، وَدُرَّةٍ مُوَعُودَةٍ،
فَمِلْ إِلَى النَّقْدِ، وَفَضِّلْ الْيَوْمَ عَلَى الْغَدِ، فَإِنَّ لِلتَّأْخِيرِ آفَاتٍ، وَلِلْعَزَائِمِ (٥)
بِدَوَاتٍ، وَلِللْعِدَاتِ مُعَقَّبَاتٍ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ النَّجَازِ عَقَبَاتٌ وَأَيَّ عَقَبَاتٍ، وَعَلَيْكَ
بَصِيرٌ أُولِي الْعِزِّ، وَرَفِيقٌ ذَوِي الْحَزْمِ، وَجَانِبٌ خُرْقَ الْمُشْتَطِّ (٦)، وَتَخَلَّقُ
بِالْخُلُقِ السَّبَّطِ (٧)، وَقَيِّدِ الدَّرْهَمَ بِالرِّبْطِ، وَشُبِّ الْبَذْلِ بِالضَّبْطِ، وَلَا تَجْعَلْ
يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ، وَمَتَى نَبَا بِكَ بَلَدٌ، أَوْ نَابَكَ
فِيهِ كَمَدٌ (٨)، فَبُتَّ مِنْهُ أَمْلَكَ، وَأَسْرَحَ مِنْهُ جَمْلَكَ، فَخَيْرُ الْبِلَادِ مَا جَمَّلَكَ،
وَلَا تَسْتَثْقِلَنَّ الرَّحْلَةَ، وَلَا تَكْرَهَنَّ النُّقْلَةَ (٩)، فَإِنَّ أَعْلَامَ شَرِيعَتِنَا (١٠)،
وَأَشْيَاخَ عَشِيرَتِنَا، أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْحَرَكَةَ بَرَكَةٌ، وَالطَّرَاوَةُ (١١) سَفْتَجَةٌ،
وَزَرَوْا عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْغُرْبَةَ كُرْبَةٌ، وَالنُّقْلَةَ مَثَلَةٌ (١٢)، وَقَالُوا: هِيَ تَعْلَةٌ
مِنْ اقْتِنَعَ بِالرَّذِيلَةِ (١٣)، وَرَضِيَ بِالْحَشَفِ وَسُوءِ الْكِيلَةِ، وَإِذَا أَزْمَعْتَ عَلَى
الْإِغْتِرَابِ، وَأَعْدَدْتَ لَهُ الْعَصَا وَالْجِرَابَ، فَتَخَيَّرَ الرَّفِيقَ الْمُسْعِدَ (١٤) مِنْ

(١) لا تتأقل.

(٢) المطر الضعيف.

(٣) أقل شيء.

(٤) حاضرة.

(٥) جمع العزيمة، وهي: القصد إلى الشيء.

(٦) أترك غلظ المجاوز الحد أو غيظ اللجوج.

(٧) السهل.

(٨) حزن مكتوم.

(٩) الانتقال.

(١٠) مشايخها.

(١١) الغضاضة والنشاط.

(١٢) عقوبة.

(١٣) الخصلة الدنيئة.

(١٤) المساعد المعين.

قَبْلَ أَنْ تُصْعَدَ، فَإِنَّ الْجَارَ، قَبْلَ الدَّارِ، وَالرَّفِيقَ، قَبْلَ الطَّرِيقِ:
 خُذْهَا إِلَيْكَ وَصِيَّةً لَمْ يَوْصِهَا قَبْلِي أَحَدٌ
 غَرَاءَ ^(١) حَاوِيَةً خُلا صَاتِ الْمَعَانِي وَالزُّبْدِ
 نَقَّحْتُهَا تَنْقِيحَ مَنْ مَحَضَ ^(٢) النَّصِيحَةَ وَاجْتَهَدَ
 فَاَعْمَلْ بِمَا مَثَلْتُهُ عَمَلَ اللَّيْبِ أَخِي الرَّشْدِ
 حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ هَذَا الشُّبْلُ مِنْ ذَاكَ الْأَسَدِ

ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ قَدْ أُوصِيْتُ، وَاسْتَقْصِيْتُ، فَإِنْ اقْتَدَيْتَ فَوَاهَا لَكَ ^(٣)،
 وَإِنْ اعْتَدَيْتَ فَاهَا مِنْكَ! وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ، وَأَرْجُو أَنْ لَا تُخْلَفَ ظَنِّي
 فِيكَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: يَا أَبَتِ لَا وَضِعَ عَرْشُكَ، وَلَا رُفِعَ نَعْشُكَ ^(٤)، فَلَقَدْ
 قُلْتَ سَدَدًا ^(٥)، وَعَلَّمْتَ رَشْدًا، وَنَحَلْتَ مَا لَمْ يَنْحَلْ وَالِدٌ وَلَدًا، وَلَئِنْ
 أُمِهَلْتُ بَعْدَكَ، لَا ذُقْتُ فَقْدَكَ، فَلَا تَأْدِبَنَّ بَادِبِكَ الصَّالِحَةَ، وَلَا قَتْدَيْنَ بَأَثَارِكَ
 الْوَاضِحَةَ، حَتَّى يُقَالَ: مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ، وَالْغَادِيَةَ ^(٦) بِالرَّائِحَةِ،
 فَاهْتَزَّ ^(٧) أَبُو زَيْدٍ لَجَوَابِهِ وَابْتَسَمَ، وَقَالَ: مِنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ.

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَأُخْبِرْتُ أَنَّ بَنِي سَاسَانَ، حِينَ سَمِعُوا هَذَا
 الْوَصَايَا الْحَسَانَ، فَضَلُّوْهَا عَلَى وَصَايَا لُقْمَانَ، وَحَفَظُوهَا كَمَا تُحَفَظُ أُمُّ
 الْقُرْآنِ ^(٨)، حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَرَوْنَهَا إِلَى الْآنَ أَوْلَى مَا لَقْنُوهُ الصَّبِيَّانَ، وَأَنْفَعَ لَهُمْ
 مِنْ نَحْلَةِ الْعِقْيَانِ ^(٩).



(٣) ما أحسن فعلك!

(٢) أخلص.

(١) بيضاء.

(٦) سحابة الغداة.

(٥) صوابًا مستقيمًا.

(٤) ولا حملت جنازتك.

(٩) أي: عطية ذهب.

(٨) هي فاتحة الكتاب.

(٧) سرّ وفرح.

المَقَامَةُ الْخَمْسُونَ البَصْرِيَّةُ

حكى الحارثُ بنَ هَمَّامٍ قَالَ: أُشْعِرْتُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ هَمًّا بَرَّحَ (١) بِي
 اسْتِعَارُهُ، وَلاَحَ عَلَيَّ شِعَارُهُ، وَكُنْتُ سَمِعْتُ أَنَّ غَشِيَانًا مَجَالِسَ الذِّكْرِ،
 يَسْرُو (٢) غَوَاشِي (٣) الْفِكْرِ، فَلَمْ أَرِ لِإِطْفَاءِ مَا بِي مِنَ الْجَمْرَةِ، إِلَّا قَصْدَ
 الْجَامِعِ بِالْبَصْرَةِ، وَكَانَ إِذْ ذَاكَ مَأْهُولَ الْمَسَانِدِ (٤)، مَشْفُوهُ الْمَوَارِدِ،
 يُجْتَنَى مِنْ رِيَاضِهِ أَزَاهِيرُ الْكَلَامِ، وَيُسْمَعُ فِي أَرْجَائِهِ صَرِيرُ الْأَقْلَامِ (٥)،
 فَاَنْطَلَقْتُ إِلَيْهِ غَيْرَ وَأَنْ، وَلَا لَوْ عَلَى شَانٍ، فَلَمَّا وَطِئْتُ حَصَاهُ، وَاسْتَشْرَفْتُ
 أَقْصَاهُ (٦)، تَرَأَى لِي ذُو أَطْمَارٍ بَالِيَةٍ، فَوْقَ صَخْرَةٍ عَالِيَةٍ، وَقَدْ عَصَبَتْ بِهِ
 عُصْبٌ (٧) لَا يُحْصَى عَدِيدُهُمْ، وَلَا يُنَادَى وَكَيْدُهُمْ، فَاَبْتَدَرْتُ قَصْدَهُ،
 وَتَوَرَّدْتُ وَرَدَّهُ، وَرَجَوْتُ أَنْ أَجِدَ شِفَائِي عِنْدَهُ، وَلَمْ أَرْلُ أَتَنْقِلُ فِي الْمَرَكَزِ،
 وَأُغْضِي (٨) لِلْأَكْزِ وَالْوَاكِزِ، إِلَى أَنْ جَلَسْتُ تُجَاهَهُ، بِحَيْثُ أَمَنْتُ
 اشْتِبَاهَهُ (٩)، فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا السَّرُوجِيُّ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَلَا لَبْسَ يُخْفِيهِ،
 فَاَنْسَرَى بِمَرَأَهُ (١٠) هَمِّي، وَارْفَضْتُ (١١) كَتِيئَةَ غَمِّي، وَحِينَ رَأَيْتُ، وَبَصُرْتُ

(١) اشتدَّ وشتَّ.

(٢) يكشف.

(٣) جمع غاشية وهي: الغطاء.

(٤) معمورًا بالعلماء والفضلاء.

(٥) صوت أقلام النساخ.

(٦) أبصرت منتهاه.

(٧) جمع عصبة، وهي: الجماعة.

(٨) أتحمَّل وأتغافل.

(٩) تحققت من شخصه.

(١٠) أي: بمنظره.

(١١) تفرقت.

بِمَكَانِي، قَالَ: يَا أَهْلَ الْبَصْرَةِ رِعَاكُمُ اللَّهُ وَوَقَّاكُم، وَقَوَّى تُقَاكُم، فَمَا أَضْوَعَ رِيََاكُم، وَأَفْضَلَ مَزَايَاكُم! بَلَدُكُمْ أَوْفَى الْبِلَادِ طُهْرَةً، وَأَزْكَاهَا فِطْرَةً^(١)، وَأَفْسَحُهُ رُقْعَةً، وَأَمْرَعُهَا^(٢) نُجْعَةً، وَأَقْوَمُهَا قِبْلَةً، وَأَوْسَعُهَا دِجْلَةً، وَأَكْثَرُهَا نَهْرًا وَنَخْلَةً، وَأَحْسَنُهَا تَفْصِيلًا وَجُمْلَةً، دَهْلِيزُ الْبَلَدِ الْحَرَامِ، وَقِبَالَةُ الْبَابِ وَالْمَقَامِ، وَأَحَدُ جَنَاحِي الدُّنْيَا^(٣)، وَالْمِصْرُ الْمَوْسَسُ عَلَى التَّقْوَى، لَمْ يَتَدَنَّسْ بَبُيُوتِ النَّيْرَانِ، وَلَا طَيْفَ فِيهِ بِالْأَوْثَانِ، وَلَا سُجْدَ عَلَى أَدِيمِهِ^(٤) لَغَيْرِ الرَّحْمَنِ، ذُو الْمَشَاهِدِ الْمَشْهُودَةِ، وَالْمَسَاجِدِ^(٥) الْمَقْصُودَةِ، وَالْمَعَالِمِ^(٦) الْمَشْهُورَةِ، وَالْمَقَابِرِ الْمَزُورَةِ، وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ، وَالْخُطَطِ الْمَحْدُودَةِ، بِهِ تَلْتَقِي الْفُلُكُ وَالرَّكَّابُ، وَالْحَيْتَانُ وَالضَّبَّابُ، وَالْحَادِي وَالْمَلَّاحُ، وَالْقَانِصُ وَالْفَلَّاحُ، وَالنَّاشِبُ^(٧) وَالرَّامِحُ، وَالسَّارِحُ وَالسَّابِحُ، وَلَهُ آيَةُ الْمَدِّ الْفَائِضِ، وَالْجَزْرِ الْغَائِضِ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَمِمَّنْ لَا يَخْتَلِفُ فِي خَصَائِصِهِمْ^(٨) اثْنَانِ، وَلَا يُنْكِرُهَا ذُو شَنَانٍ^(٩)، دَهْمَاؤُكُمْ^(١٠) أَطْوَعُ رَعِيَّةٍ لِسُلْطَانٍ، وَأَشْكَرُهُمْ لِإِحْسَانٍ، وَزَاهِدُكُمْ أَوْرَعُ الْخَلِيقَةِ، وَأَحْسَنُهُمْ طَرِيقَةً عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَعَالِمُكُمْ عَلَامَةٌ كُلِّ زَمَانٍ، وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فِي كُلِّ أَوَانٍ، وَمِنْكُمْ مَنْ اسْتَنْبَطَ عِلْمَ النَّحْوِ وَوَضَعَهُ، وَالَّذِي ابْتَدَعَ مِيزَانَ الشُّعْرِ وَاخْتَرَعَهُ^(١١)، وَمَا مِنْ فَخْرٍ إِلَّا وَلَكُمْ فِيهِ الْيَدُ الطَّوْلَى، وَالْقِدْحُ الْمُعَلَّى، وَلَا صَيْتَ إِلَّا وَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ وَأَوْلَى، ثُمَّ إِنَّكُمْ أَكْثَرُ أَهْلِ مِصْرٍ مُؤَدِّينَ، وَأَحْسَنُهُمْ فِي النَّسِكِ قَوَّانِينَ،

(١) أي: أعظمها خلقة.

(٢) أحصبها.

(٣) الدنيا مثل الطائر وجناحها البصرة والكوفة.

(٤) ظاهر الأرض.

(٥) مساجدها أكثر من أن تحصى عدداً.

(٦) مواضع العلوم.

(٧) صاحب الشاب.

(٨) فضائلهم.

(٩) صاحب عداوة.

(١٠) جماعتكم.

(١١) الخليل بن أحمد الفراهيدي.

وبكم اقتدي في التعريف، وعرف السحير في الشهر الشريف^(١)، ولكم إذا قرت المضاجع، وهجع الهاجع، تذكر^(٢) يوقظ النائم، ويونس القائم، وما ابتسم ثغر فجر^(٣)، ولا بزغ نوره في برد ولا حر، إلا ولتأذينكم بالأسحار، دوي كدوي الريح في البحار، وبهذا صدع^(٤) عنكم النقل^(٥)، وأخبر النبي، عليه السلام، من قبل، وبين أن دويكم بالأسحار، كدوي النحل في القفار، فشرفا لكم بشارة المصطفى، وواها لمصركم^(٦) وإن كان قد عفا، ولم يبق منه إلا شفا، ثم إنه خزن لسانه، وخطم بيانه، حتى حُدج بالأبصار، وقرف^(٧) بالإقصار، ووسم بالاستقصار، فتنفس تنفس من قيد لقود، أو ضببت^(٨) به برائن أسد.

ثم قال: أما أنتم يا أهل البصرة فما منكم إلا العلم المعروف، ومن له المعرفة والمعروف، وأما أنا فمن عرفني فأنا ذاك، وشر المعارف^(٩) من آذاك، ومن لم يثبت عرفتي فساؤدقه صفتي، أنا الذي أنجد وأنهم، وأمين وأشام، وأصحر وأبحر، وأدلج^(١٠) وأسحر، نشأت بسروج^(١١)، وربيت على السروج، ثم ولجت المضايق^(١٢)، وفتحت المغالق، وشهدت المعارك، وألنت العرائك^(١٣)، واقتدت الشوامس، وأرغمت المعاطس، وأذبت الجوامد^(١٤)، وأمعت الجلامد، سلوا عني المشارق والمغارب،

-
- (١) الإيقاظ للسحور. (٢) ذكر الله سبحانه. (٣) كناية عن ضوء الفجر.
 (٤) كشف وأوضح. (٥) الخبر المنقول. (٦) لبلدكم.
 (٧) عيب واتهم. (٨) نشبت فيه وعلقت به. (٩) الأصحاب والإخوان.
 (١٠) سار في جوف الليل. (١١) ولدت بها.
 (١٢) دخلت مضائق الحروب. (١٣) سهلت الطباع الصعبة.
 (١٤) كناية عن كونه يجعل البخيل يجود بسبب خدعه له.

وَالْمَنَاسِمَ وَالْغَوَارِبَ، وَالْمَحَافِلَ وَالْجَحَافِلَ ^(١)، وَالْقَبَائِلَ وَالْقَنَابِلَ،
وَأَسْتَوْضِحُونِي مِنْ نَقْلَةِ الْأَخْبَارِ، وَرُوَاةِ الْأَسْمَارِ، وَحُدَاةِ ^(٢) الرُّكْبَانِ،
وَحُدَاقِ الْكُهَّانِ، لَتَعْلَمُوا كَمْ فَجٍّ سَلَكَتُ، وَحِجَابٍ هَتَكْتُ، وَمَهْلَكَةٍ
اِقْتَحَمْتُ ^(٣)، وَمَلْحَمَةٍ أَلْحَمْتُ، وَكَمْ أَلْبَابٍ ^(٤) خَدَعْتُ، وَبِدْعٍ ابْتَدَعْتُ،
وَفُرْصٍ اخْتَلَسْتُ ^(٥)، وَأُسْدٍ افْتَرَسْتُ، وَكَمْ مُحَلَّقٍ غَادَرْتُهُ لَقَى، وَكَامِنٍ
اسْتَخْرَجْتُهُ بِالرُّقَى ^(٦)، وَحَجَرٍ شَحَذْتُهُ حَتَّى انْصَدَعَ، وَاسْتَنْبَطْتُ زُلَالَهُ ^(٧)
بِالْخُدْعِ، وَلَكِنْ فَرَطَ مَا فَرَطَ وَالْغُصْنُ رَطِيبٌ، وَالْفُودُ ^(٨) غَرِيبٌ، وَبُرْدُ
الشَّبَابِ قَشِيبٌ، فَأَمَّا الْآنَ وَقَدْ اسْتَشَنَّ الْأَدِيمُ، وَتَأَوَّدَ ^(٩) الْقَوِيمُ، وَاسْتَنَارَ
الْلَّيْلُ الْبَهِيمُ، فَلَيْسَ إِلَّا النَّدَمُ إِنْ نَفَعَ، وَتَرْقِيعُ الْخَرَقِ الَّذِي قَدْ اتَّسَعَ ^(١٠)،
وَكُنْتُ رُوِيْتُ مِنَ الْأَخْبَارِ الْمُسْنَدَةِ، وَالْآثَارِ الْمُعْتَمَدَةِ، أَنَّ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ
تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ نَظْرَةً، وَأَنَّ سِلَاحَ النَّاسِ كُلِّهِمُ الْحَدِيدُ، وَسِلَاحُكُمْ
الْأُدْعِيَةُ وَالَّتَوْحِيدُ، فَقَصِدْتُكُمْ أَنْضِي الرَّوَاحِلَ ^(١١)، وَأَطْوِي الْمَرَاحِلَ،
حَتَّى قُمْتُ هَذَا الْمَقَامَ لَدَيْكُمْ، وَلَا مَنْ لِي عَلَيْكُمْ، إِذْ مَا سَعَيْتُ إِلَّا فِي
حَاجَتِي، وَلَا تَعِبْتُ إِلَّا لِرَاحَتِي، وَلَسْتُ أَبْغِي أُعْطِيَتَكُمْ، بَلِ اسْتَدْعَيْتُكُمْ
أَدْعِيَتَكُمْ ^(١٢)، وَلَا أَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ، بَلِ اسْتَنْزَلْتُ سُؤْلَكُمْ، فَادْعُوا إِلَى اللَّهِ
بِتَوْفِيقِي لِلْمَتَابِ، وَالْإِعْدَادِ لِلْمَابِ ^(١٣)، فَإِنَّهُ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ، مُجِيبُ

(٢) جمع حادي، وهو: سائق الإبل المحملة.

(٤) أي: عقول.

(٦) جمع رقية، وهي: العزيمة.

(٨) شعر جانب الرأس.

(٩) اعوج المعتدل، والمراد: انحنى ظهره من الكبر.

(١١) أهزل الإبل من سرعة السير.

(١٣) أي: للرجوع.

(١) الجيوش والسرّايا.

(٣) دخلتها من غير روية.

(٥) أخذت بسرعة، كاختطففت.

(٧) ماء العذب، والمراد: خالص ماله.

(١٠) تدارك ما فاتته بالتوبة.

(١٢) أن تدعوا لي بخير.

الدَّعَوَاتِ، وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، ثُمَّ أَنْشَدَ:

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذُنُوبٍ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذُنُوبٍ
كَمْ خُضْتُ بِحَرِّ الضَّلَالِ جَهْلًا كَمْ خُضْتُ بِحَرِّ الضَّلَالِ جَهْلًا
وَكَمْ أَطَعْتُ الْهَوَى اغْتِرَارًا^(٢) وَكَمْ أَطَعْتُ الْهَوَى اغْتِرَارًا^(٢)
وَكَمْ خَلَعْتُ الْعِذَارَ رُكْضًا^(٣) وَكَمْ خَلَعْتُ الْعِذَارَ رُكْضًا^(٣)
وَكَمْ تَنَاهَيْتُ^(٤) فِي التَّخْطِي وَكَمْ تَنَاهَيْتُ^(٤) فِي التَّخْطِي
فَلَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ هَذَا فَلَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَ هَذَا
فَالْمَوْتُ لِلْمُجْرِمِينَ خَيْرٌ فَالْمَوْتُ لِلْمُجْرِمِينَ خَيْرٌ
يَا رَبِّ عَفِّوْا فَأَنْتَ أَهْلٌ يَا رَبِّ عَفِّوْا فَأَنْتَ أَهْلٌ

قَالَ الرَّأوِي: فَطَفِقَتِ الْجَمَاعَةُ تُمِدُّهُ بِالدُّعَاءِ، وَهُوَ يُقَلِّبُ وَجْهَهُ فِي السَّمَاءِ، إِلَى أَنْ دَمَعَتْ أَجْفَانُهُ، وَبَدَأَ رَجْفَانُهُ^(٧)، فَصَاحَ: اللَّهُ أَكْبَرُ بَانَتْ أَمَارَةُ الاستِجَابَةِ، وَأَنْجَابَتْ^(٨) غِشَاوَةُ الاستِرَابَةِ، فَجُزِئْتُمْ يَا أَهْلَ البُصِيرَةِ، جَزَاءً مِنْ هَدَى مِنَ الْحَيَرَةِ، فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْقَوْمِ إِلَّا مِنْ سُرٍّ لِسُرُورِهِ، وَرَضَخَ لَهُ بِمِيسُورِهِ^(٩)، فَقَبِلَ عَفْوَ بَرِّهِمْ، وَأَقْبَلَ يُغْرِقُ فِي شُكْرِهِمْ، ثُمَّ أَنْحَدَرَ مِنَ الصَّخْرَةِ، يَوْمَ شَاطِئِ البَصْرَةِ، وَاعْتَقَبْتُهُ^(١٠) إِلَى حَيْثُ تَخَالَيْنَا، وَأَمِنَّا التَّجَسُّسَ وَالتَّحَسُّسَ عَلَيْنَا، فَقُلْتُ لَهُ: لَقَدْ أَغْرَبْتَ فِي هَذِهِ النُّوبَةِ، فَمَا

(١) ظلمت نفسي.

(٢) غفلة عن الصواب.

(٣) ساعيا مُجَدًّا.

(٤) بلغت النهاية.

(٥) لم أفعل الذي فعلته.

(٦) جمع مسعاة، وهي: السَّعْيُ.

(٧) ظهر اضطرابه وارتعاده وخوفه.

(٨) زالت وانكشفت.

(٩) بحسب ما تيسر له.

(١٠) تَبَعْتُهُ ومشييت خلفه.

رَأَيْكَ فِي التَّوْبَةِ؟ فَقَالَ: أُقْسِمُ بَعَلَامِ الْخَفِيَّاتِ ^(١)، وَغَفَّارِ الْخَطِيَّاتِ، إِنَّ شَأْنِي لَعُجَابٌ، وَإِنْ دُعَاءُ قَوْمِكَ لِمُجَابٍ، فَقُلْتُ: زِدْنِي إِفْصَاحًا زَادَكَ اللَّهُ صِلَاحًا! فَقَالَ: وَأَبْيَكَ لَقَدْ قُمْتُ فِيهِمْ مَقَامَ الْمُرِيبِ ^(٢) الْخَادِعِ ^(٣)، ثُمَّ انْقَلَبْتُ مِنْهُمْ بِقَلْبِ الْمُنِيبِ الْخَاشِعِ ^(٤)! فَطَوَّبَنِي لِمَنْ صَغَتْ ^(٥) قُلُوبُهُمْ إِلَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ بَاتُوا يَدْعُونَ عَلَيْهِ! ثُمَّ وَدَّعَنِي وَأَنْطَلَقَ، وَأَوْدَعَنِي ^(٦) الْقَلْقَ، فَلَمْ أَزَلْ أَعَانِي لِأَجْلِهِ الْفِكْرَ، وَأَتَشَوَّفُ ^(٧) إِلَى خَبْرَةِ مَا ذَكَرَ، وَكُلَّمَا اسْتَشَيْتُ خَبْرَهُ مِنَ الرُّكْبَانِ، وَجَوَابَةِ الْبُلْدَانِ، كُنْتُ كَمَنْ حَاوَرَ ^(٨) عَجَمَاءَ ^(٩)، أَوْ نَادَى صَخْرَةً صَمَاءً، إِلَى أَنْ لَقِيتُ بَعْدَ تَرَاخِي الْأَمَدِ، وَتَرَاخِي الْكَمَدِ، رُكْبًا قَافِلِينَ مِنْ سَفَرٍ، فَقُلْتُ: هَلْ مِنْ مُغْرَبَةٍ خَبِرَ؟ فَقَالُوا: إِنَّ عِنْدَنَا لَخَبْرًا أَغْرَبَ مِنَ الْعَنْقَاءِ، وَأَعْجَبَ مِنْ نَظَرِ الزَّرْقَاءِ، فَسَأَلْتُهُمْ إِيضَاحَ مَا قَالُوا، وَأَنْ يَكِيلُوا بِمَا اكْتَالُوا ^(١٠)، فَحَكَّوْا أَنَّهُمْ أَلُّوا ^(١١) بِسَرُوجٍ، بَعْدَ أَنْ فَارَقَهَا الْعُلُوجُ ^(١٢)، فَرَأَوْا أَبَا زَيْدَهَا الْمَعْرُوفَ، قَدْ لَبِسَ الصَّوْفَ، وَأَمَّ الصَّوْفَ، وَصَارَ بِهَا الزَّاهِدُ الْمُصَوِّفَ، فَقُلْتُ: أَتَعْنُونَ ذَا الْمَقَامَاتِ؟ فَقَالُوا: إِنَّهُ الْآنَ ذُو الْكَرَامَاتِ! فَحَفَزَنِي إِلَيْهِ التَّرَاعُ ^(١٣)، وَرَأَيْتُهَا فُرْصَةً لَا تُضَاعُ، فَارْتَحَلْتُ رِحْلَةَ الْمُعِدِّ ^(١٤)، وَسِرْتُ نَحْوَهُ سِيرَ الْمُجِدِّ، حَتَّى

(١) هو الله المطلع على الأسرار عز وجل.

(٢) الشاك.

(٣) الماكر.

(٤) التائب إلى الله الخاضع.

(٥) مالت.

(٦) ترك عندي أو أورثني أو ضمنني.

(٧) أنطلق.

(٨) خاطب وكلم.

(٩) بهيمة.

(١٠) يخبروا كما سمعوا ورأوا.

(١١) نزلوا.

(١٢) كبار الروم.

(١٤) المستعد كامل العدة.

(١٣) الشوق.

حَلَلْتُ بِمَسْجِدِهِ، وَقَرَارَةَ مَتَعِبَدِهِ (١)، فَإِذَا هُوَ قَدْ نَبَذَ صُحْبَةَ أَصْحَابِهِ،
وَأَنْتَصَبَ فِي مِحْرَابِهِ، وَهُوَ ذُو عِبَادَةٍ مَخْلُولَةٍ (٢)، وَشَمْلَةٍ مُوصُولَةٍ، فَهَبَّتْهُ
مَهَابَةٌ مِنْ وَلَجٍ عَلَى الْأَسْوَدِ، وَأَلْفَيْتُهُ مِمَّنْ سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ
السُّجُودِ، وَلَكَمَا فَرَعَ مِنْ سُبْحَتِهِ (٣)، حَيَّانِي بِمُسَبِّحَتِهِ (٤)، مِنْ غَيْرِ أَنْ نَغَمَ
بِحَدِيثٍ، وَلَا اسْتَخْبَرَ عَنْ قَدِيمٍ وَلَا حَدِيثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَوْرَادِهِ، وَتَرَكَنِي
أَعْجَبُ مِنْ اجْتِهَادِهِ، وَأَغْبَطُ مَنْ يَهْدِي اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ، وَلَمْ يَزَلْ فِي قُنُوتٍ
وَخُشُوعٍ، وَسُجُودٍ وَرُكُوعٍ، وَإِخْبَاتٍ (٥) وَخُضُوعٍ، إِلَى أَنْ أَكْمَلَ إِقَامَةَ
الْخُمْسِ، وَصَارَ الْيَوْمُ أَمْسٍ، فَحِينَئِذٍ أَنْكَفَأَ بِي (٦) إِلَى بَيْتِهِ، وَأَسْهَمَنِي فِي
قُرْصِهِ وَزَيْتِهِ، ثُمَّ نَهَضَ إِلَى مُصَلَّاهُ، وَتَخَلَّى بِمُنَاجَاةٍ مَوْلَاهُ، حَتَّى إِذَا التَّمَعَ
الْفَجْرَ، وَحَقَّ لِلْمُتَهَجِّدِ الْأَجْرُ، عَقَبَ تَهَجُّدَهُ بِالتَّسْبِيحِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ ضِجْجَةً
الْمُسْتَرِيحِ، وَجَعَلَ يَرْجِعُ بِصَوْتٍ فَصِيحٍ:

وَالْمَعْهَدُ الْمُرْتَبِعُ	خَلُّ أَدْكَارِ الْأَرْبُعِ
وَعَدُّ عَنْهُ وَدَعُ (٧)	وَالظَّاعِنِ الْمَوْدَعِ
سَوَدَتْ فِيهِ الصُّحُفَا (٨)	وَأَنْدَبُ زَمَانًا سَلَفَا
عَلَى الْقَبِيحِ الشَّنْعِ (٩)	وَلَمْ تَزَلْ مُعْتَكِفَا
مَائِمًا (١٠) أَبْدَعَتْهَا (١١)	كَمْ لَيْلَةٍ أَوْدَعَتْهَا

(٣) أي: ورده.

(٢) مشكوكة بالخلال.

(١) موضع عبادته.

(٥) تذلل.

(٤) السبابة.

(٧) تنحَّ عن تذكُّار ذلك واتركه.

(٦) انقلب بي.

(٨) فعلت به من الخطايا والمآثم ما يسود صحيفتك.

(٩) الزائد في القُبْح الذي يُتَحَدَّثُ بِقُبْحِهِ.

(١١) ما سبقك بها من أحد.

(١٠) ضممتها ذنوبًا.

فِي مَرْقَدٍ وَمَضْجَعٍ
 فِي خَزِيَةِ أَحَدْتَهَا
 لَمَلْعَبٍ وَمَرْتَعٍ
 رَبِّ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى
 صَدَقْتَ فِي مَا تَدْعِي
 وَكَمْ أَمَنْتَ مَكْرَهُ
 نَبْذَ الْخِذَا الْمَرْقَعِ (٤)
 وَفُهِتَ عَمْدًا بِالْكَذْبِ
 مِنْ عَهْدِهِ الْمَتَّبِعِ (٥)
 وَاسْكُبْ شَايِبَ الدَّمِ
 وَقَبْلَ سُوءِ الْمَصْرَعِ
 وَلِذُ (٦) مَلَاذِ الْمُقْتَرِفِ (٧)
 عَنْهُ أَنْحِرَافَ الْمُفْلِعِ (٨)
 وَمُعْظَمَ الْعُمَرِ فَنِي
 وَلَسْتُ بِالْمُرْتَدِعِ
 وَخَطَّ (١١) فِي الرَّأْسِ خِطَطُ

لَشَهْوَةٍ أَطْعَمَتْهَا
 وَكَمْ خُطِي حَثَثَتْهَا (١)
 وَتَوَيَّةً نَكْثَتْهَا (٢)
 وَكَمْ تَجَرَّأَتْ عَلَى
 وَلَمْ تُرَاقِبْهُ وَلَا
 وَكَمْ غَمَصْتَ بِرَهُ (٣)
 وَكَمْ نَبَذْتَ أَمْرَهُ
 وَكَمْ رَكَضْتَ فِي اللَّعِبِ
 وَلَمْ تُرَاعَ مَا يَجِبُ
 فَالْبَسْ شَعَارَ النَّدَمِ
 قَبْلَ زَوَالِ الْقَدَمِ
 وَأَخْضَعَ خُضُوعَ الْمُعْتَرِفِ
 وَأَغْصِ هَوَاكَ وَأَنْحَرِفِ
 إِلَامَ تَسْنُهُو وَتَنِي
 فِي مَا يَضُرُّ الْمُقْتَنِي (٩)
 أَمَا تَرَى الشَّيْبَ (١٠) وَخَطُ

(٢) نقضتها.

(٤) كنبذ النعال المرقعة.

(٦) والجأ.

(٩) المكتسب.

(١١) كتب وعلم.

(١) استعجلت بها وجهدت نفسك فيها.

(٣) حقرت وتنقصت إحسانه.

(٥) من ميثاق مولاك الذي يجب عليك اتباعه.

(٧) كما يلوذ ويلجأ مقترف الذنوب المكتسب لها.

(٨) الذي يقلع عما هو متلبس به مما يستقبح.

(١٠) خالط أو فشا.

وَمَنْ يُلْحُ وَخُطُّ الشَّمْطِ
وَيُحَكِّ يَا نَفْسِ احْرِصِي
وَطَاوَعِي وَأَخْلَصِي
وَأَعْتَبِرِي بِمَنْ مَضَى
وَأَخْشِي مُفَاجَاةَ الْقَضَا (١)
وَأَنْتَهَجِي سُبُلَ الْهُدَى (٢)
وَأَنْ مَثْنَوَاكَ غَدَا
أَهَالَهُ بَيْتُ الْبَلَى
وَمُورِدِ السَّفَرِ الْأَلَى
بَيْتٌ يُرَى مَنْ أُوْدَعَهُ (٥)
بَعْدَ الْفَضَاءِ وَالسَّعَةِ
لَا فَرْقَ أَنْ يَحُلَّهُ
أَوْ مُعْسِرٌ أَوْ مَنْ لَهُ
وَبَعْدَهُ الْعَرَضُ الَّذِي
وَالْمُبْتَدِي وَالْمُحْتَذِي
فَيَا مَفَازَ الْمَتَّقِي
سَوْءَ الْحِسَابِ الْمُؤَبَّقِي (١٠)

بَفَوْدِهِ فَقَدْ نُمِي
عَلَى ارْتِيَادِ الْمَخْلَصِ
وَأَسْتَمِعِي النَّصْحَ وَعِي
مِنَ الْقُرُونِ وَأُنْقَضِي
وَحَازِرِي أَنْ تُخْدَعِي
وَأَذْكُرِي وَشَكَّ الرَّدَى (٣)
فِي قَعْرِ لَحْدٍ بَلْقَعِ (٤)
وَالْمَنْزِلِ الْقَفْرِ الْخُلَا
وَاللَّاحِقِ الْمُتَّبِعِ
قَدْ ضَمَّهُ وَأَسْتُوْدَعَهُ
قَيِّدَ ثَلَاثِ أَذْرُعِ (٦)
دَاهِيَةً (٧) أَوْ أَبْلَاهُ (٨)
مُلْكٌ كَمُلْكِ تَبَعِ
يُخْوِي الْحَيَّ وَالْبَذِي (٩)
وَمَنْ رَعَى وَمَنْ رُعِي
وَرَبِحَ عِبْدٌ قَدْ وَقِي
وَهَوَّلَ يَوْمِ الْفَزَعِ

(١) هجوم الموت .

(٣) سرعة الهلاك .

(٥) من ترك فيه .

(٧) بليغ في الدَّهَاءِ مجرَّبٌ للأمور حاذق . (٨) مغفل زائد الغفلة .

(٩) ذا الوقاحة المتكلم بفحش الكلام . (١٠) الموقع في الهلاك .

(٢) اسلكي وسيري في طريق الهدى والرشاد .

(٤) خال .

(٦) مكان قدر ثلاث أذرع .

وَيَا خَسَارَ مَنْ بَغَى وَمَنْ تَعَدَّى وَطَغَى (١)
 وَشَبَّ نِيرَانَ الْوَغَى (٢) لَطَعَمٍ أَوْ مَطْمَعٍ
 يَا مَنْ عَلَيْهِ الْمُتَكَلُّ قَدْ زَادَ مَا بِي مِنْ وَجَلٍ
 لَمَّا اجْتَرَحْتُ مِنْ زَلَلٍ (٣) فِي عُمْرِي الْمَضِيعِ
 فَاغْفِرْ لِعَبْدٍ مُجْتَرِمٍ وَأَرْحَمْ بُكَاءَ الْمُنْسَجِمِ (٤)
 فَأَنْتَ أَوْلَى مِنْ رَحِمٍ وَخَيْرُ مَدْعُو دُعَى

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَلَمْ يَزَلْ يَرُدُّهَا بِصَوْتٍ رَقِيقٍ، وَيُصَلِّهَا بِزَفِيرٍ (٥) وَشَهِيْقٍ، حَتَّى بَكَيتُ لِبُكَاءِ عَيْنَيْهِ، كَمَا كُنْتُ مِنْ قَبْلُ أَبْكِي عَلَيْهِ، ثُمَّ بَرَزَ إِلَى مَسْجِدِهِ، بِوُضُوءٍ تَهَجَّدَهُ (٦)، فَاِنْطَلَقْتُ رِدْفَهُ، وَصَلَّيْتُ مَعَ مَنْ صَلَّى خَلْفَهُ، وَلَمَّا انْفَضَّ مَنْ حَضَرَ، وَتَفَرَّقُوا شَغَرَ بَغْرًا، أَخَذَ يَهْنِمُ بِدِرْسِهِ (٧)، وَيَسْبِكُ يَوْمَهُ فِي قَالِبِ أَمْسِهِ، وَفِي ضِمْنِ ذَلِكَ يُرْنُ (٨) إِرْنَانَ الرَّقُوبِ، وَيَبْكِي وَلَا بُكَاءَ يَعْقُوبَ، حَتَّى اسْتَبْنَتْ أَنَّهُ التَّحَقَّ بِالْأَفْرَادِ، وَأُشْرِبَ قَلْبُهُ هَوَى الْإِنْفِرَادِ، فَأَخْطَرْتُ بِقَلْبِي عَزْمَةَ الْإِرْتِحَالِ، وَتَخْلِيَّتَهُ وَالتَّخْلِيَّ بِتِلْكَ الْحَالِ، فَكَأَنَّهُ تَفَرَّسَ مَا نَوَيْتُ، أَوْ كُوشِفَ (٩) بِمَا أَخْفَيْتُ، فَزَفَرَ (١٠) زَفِيرَ الْأَوَاهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، فَاسْجَلْتُ عِنْدَ ذَلِكَ بِصِدْقِ الْمُحَدِّثِينَ (١١)، وَأَيَقَنْتُ أَنَّ فِي الْأُمَّةِ مُحَدِّثِينَ، ثُمَّ دَنَوْتُ إِلَيْهِ كَمَا يَدْنُو

(١) تجاوز الحد في بغيه.

(٢) الحرب.

(٣) جمع زلة، بمعنى: الخطأ.

(٤) أي: المنسكب.

(٥) بتنفس محرور.

(٦) بوضوئه الذي صلى به نافلة الليل.

(٧) جعل يقرأ أوراده بصوت منخفض.

(٨) الإرنان كالرنين: صوت فيه غنة.

(٩) تنفس بحرقة.

(١٠) اطلع.

(١١) الذين حدّثوا بتوبة السّروجي وأنه أناب إلى مولاه.

المُصَافِحُ، وَقُلْتُ: أَوْصِنِي أَيُّهَا الْعَبْدُ النَّاصِحُ، فَقَالَ: اجْعَلِ الْمَوْتَ نُصْبَ عَيْنِكَ، وَهَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ، فَودَّعْتُهُ وَعَبَّرَاتِي (١) يَتَحَدَّرْنَ مِنَ الْمَاقِي (٢)، وَزَفَرَاتِي يَتَصَعَّدْنَ مِنَ التَّرَاقِي، وَكَانَتْ هَذِهِ خَاتِمَةَ التَّلَاقِي.



(١) دموع عيني.

(٢) ينزلن من أطراف أجفاني متراسلة.

خاتمة

قال الشيخ الرئيس أبو محمد القاسم بن علي - برد الله مضجعه -:

هَذَا آخِرُ الْمَقَامَاتِ الَّتِي أَنْشَأْتُهَا بِالْإِغْتِرَارِ، وَأَمْلَيْتُهَا بِلِسَانِ الْإِضْطِرَارِ، وَقَدْ أَجِئْتُ^(١) إِلَى أَنْ أَرْصِدْتُهَا^(٢) لِلإِسْتِعْرَاضِ، وَنَادَيْتُ عَلَيْهَا فِي سَوْقِ الْإِعْتِرَاضِ، هَذَا مَعَ مَعْرِفَتِي بِأَنَّهَا مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ، وَمِمَّا يَسْتَوْجِبُ أَنْ يُبَاعَ وَلَا يُبْتَاعَ، وَلَوْ غَشِيَنِي^(٣) نُورُ التَّوْفِيقِ، وَنَظَرْتُ لِنَفْسِي نَظَرَ الشَّفِيقِ، لَسَتَرْتُ عَوَارِي الَّذِي لَمْ يَزَلْ مَسْتُورًا، وَلَكِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا، وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى مِمَّا أَوْدَعْتُهَا مِنْ أَبَاطِيلِ^(٤) اللَّغْوِ، وَأَضَالِيلِ اللَّهْوِ^(٥)، وَأَسْتَرْشِدُهُ إِلَى مَا يَعْصِمُ مِنَ السَّهْوِ^(٦)، وَيُحْظِي بِالْعَفْوِ، إِنَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ، وَوَلِيُّ الْخَيْرَاتِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.



(١) ألزمت.

(٢) عرضتها وأعدتها.

(٣) أدركني وسترني.

(٤) الكلام الساقط عديم الفائدة.

(٥) جمع أضلولة، وهو: ما يضل به من ارتكبه.

(٦) يمنع ويحفظ من الخطأ.

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث والآثار
- فهرس الأماكن والقبائل
- فهرس الأمثال
- فهرس الشعر
- فهرس الموضوعات

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
٢٨٠	١٦٥	سورة البقرة ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾
١٥٩	٣٧٦	سورة آل عمران ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾
١٨٧	٢٨٦	﴿فَنَبِّذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾
٢٥	٣١٦	سورة الأنعام ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥)﴾
١٠٧	١٢	سورة الأنبياء ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧)﴾
١١	١٣٤	سورة الكهف ﴿فَضْرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكُهْفِ﴾
١٨	١٣٤	سورة الأحزاب ﴿وَالْقَاتِلِينَ إِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾
٢٠	١٦٧	سورة المزمل ﴿عَلِمَ أَنَّ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى﴾
٧	١٦٨	سورة الحاقة ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية
		سورة المعارج
٢٤،	٢١٠	﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ^(٢٤) لِلسَّائِلِ
٢٥		وَالْمَحْرُومِ ^(٢٥) ﴾
		سورة الحجرات
١٢	٢٢	﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾
		﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ
١٣	٢١١	شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾
		سورة الفتح
١٢	٢٥٨	﴿ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ^(١٢) ﴾
		سورة الأنفال
٣٥	٢٥٩	﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾
		سورة الإسراء
٤٥	٢٨٧	﴿ حِجَابًا مَّسْتُورًا ^(٤٥) ﴾
		سورة مريم
٦١	٢٨٧	﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ^(٦١) ﴾
		سورة الزخرف
٣٦	٣٢٣	﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ ﴾
		سورة الحاقة
٢١	٣٢٦	﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ^(٢١) ﴾

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الطارق		
﴿ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ ﴾	٦	٣٢٦
﴿ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ ﴾	٦	٢٨٧

فهرس أطراف الأحاديث

الصفحة	راوي الحديث	طرف الحديث
١٣٥	ابن مسعود	إذا ذكر الصالحون فحي هلا بعمر
٢٥٨	-	في الرقة ربع العشر
٢٥٨	-	كل الصيد في جوف

فهرس الأماكن والقبائل

الصفحة	المكان
١٦	صنعاء اليمن
٢٠	آل ساسان
٢٠	غسان
٣١	دمياط
٣٨	الكوفة
٤٢	بنو عبس
٧١ ، ٦٥	الإسكندرية
٩١	بغداد
١٢١	بنو نمير
١٢١	مدينة السلام
١٤٥	بنو الفرات
١٥٩	الرياض
٢٠٨	المنصور
٢٠٨	مصر
٢٢١	طيبة
٢٨٨	الكوفة
٢٨٨	اليمن
٣٦٨	البصرة

فهرس الأمثال

الصفحة	المثال
٢٢	عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان
٤٠	الذي سار سائره خير العشاء سوافره
١٩٢	أفلت وله حصاص
١٩٢	ويل أهون من ويلين
١٩٢	أنا تثق وأنت متق فكيف نتفق
٢٨٦	لقيت منها عرف القربة
٣٢٣	وأنا أصرد من عين الحرياء والعنز الجرباء
٣٢٥	ليس بعشك فادر جي
٣٢٥	الإيناس قبل الإيساس
٣٥١	أنف في السماء واست في الماء
٣٥١	يشكو إلى غير مصمت
٣٥١	هان على الأملس ما لاقى الدبر
٣٦٦	الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق

فهرس الشعر

رقم الصفحة	بيت الشعر
٣٢٤	ما بالها ... قبح الرقباء
٣٢٤	ما ذاك ... رقيبها الحرباء
١٧٩	فلا خلا ذا ... ظل خصه
١٧٩	فإنه برّ بمن ... ضوء شهيه
١٧٩	زان مزايّا ... خوف ربه
١٧٩	سجح يهش ... بحقه يرتاب
١٧٩	لا باخل بل ... لا يليه باب
١٧٩	إن عض أزل ... فأنحت منه ناب
١٧٨	فلذا يحب يستحق ... فلبابه خلاب
١٧٨	أخلاقه غر ... ناضلته غلاب
١٤٢	فجد في مراضي ... أجره وثوابه
١٤٢	وبادريه صرف ... يغول ونابه
١٤٢	ولا تأمن الدهر ... عليه ونابه
١٤٢	وعاص هوى ... من عقابه
١٤٢	وحافظ على ... يتقى من عقابه
١٤٢	ولا تله عن ... حال مصابه
١٤٢	ومثل لعينيك ... ومطعم صابه

١٤٢	وإن قصارى ... عن قبابه
١٤٢	فواهاً لعبد ... إغلاق بابيه
١٣٧	وصارم البيض ... المجاب المجيب
١٣٧	وآض كالمنكوس ... دواهي المشيب
١٣٧	وها هو اليوم ... ميت غريب
١٣٧	فيفرج الضيق ... ضنكا رحيب
١٣٧	ما بارز الأقران ... برمح خضيب
١٣٧	ولا سما يفتح ... منيعاً مهيب
١٣٧	إلا ونودي ... وفتح قريب
١٣٧	هذا وكم من ... الشباب القشيب
١٣٧	يرتشف الغيد ... المفدى الحبيب
١٣٧	فلم يزل ... وعود صليب
١٣٧	حتى أصارته ... منه قريب
١٣٧	قد أعجز ... وأعيا الطبيب
١٣٦	عندي يا قوم ... للبيب الأريب
١٣٦	رأيت في ريعان ... الحسام القضيب
١٣٦	يقدم في المعرك ... ولا ليستيرب
١٣٣	لا تأسن عند ... تجلو الكرب
١٣٣	فلكم سموم ... نسيماً وانقلب
١٣٣	وسحاب مكروه ... وما سكب
١٣٣	ودخان خطب ... له لهب

١٣٣	ولطالما ... تفيئته غرب
١٣٣	فاصبرا ذاما ... أبو العجب
١٣٣	وترج من ... لا تحتسب
١٢٠	سل الزمان ... وأحد غربه
١٢٠	واستل من ... وأسأل غربه
١٢٠	وأجالني ... وأجوب غربه
١٢٠	فيكل جو ... لي وغربه
١٢٠	وكذا المغرب ... ونواه غربه
٩٩	مالاذ مرتاع ... ناب النوب
٩٩	ولا استدر ... فما خبي
٩٩	فانعطفوا ... منقلبي
٩٩	فلو بلوتم ... ومشربي
٩٩	لساءكم ... للكب
٩٩	ولو خببرتم ... ومذهبي
٩٩	وما حوت ... العلوم النخب
٩٩	لما اعتبرتكم ... دائي أدبي
٩٩	فليت أني ... ثدي الأدب
٩٩	فقد دهاني ... فيه أبي
٩٨	إني امرؤ ... الوجى والتعب
٩٨	وشقتي ... عنها خبي
٩٨	وما معي ... من ذهب

- ٩٨ فحيلتي ... تلعب بي
- ٩٨ إن ارتحلت ... دواعي العطب
- ٩٨ وإن تخلفت ... ضاق مذهبي
- ٩٨ فزفرتي ... في صبيب
- ٩٨ وأنتم ... ومرمى الطلب
- ٩٨ لهاكم ... انهلال السحب
- ٩٨ وجاركم ... في حرب
- ٦٩ بل فكرتي تنظم ... المنظوم لا السخب
- ٦٩ فهذه الحرقه ... أحوي بها واجتلب
- ٦٩ فأذن لشرحي ... واحكم بما يجب
- ٦٩ فجلت فيه ... والقلب مكتئب
- ٦٩ وما تجاوزت ... فيحدث الغضب
- ٦٩ فإن يكن غاظها ... بالنظم تكتسب
- ٦٩ أو أنني إذ ... لينجح الأرب
- ٦٩ فوالذي سارت ... تستحثها النجب
- ٦٩ ما المكر بالمحصنات ... التمويه والكذب
- ٦٩ ولا يدي ... اليراع والكتب
- ٦٨ فحار لبي لما ... وصرفها عجب
- ٦٨ ضاق ذرعي ... الهموم والكرب
- ٦٨ وقادني دهري ... يستشينه الحب
- ٦٨ فبعث حتى ... إليه انقلب

- وأدنت حتى ... دونه العطب
 ٦٨ ثم طويت ... أمضني السغب
 ٦٨ لم أر إلا ... بيعه واضطرب
 ٦٨ واجتني البائع ... للعود يحتطب
 ٦٨ وأخذ اللفظ ... إنه ذهب
 ٦٨ وكنت من قبل ... المقتنى واحتلب
 ٦٨ ويمتطي أحمصي ... فوقها رتب
 ٦٨ وطالما زقت ... كل من يهب
 ٦٨ فالיום من يعلق ... في سوقه الأدب
 ٦٨ لا عرض أبنائه ... فيهم إل ولا نسب
 ٦٨ كأنهم في ... نتنها ويجتنب
 ٦٧ اسمع حديثي ... شرحه وينتخب
 ٦٧ أنا امرؤ ... في فخاره ريب
 ٦٧ سروج داري ... حين أنتسب
 ٦٧ وشغلي الدرس ... وحبذا الطلب
 ٦٧ ورأس مالي ... القريض والخطب
 ٦٧ أغوص في لجة ... منها وأنتخب
 ٥٢ لجوب البلاد ... من المرتبه
 ٥٢ لأن الولاة ... يالها معتبه
 ٥٢ وما فيهم من ... يشيد ما رتبه
 ٥٢ فلا يخدعنك ... إذا ما اشتبه

٥٢	فكم حالم ... الروع لما انتبه
٢٤	فما على التبر ... حين يقلب
٢٣	وقع الشوائب ... بالناس قلب
٢٣	إن دان يومًا ... غد يتغلب
٢٣	فلا تثق ... فهو خلب
٢٣	واصبر إذا ... الخطوب وألب
٢٢	نفسي الفداء ... ناهيك من شنب
٢٢	يفتر عن لؤلؤ ... وعن حبيب
١٨	تبال طالب دنيا ... انصبابه
١٨	مما يستفيق ... وفرط صبابه
١٨	ولو درى ... يروم صبابه
٣٥٧	فيا قوم هل ... وتدني إلى ربي
٣٣٨	إن شئت ... بالصادات يكتتب
٣٣٨	مغس وفقس ... الحق والسقب
٣٣٨	والسامغان ... تفصح الكتب
٣٢٤	قالت الخنساء ... هذا واشهب
٣٢٤	نمش بأعراف ... شواء مفهب
٣١٦	عندي أعاجيب ... أبا العجب
٣١٦	رأيت يا قوم ... ابنة العنب
٣١٦	ومسنتين من ... من السغب
٣١٦	وقادرين متى ... التذنب للحطب

٣١٦	وكاتبين وما ... في الكتب
٣١٦	وتابعين عقاباً ... البيض واليلب
٣١٦	ومنتدين ذوي ... إلى الهرب
٣١٧	وعصبة لم ... على الركب
٣١٧	ونسوة بعدما ... غير ما تعب
٣١٧	ومدلجين ... الصبح في حلب
٣١٧	ويافعاً لم ... نسل من العقب
٣١٧	وشائباً غير ... لم يشب
٣١٧	ومرضعاً بلبان ... بين السبب
٣١٧	وزارعاً ذرة ... أخو الطرب
٣١٧	وراكباً وهو ... ينفك عن خبب
٣١٧	وذا يد طلق ... أخو كرب
٣١٨	وجالساً ... من ريب
٣١٨	وحائكاً ... من عجب
٣١٨	وذا شطاط ... من الحذب
٣١٨	وساعياً في ... كالظلم والكذب
٣١٨	ومغرمًا ... الخلق من أرب
٣١٨	وذا ذمام ... مذهب العرب
٣١٨	وذا قوى ... غير محتجب
٣١٨	وساجداً فوق ... أفضل القرب
٣١٨	وعاذراً مؤلماً ... في صخب

٣١٩	وبلدة ما ... جرى متسرب
٣١٩	وقرية دون ... خلصة السلب
٣١٩	وكوكبا يتوارى ... أمنع الحجب
٣١٩	وروثه قومت ... بالمال لم تطلب
٣١٩	وصحفه من ... من الذهب
٣١٩	ومستجيشًا ... فلم يخب
٣١٩	وطالما مربى ... ثور بلا ذنب
٣١٩	وكم رأى ناظري ... الرحل والقتب
٣٢٠	وكم لقيت ... في جد وفي لعب
٣٢٠	وكننت أبصرت ... كالشهب
٣٢٠	وكم رأت ... في حلب
٣٢٠	وصادعًا ... لا ولم يثب
٣٢٠	وكم نزلت ... في القلب
٣٢٠	وكم رأيته ... إلى حبيب
٣٢٠	وكم مشايخ ... من العطب
٣٢٠	وكم بدالي ... من القضب
٣٢١	وكم دعاني ... أخللت بالأدب
٣٢١	وكم أتحت ... ومن عرب
٣٢١	وكم نظرت ... القطر كالسحب
٣٢١	وكم رأيته ... الأعضاء والعصب
٣٢١	وكم إزار ... السير مضطرب

٣٢١	هَذَا وَكَمْ ... وَمَنْ تَحِبُّ
٣٢١	فَإِنْ فَطَنْتُمْ ... عَلَى رَطْبِي
٣٢١	وَإِنْ شَرِهْتُمْ ... الْعُودَ وَالْخَشَبَ
٣٠٠	وَمَرْهُوبِ الشُّبَا ... وَلَا يَشْرَبُ
٣٠٠	يَرَى فِي ... وَصَفِّهِ وَاعْجَبْ
٢٩٤	اصْرِفْ بِصَرْفٍ ... وَلَا تَكْتُئِبْ
٢٩٤	وَقُلْ لِمَنْ لَا ... قَدْ كُنتَ أَتُئِبْ
٢٥٦	كُلْ شَعْبَ ... رَبْعِي رَحْبَ
٢٥٦	غَيْرِ أُنِّي ... الْقَلْبَ صَبْ
٢٥٦	هِيَ أَرْضِي ... فِيهِ الْمَهَبْ
٢٥٦	وَالِى رَوْضَتِهَا ... الرُّوضِ أَحْبُو
٢٥٦	مَا حَلَا لِي ... عَذْبَ
٢٥٦	يَا مَنْ سَمَا ... وَنُورِ كُوكِبِهِ
٢٥٦	مَاذَا مِثَالٍ ... يَنْمُ بِهِ
٤٥	يَا مَنْ تَظَنَّنِي ... الَّذِي رُوِيَ
٤٥	مَا خَلْتُ أَنْ ... الَّذِي عَنِيتْ
٤٥	وَاللَّهُ مَا بَرَّةَ ... بِهِ اكْتَنِيتْ
٤٥	وَإِنَّمَا لِي فَنُونٌ ... وَمَا اقْتَدِيتْ
٤٥	لَمْ يَحْكُهَا ... حَاكُهَا الْكَمِيتْ
٤٥	تَخَذْتُهَا ... مَتَى اشْتَهَيْتْ
٤٥	وَلَوْ تَعَاْفَيْتَهَا ... وَلَمْ أَحُومَا حَوَيْتْ

٤٥	فمهد الغدر ... أجرمت أو جنيت
٢٧	وقارنت نجح ... الأنام غرته
٢٧	كأنما من القلوب ... من حوته صرته
٢٧	وإن تفانت ... نضاره ونضرته
٢٧	وحبذا مغناته ... استتبت إمرته
٢٧	ومتترف لولاه ... هزمته كثرته
٢٧	وبدركم ... تتلظى جمرته
٢٧	أسر نجواه ... أسلمته أسرته
٢٧	أنفذه حتى ... أبدعته فطرته
٢٧	لولا التقى ... قدرته
٢٦	أكرم به أصفر ... ترامت سفرة
٢٦	مأثورة ... سر الغنى أسرته
٣٧١	أستغفر الله ... فيهن واعتديت
٣٧١	كم خضت بحر ... الغي واعتديت
٣٧١	وكم أطعت ... واغتلت وافتريت
٣٧١	وكم خلعت ... وما نويت
٣٧١	وكم تناهيت ... وما انتهيت
٣٧١	فليتني كنت ... ما جنيت
٣٧١	فالموت للمجرمين ... التي سعيت
٣٧١	يا رب عفوا ... وإن عصيت
٣٥١	إنك لا ... الثقيل أو مت

٣٤٥	إن الغريب ... ماله قوت
٣٤٥	لكنه ما ... والكافور مفتوت
٣٤٥	وطالما أحلي ... ياقوت
٢٦٨	لا تحقرن ... السربال سبروتا
٢٦٨	ولا تضع ... كان سكيّتا
٢٦٨	وانفح بعرفك ... ألفيت منكوتًا
٢٦٨	فخير مال ... أوصيتا
٢٦٨	وما على المشتري ... أعطاه ياقوتا
٢٦٨	لولا المروءة ... ما جاوز القوتا
٢٦٩	لكنه لابتناء ... العلى ليتا
٢٦٩	وما تنشق ... المسك مفتوتًا
٢٦٩	والحمد والبخل ... وذا حوتا
٢٦٩	والسمع في الناس ... ما ينفك ممقوتا
٢٦٩	وللشحيح على ... ذما وتبكيّتا
٢٦٩	فجد بما جمعت ... جدواك مبهوتا
٢٦٩	وخذ نصيبك ... العود منحوتا
٢٦٩	فالدهر أتكد ... أم شيّتا
٢٥٣	يا من له فطنة ... الذكاء جلت
٢٥٣	بين فما ... الشقيق أفلت
١٤٣	أنا الذي تعرفه ... فكه منافث
١٤٣	أطرب ما لا تطرب ... وطورًا عابث

١٤٣	ما غيرتني ... خطب كارث
١٤٣	ولا فرى حدي ... صيد ضابث
١٤٣	وكل سرح فيه ... للأنام وارث
٢٣٥	ظهرت برث لكيما ... الزمان المزجى
٢٣٥	وأظهرت للناس ... به ما ترجى
٢٣٥	ولولا الرثاثة ... لم ألق فلجا
٢١٦	ما الحج سيرك ... أجمالا وأحدجا
٢١٦	الحج أن تقصد ... تفضي به حاجا
٢١٧	وتمتطي كاهل ... الحق منهاجا
٢١٧	وأن تؤاسي ... جداول محتاجا
٢١٧	فهذه إن حوتها ... كان إحدجا
٢١٧	حسب المرائين ... كذا وإزعاجا
٢١٧	وإنهم حرموا ... عاب أو هاجى
٢١٧	أخي فابغ ... ولا جاو خراجا
٢١٧	فليس تخفى ... الطاعات أو داجى
٢١٧	وبادر الموت ... الموت إن فاجا
٢١٧	واقن التواضع ... ألبستك التاجا
٢١٨	ولا تشم كل ... السكب شجاجا
٢١٨	ما كل داع ... بعض من ناجى
٢١٨	وما اللبيب سوى ... الأيام إدراجا
٢١٨	فكل كثير إلى ... لين وإن هاجا

١١٢	مسقط الرأس ... كنت أموج
١١٢	بلدة يوجد ... شيء ويروج
١١٢	وردها من سلسيل ... وصحاريها مروج
١١٢	وبنوها مغانيم ... نجوم بروج
١١٢	حبذا نفحة ... مرآها البهيج
١١٢	وأزاهير رباها ... تنجاب الثلوج
٢١٣	من رآها قال ... الدنيا سروج
٢١٣	ولمن ينزاح ... زفرات ونشيج
٢١٣	مثل ما لاقيت ... عنها العلوج
٢١٣	عبرة تهمني ... قريهيج
٢١٣	وهموم كل ... خطب مريج
٢١٣	ومساع في ... الخطو عوج
٢١٣	ليت يومي ... منها الخروج
٣٠	وألقي حبلي ... من قد مرج
٣٠	فإن لأمني ... من حرج
٢٩	تعارجت لا ... بالفرج
٢٤٢	لم أبك والله ... نعيم وفرح
٢٤٢	وإنما مدمع ... حين طمح
٢٤٢	ورطه حتى ... البيض الوضح
٢٤٢	ويك إما ناجتك ... وبيعي لم يبح
٢٤٢	إذ كان في يوسف معنى قد وضح

١٦٢	نهاني الشيب ... بين الراح والراح
١٦٢	وهل يجوز اصطباحي ... الرأس إصباحي
١٦٢	أليت لا خامر مرتني ... ألفاظي بإفصاحي
١٦٢	لا اكتست لي ... بين أقـداح
١٦٢	ولا صرفت إلى ... مرتاحا إلى راح
١٦٢	ولا نظمت على ... سوى الصاحي
١٦٢	محا المشيب ... من كاتب ماح
١٦٢	ولاح يلـحي ... من لائح لاح
١٦٢	ولو لهوت ... غسان مصباحي
١٦٢	قوم سجايهم ... التوقير يا صاح
٩٠	وشاد يشيد ... له إن صرح
٩٠	وعاص النصيح ... إذا ما سمح
٩٠	وجل في المحال ... وخذ ما صلح
٩٠	وفارق أباك ... وصد من سنج
٩٠	وصاف الخليل ... ووال المنح
٩٠	ولذ بالمتاب ... باب كريم فتح
٨٩	فإن المدام ... وتنفي الترح
٨٩	وأصفي السرور ... الحيا واطرح
٨٩	وأحلي الغرام ... الهوى وافتضح
٨٩	فبح بهواك ... به قد قدح
٨٩	وداو الكلوم ... التي تقترح

٨٩	وخصي الغبوق إذا ما طمح
٨٩	لزمت السفار ... لأجني الفرح
٨٩	وخصت السيول ... الصبي والمرح
٨٩	ومطت الوقار ... ورشف القدح
٨٩	ولولا الطماح ... فمي بالملح
٨٩	ولا كان ساق ... بحمل السيح
٨٩	فلا تغضبن ... فعذري وضح
٨٩	ولا تعجبين ... ودن طفح
٢١	كأئما تبسم ... أو برد أو أقحاح
٣٣٣	أعدد لحسادك ... ورد السماح
٣٣٣	وصارم اللهو ... وسمر الرماح
٣٣٣	واسع الإدراك ... لا دراع المـراح
٣٣٣	الله مـا ... رود رداح
٣٣٣	واها لحر ... أهل الصلاح
٣٣٣	مورده حلو ... سألوه مطاح
٣٣٣	ما أسمع ... لؤم صراح
٣٣٣	ولا أطعاع ... كأس راح
٣٣٣	سوده إصلاحه ... أهواءه الطماح
٣٣٣	وحصل المدح ... مهوور الصحاح
٣١١	يقولون إن ... أدب راسخ
٣١١	وما إن يزين ... سؤدده شامخ

٣١١	فأما الفقير ... القرص والكامخ
٣١١	وأي جمال ... يعلم أو ناسخ
١٥٢	يا خاطب الدنيا ... شرك الردى
١٥٢	دار متى ما ... أبكت غدا
١٥٢	وإذا أظلم ... منه صدى
١٥٢	غار اتهاماً ... لا يفتدي
١٥٢	كم مزدهي ... بدا متمرداً
١٥٢	قلبت له ... فيه المدى
١٥٣	فاربأ بعمر ك ... فيها سدى
١٥٣	واقطع علائق ... تلق الهدى
١٥٣	وارقب إذا ما ... حرب العدى
١٥٣	واعلم بأن ... ولو طال المدى
١٤٤	عليك بالصدق ... بنار الوعيد
١٤٤	وابغضى الله ... وأرضى العبيد
٩٩	يا سادة في ... مبان مشيده
٩٩	ومن إذا ناب ... يدفع المكيدة
٩٩	ومن يهون ... الكنوز العتيده
٨٣	إلى كم يا ... في الكيد
٨٣	لينحاش لك ... من ذم
٦٣	أنا السروجي ... مثل الأسد
٦٣	وما تعدت ... ولا في مرود

٦٣	وإنما الدهر ... غدوًّا نجتدي
٦٣	كل ندى الراحة ... مغلول اليد
٦٣	بكل فن ... وإلا بالدد
٦٣	لنجلب الرشح ... بعيش أنكد
٦٣	والموت من بعد ... فاجي في غد
٦١	فلم ير الشيخ ... رأى تأودها
٦١	بل قال هات ... أن تجودها
٦١	وإعتاق سببة تزودها
٦١	فالعين مرهى ... تفك مرودها
٦١	فاسبربذا لم يكن تعودها
٦٠	أعارني إبرة ... البلى وسودها
٦٠	فانخرمت في ... جذبت مقودها
٥٧	ولما تعامى الدهر ... ومقاصده
٥٧	تعاميت حي ... حذو والده
٢٢	فأمطرت لؤلؤا ... العُنب بالبرد
٣٦٦	خذهـا إليك ... قبلي أحد
٣٦٦	غراء حاوية ... المعاني والزبد
٣٦٦	نفحتها تنقيح ... النصيحة واجتهد
٣٦٦	فاعمل بما ... أخى الرشـد
٣٦٦	حتى يقول ... ذاك الأسد
٣٥٩	وأعني على ... من يد العدى

٣٥٩	فبذا شمخي ... عمن تمردا
٣٥٩	وبه تقبل ... ممن تزهدا
٣٥٩	وهو كفارة ... بعد ما اهتدى
٣٥٩	ولئن قمت ... مرشدا
٣٥٩	فاقبل النصيح ... لمن هدى
٣٥٩	واسمح الآن ... لتحمدا
٣٥٨	أوقد النار ... أخمدا
٣٥٨	ويراني ... مقصدا
٣٥٨	لم يشم ... يشتكي الصدا
٣٥٨	لا ولا رام ... فأصلدا
٣٥٨	طالما ساعد ... مستعدا
٣٥٨	فقضى الله ... كان عودا
٣٥٨	بوا الروم ... ضغن تولدا
٣٥٨	فاستباحوا ... موحدًا
٣٥٨	وحوا كل ... لي وما بدا
٣٥٨	فتطوحت في البلاد ... طريداً مشرداً
٣٥٨	أجندي الناس ... قبل مجندي
٣٥٨	وترى بي ... لها الردى
٣٥٨	والبلاد الذي ... أنسي تبدا
٣٥٨	استبأ ابنتي ... لتفتدى
٣٥٨	فاستبين محنتي ... نصرتي يدا

٣٥٨	وأجرني من ... جار واعتدى
٣٥٧	أيها الأروع ... مجداً وسودداً
٣٥٧	والذي يبتغى ... لينجوه به غداً
٣٥٧	إن عندي علاج ... منه مسهداً
٣٥٧	فأستمعها ... غادرتني ملدداً
٣٥٧	أنا من ساكني ... الدين والهدى
٣٥٧	كنت ذا ثروة ... مطاعاً مسوداً
٣٥٧	مر بعي مآلف ... لهم سدى
٣٥٧	أشتري الحمد ... العرض بالجد
٣٥٧	لا أبالي ... البذل والندى
٣٣٥	زينت زينت ... نعهد يعهد
٣٣٥	جندها جيدها ... بحد يحد
٣٣٥	قدها قدزها ... بخديخد
٣٣٥	فارقطني فأرقتني ... وجد وجد
٣٣٥	فلذت فلدت ... يود يود
٣٢٧	يا قاضي ... الثمرة الجمرة
٣٢٧	إليك أشكو ... سوى مرة
٣٢٧	وليته لما ... رمى الجمرة
٣٢٧	كان على ... الحجة بالعمرة
٣٢٧	هذا على ... له أمره
٣٢٧	فمره إما ... فرقة مره

٣٢٧	من قبل ... أبى مره
٣٢٢	سروج يا ناق ... وأسئدي
٣٢٢	حتى تطا ... حينئذ وتسعدي
٣٢٢	وتأمني أن ... جدي واجهدي
٣٢٢	وافري أديم ... عند المورد
٣٢٣	ولا تحطي ... حلفة المجتهد
٣٢٣	بحرمة البيت ... في بلدي
٣٢٣	حللت مني محل الولد
٣٠٠	وما شيء إذا ... غيه رشدا
٣٠٠	وإن هو راق ... حيث بدا
٣٠٠	زكي العرق ... ما ولدا
٣٠٠	وما محقورة ... إذا فكرت بد
٣٠٠	العار أسان ... لأخيه ضد
٣٠٠	تعذب إن ... ولا تعد
٢٥٢	يا من سما بذكاء ... واري الزناد
٢٥٢	ما ذا ياثل ... أمد بزاد
٢٦٤	من ضامه ... في صعه
٢٦٤	سماحة أزرى ... من بعده
١٩٧	لا تبك إلفاً ... كيفما داراً
١٩٧	واتخذ الناس ... كلها داراً
١٩٧	واصبر على ... من دارى

١٩٧	ولا تــــضــــع ... أم داراً
١٩٧	واعلم بأن ... الوری داراً
١٩٧	وأقســــمت ... وما داراً
١٩٧	فكيف ترجى ... كسرى ولا داراً
١٨٩	ويوم كظل ... واحطفاف المظاهر
١٩٠	تظل مقاليت ... المرء مئزر
١٧٠	يا قوم لا ينبئكم ... أوان القر
١٧٠	فاعتبروا بما بدا ... وخفي أمري
١٧٠	وحاذروا انقلاب ... نبیه القدر
١٧١	آوي إلى وفــــر ... وتبيد سمري
١٧١	وتشتكي كومي ... سيوف الغدر
١٧١	وشن غارات ... يستحثني ويبري
١٧١	وصرت نضو... عازي الملحا مجرداً من قشري
١٧١	كأنني المغزل ... في الصن والصنبر
١٧١	غير التضحي ... رداء غمر
١٧١	يسترني بمطرف ... الله لا لشكري
١٥٤	وأحوى حوى ... السهاد بغدره
١٥٤	تصدى لقتلي ... قلب بأسره
١٥٤	أصدق منه ... خشية هجره
١٥٤	وأستعذب التعذيب ... حب بره
١٥٤	تناسى ذمامي ... حافظ سره

١٥٤	وأعجب ما فيه ... أفوه بكبره
١٥٤	له مني المدح ... من بعد نشره
١٥٤	ولو كان عدلاً ... رشف ثغره
١٥٤	ولولا تثنيه ... نور بدره
١٥٤	وإني على تصرف ... إنقيادي لأمره
١٥١	يا خاطب الدنيا ... وقرارة الأكدار
١٥١	دار متى ... بعداً لها من دار
١٥١	وإذا أظلم ... لجهامة الغرار
١٥٢	غارا تعاماً ... بجلائل الأخطار
١٥٢	كم مزدهى ... متجاوز المقدار
١٥٢	قلبت له ... لأخذ الثأر
١٥٢	فاربأ بعمرى ... ما استظهار
١٥٢	واقطع علائق ... ورفاهة الأسرار
١٥٢	وارقب إذا ما ... وتوثب الغدار
١٥٢	واعلم بأن ... سرى الأقدار
٩٦	أخطاد قوماً ... وآخرين بشعر
٩٦	وأستفز ... وعقلاً بخمر
٩٦	وتارة أنا ... أخت صخر
٩٦	ولو سلكت ... طول عمري
٩٦	لخاب قدحي ... عسري وخسري
٩٦	فقل لمن ... فدونك عذري

٩٥	يا ليت شعري ... علمًا بقدري
٩٥	وهل درى ... ليس يدري
٩٥	كم قد قمرت ... وبكري
٩٥	وكم برزت ... وبنكر
٤٢	وحرمة الشيخ ... في أم القرى
٤٢	ما عندنا لطارق ... في الذرى
٤٢	وكيف يقري ... لما انبرى
٤٢	فما ترى فيما ... ذكرت ما ترى
٣٩	قد دفع الليل ... شعثًا مغبرًا
٣٩	أخا سفار ... محقوقًا مصفرا
٣٩	مثل هلال ... فنادكم معترًا
٣٩	وأمكم دون ... منكم ومستقرًا
٣٩	فدونكم ضيقًا ... وما أمرا
٣٩	وينثنني ... الببرا
٣٨	يا أهل ذا المغنى ... ما بقيتم ضرا
٣٧	يا من غدا لي ... دون البشر
٣٧	لا تحسبنه ... ملال أو أشر
٣٧	لكنني مذ ... إذا طعم انتشر
٢٣	وأقبلت يوم ... النادم الحصر
٢٣	فلاح ليل ... البلور بالدور
٢٣	سألتها حين زارت ... أطيّب الخبر

٢٣	فـزـحـزـحـت ... مـن خـاتـم عـطـرٍ
٣٣٧	بـالـصـاد يـكـتـب ... لـتـسـتـمـع الخـبـر
٣٣٧	وـبـصـقـت أـبـصـق ... وـاقـتـص الأثـر
٣٣٧	وـبـخـصـت مـقـلـتـه ... الفـرـيـصـة لـلـفـور
٣٣٧	وـقـصـرت هـنـدًا ... عـيـد مـنـتـظـر
٣٣٧	وـفـرـحـتـه وـالخـمـر ... هـذا مـسـتـطـر
٣٢٨	اـسـمـع عـدـاك ... رابـهـا غـدـره
٣٢٨	وـالـلـه مـا ... قـضـى نـذـره
٣٢٨	وإنـمـا الـدـمـر ... الـدـره وـالـنـره
٣٢٨	فـمـنـزـلـي قـصـر ... الجـزـعـة المـشـذـره
٣٢٨	وـكـنـت مـن ... بـنـي عـنـدـره
٣٢٨	فـمـنـذـنـبـا ... آخـذ حـنـدـره
٣٢٨	وـصـلـت عـن ... أـتـقـي بـنـدـره
٣٢٨	فـلا تـلـم ... وـاحـمـل هـنـدـره
٣١٤	حـبـيـت مـن ... ضـوـء النـار
٣١٤	إـلـى رـحـيـب ... بـالـطـارـق المـمـتـار
٣١٤	تـرـحـاب جـعـد ... عـن الزـوار
٣١٤	وـلا بـمـعـتـام ... تـرب الأـقـطـار
٣١٤	وـضـنـت ... الزـمـان الضـارـي
٣١٥	جـم الـرـمـاد ... لـيـل وـلا نـهـار
٣١٥	مـن نـحـر واريٍ وـاقـتـدـاح واري

٢٦٣	وانظر بعينك ... هفهفا الشجر
٢٦٣	فعد عما ... ماله ثمر
٢٦٣	وارحل ركابك ... يهمني به المطر
٢٦٣	واستنزل الري ... الظفر
٢٦٣	وإن رددت ... قبل والخضر
٢٦٢	لا تقعدن على ... النفس مصطر
٢٥٣	أيا مستنبط ... وإضمار
٢٥٣	ألا اكشف ... ألف دينار
١٨٣	قل لمستطلع ... كرامة وعزازه
١٨٤	أنا ما بين جوب ... مفازة فمفازه
١٨٤	زادي العيد ... الجراب والعكازة
١٨٤	فإذا ما هبطت ... والنديم جزازه
١٨٤	ليس لي ما أساء ... الزمان ابتزازه
١٨٤	غير أنني أبیت ... عن الأسى منحازه
١٨٤	أرقد الليل ... حزارة وحرزازه
١٨٤	لا أبالي من أي ... حلاوة من مزازه
١٨٤	لا ولا أستجيز ... تسني إجازة
١٨٤	وإذا مطلب كسا ... يدوم نجازة
١٨٥	ومتى اهتز ... طباعه واهتزازه
١٨٥	فالمنايا ولا الدنيا ... ركوب الجنازة
٢٨٤	يا أهل تبريز ... تبريزا

٢٨٤	ما فيه من ... ضيـزي
٢٨٤	قصده والشيخ ... ما زال مهزوزاً
٢٨٤	فرح الشيخ ... وتميـزاً
٢٨٤	وردني أخيب ... شهر تموزا
٢٨٤	كأنه لم يدر ... الأراجيزا
٢٨٤	وأُنني إن ... في أهل تبريزا
٢٥٢	يا من نتائج ... النقود الجائزه
٢٥٢	ما مثل قولك ... صادف جائزه
٢٣٠	لبست لكل زمان ... نعمى وبوسى
٢٣٠	وعاشرت كل ... لأروق الجليسا
٢٣٠	فعند الرواة ... أدير الكؤوسا
٢٣٠	وطوراً بوعظي ... أسر النفوسا
٢٣٠	وأقري المسامع ... الحروق الشموسا
٢٣٠	وإن شئت أرفع ... يحلى الطروسا
٢٣٠	وكم مشكلات ... بكشفي شموساً
٢٣٠	وكم ملح لي ... قلب رسيساً
٢٣٠	وعذراء فहत ... طليقا حبيسا
٢٣٠	على أنني من ... فرعون موسى
٢٣٠	سعر لي كل ... وطيسا وطيسا
٢٣٠	ويطرقني بالخطوب ... ويشبن الرؤوسا
٢٣٠	ويدني إلى البعيد ... القريب الأنيسا

٢٣.	ولولا خساسة ... منه خسيّسا
١٧٤	جاء الشتاء وعندي ... عن حاجتنا حيسا
١٧٤	كن وكيس وكانون ... وكف ناعم وكسا
١٧٢	لعمرك ما الإنسان ... لا ابن أمسه
١٧٢	وما الفخر بالعظم ... الفخار بنفسه
١٣.	حيارى يميّد بهم ... الخندريسا
١٣.	أسالوا الغروب ... الرؤوسا
١٣.	يودون لو ... والنفوسا
١١٣	أس أرملا ... المرء أسا
١١٣	أسنو أخا ... إخاء دنسا
١١٣	أسل جناب ... إن جلسا
١١٣	أسر إذا ... إذا رسا
١١٣	أسكن تقو ... وقت نكسا
٣٥	وكلت للخل ... الكيل أو بخسه
٣٥	ولم أخسره ... من أمسه
٣٥	ولكل من يطلب ... جني غرسه
٣٥	لا أبتغي ... المغبون في حسه
٣٥	ولست بالموجب ... الحق على نفسه
٣٥	ورب مذاق ... الود على لبسه
٣٥	وما درى من ... الدين من جنسه
٣٥	فاهجر من ... في رمسه

٣٥	والبس لمن ... عن أنسه
٣٥	ولا ترج الود ... إلى فلسه
٣٣٧	وفي قربي ... للعلم مقتبسًا
٣٣٦	نقس الدواة ... وإن درسا
٣٣٦	وهكذا السين ... واقتبس قبا
٣٣٦	وفي تقست ... واتخذ جرسًا
٣٠٢	مالي مقر ... لعنسي
٣٠٢	يوما بنجد ... أزجى الزمان وأمسي
٣٠٢	ولا أبيت ... لي بفلس
٣٠٢	ومن يعش ... مستخسي
٣٠١	سروج مطلع ... يهوي وأنسي
٣٠١	لكن حرمت ... ولذة نفسي
٣٠١	واعترضت ... يومي وأمسي
٢٨٢	أنا السروجي ... غير الشمس
٢٨٢	وما تنافى ... عن قسي
٢٨٣	ولا عدت ... ليالٍ خمس
٢٨٣	نصج في ... ولا التحسي
٢٨٣	حتى كأننا ... من رمس
٢٨٣	فحين عز ... الأليم المس
٢٨٣	قمنا لسعد ... لاجتلاب فلس
٢٨٣	الفقر يلحي ... لباس اللبس

٢٨٣	فهذه حالي ... وسل عن أمسي
٢٨٣	وأمر بحيري ... ونكسي
١٤٩	ولكم أخي ... عيب لفحشه
١٤٩	وإذا الفتى ... مراقبي عرشه
١٤٩	ما إن يضر ... حقارة عشه
١٤٩	وقف القضية ... رضاه وبطشه
١٤٩	وبين خلب ... ووبله من طشه
١٤٩	فهناك إن تر ... يزين فأفشه
١٤٩	ومن استحق ... فحطه في حشه
١٤٩	واعلم بأن ... أن يستثار بنبشه
١٤٩	وفضيلة الدينار ... ملاحقه نقشه
١٤٩	ومن الغباوة ... ورونق رقصه
١٤٩	أو أن تهين ... ورثة فرشه
١٤٨	اسمع أخي ... منه بغشه
١٤٨	لا تعجلن ... لم تبله أو خدشه
٨٠	وإن لاح لك ... من الأصفر تهتش
٨٠	وإن مـر بك ... ولا غم
٨٠	تعاصي الناصح ... وتعتاص وتزور
٨٠	وتنقـاد لمن ... ومن نم
٨٠	وتسعى في ... على الفلـس
٨٠	وتنسى ظلمة ... تذكر ما تم

٨٠	ولولا حظك ... بك اللخط
٨٠	ولا كنت ... الأحزان تغتم
٨٠	ستذري الدم ... لا جمع
٣٦٠	وأدر قناة المكر ... رحي المعيشة
٣٦٠	وصد النسور ... فاقنع بريشه
٣٦٠	اجن الثمار ... نفسك بالحشيشه
٣٦٠	وأرح فؤادك ... الفكر المطيشه
٣٦٠	فتغاير الأحداث ... كل عيشه
٣٥٩	عش بالخداع ... كأسد بيشه
٢٩٣	وأنجد الموتور ... فاستجش
٢٩٣	وانعش إذا ... به تنتعش
٢٩٣	وهناك كأس ... على من عطش
٢٩٢	لم يهـب ... إلا دهش
٢٩٢	ولا انتهـى ... بعرض خدش
٢٩٢	فـذاك إن ... لم يـعش
٢٩٢	لا خير في ... عشـر نبش
٢٩٢	وحبـذا من ... برد رقش
٢٩٢	فقل لمن ... أو تنـشقش
٢٩٢	فأخلص التوبة ... ما قد تفش
٢٩٢	وعاشـر الناس ... من لم يطش
٢٩٢	ورش جناح ... من لم يرش

٢٩١	يا ويح من ... العبا منكمش
٢٩١	يعشو إلى ... القوى يرتعش
٢٩١	ويمتطي اللهو ... المفتersh
١٩	لبست الخميصة ... في كل شيصه
١٩	وصيرت وعظي ... بها والقنيصه
١٩	وأجأني الدهر ... على الليث عيصه
١٩	على أنني لم أهب ... لي منه فريصه
١٩	ولا شرعت بي ... نفس حريصه
١٩	ولو أنصف الدهر ... أهل النقيصه
١٩٢	أبا منذر ... أهون من بعض
٩٤	يا رازق النعاب ... الكسير المهيض
٩٤	أتح لنا اللهم ... نقي رحيض
٩٤	يطفئ نار الجوع ... خارز أو مخيض
٩٤	فهل فتى يكشف ... الطويل العريض
٩٤	فوالذي تعنو ... سود وبيض
٩٤	لولاهم لم تبد ... لنظم القريض
٩٤	كانوا إذا ما ... روضا أريض
٩٤	تشب للساين ... لحما غريض
٩٤	ما بات جار ... حال الجريض
٩٤	فغيضت منهم ... نخلها تغيض
٩٤	وأودعت منهم ... وأساءة المريض

٩٤	فمحلي بعد ... اليفاع الحضيض
٩٤	وأفرخي ما ... كل يوم وميض
٩٤	إذا دعا القانت ... بدمع يفيض
٩٣	أشكو إلى الله ... المتعدى البغيض
٩٣	يا قوم إني ... عنهم غضيض
٩٣	فخارهم ليس ... بين الوري مستفيض
٢٥٣	يا من حدائق ... الأزهار غضه
٢٥٣	ما مثل قولك ... ما اختار فضه
١٥٥	سامح أخاك ... الإصابة بالغلط
١٥٥	وتجاف عن ... يوما أو قط
١٥٥	واحفظ صنيعةك ... أم غمط
١٥٥	وأطعمه إن ... إذا شحط
١٥٥	واقن الوفاء ... وما شحط
١٥٥	واعلم بأنك ... رمت الشطط
١٥٥	من ذا الذي ... الحسنى فقط
١٥٦	أو ما ترى المحبوب ... في غمط
١٥٦	كالشوك يبدو ... الجنى الملتقط
١٥٦	ولذاذة العمر ... تغص الشمط
١٥٦	ولو انتقدت ... أكثرهم سقط
١٥٦	رضت البلاغة ... والشجاعة والخطط
١٥٦	فوجدت أحسن ... معا فقط

٣٤٠	والحظا والنظير ... والأيقاظ
٣٤٠	والنشطي والظلف ... والشظاظ
٣٤٠	والأظافير ... والإحفاظ
٣٤٠	والحظيرات ... والمغتاظ
٣٤٠	والوظيفات ... والألظاظ
٣٤٠	ووظيف ... والقط والإغلاظ
٣٤٠	ونظيف والظرف ... والوعاظ
٣٤٠	وعكاظ والظعن ... والأوشاظ
٣٤١	وظراب الظران ... والجمعظري الجواظ
٣٤١	والظرايين والحناطب ... الظبان الأرعاظ
٣٤١	والشناظر والدلظ بالعنطوان والجنعاظ
٣٤١	والشناظير والتعاظل ... بعدد الإنعاظ
٣٤١	هي هذى ... آثارك الحفاظ
٣٤١	واقض في ... كقيظ وقاظوا
٣٣٩	أيها السائلي ... تضله الألفاظ
٣٣٩	إن حفظ ... له استيقاظ
٣٣٩	هي ظمياء ... الظبي واللحاظ
٣٣٩	والعظا والظليم ... والظى والشواظ
٣٣٩	والتظني واللفظ ... والظما واللماظ
٢٤٠	لحاك الله هل ... الكرش الجياع
٢٤٠	وهل في شرعه ... خطة لا تستطاع

٢٤٠	وأن أبلى بروح ... يبلى لا يراع
٢٤٠	أما جربتني ... يمازجها خداع
٢٤٠	وكم أرصدتني ... حبائي السباع
٢٤٠	ونطت بي ... وكان بها امتناع
٢٤٠	وأي كريهة ... لي فيه باع
٢٤٠	وما أبدت لي ... مصارمتي القناع
٢٤٠	ولم تعثر بحمد ... بكم أو يذاع
٢٤٠	فإنني ساع ... براتيها الضاع
٢٤٠	ولم سمعت ... يشري المتاع
٢٤١	وهلا حنت ... بنا الوداع
٢٤١	وقلت لمن يساوم ... يُعار ولا يُباع
٢٤١	فما أنا دون ... تلك الطباع
٢٤١	على أني سأنشد ... وأي فتى أضاعوا
٢٣٨	من يشري مني ... وخلقه قد برعا
٢٣٨	بكل ما نطت ... وإن قلت وعى
٢٣٨	وإن تصاحبه ... بظلف قنعا
٢٣٨	وهو على الكيس ... كاذبا لا ادعى
٢٣٨	ولا أجاب مطمعا ... سر أو دعا
٢٣٨	وطالما أبدع ... وفي النظم معا
٢٣٨	والله لولا فنك ... عراة جوعا
٢٣٨	ما بعته بملك كسرى أجمعا

١٩١	فبت كأني ... السم ناقع
٣٣١	ولا تتغضب ... اللسان بمبتدع
٣٣١	وإن تك قد ... قد خدع
٣٣٠	رويدك لا ... والحمد منصع
٢٨٦	أطوف ما ... قعيده لكاع
٢٥٤	يا من غدا في فضله ... وذكائه كالأصمعي
٢٥٤	ما مثل قولك ... أنفق تقمع
٢٥٤	يا من يشار إليه ... وفي البراعة
٢٥٤	أوضح لنا ما مثل ... دس جماعة
٣٧٦	ويا خسا ... تعتدي وطغى
٣٧٦	وشب نيران ... أو مطمع
٣٧٦	يا من عليه ... بي من وجل
٣٧٦	لما اجتاحت ... عمري المضيع
٣٧٦	فاغفر لعبد ... المنسجم
٣٧٦	فأنت أولى ... مدعو دعي
٣٧٥	بعد الفضاء ... ثلاث أذرع
٣٧٥	لا فرق ... داهية أو أبله
٣٧٥	أو معسر كملك تبع
٣٧٥	وبعده العرض ... الحي والبذي
٣٧٥	والمبتدي ... ومن رُعي
٣٧٥	فيامفاز ... قد وقى

٣٧٥	سوء الحساب ... يوم الفزع
٣٧٥	ومن يلح وخط ... فقد نعى
٣٧٥	ويحك يا نفس ... ارتياد المخلص
٣٧٥	وطاوعى ... النصيح وعى
٣٧٥	واعتبيري ... القرون وانقضى
٣٧٥	واخشي وحاذري أن تخذعي
٣٧٥	وانتهجى ... وشك الردى
٣٧٥	وأن مثواك ... لحد بلقع
٣٧٥	آهاله ... القفر الخلا
٣٧٥	ومورد السففر ... المتبع
٣٧٥	بيت يرى ... واستودعه
٣٧٤	فالبس شعار ... شآبيب الدم
٣٧٤	قبل زوال ... سوء المصرع
٣٧٤	واخضع ... ملاذ المقترف
٣٧٤	واعص هواك ... انحراف المقلع
٣٧٤	إلام تهوى ... العمر فنى
٣٧٤	في ما يضر ... بالمرتدع
٣٧٤	أما ترى ... الرأس خطط
٣٧٤	لشهوة ... مرقد ومضجع
٣٧٤	وكم خطى ... أحدثتها
٣٧٤	وتوبة ... وممرتع

٣٧٤	وكم تجرات ... السموات العلى
٣٧٤	ولم تراقبه ... ما تدعي
٣٧٤	وكم غمضت ... أمنت مكره
٣٧٤	وكم نبذت ... الخداع المرقع
٣٧٤	وكم ركضت ... عمدا بالكذب
٣٧٤	ولم تراع ... عهده المتبع
٣٧٣	خل ادكار ... المعهد المرتبع
٣٧٣	والظاعن المودع ... عنه ودع
٣٧٣	واندب زمانا ... فيه الصحفا
٣٧٣	ولم تزل ... القبيح الشنع
٣٧٣	كم ليلة ... مآثما أبدعتها
٣٤٢	تغيرت حمص ... أهل الرقاعه
٣٤٢	فما يصطفي ... إلا بقاءه
٣٤٢	ولا لأخي ... ربيط بقاءه
٢٤١	خفض فدتك ... الوجد والإشفاق
٢٤١	فما تطول مدة ... ركائب التلاقي
٢٤١	بحسن عون القادر الخلاق
٢٣٩	يا من تلهب ... هكذا من ينصف
٢٣٩	إن كان لا ... يوسف أنا يوسف
٢٣٩	ولقد كشفت ... وما أخالك تعرف
٢٠٥	يا صارفا ... له صروف

٢٠٥	ومعنفي في ... تعنيف العسوف
٢٠٥	لا تلحني فيما ... بهم عروف
٢٠٥	ولقد نزلت ... يراعون الضيوف
٢٠٥	وبلوتهم ... سبكتهم زيوف
٢٠٦	ما فيهم إلا ... أو مخوف
٢٠٦	لا بالصفى ... ولا العطوف
٢٠٦	فوثبت فيهم ... على الخروف
٢٠٦	وتركتهم صرعى ... كأس الحتوف
٢٠٦	وتحكمت في ... رغم الأنوف
٢٠٦	ثم انثنيت ... والقطوف
٢٠٦	ولطالما خلفت ... خلفي يطوف
٢٠٦	ووترت أرباب ... والسجوف
٢٠٦	ووقفت في ... من الوقوف
٢٠٦	ولكم سفكت ... حمى أنوف
٢٠٦	وكم ارتكاض ... وكم خفوف
٢٠٦	لكنني أعددت ... بالمولى الرؤوف
١٧٨	سيد قلب سبوق ... عزوف عيوف
١٧٨	مخلف متلف ... ذكي أنوف
١٧٨	ملفق إن أبان ... خطب مخوف
١٢٥	فلا تعزلوني ... اقتطاف القطائف
١٢٥	فقد بان ... تليدي وطارفي

١٢٥	على أن ما ... لدي كل عارف
٣٣٩	ولا تحسب ... ذاك يختلف
٣٣٨	إذا الفعل ... الخطاب ولا تقف
٣٣٨	فإن تر قبل ... يكتب بالألف
٣٣٥	ولا تخن ... ما تزيّف
٣٣٤	إسمع فبث ... آملاً تضيف
٣٣٤	ولا تجز رد ... السؤال خفف
٣٣٤	ولا تظن الدهور ... ولو تقشف
٣٣٤	واحلم فجفن ... العطاء نصف
٢٩٩	وجاف وهو ... ليس بالجافي
٢٩٩	غريف بارز ... راسب طاف
٢٩٩	يسح دموع ... هضم متلاف
٢٩٩	وتخشى منه ... قلبه صاف
٢٥٣	يا من تقصر ... وتضعف
٢٥٣	ما مثل قولك ... اكفف اكفف
١٦٠	إلام سعاد ... مما أُلَاقِي
١٦٠	صبرت عليك ... الروح التراقي
١٦٠	وها أنا قد ... خلى ما يساقي
١٦٠	فإن وصلا ... فصرم كالطلاق
٢٩	قال له قول ... لي ففارق
٢٨	تباله من ... وجهين كالمنافق

٢٨	يبدو بوصفين ... ولو عاشق
٢٨	وحبه عند ذوي ... سخط الخالق
٢٨	لولا له لم تقطع ... من فاسق
٢٨	ولا اشمأز ... مطل العائق
٢٨	ولا استعيز ... من الخلائق
٢٨	أن ليس يُعنى ... فرار الآبق
٢٨	واهًا لمن ... نجوى الوامق
٢٥٥	يا من تحلى بفهم ... الناس سوقه
٢٥٥	لك البيان ... أحب فروقه
٢٥٤	يا من إذا أشكل ... أفكاره الدقيقة
٢٥٤	إن قال يوما ... مثله حقيقة
٢٥٥	يا من حوى حسن ... بغير شك
٢٥٥	ما مثل قولك ... الثور ملكي
٢٥٥	يا من تنزه فهمه ... يروي أو يشكا
٢٥٥	ما مثل قولك ... غط هلكي
٢٥٤	يا من له النكت ... بها وينكت
٢٥٤	أنت المبين ... خالي اسكت
٢٣٤	لعمرك ما كل ... اللذيذ على أصله
٢٣٤	فكل ما حلا ... الشهد عن نجله
٢٣٤	ومنير إذا ما ... عصرك من خله
٢٣٤	لشغلي وترخص ... شرى مثله

٢٣٤	فعار على الفطن ... الغميمة في عقله
٢٢٩	أنا في العالم ... العلم قبله
٢٢٩	غير أني كل ... تعريس ورحله
٢٢٩	والغريب الدار ... لم تطلب له
١١٥	إذا ما حويت ... إلى قابل
١١٥	وإما سقطت ... السنبل الحاصل
١١٥	ولا تليثن ... كفة الحابل
١١٥	ولا توغلن ... في الساحل
١١٥	وخاطب بهات ... منك بالعاجل
١١٥	ولا تكثرن ... سوى الواصل
١١٣	لله در ... مقاولاً
١١٣	فاقوا ... وفواضلاً
١١٣	ما ورتهم ... لديهم يا قلاً
١١٣	وحللت فيهم ... جوداً سائلاً
١١٣	أقسمت لو ... لكانوا وإبلاً
٥٤	فمحرابي ... أسمى لي
٥٤	فهل حر ... أثقال بمثقال
٥٤	ويطفي حر ... وسروال
٥٤	لقد أصبحت ... بأوجاع وأوجال
٥٤	ومضوا بمختال ... ومغتال
٥٤	وفوان من ... لي لإقلال

٥٤	وإعمال من ... تضليع أعمال
٥٤	فكم أصلي ... وإمحال وترحال
٥٤	وكم أخطر ... في بال
٥٤	فليت الدهر ... أطفالي
٥٤	لما جهزت ... ولا والي
٥٤	ولا جررت ... مسحب إذلال
٤٢	جوي الحشي ... طعم مأك
٤٢	ولا له في أرضكم ... الظلام المسبل
٤٢	وهو من الحيرة ... عذب المنهل
٤٢	يقول لي : ألق ... وقرى معجل
٤١	حيتم يا أهل ... عيش خضل
٤١	ما عندكم لابن ... خابط ليل أيل
٢١	فما راقني من ... ساقني لوصاله
٢١	ولا لاح لي ... حاز مثل خلاله
٣٥٠	كيف رأيت ... وبين سخلي
٣٥٠	حتى انثنت ... بعد المحل
٣٥٠	بالله يا ... قط مثلي
٣٥٠	يفتح بالرقية ... كل عقل
٣٥٠	ويعجن الجد ... الأسكندري قبلي
٣٥٠	فالطل قد ... لا للطل
٣٣٠	دونك نصحي ... التفصيل بالجملة

٣٣٠	طيري من ... بته بته
٣٣٠	وما ذرى العود ... ناطورها الأبله
٣٣٠	فخير ما ... له عمله
٣٢٤	النار فأكهة ... شاتيا فليصطل
٣٢٤	إن الفواكه ... أخضل مأكّل
٣٠١	وذي طيشة ... بهما عاقل
٣٠١	يرى أبداً ... الملك العادل
٣٠١	تساوى لديه ... الحق والباطل
٣٠١	وأعجب ... الكيس الفاضل
٣٠١	تراضى ... أنه مائل
٢٩٨	وما ناكح ... النكاح سبيل
٢٩٨	متى يغش ... تجده يميل
٢٩٨	يزيدهما ... البعول قليل
٢٧٠	من يكن نال ... لطيب الأصول
٢٧٠	فبفضلي ... لا بقبولي
٢٥٣	يا أيهذا ... الذكاء المنجلي
٢٥٣	ما مثل ... هديت وعجل
٢٥٥	يا أخا الفطنة ... فيها كماله
٢٥٥	سار بالليل ... شيء مثاله
٢١٩	ليس من زار ... على القدم
٢١٩	لا ولا خادم ... كعاصي من الخدم

٢١٩	كيف يا قوم ... ومن هدم
٢١٩	سيقيم المفرطون ... مَأْتَم الندم
٢١٩	ويقول الذي ... عن خـدم
٢١٩	ويك يا نفس ... عند ذي القدم
٢١٩	وازدري زخرف ... فوجد أنه عدم
٢١٩	واذكري مصرع ... خطبه صدم
٢١٩	واندبي فعلك ... وسُحِجِي له بدم
٢١٩	وادبغيه بتوبة ... يحلم الأدم
٢١٩	فعسى الله ... الذي احتدم
٢١٩	يوم لا عثرة ... لا ينفع السدم
٢١٤	وقلت للائمي ... على المقام
٢١٤	وأنفق ما جمعت ... بالخطيم عن الحطام
١٨٧	يا أخي الحامل ... إخواني وقومي
١٨٧	إن يكن ساءك ... سرك يومي
١٨٧	فاغفر ذاك ... شكري ولومي
١٢٦	ونديم محضته ... صديقا حميمًا
١٢٦	ثم أوليته ... صديقًا حميمًا
١٢٦	خلته قبل أن ... جلفا ذميمًا
١٢٦	وتخيرته ... جناه كليمًا
١٢٦	وتظنيته ... لعينا رجيـمًا
١٢٦	وتراءيته ... مريدا لئيمًا

١٢٦	وتوسمت أن ... إلا سموماً
١٢٦	بت من لسعه ... مني سليماً
١٢٧	وبدا نهجه ... مني سقيماً
١٢٧	لم يكن رائعاً ... لي خصيماً
١٢٧	قلت لما ... يكن لي نديماً
١٢٧	بغض الصبح ... يُلغى غمماً
١٢٧	ودعاني إلى ... رقيباً كتوماً
١٢٧	وكفى من ... أتاه ولوماً
٩٠	أنا أطروفة ... أعجوبة الأمم
٩٠	وأنا الحول ... العرب والعجم
٩٠	غير أنني ... الدهر فاهتضم
٩٠	وأبو صبية ... لحم على وضم
٩٠	وأخو العيلة ... احتال لم يلم
٨٣	تبصر ودع ... هل ترى اليوم
٨٣	فتى لا يقمر ... ما دسته تم
٨٢	وهيئ مركب ... لجة اليم
٨٢	بذا أوصيت ... كمن باح
٨٢	فطوبى لفتى ... بآدابي يأثم
٨٢	وزم اللفظ ... من زم
٨٢	ونفس عن ... إذا نث
٨٢	ورم العمل ... من زم

٨٢	ورث من ... وما خص
٨٢	ولا تأس على ... على اللم
٨٢	وعاد الخلق ... كفك البذل
٨٢	ولا تستمع ... عن الضم
٨٢	وزود نفسك ... يعقب الضير
٨١	فبادر أيها ... يحلوه به المر
٨١	فقد كاد يهي ... عن ذم
٨١	ولا تركن إلى ... وإن سر
٨١	فتلقى كمن ... تنفث السم
٨١	وخفض من ... الموت لا قيك
٨١	وسار في ... إن هم
٨١	وجانب صعر ... ساعدك الجد
٨١	يقي في عرصة ... خال ولا عم
٨١	كأنني بك ... اللحد وتنغط
٨١	وقد أسلمك ... من سم
٨١	هناك الجسم ... ليستأكله الدود
٨١	إلى أن ينخر ... العظم قد رم
٨١	ومن بعد ... إذا اعتد
٨١	صراط جسارة ... لمن أم
٨١	فكم من ... عزة ذل
٨٠	أما نادى بك ... أسمعك الصوت

٨٠	أما تخشى ... فتحتاط وتهتم
٨٠	فكم تسدر ... من الزهو
٨٠	وتنصب إلى ... الموت ماعم
٨٠	وحتام تجافيك ... وإبطاء تلافيك
٨٠	طباعا جمعت ... شملها انضم
٨٠	إذا أسخطت ... من ذاك
٨٠	وإن أخفق ... من الهم
٧٩	أيا من يدعي ... أخا الوهم
٧٩	تعبي الذنب ... الخطأ الجم
٧٩	أما بان لك ... أنذك الشيب
٧٩	وما في نصحه ... قد صم
٥١	تقتاده بره ... العزيمة والهزيمة
٥١	ويرى السباع ... الضباع المستضيئه
٥١	والذئب للأيام ... لم تنسب شيمه
٥١	ولو استقامت ... فيها مستقيمه
٥١	غسان أسرتي ... تربتي القديمه
٥١	فالبيت مثل ... ومنزلة جسيمه
٥١	والربع كالفردوس ... ومنزلة وقيمه
٥١	وها لعيش ... ولذات عميمه
٥١	أيام اسحب ... ماضي العزيمه
٥١	أختال في برد ... النعم الوسيمه

٥١	فلو أن كربا ... من كربى المقيمه
٥١	فالموت خير ... عيش البهيمه
٣٤٦	أقسم بالبيت ... الزمر المحرمه
٣٤٦	لو أن ... المشراط والمحجمه
٣٤٦	ولا ارتضت ... بهذي السممه
٣٤٦	ولا اشتكى ... مني حمه
٣٤٦	لكن صروف ... الليلة المظلمه
٣٤٦	واضطرنى الفقر ... اللظى المعزمه
٣٤٦	فهل فتي ... مـرحمه
٣٣٦	سم سمة ... ولو سمسمة
٣٣٦	والكر مهما ... السؤدد والمكرمه
٣٢٦	إن بني ... الرجال يكلم
٣٢٦	شنشنة أعرف ... من أقزم
٣٠٧	جزيت عن شكراً يلتزم
٣٠٧	شر الأثام ... يرع الحرم
٣٠٧	فذان والكلب ... سواء في القيم
٣٠٧	أقسم بالبيت ... في الحرم
٣٠٧	إنك نعم من ... الأعاريب حكم
٣٠٧	فاسلم ودوم ... دوم النعام والنعيم
٣٠٠	إذا قصر ... وصلها غنم
٣٠٠	لها ملبس ... يزدري الحكم

٢٩٩	ومسرورة ... ما السرور ولا الغم
٢٩٩	تقرب أحياناً ... طلقت الأم
٢٩٩	وتبعد أحياناً ... عهده ظلم
٢٩٨	ومأموم به ... بصحبته الكرام
٢٩٨	له إذا يرتوي ... يعروه الأوام
٢٩٨	ويزري له ... يروق الابتسام
٢٧٠	لا تسأل المرء ... أو فاصرم
٢٧٠	فما يشين ... ابنة الحصرم
٢٥٥	يا من إذا ما عويص ... أنار ظلامه
٢٥٥	ما ذا يماثل ... ريح مدامه
٢٤٩	قتل مثلي يا صاح ... بلهزم أو حسام
٢٤٩	والتي عنت ... من بنات الكرام
٢٤٩	ولتجهيزها إلى ... ترى ومقامي
٢٤٩	فتفهم ما قلته ... إن شئت أو في الملام
١٤	فلو قبل مبكاها ... قبل التندم
١٤	ولكن بكت قبلي ... الفضل للمتقدم
٢٤٤	يا من بدا ... موحش وتجهم
٢٤٤	وغدا يريش ... دونهن الأسهم
٢٤٤	ويقول هل ... يباع الأدهم
٢٤٤	أقصر فما ... مثلما تتوهم
٢٤٤	قد باعت ... يوسفًا وهم وهم

٢٤٤	هذا وأقم ... إليها المتهم
٢٤٤	والطائفين بها ... النواصي سهم
٢٤٤	ما قمت ذاك ... وعندي درهم
٢٤٤	فاعذر أخاك ... من لا يفهم
٢٣٣	أشكو إلى الرحمن ... الدهر عدوانه
٢٣٣	وحادثات قرعت ... مجدي وبنيانه
٢٣٣	واهتصرت عودي ... الأحداث أغصانه
٢٣٣	وأمحلت ربعي ... الممحل جرزانه
٢٣٣	وغادرتني حائرا ... الفقر وأشجانه
٢٣٣	من بعد ما كنت ... النعمة أردانه
٢٣٣	يختبط العافون ... السارون نيرانه
٢٣٣	فأصبح اليوم ... الذي عانه
٢٣٣	وازور من ... العرف عرفانه
٢٣٣	فهل فتى ... دهره خانه
٢٣٤	فيفرج الهم ... الشأن الذي شأنه
١٤١	لعمرك ما ... ولا الغني
١٤١	إذا سكن ... وثوى به
١٣١	عافاني الله ... كادت تعفيني
١٣١	ومن بالبرء ... سيبريني
١٣١	ما يتناساني ... الأكل ينسيني
١٣١	إن حم لم يغن ... منه يحميني

١٣١	وما أبالي ... إلى حين
٧٧	واغضض الطرف ... ذل المشين
٧٧	فبلاء الفتى ... طموح العين
١٣١	فأي فخر ... ثم تبليني
٧٦	فاعص من بعدها ... ليس بهين
٧٦	لا ولا كل طائر ... محققا باللجين
٧٦	ولكم من سعى ... غير خفي حنين
٧٦	فنبصر ولا تشم ... صواعق حين
٧٦	قل لوال غادرته ... يعض اليدين
٧٦	سلب الشيخ ... لظى حسرتين
٧٦	جاد بالعين ... بلا عينين
٧٦	خفض الحزن ... من بعد عين
٧٦	ولئن جل ... رزء الحسین
٧٦	فقد اعتضت ... يبغي ذين
٦١	أقسمت بالمشعر ... خيف منى
٦١	لو ساعفتني ... الذي رهنا
٦١	ولا تصديت ... ولا ثمنا
٦١	لكن قوس ... من ههنا وههنا
٦١	وخبّر حالي ... وغربة وضني
٦١	قد عدل الدهر ... الشقاء وهو أنا
٦١	لا هو يستطيع ... يدي مرتهنا

٦١	ولا مجالي ... للعفو حين جنى
٦١	فهذه قصتي ... وبيننا ولنا
١٥٥	لم يبق صاف ... ولا مُعين
١٥٥	وفي المساوي ... ولا ثمين
٣٥٤	بهما ما ... في المعاني
٣٥٤	فمشغوف ... برنات المثاني
٣٥٤	ومضطلع ... تلخيص عان
٣٥٤	وكم من ... وبالجفان
٣٥٤	وكم من معلم ... حلو المجاني
٣٥٤	ومغني لا ... الغواني والأغاني
٣٥٤	فصل إن شئت ... من الدنان
٣٥٤	ودونك ... منطلق العنان
٣٤٨	أحمد بحلمك ... جنى جان
٣٤٨	فالحلم أفضل ... جنى جان
٣٣٤	فتنتني ... غب تجني
٣٣٤	شغفتني ... تغيض جفني
٣٣٤	عشيتني ... بين ثثني
٣٣٤	فتظنيت ... فخيب ظني
٣٣٤	تثبتت في ... تشفي ضغن
٣٣٤	فترت في ... بفن ففن
٢٧٧	لا تصبون ... وتمتهن

٢٧٧	وارحل عن ... على الفتى
٢٧٧	واهرب إلى ... حضناً حزن
٢٧٧	واربأ بنفسك ... يغشاك الدرن
٢٧٧	ودع التذكر ... إلى السكن
٢٧٧	واعلم بأن ... يلقي الغبن
٢٧٧	كالدر في ... ويبخس في الثمن
٢٧٦	فمتى ما برزت ... منزل الأذى
٢٧٦	والهون وتراءى ... بدمع هتون
٢٧٦	فاستدم عيشك ... بالمظنون
٢٧٦	واحترس من ... العذاب المهين
٢٧٦	ولعمرك لقد ... مشبه بظنين
٢٧٥	أيهذا الجنين ... شروط الدين
٢٧٥	أنت مستعصم ... السكون مكين
٢٧٥	ما ترى فيه ... ولا عدو مبين
٢٥٤	يا من بدا بيانه ... عن فضله مبينا
٢٥٤	ماذا مثال قولهم ... وحش زينا
٢٥٢	يا ذا الذي فاق ... يدنسه شين
٢٥٢	ما مثل قول ... أصابته عين
١٧٣	لله ما ألبسني ... من الرعدة لي جنة
١٧٣	ألبسنيها واقيا ... شرا لإنس والجنة
١٧٣	سيكتسي اليوم ... سندس الجنة

١٠٩	لا تزر من تحب ... ولا تزده عليه
١٠٩	فاجتلاء الهلال ... العيون إليه
١٠٨	وتخلي الأخ ... أن تبكيه
١٠٨	هاك مني ... وكل فقيه
١٠٧	قل لمن يلغز ... الذي تخفيه
١٠٧	إن ذا الميت ... ابن أبيه
١٠٧	رجل زوج ... ولا غرو فيه
١٠٧	ثم مات ... يسر ذويه
١٠٧	فهو ابن ... بلا تمويه
١٠٧	وابن الابن ... من أخيه
١٠٧	فلذا حين ... تستوفيه
١٠٧	وحوى ابن ... أمها باقيه
١٠٥	أيها العالم ... فما له شبيه
١٠٥	أفتنا في ... وحرار كل فقيه
١٠٥	رجل مات ... من أمه وأبيه
١٠٥	وله زوجة ... بلا تمويه
١٠٥	فحوت ... دون أخيه
١٠٥	فاشفنا ... يوجد فيه
١٠١	سروج داري ... السبيل إليها
١٠١	وقد أناخ ... وأخنوا عليها
١٠١	فوالتي سرت ... الذنوب لديها

١٠١	ما راق طرفي ... عن طرفيها
١٠٠	أريد منكم ... وعصيده
١٠٠	فإن غلا ... الشهيد
١٠٠	أو لم يكن ... من ثريده
١٠٠	فإن تعذرن ... ونهيه
١٠٠	فأحضروا ... من قديده
١٠٠	وروجوه ... مريده
١٠٠	والزاد لا بد ... لي بعيدة
١٠٠	وأنتم خير ... عند الشديده
١٠٠	أيديكم كل ... أياد جديده
١٠٠	وراحكم ... الصلاة المفيدة
١٠٠	وبغيتي ... زهيدة
١٠٠	وفي أجر ... كربى حميده
١٠٨	ولي نتائج ... كل قصيده
٢٩٨	يعانقها وقد ... برهة عنها
٢٩٨	به يتوصل ... ولا ينهى
٢٩٨	ومنتسب إلى ... أصله منها
٢٩٧	وجارية في ... المسير قفولها
٢٩٧	لها سائق ... الاحتثاث رسيلها
٢٩٧	ترى في ... المصيف قحولها
٢٥٥	يا من تبوأ ... فاقت كل ذروة

٢٥٥	ما مثل قولك ... بغير عروه
٢٦٣	يا أيها القاضي ... من رضوى
٢٦٤	قد ادعى هذا ... أخو جدوى
٢٦٤	وما درى ... كالمن والسلوى
٢٦٤	فجد بهم ... كذب الدعوى
٢٦٤	وأنثني ... ومن عدوى
٧١	كدت أصلي ... وقاح شمريه
٧١	وأزور السجن ... حاكم الإسكندرية
٢٦٢	إرض بأدنى ... كثير لديه
٢٦٢	وجانب الحرص ... المترافي إليه
٢٦٢	وحام عن عرضك ... عن لبدتيه
٢٦٢	واصبر على ما ... واغمض عليه
٢٦٢	ولا ترق ماء ... ما في يديه
٢٦٢	فالحر من ... عن ناظريه
٢٦٢	ومن إذا ... ديباجتيه
٢٤٨	ولم تزل نفسي ... الأبحار مستشريه
٢٤٨	حتى نهاني ... تلکم المعصيه
٢٤٨	فلم أرق مذ ... يوما ولا مصبيه
٢٤٨	وها أنا الآن ... حرفتي المكديه
٢٤٨	أرب بكرة طال ... حتى عن الأهويه
٢٤٨	وهي على التعنيس ... الغانية المغنية

٢٤٨	وليس يكفيني ... بالدون الآميه
٢٤٨	واليد لا توكي ... والسماء مصحيه
٢٤٨	فهل معين لي ... بالقينة الملهميه
٢٤٨	فيغسل الهم ... من أفكاره المضنيه
٢٤٨	ويقتني مني ... رياه مع الأدعيه
١٥	على أنني راض ... لا علي ولا ليا
٢٤٧	أستغفر الله ... أثقلت ظهريه
٢٤٧	يا قوم كم من ... الأوصاف في الأنديه
٢٤٧	قتلتها لا أتقي ... قوداً أو ديه
٢٤٧	وكلما استذنبت ... بالذنب على الأقضيه
٣٤٧	وحافظ على ... النوى نوى
٣٤٧	وإن تقتدر ... بالشوى شوى
٣٤٧	وإياك والشكوى ... ما ارعوى عوى
٣٤٦	بني استضم ... ما التوى
٣٤٦	ولا تطع الحرص ... بالطوى طوى
٣٤٦	وعاص الهوى ... الهوى هوى
٣٤٦	وأستعف ذوي ... انضوى ضوى
٢١	فكنت به أجلو ... ملتع الضيا
٢١	أرى قربه ... ومحياه لي حيا

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع

الصفحة

- مقدمة المحقق ٥
- ترجمه صاحب المقامات ٥
- خطبة الكتاب ١١
- المقامة الأولى: الصنعانية ١٦
- المقامة الثانية: الحلوانية ٢٠
- المقامة الثالثة: الدينارية ٢٥
- المقامة الرابعة: الدمياطية ٣١
- المقامة الخامسة: الكوفية ٣٨
- المقامة السادسة: المراغية ٤٦
- المقامة السابعة: البرقعيدية ٥٣
- المقامة الثامنة: المعرية ٥٩
- المقامة التاسعة: الإسكندرية ٦٥
- المقامة العاشرة: الرحبية ٧٢

- ٧٨ ● المَقَامَةُ الحَادِيَةِ عَشْرَةَ: السَّائِيَةُ
- ٨٤ ● المَقَامَةُ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ: الدِّمَشْقِيَّةُ
- ٩٢ ● المَقَامَةُ الثَّلَاثَةِ عَشْرَةَ: البَغْدَادِيَّةُ
- ٩٧ ● المَقَامَةُ الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ: الْمَكِّيَّةُ
- ١٠٢ ● المَقَامَةُ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: الْفَرَضِيَّةُ
- ١١٠ ● المَقَامَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الْمَغْرِبِيَّةُ
- ١١٦ ● المَقَامَةُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ: الْقَهْقَرِيَّةُ
- ١٢١ ● المَقَامَةُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: السَّنَجَارِيَّةُ
- ١٢٩ ● المَقَامَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: النَّصِيبِيَّةُ
- ١٣٦ ● المَقَامَةُ الْعِشْرُونَ: الْفَارَقِيَّةُ
- ١٤٠ ● المَقَامَةُ الْحَادِيَةِ وَالْعِشْرُونَ: الرَّازِيَّةُ
- ١٤٥ ● المَقَامَةُ الثَّانِيَةِ وَالْعِشْرُونَ: الْفُرَاتِيَّةُ
- ١٥٠ ● المَقَامَةُ الثَّلَاثَةِ وَالْعِشْرُونَ: الشَّعْرِيَّةُ
- ١٥٩ ● المَقَامَةُ الرَّابِعَةِ وَالْعِشْرُونَ: الْقَطِيعِيَّةُ
- ١٧٠ ● المَقَامَةُ الْخَامِسَةَ وَالْعِشْرُونَ: الْكَرْجِيَّةُ

- المَقَامَةُ السَّادِسَةُ وَالْعِشْرُونَ: الرَّفْطَاءُ ١٧٥
- المَقَامَةُ السَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: الْوَبْرِيَّةُ ١٨٢
- المَقَامَةُ الثَّامِنَةُ وَالْعِشْرُونَ: السَّمَرْقَنْدِيَّةُ ١٩٣
- المَقَامَةُ التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: الْوَاسِطِيَّةُ ١٩٩
- المَقَامَةُ الثَّلَاثُونَ: الصُّورِيَّةُ ٢٠٨
- المَقَامَةُ الْحَادِيَّةُ وَالثَّلَاثُونَ: الرَّمْلِيَّةُ ٢١٤
- المَقَامَةُ الثَّانِيَّةُ وَالثَّلَاثُونَ: الطَّيْبِيَّةُ ٢٢١
- المَقَامَةُ الثَّلَاثَةُ وَالثَّلَاثُونَ: التَّفْلِيسِيَّةُ ٢٣٢
- المَقَامَةُ الرَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ: الزَّبِيدِيَّةُ ٢٣٧
- المَقَامَةُ الْخَامِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ: الشِّيرَازِيَّةُ ٢٤٦
- المَقَامَةُ السَّادِسَةُ وَالثَّلَاثُونَ: الْمَلْطِيَّةُ ٢٥٠
- المَقَامَةُ السَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ: الصَّعْدِيَّةُ ٢٦٠
- المَقَامَةُ الثَّامِنَةُ وَالثَّلَاثُونَ: الْمَرْوِيَّةُ ٢٦٦
- المَقَامَةُ التَّاسِعَةُ وَالثَّلَاثُونَ: الْعُمَانِيَّةُ ٢٧١
- المَقَامَةُ الْأَرْبَعُونَ: التَّبْرِيزِيَّةُ ٢٧٩

- المَقَامَةُ الحَادِيَّةُ وَالْأَرْبَعُونَ: التَّنِيسِيَّةُ ٢٩٠
- المَقَامَةُ الثَّانِيَّةُ وَالْأَرْبَعُونَ: النَّجْرَانِيَّةُ ٢٩٦
- المَقَامَةُ الثَّلَاثَةُ وَالْأَرْبَعُونَ: الْبَكْرِيَّةُ ٣٠٣
- المَقَامَةُ الرَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ: الشُّتْوِيَّةُ ٣١٤
- المَقَامَةُ الْخَامِسَةُ وَالْأَرْبَعُونَ: الرَّمْلِيَّةُ ٣٢٧
- المَقَامَةُ السَّادِسَةُ وَالْأَرْبَعُونَ: الْحَلِيَّةُ ٣٣٢
- المَقَامَةُ السَّابِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ: الْحَجَرِيَّةُ ٣٤٤
- المَقَامَةُ الثَّامِنَةُ وَالْأَرْبَعُونَ: الْحَرَامِيَّةُ ٣٥٣
- المَقَامَةُ التَّاسِعَةُ وَالْأَرْبَعُونَ: السَّاسَانِيَّةُ ٣٦١
- المَقَامَةُ الْخُمْسُونَ: الْبَصْرِيَّةُ ٣٦٧
- ٣٧٩ الفهارس
- ٣٨١ فهرس الآيات
- ٣٨٥ فهرس الأحاديث
- ٣٨٧ فهرس الأماكن والقبائل
- ٣٨٩ فهرس الأمثال

الصفحة

الموضوع

٣٩١ فهرس الشعر

٤٤٩ • فهرسُ الكتابِ



رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن المحمدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

دار الغد الجديد

للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة: ٧ ش. د. ك. خلف الجامع الأزهر
القاهرة: ش. د. ك. خلف الجامع الأزهر
ت. فاكس: ٠٢٠٢/٢٥١٤٨١٦ - ٠٢٠٢/٢٢١٨٨
Email: dar.althad@yahoo.com

ISBN 978-977-372-482-5



9 789773 724825 >